كلام الحكمة حكمة الحكماء

حمد لمن انطق السنة الاذهان في الاعيان بالنصيحة

في حللها حلل الكتب سماح بالحكمة والموعظة



١٢٩٧هـ

باهتمام الراجي من الله الصمد الفاني فتح محمد اخي القاضي ابرهيم المرحوم

ابن المرحوم القاضي نور محمد وملا نور الدين بن جيوا خان صاحب

في مطبع الحيدري الكائن في محروسة المنبئ



فاتحة قصة التاجر وولديه الصائغ والنحاس وخداع
الاعجمي مع الولد الصائغ الذي اسمه حسن

ومما يحكى ايضا

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر من التجار مقيم بارض البصرة وكان ذلك التاجر له ولدان ذكران وكان عنده مال كثير فقدر الله السميع العليم ان التاجر توفي الى رحمة الله تعالى وترك تلك الاموال فاخذ ولداه في تجهيزه ودفنه وبعد ذلك اقتسما الاموال بينهما بالسوية واخذ كل واحد منهما قسمه وفتحا لهما دكانين احدهما نحاس والثاني صائغ فبينما الصائغ جالس في دكانه يوما من الايام واذا برجل اعجمي ماش في السوق بين الناس حتى مر على دكان الولد الصائغ فنظر الى صنعته وتأملها بمعرفته فاعجبته وكان اسم الولد الصائغ حسن فهز الاعجمي رأسه وقال والله انك صائغ مليح وصار ينظر الى صناعته وهو ينظر الى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولون بحسنه وجماله وقده واعتداله فلما كان وقت العصر خلت الدكان من الناس فعند ذلك اقبل الرجل الاعجمي عليه وقال له يا ولدي انت شاب مليح ما هذا الكتاب وما لك اب وانا ما لي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا احسن منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعجمى اقبل على حسن الصائغ وقال له يا ولدى انت شاب مليح ومالك اب وانا مالى ابن وقد عرفت صنعة ما فى الدنيا احسن منها وقد سألنى خلق كثير من الناس فى شان تعليمها فما رضيت ان اعلمها احدا منهم ولكن قد سمحت نفسى ان اعلمك اياها واجعلك ولدى واجعل بينك وبين الفقر حجابا وتستريح من هذه الصنعة والتعب فى المطرقة والفحم والنار فقال له حسن يا سيدى ومتى تعلمنى فقال فى غد أتيك واصنع لك من النحاس ذهبا خالصا بحضرتك ففرح حسن وودع الاعجمى وسار الى والدته فدخل وسلم عليها واكل معها واخبرها بقصة الاعجمى وهو مدهوش بلا وعى ولا عقل فقالت له امه ما بالك يا ولدى احذر ان تسمع كلام الناس خصوصا الاعجام فلا تطاوعهم فى شئ فان هؤلاء غشاشون يدعون صنعة الكيمياء وينصبون على الناس ويأخذون اموالهم ويأكلونها بالباطل فقال لها يا امى نحن ناس فقراء وما عندنا شئ يطمع فيه حتى ينصب علينا وان هذا الاعجمى شيخ صالح عليه اثر الصلاح وانما هو قد حننه الله علىّ فسكتت امه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة من شدة فرحه بقول الاعجمى له فلما اصبح الصباح قام واخذ المفاتيح وفتح الدكان واذا بالاعجمى قد اقبل عليه فقام له واراد حسن ان يقبل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال يا حسن عمّر البودقة وركّب الكير ففعل ما امره به الاعجمى واوقد الفحم فقال له الاعجمى يا ولدى هل عندك نحاس قال عندى طبق مكسور فامره ان يتكئ عليه بالكاز ويقطعه قطعا صغارا ففعل كما قال له وقطعه قطعا صغارا ورماه فى البودقة ونفخ عليه بالكير حتى صار ماء فمدّ الاعجمى يده الى عمامته واخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذرّ منها شيئا فى البودقة مقدار نصف درهم وذلك الشئ يشبه الكحل الاصفر وامر حسنا ان ينفخ عليه بالكير ففعل مثل ما امره حتى صار سبيكة ذهب فلما نظر حسن الى ذلك اندهش وتحير عقله من الفرح الذى حصل له واخذ السبيكة وقلبها واخذ المبرد وبرّدها فرآها ذهبا خالصا من عال العال فطار عقله واندهش من شدة الفرح ثم انحنى على يد الاعجمى ليقبلها فمنعه وقال له خذ هذه السبيكة وانزل بها الى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعا ولا تتكلم فنزل حسن الى السوق واعطى السبيكة الى الدلال فاخذها منه وحكّها فوجدها ذهبا خالصا ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر الف درهم وقبض ثمنها ومضى الى البيت وحكى لامه جميع ما فعل وقال لامه يا امى انى قد تعلمت هذه الصنعة فضحكت عليه وقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما حكى لامه ما فعل الاعجمي وقال لها اني قد تعلمت هذه الصنعة قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وسكتت على مضض منها ثم ان حسنا اخذ من جهله هاونا وذهب به الى الاعجمي وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه فقال له يا ولدي ما تريد ان تصنع بهذا الهاون قال ندخله النار ونعمله سبائك ذهب فضحك الاعجمي وقال له يا ولدي هل انت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين في يوم واحد اما تعلم ان الناس ينكرون علينا وتروح ارواحنا ولكن يا ولدي اذا علمتك هذه الصنعة لا تعملها في السنة الا مرة واحدة فهي تكفيك من السنة الى السنة قال صدقت يا سيدي ثم انه قعد في الدكان وركب البودقة ورمى الفحم في النار فقال له الاعجمي يا ولدي ماذا تريد قال علمني هذه الصنعة فضحك الاعجمي وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط هل احد في عمره يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق او في الاسواق فان اشتغلنا بها في هذا المكان يقول الناس علينا ان هؤلاء يصنعون الكيمياء فتسمع بنا الحكام فتروح ارواحنا فان كنت يا ولدي تريد ان تتعلم هذه الصنعة فاذهب معي الى بيتي فقام حسن واغلق الدكان وتوجه مع الاعجمي فبينما هو في الطريق اذ تذكر قول امه وحسب في نفسه الف حساب ووقف واطرق برأسه الى الارض ساعة زمانية فالتفت الاعجمي فرآه واقفا فضحك وقال له هل انت مجنون كيف اضمر لك في قلبي الخير وانت تحسب اني اضرك ثم قال له الاعجمي ان كنت خائفا من ذهابك معي الى بيتي فانا اروح معك الى بيتك واعلمك هناك فقال له حسن نعم يا عم فقال له امش قدامي فسار حسن قدامه الى منزله وسار الاعجمي خلفه الى ان وصل منزله فدخل حسن الى داره فوجد والدته فاعلمها بحضور الاعجمي معه والاعجمي واقف على الباب ففرشت لهما البيت ورتبته فلما فرغت من امرها راحت ثم ان حسنا اذن للاعجمي ان يدخل فدخل ثم ان حسنا اخذ في يده طبقا وذهب به الى السوق ليجيء فيه بشيء يأكله فخرج وجاء بأكل واحضره بين يديه وقال له كل يا سيدي لاجل ان يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح فقال له صدقت يا ولدي ثم تبسم وقال يا ولدي من يعرف قدر الخبز والملح ثم تقدم الاعجمي واكل مع حسن حتى اكتفيا ثم قال له الاعجمي يا ولدي حسن هات لنا شيئا من الحلوى فمضى حسن الى السوق واحضر عشر قبابات من الحلوى وفرح حسن بكلام الاعجمي فلما قدم له الحلوى اكل منها

واكل معه حسن ثم قال له الاعجمي جزاك الله خيرا يا ولدي مثلك من يصاحبه الناس و يظهرونه على اسرارهم ويعلمونه ماينفعه ثم قال الاعجمي ياحسن احضر العدّة فما صدق حسن بهذا الحديث وقد خرج مثل المُهر اذا انطلق من الربيع حتى اتى الى الدكان واخذ العدّة ورجع ووضعها بين يديه فاخرج الاعجمي قرطاسا من الورق وقال يا حسن وحق الخبز والملح لولا انت اعز من ولدي ما اطلعتك على هذه الصنعة ومابقي معي شئ من هذا الاكسير الا هذا القرطاس ولكن تأمل حين اركب العقاقير واضعها لديك واعلم يا ولدي ياحسن انك تضع على كل عشرة ارطال نحاس نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة ارطال ذهبا خالصا ابريزا ثم قال له يا ولدي ياحسن ان في هذه الورقة ثلثة اوراق بالوزن المصري وبعد ان يفرغ مافي هذه الورقة اعمل لك غيره فاخذ حسن الورقة فرأى فيها شيئا اصفر انعم من الاول فقال ياسيدي ما اسم هذا واين يوجد وفي اي شئ يعمل فضحك الاعجمي وطمع في حسن وقال له عن اي شئ تسأل اعمل وانت ساكت واخرج طاسة من البيت وقطعها والقاها في البودقة ورمى عليها قليلا من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص فلما رأى حسن ذلك فرح فرحا شديدا وصار متحيرا في عقله مشغولا بتلك السبيكة فاخرج الاعجمي صرّة من رأسه بسرعة وفيها بنج لو شمّه الفيل لرقد من الليل الى الليل وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوى وقال له ياحسن انت بقيت ولدي وصرت عندي اعز من روحي ومالي وعندي بنت ازوجك بها فقال حسن انا غلامك ومهما فعلته معي كان عند الله تعالى فقال الاعجمي ياولدي طوّل بالك وصبر نفسك فيحصل لك الخير ثم ناوله القطعة الحلوى فاخذها وقبل يده ووضعها في فمه وهو لايعلم ما له في الغيب ثم بلع القطعة الحلوى فسبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا فلما رآه الاعجمي وقد حل به البلاء فرح فرحا شديدا وقام على اقدامه وقال له وقعت ياعلق ياكلب العرب في شركي لي اعوام كثيرة افتّش عليك حتى حصلتك ياحسن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما اكل القطعة الحلوى التي اعطاها له الاعجمي ووقع منها على الارض مغشيا عليه فرح الاعجمي وقال له لي اعوام كثيرة وانا افتّش عليك حتى حصلتك ثم ان الاعجمي شدّ وسطه وكتّف حسنا وربط رجليه على يديه واخذ صندوقا واخرج منه الحوائج التي كانت فيه ووضع حسنا فيه وقفله عليه

وفتح صندوقا آخر وحط فيه جميع المال الذي عند حسن والسبائك الذهب التي عملها اولا وثانيا وقفله ثم خرج الى السوق واحضر حمالا وحمل الصندوقين وخرج بهما الى ظاهر المدينة وحطهما على ساحل البحر وتقدم الى المركب الراسية وكانت تلك المركب معينة ومهيئة للاعجمي وريسها منتظر له فلما نظر بحريتها اتوا اليه وحملوا الصندوقين ووضعوهما في المركب وصرخ الاعجمي على الريس وعلى جميع البحرية وقال لهم قوموا قد انقضت الحاجة وبلغنا المراد فصرخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا المراسي وحلوا القلوع وسار المركب بريح طيبة هذا ما كان من امر الاعجمي وحسن واما ما كان من امر ام حسن فانها انتظرته الى العشاء فلم تسمع له صوتا ولا خبرا جملة كافية فجاءت الى البيت فرأته مفتوحا فدخلته ولم تر فيه احدا ولم تجد الصناديق ولا المال فعرفت ان ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء فلطمت وجهها وشقت اثوابها وصاحت وولولت وصارت تقول واولداه واثمرة فؤاداه ثم انشدت هذه الابيات

لقد قل صبري ثم زاد تململي ... وزاد نحيبي بعدكم وتعللي
ولا صبر لي والله بعد فراقكم ... وكيف اصطباري بعد فرقة مأملي
وبعد حبيبي كيف التذ بالكرى ... ومن ذا الذي يهنى بعيش التذلل
رحلت فاوحشت الديار واهلها ... وكدرت من صفوي مشارب منهلي
وكنت معيني في الشدائد كلها ... وعزي وجاهي في الورى وتوسلي
فلا كان يوم كنت فيه مباعدا ... عن العين الا ان اراك تعود لي

ثم انها صارت تبكي وتنوح الى الصباح فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فاخبرتهم بما جرى له مع الاعجمي واعتقدت انها لا تراه بعد ذلك ابدا وجعلت تدور في البيت وتبكي فبينما هي دائرة في البيت اذ رأت سطرين مكتوبين على الحائط فاحضرت فقيها فقرأهما لها فاذا فيهما

سرى طيف ليلى عند ما غلب الكرى ... سحيرا وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى ... ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما سمعت ام حسن هذه الابيات صاحت وقالت نعم يا ولدي ان الدار قفراء ثم ان الجيران ودعوها بعد ان دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريبا وانصرفوا حسن تبكي اناء الليل واطراف النهار وبنت في وسط البيت قبرا وكتبت وتاريخ فقده وكانت لا تفارق ذلك القبر ولم يزل ذلك دأبها من حين فـ

هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ولدها حسن مع الاعجمي فان الاعجمي كان مجوسيا وكان يبغض المسلمين كثيرا وكان كلما قدر على احد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم مطالبي كيماوي فاجر كما قال فيه الشاعر

هُوَ الكَلْبُ وَابْنُ الكَلْبِ وَالكَلْبُ جَدُّهُ	وَلَا خَيْرَ فِي كَلْبٍ تَنَاسَلَ مِنْ كَلْبِ

وايضا هذا البيت

اِبْنُ اللِّئَامِ وَابْنُ كَلْبٍ مَارِدُ	وَابْنُ الزِّنَا وَابْنُ غَبِيٍّ جَاحِدُ

وكان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسي وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه على مطلب فلما تمت حيلته على حسن الصائغ وسار به من اول النهار الى الليل رست المركب على بر الى الصباح فلما طلعت الشمس وسارت المركب امر الاعجمي عبيده وغلمانه ان يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن فاحضروه له ففتحه واخرجه منه ونشقه بالخل ونفخ في انفه ذرورا فعطس وتقايا البنج وفتح عينيه ونظر يمينا وشمالا فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائرة والاعجمي قاعد عنده فعلم انها حيلة عملت عليه وقد عملها الملعون المجوسي وانه وقع في الامر الذي كانت امه تحذره منه فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ اللهم الطف بي في قضائك وصبرني على بلائك يا رب العالمين ثم التفت الى الاعجمي وكلمه بكلام رقيق وقال له يا والدي ما هذه الفعال واين الخبز والملح واليمين التي حلفتها لي فنظر اليه وقال له يا كلب هل مثلي يعرف خبزا وملحا وانا قد قتلت مثلك الف صبي الا صبيا وانت تمام الالف وصاح عليه فسكت وعلم ان سهم القضاء نفذ فيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما رأى نفسه وقع مع الاعجمي الملعون كلمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه فسكت وعلم ان سهم القضاء نفذ فيه فعند ذلك امر الملعون بحل كتافه ثم سقوه قليلا من الماء والمجوسي يضحك ويقول وحق النار والنور والظل والحرور ما كنت اظن انك تقع في شبكتي ولكن النار قوتني عليك واعانتني على قبضك حتى اقضي حاجتي وارجع واجعلك قربانا لها حتى ترضى عني فقال له حسن قد خنت الخبز والملح فرفع المجوسي يده وضربه ضربة فوقع وعض الارض باسنانه وغشي عليه وجرت دموعه على خده ثم امر المجوسي غلمانه ان يوقدوا له نارا فقال له حسن ما تصنع بها فقال

له هذه النار صاحبة النور والشرر هي التي اعبدها فان كنت نعبدها مثلي فانا اعطيك نصف مالي وازوجك بنتي فصاح حسن عليه وقال له ويلك انما انت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وما هذه الا مصيبة في الاديان فعند ذلك غضب المجوسي وقال له اما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني فلم يوافقه حسن على ذلك فقام المجوسي الملعون وسجد للنار وأمر غلمانه ان يمدّوا حسناً على وجهه فمدّوه على وجهه وصار المجوسي يضربه بسوط مضفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجيره احد فرفع طرفه الى الملك القهار وتوسل اليه بالنبي المختار وقد عدم الاصطبار وجرت دموعه على خديه كالامطار وانشد هذين البيتين

أصبرًا لحكمك يا الهي في القضا   أنا صابر ان كان في هذا رضى
جاروا علينا واعتدوا وتحكموا   فعساك بالاحسان تغفر ما مضى

ثم ان المجوسي امر العبيد ان يقعدوه وامر ان يأتوا اليه بشيء من المأكول والمشروب فحضروه فلم يرض ان يأكل ويشرب وصار المجوسي يعذبه ليلاً ونهاراً مسافة الطريق وهو صابر ويتضرع الى الله عز وجل وقد قسا قلب المجوسي عليه ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلثة شهور وحسن معه في العذاب فلما كملت الثلثة اشهر ارسل الله تعالى على المركب ريحاً فاسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح فقال الريس والبحرية هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلثة اشهر في العقوبة مع هذا المجوسي وهذا ما يحل من الله تعالى ثم انهم قاموا على المجوسي وقتلوا غلمانه وكل من معه فلما رأهم المجوسي قتلوا الغلمان ايقن بالهلاك وخاف على نفسه وحل حسناً من كتافه وقلعه ما كان عليه من الثياب الرثة والبسه غيرها وصالحه ووعده ان يعلمه الصنعة ويرده الى بلده وقال له يا ولدي لا تؤاخذني بما فعلت معك فقال له حسن كيف بقيت اركن اليك فقال له يا ولدي لولا الذنب ما كانت المغفرة وانا ما فعلت معك هذه الفعال الا لاجل ان انظر صبرك وانت تعلم ان الامر كله بيد الله ففرحت البحرية والريس بخلاصه ودعا لهم حسن وحمد الله تعالى وشكره فسكنت الرياح وانكشفت الظلمة وطاب الريح والسفر ثم ان حسناً قال للمجوسي يا اعجمي الى اين نتوجه قال يا ولدي اتوجه الى جبل السحاب الذي فيه الاكسير الذي نعمل به كيمياء وحلف له المجوسي بالنار والنور انه ما بقي لحسن عنده ما يخيفه فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسي وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من ملبوسه * ولم يزالوا سائرين مدة ثلثة اشهر اخر وبعد ذلك رست

بهم المركب على بر طويل كله حصى ابيض واصفر وازرق واسود وغير ذلك من جميع الالوان فلما رست المركب نهض الاعجمي قائما وقال يا حسن قم اطلع فاننا قد وصلنا الى مطلوبنا ومرادنا فقام حسن وطلع مع الاعجمي واوصى المجوسي الريس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسي الى ان بعدا عن المركب وغابا عن الاعين ثم قعد المجوسي واخرج من جيبه طبلا نحاسا وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبل فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغير لونه فنظر اليه المجوسي وقال له ما لك يا ولدي وحق النار والنور ما بقي عليك خوف مني ولولا ان حاجتي ما تقضى الا على اسمك ما كنت طلعتك من المركب فابشر بكل خير وهذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعجمي قال لحسن ان هذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها فما كان الا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلث نجائب فركب الاعجمي واحدة وركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة ايام ثم انتهيا الى ارض واسعة فلما نزلا في تلك الارض نظرا الى قبة معقودة على اربعة اعمدة من الذهب الاحمر فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة واكلا وشربا واستراحا فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئا عاليا فقال له حسن ما هذا يا عم فقال المجوسي هذا قصر فقال له حسن اما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه فغضب المجوسي وقال له لا تذكر لي هذا القصر فان فيه عدوتي وجرى لي معه حكاية ليس هذا وقت اخبارك بها ثم دق الطبل فاقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة ايام فلما كان اليوم الثامن قال المجوسي يا حسن ما الذي تنظره فقال حسن انظر سحابا وغماما بين المشرق والمغرب فقال له المجوسي ما هذا سحاب ولا غمام وانما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم ارتفاعه وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولاجل هذا جئت بك معي وحاجتي تقضى على يديك فعند ذلك يئس حسن من الحيوة ثم قال للمجوسي بحق معبودك وبحق ما تعتقده من دينك اي شيء الحاجة التي جئت بي من اجلها فقال له ان صنعة الكيميا لا تصح الا بحشيش ينبت في المحل الذي يمر به السحاب وينقطع عليه وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فاذا حصلنا الحشيش اريك اي شيء هذه

الصنعة فقال له حسن من حوفه نعم يا سيدي وقد يئس من الحيوة وبكى لفراق امه واهله ووطنه وندم على مخالفة امه وانشد هذين البيتين

تَأَمَّلْ صُنْعَ رَبِّكَ كَيْفَ يَأْتِي　بِمَا تَهْوَاهُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ
وَلَا تَيْأَسْ إِذَا مَا نِلْتَ خَطْبًا　فَكَمْ فِي الْخَطْبِ مِنْ لُطْفٍ عَجِيبِ

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى ذلك الجبل ووقفا تحته فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصرا فقال للمجوسي ما هذا القصر فقال المجوسي هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين ثم ان المجوسي نزل من فوق نجيبه وامره بالنزول وقام اليه وقبل رأسه وقال له لا تؤاخذني بما فعلته معك فانا احفظك عند طلوعك القصر واحلفك انك لا تخونني في شئ من الذي تحضره منه واكون انا وانت فيه سواء فقال له السمع والطاعة ثم ان الاعجمي فتح جرابا واخرج منه طاحونا واخرج منه ايضا مقدارا من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلثة اقراص واوقد النار وخبز الاقراص ثم اخرج الطبل النحاس والزخمة المقوشة ودق الطبل فحضرت النجائب فاختار منها نجيبا وذبحه وسلخ جلده ثم التفت الى حسن وقال له اسمع يا ولدي يا حسن ما اوصيك به قال نعم قال ادخل في هذا الجلد واخيط عليك واطرحك على الارض فتاتي الطيور الرخم فتحملك وتطير بك الى اعلى الجبل وخذ هذه السكين معك فاذا فرغت من طيرانها وعرفت انها حطتك فوقه فشق بها الجلد واخرج فان الطير يخاف منك ويطير عنك وطل لي من فوق الجبل وكلمني حتى اخبرك بالذي تعمله ثم هيأ له الثلثة اقراص وركوة فيها ماء وحطها معه في الجلد وبعد ذلك خيطه عليه ثم بعد عنه فجاء طير الرخم وحمله وطار به الى اعلى الجبل ووضعه هناك فلما عرف حسن ان الرخم وضعه على الجبل شق الجلد وخرج منه وكلم المجوسي فلما سمع المجوسي كلامه فرح ورقص من شدة الفرح وقال له امض الى ورائك ومهما رأيته فاعلمني به فمضى حسن فرأى رمما كثيرة وعندهم حطب كثير فاخبره بجميع ما رآه فقال هذا هو المقصود والمطلوب فخذ من الحطب ست حزم وارمها لي فانها هي التي نعملها كيمياء فرمى له الست حزم فلما رأى المجوسي تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن يا علق قد انقضت الحاجة التي اردتها منك وان شئت فدم على هذا الجبل او الق نفسك على الارض حتى تهلك ثم مضى المجوسي فقال حسن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد مكر بي هذا الكلب ثم قعد ينوح على نفسه وانشد هذه الابيات

إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا بِامْرِئٍ　وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ

صَمّ أُذُنَيْهِ وَأَعْمَى قَلْبَهُ وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ
فَلَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد السبعمائه

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المجوسي لما طلّع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وتحته ثم تركه وسار فقال حسن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد مكر بي هذا الكلب الملعون ثم انه وقف على قدميه والتفت يمينا وشمالا ثم مشى فوق الجبل وايقن في نفسه بالموت وصار يمشي حتى وصل الى الطرف الآخر من الجبل فرأى بجانب الجبل بحرا ازرق متلاطم الامواج قد ازبد وكل موجة منه كالجبل العظيم فقعد وقرأ ما تيسر من القرآن وسأل الله تعالى ان يهون عليه اما بالموت واما بالخلاص من هذه الشدائد ثم صلى على نفسه صلوة الجنازة ورمى نفسه في البحر فحملته الامواج على سلامة الله تعالى الى ان طلع من البحر سالما بقدرة الله تعالى ففرح وحمد الله تعالى وشكره ثم قام يمشي ويفتش على شيء ياكله فبينما هو كذلك واذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام المجوسي ثم مشى ساعة فاذا هو بقصر عظيم شاهق في الهواء فدخله فاذا هو القصر الذي كان سئل عنه المجوسي وقال له ان هذا القصر فيه عدوي فقال حسن والله لا بد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فيه فلما جاءه رأى بابه مفتوحا فدخل من الباب فرأى مصطبة في الدهليز وعلى المصطبة بنتان كالقمرين بين ايديهما رقعة شطرنج وهما تلعبان فرفعت واحدة منهما رأسها اليه وصاحت من فرحتها وقالت والله ان هذا آدمي واظنه الذي جاء به بهرام المجوسي في هذه السنة فلما سمع حسن كلامها رمى نفسه بين ايديهما وبكى بكاء شديدا وقال يا سيداتي هو انا والله ذلك المسكين فقالت البنت الصغرى لاختها الكبرى اشهدي علي يا اختي ان هذا اخي في عهد الله وميثاقه واني اموت لموته واحيى لحيوته وافرح لفرحه واحزن لحزنه ثم قامت له وعانقته وقبلته واخذته من يده ودخلت به القصر واختها معها وقلعته ما كان عليه من الثياب الرثة واتت له ببدلة من ملابس الملوك والبسته اياها وهيأت له الطعام من سائر الالوان وقدمته له وقعدت هي واختها واكلتا معه وقالتا له حدثنا بحديثك مع الكلب الفاجر الساحر من حين وقعت في يده الى حين خلصت منه ونحن نحدثك بما جرى لنا معه من اول الامر

الى أخره حتى تصير على حذر منه اذا رأيته　فلما سمع حسن منهما هذا الكلام ورأى الاقبال منهما عليه اطمأنت نفسه ورجع له عقله　وصار يحدثهما بما جرى له معه من الاول الى الاخر　فقالتا له هل سألته عن هذا القصر قال نعم سألته　فقال لي لا احب سيرته فان هذا القصر للشياطين والابالسة فغضبت البنتان غضبا شديدا وقالتا هل جعلنا هذا الكافر شياطين وابالسة فقال لهما حسن نعم　فقالت الصغيرة اخت حسن والله لاقتلنه اقبح قتلة واعدمنه نسيم الدنيا　فقال حسن وكيف تصلين اليه وتقتلينه فانه ساحر غدار قالت هو في بستان يسمى المشيد ولابد لي من قتله قريبا فقالت لها اختها صدق حسن وكلما قاله عن هذا الكلب صحيح ولكن حدثيه بحديثنا كله حتى يبقى في ذهنه　فقالت البنت الصغيرة اعلم يا اخي اننا من بنات الملوك وابونا ملك من ملوك الجان العظام الشان وله جنود واعوان وخدم من المردة ورزقه الله تعالى بسبع بنات من امرأة واحدة ولحقه من الحماقة والغيرة وعزة النفس ما لا مزيد عليه حتى انه لم يزوجنا لاحد من الرجال ثم انه احضر وزراءه واصحابه وقال لهم هل انتم تعرفون لي مكانا لا يطرقه طارق لا من الانس ولا من الجن ويكون كثير الاشجار والاثمار والانهار　فقالوا له ما الذي تصنع به يا ملك الزمان فقال اريد ان اجعل فيه بناتي السبعة　فقالوا له يا ملك يصلح لهن قصر جبل السحاب الذي كان انشأه عفريت من الجن المردة الذين تمردوا على عهد سيدنا سليمان عليه السلام　فلما هلك لم يسكنه احد بعده لا من الجن ولا من الانس لانه منقطع لا يصل اليه احد　وحوله الاشجار والاثمار والانهار وحوله ماء جار احلى من الشهد وابرد من الثلج ما شرب منه احد به برص او جذام او غيرهما الا عوفي من وقته وساعته فلما سمع والدنا بذلك ارسلنا الى هذا القصر وارسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج فيه اليه　وكان اذا اراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون　فاذا اراد والدنا اننا نحضر عنده امر اتباعه من السحرة باحضارنا فياتونا ويأخذونا ويوصلونا بين يديه حتى يأتنس بنا ونقضي اغراضنا منه　ثم يرجعونا الى مكاننا ونحن لنا خمس اخوات أخرى ذهبن يتصيدن في هذه الفلاة فان فيها من الوحوش ما لا يعد ولا يحصى وكل اثنتين منا عليهما نوبة في القعود لتسوية الطعام فجاءت النوبة علينا انا واختي هذه فقعدنا لنسوي لهن الطعام وكنا نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا شخصا آدميا يؤانسنا فالحمد لله الذي اوصلك الينا فطب نفسا وقر عينا ما عليك بأس ففرح حسن وقال الحمد لله الذي هدانا الى طريق الخلاص وحنن علينا

القلوب ثم قامت اخته واخذته من يده وادخلته مقصورة واخرجت منها من القماش والفرش ما لا يقدر عليه احد من المخلوقات ثم بعد ساعة حضرت اخواتها من الصيد والقنص فاخبرتاهن بحديث حسن ففرحن به ودخلن عليه في المقصورة وسلمن عليه وهنينه بالسلامة ثم اقام عندهن في اطيب عيش واهنى سرور وصار يخرج معهن الى الصيد والقنص ويذبح الصيد واستأنس حسن بهن ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صح جسده وبرئ من الذي كان به وقوي جسمه وغلظ وسمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وقعوده عندهن في ذلك الموضع وهو يتفرج ويتفسح معهن في ذلك القصر المزخرف وفي جميع البساتين والازهار وهن يأخذن بخاطره ويؤانسنه بالكلام وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحا وسرورا وكذلك هو فرح بهن اكثر مما فرحن به ثم ان اخته الصغيرة حدثت اخواتها بحديث بهرام المجوسي وانه جعلهن شياطين وابالسة وغيلانا فحلفن لها انه لا بد لهن من قتله فلما كان العام الثاني حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيد ومعذب غاية العذاب فنزل به تحت القصر الذي دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالسا على النهر تحت الاشجار فلما رآه حسن خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما رأى المجوسي خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وقال للبنات بالله يا اخواتي اعنني على قتل هذا الملعون فها هو قد حضر وصار في قبضتكن ومعه شاب مسلم اسير من اولاد الناس الاكابر وهو يعذبه بانواع العذاب الاليم وقصدي ان اقتله واشفي فؤادي منه واريح هذا الشاب من عذابه واربح الثواب ويرجع الشاب المسلم الى وطنه فيجتمع شمله مع اخوانه واهله واحبابه ويكون ذلك صدقة عنكن وتفزن بالاجر من الله تعالى فقالت له البنات السمع والطاعة لله ولك يا حسن ثم انهن ضربن لهن لثامات ولبسن آلات الحرب وتقلدن السيوف واحضرن لحسن جوادا من احسن الخيل وهيأنه بعدة كاملة وسلحنه سلاحا مليحا ثم ساروا جميعا فوجدوا المجوسي قد ذبح جملا وسلخه وهو يعاقب الشاب ويقول له ادخل هذا الجلد فجاء حسن من خلفه والمجوسي ما عنده علم به ثم صاح عليه فاذهله وخبله ثم تقدم اليه وقال له امسك يدك يا ملعون يا عدو الله وعدو المسلمين يا كلب يا غدار يا عابد النار يا سالك طريق الفجار اتعبد النار والنور وتقسم بالظل والحرور فالتفت المجوسي فرأى حسنا فقال له يا ولدي

كيف خلصت ومن اراك الى الارض فقال له حسن خلصني الله تعالى الذى جعل قبض روحك على يد اعدا ائك كما عدتني طول الطريق يا كافر يا زنديق قد وقعت في الضيق وزغت عن الطريق فلا ام تنفعك ولا اخ ولا صديق ولا عهد وثيق انك قلت من يخون العيش والملح ينتقم الله منه وانت خنت الخبز والملح فاوقعك الله تعالى في قبضتي وصار خلاصك مني بعيدا فقال له المجوسي والله يا ولدي انت عندي اعز من روحي ومن نور عيني فتقدم اليه حسن وعجل بلطمه بضربة على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان حسنا اخذ الجراب الذى كان معه وفتحه واخرج الطبل منه والزخمة وضرب بها على الطبل فجاءت النجائب مثل البرق الى حسن فحل الشاب من وثاقه واركبه نجيبا ووسق له الآخر زادا وماء وقال له توجه الى مقصدك فتوجه بعد ان خلصه الله تعالى من الضيق على يد حسن ثم ان البنات لما رأين حسنا ضرب رقبة المجوسي فرحن به فرحا شديدا ودرن حوله وتعجبن من شجاعته ومن شدة بأسه وشكرنه على ما فعل وهنأنه بالسلامة وقلن له يا حسن لقد فعلت فعلا اشفيت به العليل وارضيت به الملك الجليل وسار هو والبنات الى القصر واقام معهن في اكل وشرب ولعب وضحك وطابت له الاقامة عندهن ونسي امه فبينما هو معهن في الذ عيش اذ قد طلعت عليهم غبرة عظيمة من صدر البرية اظلم لها الجو فقالت له البنات قم يا حسن وادخل مقصورتك واختف وان شئت فادخل البستان وتوار بين الشجر والكروم ما عليك بأس ثم انه قام ودخل واختفى في مقصورته واغلقها عليه من داخل القصر وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر العجاج مقبلا من عند الملك ابي البنات فلما وصل العسكر انزلهم احسن منزل وضيفنهم ثلاثة ايام وبعد ذلك سألتهم البنات عن حالهم وعن خبرهم فقالوا انا جئنا من عند الملك في طلبكن فقلن لهم وما يريد الملك منا قالوا ان بعض الملوك يعمل فرحا ويريد ان تحضرن ذلك الفرح لتتفرجن فقالت لهم البنات وكم نغيب عن موضعنا فقالوا مدة الرواح والمجيء واقامة شهرين فقامت البنات ودخلن القصر على حسن واعلمنه بالحال وقلن له ان هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفسا وقر عينا ولا تخف ولا تحزن فانه لا احد يقدر ان يجيء الينا في هذا المكان فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى نحضر اليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك ولكن يا اخانا نسألك بحق الاخوة انك لا تفتح هذا الباب فانه ليس لك بفتحه حاجة ثم انهن ودعنه وانصرفن صحبة العساكر وقعد حسن في القصر وحده ثم انه قد ضاق صدره وفرغ صبره

وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزناً عظيماً وضاق عليه القصر مع اتساعه فلما رأى نفسه وحيداً مستوحشاً تذكرهن وانشد هذه الابيات

ضَاقَ الْفَضَاءُ جَمِيعُهُ فِي نَاظِرِي ... وَتَكَدَّرَتْ مِنْهُ جَمِيعُ خَوَاطِرِي
مُذْ سَارَتِ الْأَحْبَابُ صَفْوِي بَعْدَهُمْ ... كَدِرٌ وَدَمْعِي فَائِضٌ بِمَحَاجِرِي
وَالنَّوْمُ فَارَقَ مُقْلَتِي لِفِرَاقِهِمْ ... وَتَكَدَّرَتْ مِنِّي جَمِيعُ سَرَائِرِي
اَتُرَى الزَّمَانُ يَعُودُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا ... وَيَعُودُ لِي إِلْفِي بِهِمْ وَمُسَامِرِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسناً بعد ذهاب البنات من عنده قعد في القصر وحده فضاق صدره من اجل فراقهن ثم انه صار يذهب وحده الى الصيد في البراري ويأتي به ويذبحه ويأكل وحده وزادت به الوحشة والقلق من انفراده فقام ودار في القصر وفتش جميع جهاته وفتح مقاصير البنات فرأى فيها من الاموال ما يذهب عقول الناظرين وهو لا يلتذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن والتهبت في قلبه النار من اجل الباب الذي اوصته اخته بعدم فتحه وامرته انه لا يقربه ولا يفتحه ابداً فقال في نفسه ما اوصتني اختي بعدم فتح هذا الباب الا لكونه فيه شيء تريد ان لا يطلع عليه احد والله اني لاقوم وافتحه وانظر ما فيه ولو كان فيه المنية فاخذ المفتاح وفتحه فلم ير فيه شيئاً من المال ولكنه رأى سلماً في صدر المكان معقوداً بحجر من جزع يماني فرقي على ذلك السلم وصعد الى ان وصل الى سطح القصر فقال في نفسه هذا الذي منعتني عنه ودار فوقه فاشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع والبساتين والاشجار والازهار والوحوش والطيور وهي تغرد وتسبح الله تعالى الواحد القهار وصار يتأمل في تلك المتنزهات فرأى بحراً عجاجاً متلاطماً بالامواج ولم يزل دائراً حول ذلك القصر يميناً وشمالاً حتى انتهى الى قصر على اربعة اعمدة فرأى فيه مقعداً منقوشاً بسائر الاحجار كالياقوت والزمرد والبلخش واصناف الجواهر وهو مبني طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من زمرد اخضر وفي وسط ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء وعليها معكب من الصندل وعود الند وهو مشبك بقضبان الذهب الاحمر والزمرد الاخضر ومزركش بانواع الجواهر واللؤلؤ التي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند مرصع بالدر والجوهر مشبك بالذهب الاحمر وفيه من سائر الفصوص الملونة والمعادن النفيسة وهي في

ترجيع يقابل بعضها بعضا . ولما الاطيار تغرد بلغات مختلفة وتسبح الله تعالى بجميع اصواتها واختلاف لغاتها وهذا القصر لم يملك مثله كسرى ولا قيصر فاندهش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله فبينما هو جالس فيه وهو متعجب من حسن صنعته ومن بهجة ما حواه من الدر واليواقيت وما فيه من سائر الصناعات ومتعجب ايضا من تلك المزارع والاطيار التي تسبح الله الواحد القهار ويتأمل في آثار من قدرة الله تعالى على عمارة هذا القصر فانه عظيم الشان واذا هو بعشرة طيور قد اقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة فعرف حسن انهم يقصدون البحيرة ليشربوا من مائها فاستتر منهم خوفا ان ينظروه فينفروا منه ثم انهم نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وداروا حولها ونظر منهم طيرا عظيما مليحا وهو احسن ما فيهم والتسعة محتاطون به وهم في خدمته فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره ويتعاظم عليهم وهم يهربون منه وحسن واقف يتفرج عليهم من بعيد ثم انهم جلسوا على السرير وشق كل طير منهم جلده بمخالبه وخرج منه فاذا هو ثوب من ريش وقد خرج من الثياب عشر بنات ابكار يفضحن بحسنهن بهجة الاقمار فلما تعرين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسهن فهربن منها ولم يقدرن ان يمددن ايديهن اليها فلما نظرها حسن غاب عن صوابه وسلب عقله وعرف ان البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب الا لهذا السبب فشغف حسن بها حبا لما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وهي في لعب ومراح ومراشة بالماء وحسن واقف ينظر اليهن ويتحسر حيث لم يكن معهن وقد حار عقله من حسن الجارية الكبيرة وتعلق قلبه بشرك محبتها ووقع في شرك هواها والعين ناظرة وفي القلب نار محرقة والنفس امارة بالسوء فبكى حسن شوقا لحسنها وجمالها وانطلقت في قلبه النيران من اجلها وزاد به لهيب لا يطفأ شرره وغرام لا يخفى اثره ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر اليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن فحانت منه التفاتة فنظر حسن الى الجارية الكبيرة وهي عريانة فبان له ما بين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة باربعة اركان كانه طاسة من فضة او من بلور فتذكر قول الشاعر

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كَافِهَا … وَجَدْتُ بِهِ ضِيقًا كَخُلْقِي وَاَرْزَاقِي
فَاَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ … فَقُلْتُ لِمَا هَذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها واما الجارية الكبيرة فانها لبست حلة

خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الاشراق وفاقت على الغصون بحسن التثني وذهلت العقول بوهم التجني وهي كما قال الشاعر

وَجَارِيَةٍ فِي نَشَاطٍ بَدَتْ   تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَهْ
أَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَا أَخْضَرٍ   كَمِثْلِ الغُصُونِ عَلَى جُلْنَارَهْ
فَقُلْتُ لَهَا مَا اسْمُ هَذَا اللِّبَاسِ   فَقَالَتْ كَلَامًا مَلِيحَ العِبَارَهْ
شَقَقْنَا مَرَائِرَ أَحْبَابِنَا   فَفَاحَ نَسِيمٌ تَشُقُّ المَرَارَهْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة منهن اخذت عقله بحسنها وجمالها انشد تلك الابيات ثم ان البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن ويتضاحكن وحسن واقف ينظر اليهن وهو غريق في بحر عشقه وتائه في وادي فكره وهو يقول في نفسه والله ما قال لي اختي لا تفتح هذا الباب الا من شان هؤلاء البنات وخوفا من ان اتعلق باحدهن ثم انه صار ينظر في محاسن هذه الجارية وكانت اجمل ما خلق الله في وقتها وقد فاقت بحسنها جميع البشر لها فم كأنه خاتم سليمان وشعر اسود من ليل الصدود على الكئيب الولهان وغرة كهلال عيد رمضان وعيون تحاكي عيون الغزلان وانف اقنى كثير اللمعان وخدان كأنهما شقائق النعمان وشفتان كأنهما مرجان واسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان وبطن له طيات واركان يبتهل فيه العاشق الولهان وسرة تسع اوقية مسك الطيب الاردان وافخاذ غلاظ سمان كأنها عواميد رخام او مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء كأنه اعظم العقبان او ارنب مقطوش الأذان وله سطوح واركان وهذه الصبية فاقت بحسنها وقدها على غصون البان وعلى قضيب الخيزران وهي كما قال فيها الشاعر الولهان

وَخَوْدَاءَ أَضْحَى رِيقُهَا حَاكِيَ الشَّهْدِ   لَهَا مُقْلَةٌ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الهِنْدِي
وَتُخْجِلُ غُصْنَ البَانِ مِنْ حَرَكَاتِهَا   إِذَا ابْتَسَمَتْ فَالبَرْقُ مِنْ ثَغْرِهَا تُبْدِي
وَمَا يَسْتُ بِالوَرْدِ المُضَعَّفِ خَدَّهَا   فَصَدَّتْ وَقَالَتْ مَنْ يُقَايِسُ بِالوَرْدِ

وشبّه بالرمّان نهدي ما استحى ... ومن أين للرمّان غصن حوى نهدي
وحق جمالي والعيون ومهجتي ... وجنة وصلي والسعير من صدّي
لئن عاد للتشبيه حقاً حرمته ... لذيذ وصالي ثم أقليه بالصدّ
يقولون في البستان ورد وصفته ... وما ورده خدّي ولا غصنه قدّي
اذا كان مثلي في البساتين عنده ... فما ذا الذي قد جاء يطلبه عندي

ثم ان البنات لم يزلن في ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر اليهن ونسي الاكل والشرب الى ان قرب العصر فقالت الصبية لصواحبها يا بنات الملوك ان الوقت امسى علينا وبلادنا بعيدة ونحن قد سئمنا المقام فقمن لنروح محلنا فقامت كل واحدة منهن ولبست ثوبها الريش فلما اندرجن في ثيابهن صرن طيوراً كما كن اولاً وطرن كلهن سوية وتلك الصبية في وسطهن فيئس حسن منهن واراد ان يقوم وينزل فلم يقدر ان يقوم وصار دمعه يجري على خده ثم اشتد به الغرام فانشد هذه الابيات

حُرمتُ وفاء العهد ان كنت بعدكم ... عرفتُ لذيذ النوم كيف يكون
ولا اغمضت عيناي بعد فراقكم ... ولا لذّ لي بعد الرحيل سكون
يخيّل لي في النوم اني اراكم ... فيا ليت احلام المنام يقين
واني لأهوى النوم من غير حاجة ... لعل لقاكم في المنام يكون

ثم ان حسناً مشى قليلاً وهو لا يهتدي الى الطريق حتى نزل الى اسفل القصر ولم يزل يزحف الى ان وصل الى باب المخدع فدخل واغلقه عليه واضطجع عليلاً لا يأكل ولا يشرب وهو غريق في بحر افكاره فبكى وناح على نفسه الى الصباح فلما اصبح الصباح انشد هذه الابيات

اطارت طيور بالعشاء وصاحوا ... ومن مات وجداً ما عليه جناح
اسرّ حديث العشق ما امكن البقا ... وان غلب الشوق الشديد يباح
سرى طيف من يحكي بطلعته الضحى ... وليس لليلي في الغرام صباح
انوح عليهم والخليون نوّم ... وقد لعبت بي في الغرام رياح
سمحت بدمعي ثم مالي ومهجتي ... وعقلي وروحي والسماح رباح
واقبح انواع المكاره والأذى ... اذا كان من عند الملاح كفاح
يقولون وصل الغانيات محرّم ... وسفك دماء العاشقين مباح
وما حيلة المضنى سوى بذل نفسه ... يجود بها في الحب وهو مزاح
اصيح اشتياقاً للحبيب ولوعة ... وغاية جهد المستهام نواح

فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع الى المكان الذى كان فيه اولا وجلس فى مكان قبالة المنظرة الى ان اقبل الليل فلم يحضر احد من الطيور وهو جالس فى انتظارهم فبكى بكاء شديدا حتى غشى عليه ووقع على الارض مطروحا فلما افاق من غشيته زحف ونزل الى اسفل القصر وقد اقبل الليل وضاقت عليه الدنيا ما سرها وما زال يبكى وينوح على نفسه طول ليله الى ان اتى الصباح وطلعت الشمس على الروابى والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقر له قرار وفى نهاره حيران وفى ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذى هو فيه ومن شدة الغرام وانشد قول الشاعر الولهان

أَنَجِلَةَ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ فِي الضُّحَى ... وَفَاضِحَةَ الأَغْصَانِ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
تُرَى تَسْمَحُ الأَيَّامُ مِنْكِ بِعَوْدَةٍ ... وَتَخْمُدُ نِيرَانٌ تَوَقَّدُ فِي صَدْرِي
وَيَجْمَعُنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ تَعَانُقٌ ... وَخَدُّكِ فِي خَدِّي وَنَحْرُكِ فِي نَحْرِي
فَمَنْ قَالَ إِنَّ الحُبَّ فِيهِ حَلَاوَةٌ ... فَفِي الحُبِّ أَيَّامٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حسنا الصائغ لما زاد عشقه انشد الاشعار وهو فى القصر وحده ولم يجد من يؤانسه فبينما هو فى شدة وجده واذا هو بغبرة قد طلعت من البر فنام يجرى الى اسفل واختفى وعرف ان اصحاب القصر قد اتوا فلم يكن غير ساعة الا والعسكر قد نزلوا ودائروا بالقصر ونزلت السبع بنات ودخلن القصر ونزعن سلاحهن وما كان عليهن من آلات الحرب وأما البنت الصغيرة اخته فانها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت الى مقصورة حسن فلم تره ففتشت عليه فوجدته فى مخدع من المخادع وهو ضعيف نحيل قد كل جسمه ورق عظمه واصفر لونه وغابت عيناه فى وجهه من قلة الاكل والشرب ومن كثرة الدموع بسبب تعلقه بالصبية وعشقه لها فلما رأته اخته الجنية على هذه الحالة اندهشت وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه واى شئ اصابه وقالت له اخبرنى يا اخى حتى احيل لك فى كشف ضرك واكون فداءك فبكى بكاء شديدا وانشد يقول

مُحِبٌّ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ حَبِيبُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الكَآبَةُ وَالضُّرُّ
فَبَاطِنُهُ سُقْمٌ وَظَاهِرُهُ جَوًى ... وَأَوَّلُهُ ذِكْرٌ وَآخِرُهُ فِكْرُ

فلما سمعت اخته منه ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومحاورته لها بالشعر فقالت له يا اخي منى وقعت في هذا الامر الذي انت فيه ومتى حصل لك فاني اراك تتكلم بالاشعار وترخي الدموع الغزار فبالله عليك يا اخي وحرمة الحب الذي بيننا ان تخبرني بحالك وتطلعني على سرك ولا تخف مني شيئا مما جرى لك في غيابنا فانه قد ضاق صدري وتكدر عيشي بسببك فتنهد وارخى الدموع مثل المطر وقال اخاف يا اختي اذا اخبرتك انك لم تساعديني على مطلوبي وتتركيني اموت كمدا بغصتي فقالت لا والله يا اخي ما اتخلى عنك ولو كانت روحي تروح فحدثها بما جرى له وما عاينه حين فتح الباب واخبرها ان سبب الضر والبلاء عشق الصبية التي رآها ومحبته لها وان له عشرة ايام لم يستطعم بطعام ولا شراب ثم انه بكى بكاء شديدا وانشد هذين البيتين

رُدُّوا الفُؤادَ كَمَا عَهِدتُ إِلَى الحَشَى ... وَالمُقْلَتَينِ إِلَى الكَرَى ثُمَّ اهْجُرُوا
أَزَعَمْتُمُ أَنَّ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ ... عَهْدَ الهَوَى لَا كَانَ مَنْ يَتَغَيَّرُ

فبكت اخته لبكائه ورقت لحاله ورحمت غربته ثم قالت له يا اخي طب نفسا وقر عينا فانا اخاطر بنفسي معك وابذل روحي في رضائك وادبر لك حيلة ولو كان فيها ذهاب نفائسي ونفسي حتى اقضي غرضك ان شاء الله تعالى ولكن اوصيك يا اخي بكتمان السر عن اخواتي فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحي وروحك وان سألنك عن فتح الباب فقل لهن ما فتحته ابدا ولكن انا مشغول القلب من اجل غيابكن عني ووحشتي اليكن وقعودي في القصر وحدي فقال لها نعم هذا هو الصواب ثم انه قبل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره وكان خائفا من اخته بسبب فتح الباب فردت اليه روحه بعد ان كان مشرفا على الهلاك من شدة الخوف ثم انه طلب من اخته شيئا يأكله فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على اخواتها وهي حزينة باكية عليه فسألنها عن حالها فاخبرتهن ان خاطرها مشغول على اخيها وانه مريض وله عشرة ايام ما نزل في بطنه زاد ابدا فسألنها عن سبب مرضه فقالت لهن سببه غيابنا عنه حيث اوحشناه فان هذه الايام التي غبناها عنه كانت عليه اطول من الف عام وهو معذور لانه غريب ووحيد ونحن تركناه وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكر اهله وامه وهي امرأة كبيرة فظن انها تبكي عليه آناء الليل واطراف النهار ولم تزل حزينة عليه وكنا نسليه بصحبتنا له فلما سمع اخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها والله انه معذور ثم خرجن الى العسكر وصرفنهم ودخلن على حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيرت محاسنه واصفر

ثوبه وانحل جسمه فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وانسنه وضمن قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وماجرى لعريس مع العروسة ثم ان البنات اقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفنه وهو في كل يوم يزداد مرضا على مرضه وكلما رأينه على هذه الحالة يبكين عليه بكاء شديدا واكثرهن بكاء البنت الصغيرة ثم بعد الشهر اشتاقت البنات الى الركوب للصيد والقنص فعزمن على ذلك وسألن اختهن الصغيرة ان تركب معهن فقالت لهن والله يا اخواتي ما اقدر ان اخرج معكن واخي على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر بل اجلس عنده لاعلله فلما سمعن كلامها شكرنها على مروتها وقلن لها كلما تفعلينه مع هذا الغريب تؤجرين عليه ثم تركنها عنده في القصر وركبن واخذن معهن زاد عشرين يوما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما ركبن ورحن الى الصيد والقنص تركن اختهن الصغرى قاعدة عند حسن في القصر فلما بعدن عن القصر وعرفت اختهن انهن قطعن مسافة بعيدة اقبلت على اخيها وقالت له يا اخي قم ارني هذا الموضع الذي رأيت فيه البنات فقال بسم الله على الراس وفرح بقولها وايقن ببلوغ مقصوده ثم انه اراد ان يقوم معها ويريها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت به وفتحت له باب السلم وصعدت به الى فوق القصر فلما صار فوقه اراها الموضع الذي رأى فيه البنات واراها المقعد وبركة الماء فقالت له اخته صف لي يا اخي حالهن كيف جئن فوصف لها ما رأى منهن وخصوصا البنت التي تعلق بها فلما سمعت وصفها عرفتها فاصفر وجهها وتغير حالها فقال لها يا اختي قد اصفر وجهك وتغيرت حالتك فقالت له يا اخي اعلم ان هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشان قد ملك ابوها انسا وجانا وسحرة وكهانا وارهاطا واعوانا واقاليم وبلدانا وجزائر كثيرة واموالا عظاما وابونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه احد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لاولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولا وعرضا وقد دار على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر احد ان يصل الى ذلك المكان لا من الانس ولا من الجان وله عسكر من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات

بالرماح خمسة وعشرون الفا كل واحدة منهن اذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم الف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما فى اخواتهن وازيد وقد ولى الملك على هذا الذى عرفتك به ابنته الكبرى وهى اكبر اخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به جميع اهل مملكتها واما البنات التى معها فهن ارباب دولتها واعوانها وخواصها من ملكها وهذه الجلود الريش التى يطرن بها انما هى صنعة سحر الجان واذا اردت ان تملك هذه الصبية وتتزوج بها فاقعد هنا وانتظرها لانهن يحضرن على رأس كل شهر فى هذا المكان فاذا رأيتهن قد حضرن فاختف واياك ان تظهر فتروح ارواحنا جميعا فاعرف الذى اقوله لك واحفظه فى ذهنك واقعد فى مكان يكون قريبا منهن بحيث انك تراهن وهن لا يرينك فاذا قلعن ثيابهن فالق نظرك على الثوب الريش الذى هو للكبيرة التى فى مرادك وخذه ولا تأخذ شيأ غيره فانه هو الذى يوصلها الى بلادها فانك اذا ملكته ملكتها واياك ان تخدعك وتقول يا من سرق ثوبى رده على وها انا عندك وبين يديك وفى حوزتك فانك ان اعطيتها اياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل ابانا فاعرف حالك كيف تكون فاذا رأى اخواتها ان ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها فاذا جذبتها اليك فقد ملكتها وصارت فى حوزتك فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فانه ما دام عندك فهى فى قبضتك واسرك لانها لم تقدر ان تطير الى بلادها الا به فاذا اخذتها واحملها وانزل بها الى مقصورتك ولا تبين لها انك اخذت الثوب فلما سمع حسن كلام اخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الالم ثم انتصب قائما على قدميه وقبل رأس اخته وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو واخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع الى فوق وقعد ولم يزل قاعدا الى العشا فطلعت له اخته بشئ من الاكل والشرب وغيرت ثيابه ونام ولم يزل معها على هذه الحالة فى كل يوم الى ان هل الشهر فلما رأى الهلال صار يرتقبهن فبينما هو كذلك واذا بهن قد اقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفى فى مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن فى مكان وقلعن ثيابهن وكذلك البنت التى يحبها وكان ذلك فى مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع اخواتها فعند ذلك قام حسن ومشى قليلا قليلا وهو مختف وستر الله عليه فاخذ الثوب ولم تنظره واحدة

منهن بل كن يلعبن مع بعضهن ويضحكن فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش فجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فاقبلت عليها اخواتها وسألنها عن حالها فاخبرتهن ان ثوبها الريش قد فقد فبكين وصرخن ولطمن على وجوههن وحين امسى عليهن الليل لم يقدرن ان يقعدن عندها فتركنها فوق القصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار اخواتها وتركنها وحدها فلما رآها حسن طرن وغبن عنها وعن عينه سعى اليها فسمعها تقول يا من اخذ ثوبي واعراني سألتك ان ترده علي وتستر عورتي فلا اذاقك الله حسرتي فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق ان يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجري حتى هجم عليها وامسكها ثم جذبها اليه ونزل بها الى اسفل القصر وادخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها فاغلق عليها الباب وراح لاخته واعلمها انه حصلها وظفر بها ونزل بها الى مقصورته وقال لها انها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها فلما سمعت اخته كلامه قامت وتوجهت الى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة فقبلت الارض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك اهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الافعال الرديئة مع بنات الملوك وانت تعرفين ان ابي ملك عظيم وان جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة من لا طاقة لاحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم الا الله وكيف يصح لكم يا بنات الملوك ان تأوين رجال الانس عندكن وتطلعنهم على احوالنا واحوالكن والا فمن اين يصل هذا الرجل الينا فقالت لها اخت حسن يا بنت الملك ان هذا الانسي كامل المروءة وليس قصده امرا قبيحا وانما هو يحبك وما خلقت النساء الا للرجال ولولا انه يحبك ما مرض لاجلك وكادت روحه ان تزهق في هواك وحكت لها جميع ما اخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرهن واغتسالهن وانه لم يعجبه من جميعهن غيرها لان كلهن جواريها وانها كانت تغطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدر ان تمد يدها اليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت اخت حسن وخرجت من عندها واحضرت

لها بدلة فاخرة فالبستها اياها واحضرت لها شيئا من الاكل والشرب فاكلت هي واياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بالليل والنهار وتقول لها ارحمي من نظرك نظرة فاصبح قتيلا في هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي الى ان طلع الفجر وطابت نفسها وامسكت عن بكائها لما علمت انها وقعت ولم يمكن خلاصها فقالت لاخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلادي واهلي واخواتي فصبر جميل على ما قضاه ربي ثم ان اخت حسن خلت لها مقصورة في القصر لم يكن هنالك احسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الاهل والاوطان وفراق اخواتها وابويها وملكها ثم ان اخت حسن خرجت اليه وقالت له قم ادخل عليها في مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبل ما بين عينيها وقال لها يا سيدة الملاح وحياة الارواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب انا ما احضرتك الا لاجل ان اكون عبدك الى يوم القيامة واختي هذه جاريتك وانا يا سيدتي ما قصدي الا ان اتزوجك بسنة الله ورسوله واسافر الى بلادي واكون انا واياك في مدينة بغداد واشتري لك الجواري والعبيد ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك وليس هنالك بلاد احسن من بلادنا وكلما فيها احسن مما في غيرها من سائر البلاد واهلها وناسها ناس طيبون بوجوه صباح فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد واذا بداق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب واذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعين له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن في مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشا مليحا وخرجن الى الصيد والقنص فاصطدن شيئا كثيرا من الغزلان وبقر الوحش والارانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئا الى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحا شديدا فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئا ليتغدين به فتقدم حسن الى البنت الكبيرة وقبل راسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد اكثرت التنازل الينا يا اخانا وتعجبنا من فرط تودك الينا وحاشاك يا اخانا هذا شيء يلزمنا فعله معك لانك آدمي وهو افضل منا ونحن من الجن فدمعت عيونه وبكى بكاء شديدا فقلن

له ما الخبر وما يبكيك فقد كدرت عيشتنا ببكائك في هذا اليوم كأنك اشتقت الى والدتك والى بلادك فان كان الامر كذلك نجهزك ونسافر بك الى وطنك واحبابك فقال لهن والله ما مرادي فراقكن فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل ان يقول ما شوش على الا عشق الصبية خيفة ان ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشيء من حاله فقامت اخته وقالت لهن انه اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن ان نعينه على تأهيلها فالتفتن اليه كلهن وقلن له نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئا من حالك فقال لاخته قصي خبري عليهن فاني استحي منهن ولا اقدر ان اقابلهن بهذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا قال لاخته قصي عليهن قصتي فاني استحي ولا اقدر ان اقابلهن بهذا الكلام فقالت اخته لهن يا اخواتي اننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكن وحده ضاق عليه القصر وخاف ان يدخل عليه احد وانتن تعرفن ان عقول بني آدم خفيفة ففتح الباب الموصل الى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفردا وحده وطلع فوقه وقعد هناك واشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفا ان يقصد احد القصر فبينما هو جالس يوما من الايام واذا بالعشر طيور قد اقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوق المنظرة فنظر الى الطيرة التي هي احسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر ان تمد يدها اليها ثم جعلن مخالبهن في اطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن من الثياب وحسن واقف ينظر اليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر ان تمد يدها اليها وهي احسنهن وجها واعدلهن قدا وانظفهن لباسا ولم يزلن على هذه الحالة وحسن واقف ينظر اليهن الى ان قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من اجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض واقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الاكل

والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال فبينما هو قاعد واذا بهن قد اقبلن على عادتهن فخلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرفت انها لم تقدر ان تطير الا به اخذه واخفاه خيفة ان يطلعن عليه فيقتلنه ثم صرخت حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقالت لها اخواتها واين هي قالت لهن هي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا اختي فقالت هي احسن من القمر ليلة تمامه ووجهها اضوء من الشمس وريقها احلى من الشهد وقدها ارشق من القضيب ذات طرف احور ووجه اقمر وجبين ازهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الاعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وساقين كأنهما من المرمر عمودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها البدر التمام فلما سمعت البنات هذه الاوصاف التفتن الى حسن وقلن له ارنا اياها فقام معهن وهو ولهان الى ان اتى بهن الى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل قدامهن وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الارض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الاعظم ان هذا شيء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الانسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق الا انه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك الا في الحلال ولو علمنا ان البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع انه لم يرسل اليك رسولا بل اتى اليك بنفسه واخبرنا انه احرق الثوب الريش والا كنا اخذناه منه ثم ان واحدة من البنات اتفقت هي واياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجتها له باذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وادخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفا بها وحيث حصل مطلوبه هنى نفسه وانشد هذه الابيات

قَوَامُكِ فَتَّانٌ وَطَرْفُكِ أَحْوَرُ	وَوَجْهُكِ مِنْ مَاءِ الْمَلَاحَةِ يَقْطُرُ
تَصَوَّرْتِ فِي عَيْنِي أَجَلَّ تَصَوُّرٍ	فَنِصْفُكِ يَاقُوتٌ وَثُلْثَاكِ جَوْهَرُ
وَخُمْسُكِ مِنْ مِسْكٍ وَسُدْسُكِ عَنْبَرٌ	وَأَنْتِ شَبِيهُ الدُّرِّ بَلْ أَنْتِ أَزْهَرُ
وَمَا وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِثْلَكِ وَاحِدًا	وَلَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ مِثْلُكِ أُخَرُ

وَإِنْ شِئْتِ تَعْذِيبِي تَزِنْ سُنَنُ الْهَوَى | وَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَعْفُو فَأَنْتِ مُخَيَّرُ
فَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمُنَى | فَمَنْ ذَا الَّذِي عَنْ حُسْنِ وَجْهِكِ يَصْبِرُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على بنت الملك وازال بكارتها التذّ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فانشد فيها الابيات المذكورات وكانت البنات واقفات على الباب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعت قول الانسي كيف تلوميننا وقد انشد الشعر في هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت ثم ان حسنا اقام معها مدة اربعين يوما في حظ وسرور ولذة وحبور والبنات تجدد له كل يوم فرحا ونعمة وهدايا وتحفا وهو بينهن في سرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت اهلها ثم بعد الاربعين يوما كان حسن نائما فرأى والدته حزينة عليه وقد رقّت عظامها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغير حالها وكان هو في حالة حسنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدي يا حسن كيف تعيش في الدنيا منعما وتنساني فانظر لحالي بعدك وانا ما انساك ولا لساني يترك ذكرك حتى اموت وقد عملت لك قبرا عندي في الدار حتى لا انساك ابدا ترى اعيش يا ولدي وانظرك عندي ويعود شملنا مجتمعا كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر وصار حزينا كئيبا لا تنشف دموعه ولم يجيئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار فلما اصبح دخلت عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت اليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما ادري فقلن لها اسأليه عن حاله فتقدمت اليه وقالت له ما الخبر يا سيدي فتنهد وتضجر واخبرها بما رآه في منامه ثم انشد هذين البيتين

قَدْ بَقِينَا مُوَسْوَسِينَ حَيَارَى | نَطْلُبُ الْقُرْبَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَدَوَاهِي الْهَوَى تَزِيدُ عَلَيْنَا | وَخَفِيفُ الْهَوَى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

فاخبرتهن زوجته بما قال لها فلما سمعت البنات الشعر رثين لحاله وقلن له تفضل بسم الله ما نقدر ان نمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغي ان تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة فقال لهن

سمعا وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفا تعجز عن حصرها الأقلام ثم انهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها مايحمل جميع ما جهزنه ثم اركبن الجارية وحسنا وحملن اليهما خمسة وعشرين تختا من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة ايام فقطعن فيها مسافة ثلاثة اشهر ثم انهن ودعنهما واردن الرجوع عنهما فاعتنقته اخته الصغيرة و بكت حتى غشي عليها فلما افاقت انشدت هذين البيتين

لاكان يوم الفراق اصلا لم يبق في المقلتين نوما
شتت منا ومنات شملا وهد منا قوي وجسما

فلما فرغت من شعرها ودعته واكدت عليه انه اذا وصل الى بلده واجتمع بامه و اطمأن قلبه لايقطعها من الزيارة في كل ستة اشهر مرة وقالت له اذا اهمك امر وخفت مكروها فدق طبل المجوسي فتحضر لك النجائب واركب وارجع الينا و لا تتخلف عنا فحلف لها على ذلك ثم اقسم عليهن ان يرجعن فرجعن بعد ان ودعنه وحزن على فراقه واكثرهن حزنا اخته الصغيرة فانها لم يستقر لها قرار ولم يطاوعها اصطبار وصارت تبكي ليلا ونهارا هذا ما كان منهن واما ما كان من امر حسن فانه صار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والاودية والاوعار في الهواجر والاسحار وكتب الله لهما السلامة فلما وصلا الى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى اناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم الى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد تخيف ذاقت عذاب الحريق وهي تنشد

هذه الابيات

وكيف يذوق النوم من عدم الكرى ويسهر ليلا والانام رقود
وقد كان ذا مال واهل وعزة فاضحى غريب الدار وهو وحيد
له جمرة بين الضلوع وانة وشوق شديد ماعليه مزيد
تولى عليه الوجد والوجد حاكم ينوح بما يلقاه وهو جليد
وحالته في الحب تخبر انه حزين كئيب والدموع شهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت امه من بالباب فقال لها افتحي ففتحت الباب ونظرت اليه فلما عرفته خرت مغشيا عليها فمازال

بلاطفها الى ان افاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه وسناعه الى داخل الدار والجارية تنظر الى حسن وامه ثم ان ام حسن لما اطمأن قلبها وجمع الله شملها بولدها انشدت هذه الابيات

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي ... وَرَثَا لِطُولِ تَحَرُّقِي
وَأَنَالَنِي مَا أَشْتَهِي ... وَأَزَالَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحَنَّ عَمَّا جَنَا ... هُ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
حَتَّى جِنَايَتُهُ بِمَا ... فَعَلَ الْمَشِيبُ بِمَفْرِقِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان والدة حسن قعدت هي واياه يتحدثان وصارت تقول له كيف كان حالك يا ولدي مع الاعجمي فقال لها يا امي ما كان اعجميا بل كان مجوسيا يعبد النار دون الملك الجبار ثم انه اخبرها بما فعل به من انه سافر به وحطه في جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل واخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلائق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسي ويتركهم فوق الجبل بعد ان يقضوا حاجته وكيف رمى روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى واوصله الى قصر البنات ومؤاخاة البنت له وقعوده عند البنات وكيف اوصل الله المجوسي الى المكان الذي هو فيه وقتله اياه واخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها الى ان جمع الله شملهما ببعضهما فلما سمعت امه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ثم قامت الى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فاخبرها بما فيها ففرحت فرحا عظيما ثم تقدمت الى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت له يا ولدي الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالما ثم ان امه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت في بكرة النهار الى السوق فاشترت عشر بدلات افخر ما في المدينة من الثياب واحضرت لها الفرش العظيم والبست الصبية وجملتها بكل شئ مليح ثم اقبلت على ولدها وقالت يا ولدي نحن بهذا المال لم نقدر ان نعيش في هذه المدينة وانت تعرف اننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا

تسافر الى مدينة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة وتتعاطى في دكان فتبيع و تشتري وتتقي الله عز وجل يفتح عليك بهذا المال فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت واحضر النجائب وحمل عليها جميع امواله وامتعته وامه وزوجته وسار ولم يزل سائرا الى ان وصل الى دجلة فاكترى مركبا لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوائجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ثم ركب المركب و سار بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة ايام حتى اشرفوا على بغداد فلما اشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته الى المدينة واكترى مخزنا في بعض الخانات ثم نقل حوائجه من المركب اليه وطلع واقام ليلة في الخان فلما اصبح غير ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعن ما يريد فقال له اريد دارا تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التي عنده فاعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة الف دينار من الذهب واعطاه الثمن ثم عاد الى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ماله وحوائجه الى الدار ثم خرج الى السوق واخذ ما تحتاج اليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك واشترى خدما ومن جملتها عبد صغير للدار واقام مطمئنا مع زوجته في اللذ عيش وسرور مدة ثلث سنين وقد رزق منها بغلامين سمى احدهما ناصرا والآخر منصورا وبعد هذه المدة تذكر اخواته البنات وتذكر احسانهن اليه وكيف ساعدنه على مقصوده فاشتاق اليهن وخرج الى اسواق المدينة فاشترى منها شيئا من حلي وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته امه عن سبب اشتراء تلك التحف فقال لها اني عزمت على ان اسافر الى اخواتي التي فعلن معي كل جميل ورزقي الذي انا فيه من خيرهن واحسانهن الي فاني اريد ان اسافر اليهن وانظرهن واعود قريبا ان شاء الله تعالى فقالت له يا ولدي لا تغب علي فقال لها اعلمي يا امي كيف تكونين مع زوجتي وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الارض فاحرسي عليه لئلا تقع فيه فتاخذه وتطير هي واولادها ويروحون وابقى لا اقع لهم على خبر فاموت كمدا من اجلهم واعلمي يا امي اني احذرك من ان تذكري ذلك لها واعلمي انها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان اكبر من ابيها ولا اكثر منه جنودا ولا مالا واعلمي انها سيدة قومها واعز ما عند ابيها فهي عزيزة النفس جدا فاخدميها انت بنفسك ولا تمكنيها من ان تخرج من الباب او تطل من الطاقة او من حائط فاني اخاف عليها من الهواء اذا هب واذا

جرى عليها امر من امور الدنيا فانا اقتل روحي من اجلها فقالت امه اعوذ بالله من محالفتك يا ولدي هل انا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية واخالفك فيها سافر يا ولدي وطب نفسا وسوف تحضر في خير وتنظرها ان شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اراد السفر الى البنات وصى امه على زوجته حكم ما ذكرنا وكانت زوجته بالامر المقدر تسمع كلام امه وهما لا يعرفان ذلك ثم ان حسنا قام وخرج الى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين حملا من تحف العراق وودع والدته وزوجته واولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة وعمر الآخر سنتين ثم انه رجع الى والدته واوصاها ثانيا ثم انه ركب وسافر الى اخواته ولم يزل مسافرا ليلا ونهارا في اودية وجبال وسهل واوعار مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر وصل الى القصر ودخل على اخواته ومعه الذي احضره اليهن فلما راينه فرحن به وهنينه بالسلامة واما اخته فانها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم انهن اخذن الهدية وانزلنه في مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته وعن زوجته فاخبرهن انها ولدت منه ولدين ثم ان اخته الصغيرة لما راته طيبا بخير فرحت فرحا شديدا وانشدت هذا البيت

وَأَسْأَلُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا خَطَرَتْ   وَغَيْرُكُمْ فِي فُؤَادِي قَطُّ مَا خَطَرَا

ثم انه اقام عندهن في الضيافة والكرامة مدة ثلثة اشهر وهو في فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه واما ما كان من حديث امه وزوجته فانه لما سافر حسن اقامت زوجته يوما وثانيا مع امه وقالت لها في اليوم الثالث سبحان الله هل اقعد معه ثلث سنين ما ادخل الحمام وبكت فرقت امه لحالها وقالت لها يا بنتي نحن هنا غرباء وزوجك ما هو في البلد فلو كان حاضرا كان يقوم بخدمتك اما انا فلا اعرف احدا ولكن يا بنتي اسخن لك الماء واغسل رأسك في حمام البيت فقالت لها يا سيدتي لو قلت هذا القول لبعض الجواري كانت طلبت منك البيع في السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن يا سيدتي ان الرجال

معذورون [illegible] عندهم غيرة　وعقولهم تقول لهم ان المرأة اذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة　والنساء ياسيدتى ما كلهن سواء وانت تعرفين ان المرأة اذا كان لها غرض فى شئ ما يغلبها احد ولا يقدر ان يحرس عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا من غيره وتعمل كل ما تختاره ثم انها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وعلى غربتها　فرقت لها ام زوجها وعلمت ان كلما قالته لا بدّ منه فقامت وهيأت حوائج الحمام التى تحتاجان اليها واخذتها وراحت الى الحمام فلما دخلتا الحمام نزعتا ثيابهما فصارت النساء جميعا ينظرن اليها ويسبحن الله عز وجل ويتأملن فيما خلق من الصورة البهية　وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرج عليها وشاع فى البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء التى فيه فاتفق بسبب ذلك الامر العجيب انه حضر الى الحمام فى ذلك اليوم جارية من جوارى امير المؤمنين هارون الرشيد يقال لها تحفة العوادة　فرأت النساء فى زحمة والحمام لا يشق من كثرة النساء والبنات　فسألت عن الخبر فاخبرنها بالصبية فجاءت عندها ونظرت اليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح　ولم تدخل ولم تغسل وانما صارت قاعدة وباهتة فى الصبية الى ان فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسنا على حسنها　فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرة اليها فالتفتت اليهن وخرجت فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت الى قصر الخليفة　وما زالت سائرة حتى وصلت بين ايادى السيدة زبيدة وقبلت الارض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام　فقالت يا سيدتى رأيت اعجوبة ما رأيت مثلها فى الرجال ولا فى النساء وهى التى اشغلتنى وادهشت عقلى وحيرتنى حتى اننى ما غسلت رأسى　فقالت وما هى يا تحفة قالت يا سيدتى رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى احد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها فى الدنيا باسرها وحق نعمتك يا سيدتى ان عرفت بها امير المؤمنين قتل زوجها واخذها منه لانه لا توجد مثلها واحدة فى النساء　وقد سألت عن زوجها فقالوا ان زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصرى وتبعتها من خروجها من الحمام الى ان دخلت بيتها　فرأيته بيت الوزير الذى له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر　وانا اخاف يا سيدتى

ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جارية امير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت يا سيدتي اني اخاف ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها قالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال ان امير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لاجلها والله لابد لي من النظر الى هذه الصبية فان لم تكن كما ذكرت امرت بضرب عنقك يا فاجرة ان في سراية امير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد ايام السنة وما فيهن واحدة بالصفات التي تذكرينها فقالت يا سيدتي لا والله ولا في بغداد كلها مثلها بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الارض بين يديها فقالت له يا مسرور اذهب الى دار الوزير التي بالبابين باب على البحر وباب على البر وائتني بالصبية التي هناك هي واولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تبطئ فقال مسرور السمع والطاعة ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل الى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز ام حسن وقالت من بالباب فقال لها مسرور خادم امير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وردت عليه السلام وسألته عن حاجته فقال لها ان السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم تدعوك اليها انت وزوجة ابنك واولادها فان النساء اخبرنها عنها وعن حسنها فقالت ام حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدي وما هو في البلد ولم يأمرني بالخروج انا ولا هي لاحد من خلق الله تعالى وانا اخاف ان يجري امر ويحضر ولدي فيقتل روحه فمن احسانك يا مسرور ان لا تكلفنا ما لا نطيق عليه فقال مسرور يا سيدتي لو علمت ان في هذا خوفا عليكم ما كلفتكم الرواح وانما مراد السيدة زبيدة ان تنظرها وترجع فلا تخالفي تندمي وكما اخذتكما اردكما الى هنا سالمتين ان شاء الله تعالى فما قدرت ام حسن ان تخالفه فدخلت وهيأت الصبية واخرجتها هي واولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم الى قصر الخليفة فطلع بهم حتى اوقفهم قدام السيدة

زبيدة فقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة اما تكشفين عن وجهك لانظره فقبلت الصبية الارض بين يديها واسفرت عن وجه يخجل البدر في افق السماء فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت اليها وسرحت فيها النظر واضاء القصر من نورها وضوء وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من في القصر وصار كل من رآها مجنونا لا يقدر ان يتكلم احدا ثم ان السيدة زبيدة قامت واوقفت الصبية وضمتها الى صدرها واجلستها معها على السرير وامرت ان يزينوا القصر ثم امرت بان يحضروا لها بدلة من افخر الملبوس وعقدا من انفس الجواهر والبست الصبية اياهما وقالت لها يا سيدة الملاح انك اعجبتني وملأت عيني اي شيء عندك من الصنائع فقالت الصبية يا سيدتي لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت من احسن الصنائع ما تتعجبين منه وتحدث بحسنه كل من يراه جيلا بعد جيل فقالت لها واين ثوبك هذا قالت هو عند ام زوجي فاطلبيه لي منها فقالت السيدة يا امي حياتي عندك ان تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذي تعمله وخذيه ثانيا فقالت العجوز يا سيدتي هذه كذابة هل رأيت احدا من النساء له ثوب من الريش فهذا لا يكون الا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسرى وقيصر وقالت لها يا امي خذي هذا العقد وناولتها اياه وقالت لها بحياتي ان تنزلي وتأتي بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها انها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقا فصرخت السيدة زبيدة على العجوز واخذت منها المفتاح ونادت مسرورا فحضر فقالت له خذ هذا المفتاح واذهب الى الدار وافتح وادخل الخزانة التي بابها كذا وكذا وفي وسطها صندوق فاطلعه واكسره وهات الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة زبيدة لما اخذت المفتاح من ام حسن واعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واطلع منها الصندوق واكسره واطلع منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي قال سمعا وطاعة ثم انه تناول المفتاح

من بدن السيدة زبيدة وسافر فقامت العجوز لام حسن وبناته العين بدمنة على مطاوعة الجارية وردوحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام الا مكيدة ثم ان العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة ودخلت واخرجت الصندوق واخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطة واتى به الى السيدة زبيدة فاخذته وقلبته وقد تعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها هل هذا ثوب الريش قالت نعم يا سيدتي ومدت الصبية يدها اليه واخذته منها وهي فرحانة ثم ان الصبية افتقدته فراته صحيحا كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة واخذت القميص وفتحته واخذت اولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم ان الصبية تمايلت وتمشت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح يا سادتي هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدة الملاح كلما فعلته مليح ثم قالت لهم وهذا الذي اعمله احسن منه يا سادتي وفتحت اجنحتها وطارت باولادها وصارت فوق قبة القصر ووقفت على سطح القاعة فنظروا اليها بالاحداق وقالوا لها والله ان هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم ان الصبية لما ارادت ان تطير الى بلادها تذكرت حسنا وقالت اسمعوا يا سادتي وانشدت هذه الابيات

يَا مَنْ خَلَا عَنْ ذِي الدِّيَارِ وَسَارَا ... نَحْوَ الحَبَائِبِ مُسْرِعًا فَرَّارَا
أَتَظُنُّ أَنِّي فِي نَعِيمٍ بَيْنَكُمْ ... وَالْعَيْشُ مِنْكُمْ لَمْ يَكُنْ أَكْدَارَا
لَمَّا أُسِرْتُ وَصِرْتُ فِي شَرَكِ الهَوَى ... جَعَلَ الهَوَى سِجْنِي وَشَطَّ مَزَارَا
لَمَّا اخْتَفَى ثَوْبِي تَيَقَّنَ أَنَّنِي ... لَمْ أَدْعُ فِيهَا الوَاحِدَ القَهَّارَا
قَدْ صَارَ يُوصِي أُمَّهُ بِحِفَاظِهِ ... فِي مَخْدَعٍ وَعَدَا عَلَيَّ وَجَارَا
فَسَمِعْتُ مَا قَالُوهُ ثُمَّ حَفِظْتُهُ ... وَرَجَوْتُ خَيْرًا زَائِدًا مِدْرَارَا
فَرَوَاحِي الحَمَّامَ كَانَ وَسِيلَةً ... حَتَّى غَدَتْ فِي العُقُولِ حَيَارَى
وَتَعَجَّبَتْ عِرْسُ الرَّشِيدِ لِبَهْجَتِي ... إِذْ شَاهَدَتْنِي يُمْنَةً وَيَسَارَا
نَادَيْتُ يَا امْرَأَةَ الخَلِيفَةِ إِنَّ لِي ... ثَوْبًا مِنَ الرِّيشِ العَلِيِّ فَخَارَا
لَوْ كَانَ فَوْقِي تَنْظُرِينَ عَجَائِبًا ... تَمْحُو العَنَا وَتُبَدِّدُ الأَكْدَارَا
فَاسْتَفْصَلَتْ عِرْسُ الخَلِيفَةِ أَيْنَ ذَا ... فَأَجَبْتُ فِي دَارِ الَّذِي قَدْ دَارَا
فَانْقَضَّ مَسْرُورٌ وَأَحْضَرَهُ لَهَا ... وَإِذَا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الأَنْوَارَا

فَأَخَذْتُهُ مِنْ حِينِ تَحْتِهِ ... وَرَأَيْتُ مِنْهُ الْجَيْبَ وَالْأَزْرَارَا
فَدَخَلْتُ فِيهِ ثُمَّ أَوْلَادِي مَعِي ... وَفَرَدْتُ أَجْنِحَتِي وَطِرْتُ فِرَارَا
يَا أُمَّ زَوْجِي خَبِّرِيهِ إِذَا أَتَى ... إِنْ حَبَّ وَصْلِي فَلْيُفَارِقْ دَارَا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة اما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح سبحان من اعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات ان يرجع ما فات ثم قالت لام حسن الحزين المسكين والله ياسيدتى يا ام حسن انك توحشيني فاذا جاء ولدك وطالت عليه ايام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته ارياح المحبة والاشواق فليجئني الى جزائر واق ثم طارت هى واولادها وطلبت بلادها فلما رأت ام حسن ذلك بكت ولطمت وجهها وانتحبت حتى غشى عليها فلما افاقت قالت لها السيدة زبيدة ياسيدتى الحجة ما كنت اعرف ان هذا يجرى ولو كنت اخبرتنى بها ما كنت اتعرض لك وما عرفت انها من الجن الطائرة الا فى هذا الوقت ولو عرفت انها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت اخليها تاخذ اولادها ولكن يا سيدتى اجعليني فى حل فقالت العجوز وما وجدت فى يدها حيلة انت فى حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشى عليها فلما افاقت من غشيتها استوحشت الى الصبية والى اولادها والى رؤية ولدها فانشدت هذه الابيات

يَوْمَ الْفِرَاقِ بِبُعَادِكُمْ أَبْكَانِي ... أَسَفًا لِبُعْدِكُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ
نَادَيْتُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ بِحُرْقَةٍ ... وَالدَّمْعُ قَرَّحَ بِالْبُكَا أَجْفَانِي
هَذَا الْفِرَاقُ فَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ ... فَلَقَدْ أَزَالَ فِرَاقُكُمْ كِتْمَانِي
يَا لَيْتَهُمْ عَادُوا إِلَى حُسْنِ الْوَفَا ... فَلَعَلَّ إِنْ عَادُوا يَعُودُ زَمَانِي

ثم قامت وحفرت فى البيت ثلثة قبور واقبلت عليها بالبكاء آناء الليل واطراف النهار وحين طالت غيبة ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن انشدت هذه الابيات

خَيَالُكَ بَيْنَ طَابَقَةِ الْجُفُونِ ... وَذِكْرُكَ فِي الْخَوَافِقِ وَالسُّكُونِ
وَحُبُّكَ قَدْ جَرَى فِي الْعَظْمِ مِنِّي ... كَجَرْيِ الْمَاءِ فِي ثَمَرِ الْغُصُونِ
وَيَوْمٌ لَا أَرَاكَ يَضِيقُ صَدْرِي ... وَتَعْذُرُنِي الْعَوَاذِلُ فِي شُجُونِي
أَيَا مَنْ قَدْ تَمَلَّكَنِي هَوَاهُ ... وَزَادَ عَلَى مَحَبَّتِهِ جُنُونِي
خَفِ الرَّحْمَنَ فِيَّ وَكُنْ رَحِيمًا ... هَوَاكَ أَذَاقَنِي رَيْبَ الْمَنُونِ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

قف

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ام حسن صارت تبكي اناء الليل واطراف النهار لفراق ولدها وزوجته واولاده هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ولدها حسن فانه لما وصل الى البنات حلفن عليه ان يقيم عندهن ثلثة اشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة احمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملا واحدا وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن ان يرجعن فاقبلن على عناقه من اجل التوديع فتقدمت اليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وانشدت هذين البيتين

مَتى تَنْطَفِي نَارُ الفِرَاقِ بِقُربِكُمْ … وَتُقْضَى بِكُمْ أَرَبِي وَنَبْقَى كَمَا كُنَّا
لَقَدْ رَاعَنِي يَوْمُ الفِرَاقِ وَضَرَّنِي … وَقَدْ زَادَنِي التَوْدِيعُ يَا سَادَتِي وَهْنَا

ثم تقدمت اليه البنت الثانية وعانقته وانشدت هذين البيتين

وَدَاعُكَ مِثْلُ وَدَاعِ الحَيَاةِ … وَفَقْدُكَ مِثْلُ فَقْدِ النَّدِيمِ
وَبُعْدُكَ نَارٌ كَوَتْ مُهْجَتِي … وَقُرْبُكَ فِيهِ جِنَانُ النَّعِيمِ

ثم تقدمت اليه البنت الثالثة وعانقته وانشدت هذين البيتين

مَا تَرَكْنَا الوَدَاعَ يَوْمَ افْتَرَقْنَا … عَنْ مَلَالٍ وَلَا لِوَجْهٍ قَبِيحِ
أَنْتَ رُوحِي عَلَى الحَقِيقَةِ قَطْعًا … كَيْفَ أَخْتَارُ أَنْ أُوَدِّعَ رُوحِي

ثم تقدمت اليه البنت الرابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين

لَمْ يُبْكِنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِ … لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إِلَيَّ مُوَدِّعِي
هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُهُ … فِي مَسْمَعِي أَجْرَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِي

ثم تقدمت اليه البنت الخامسة وعانقته وانشدت هذين البيتين

لَا تَرْحَلَنَّ فَمَا لِي عَنْكُمُ جَلَدٌ … حَتَّى أُطِيقَ بِهِ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ
وَلَا مِنَ الصَّبْرِ مَا أَلْقَى الفِرَاقَ بِهِ … وَلَا مِنَ الدَّمْعِ مَا أُذْرِي عَلَى طَلَلِ

ثم تقدمت اليه البنت السادسة وعانقته وانشدت هذين البيتين

قَدْ قُلْتُ مُذْ سَارَ السِّيَاقُ بِهِمْ … وَالشَّوْقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبَا
لَوْ كَانَ لِي مَلِكٌ أَصُولُ بِهِ … لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبَا

ثم تقدمت اليه البنت السابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين

إذا رأيت الوداد فاصبر　　ولا يهولنك البعاد
وانتظر لعودة عن قريب　　فإن قلب الوداع عادوا

وايضا هذين البيتين

ولقد جزعت لبعدكم وفراقكم　　ما لي فؤاد منكم لوداعكم
الله يعلم ما تركت وداعكم　　إلا مخافة أن تذوب فراقكم

ثم ان حسنا ودعهن وبكى الى ان غشى عليه بسبب فراقه لهن وانشد هذه الابيات

ولقد جرت يوم الفراق سوافحي　　درر انظمت عقودها من ادمعي
وحدا بهم حادي الركاب فلم اجد　　جلدا ولا صبرا ولا قلبي معي
ودعتهم ثم انثنيت بحسرة　　وتركت انس معاهدي والاربع
فرجعت لا ادري الطريق ولم تطب　　نفسي سوى اني اراك بمرجعي
يا صاحبي انصت لاخبار الهوى　　ما شاء لقلبك ان اقول وتسمع
يا نفس مذ فارقتهن ففارقي　　طيب الحياة ولا في البقا لا تطمعي

ثم انه جد في المسير ليلا ونهارا حتى وصل الى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالذي جرى بعد سفره فدخل الدار على والدته ليسلم عليها فرآها قد انحل جسمها ورق عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر ان ترد الكلام فصرف النجائب وتقدم الى امه فسألها عن زوجته واولاده فبكت حتى غشى عليها فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى اولاده فلم يجد لهم اثرا ثم انه نظر في الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحا ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف انها تمكنت من الثوب الريش واخذته وطارت واخذت اولادها معها فرجع الى امه فرآها قد افاقت من غشيتها فسألها عن زوجته وعن اولاده فبكت وقالت يا ولدي عظم الله اجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة فلما سمع كلام امه صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه واستمر كذلك من اول النهار الى الظهر فازدادت امه غما على غمها وقد يئست من حياته فلما افاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار يدور في الدار متحيرا ثم انه انشد هذين البيتين

لا خفي حبهم ما كان يخفى　　ونيران الصبابة ليس تطفى
ومن مرجت له نار التصابي　　فاني قد شربت الحب صرفا

وايضا

تشكي ايها الفراق النأس فلي | وزوع بالنوى حي وميت
واما انا ما طعمت حلو عيش | فانني لا سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره اخذ سيفه وسله وجاء الى امه وقال لها ان لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي فقالت له يا ولدي لا تفعل ذلك وانا اخبرك ثم قالت له اغمد سيفك واقعد حتى احدثك بالذي جرى فلما اغمد سيفه وجلس الى جانبها اعادت عليه القصة من اولها الى آخرها وقالت له يا ولدي لولا اني رأيتها تبكي على طلب الثوب الريش لما خفت منك ان تجيء وتشكو اليك فتغضب علي ما كنت ذهبت بها اليه ولولا ان السيدة زبيدة غضبت علي واخذت مني المفتاح قهرا ما كنت اخرجت الثوب ولو كنت اموت ويا ولدي انت تعرف ان يد الخلافة لا تطاولها يد فلما احضروا لها الثوب اخذته وقلبته وكانت تظن انه فقد منه شيء فوجدته لم يمسه شيء ففرحت واخذت اولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعدما قلعت لها السيدة زبيدة كل ما عليها اكراما لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون اليها ويتعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت الي وقالت لي اذا جاء ولدك وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته ارياح المحبة والاشواق فليفارق وطنه ويذهب الى جزائر واق هذا ما كان من حديثها في غيبتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد السبعمائة

قال بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما سمع كلام امه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولم يزل كذلك الى آخر النهار فلما افاق لطم على وجهه وصار يتقلب على الارض مثل الحية فقعدت امه تبكي عند رأسه الى نصف الليل فلما افاق من غشيته بكى بكاء عظيما وانشد هذه الابيات

قفوا وانظروا حال الذي تهجرونه | لعلكم بعد الجفا ترحمونه
فان تنظروه تنكروه لسقمه | كأنكم والله لا تعرفونه
وما هو الا ميت في هواكم | يعد من الاموات لولا انينه
ولا تحسبوا ان التفرق هين | يعز على المشتاق والموت دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور فى البيت وينوح ويبكى وينتحب مدة خمسة ايام لم يذق فيها طعاما ولا شرابا فقامت اليه امه وحلفته واقسمت عليه ان يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها ولازال يبكى وينتحب وامه تسليه وهو لا يسمع منها شيئا ثم انشد هذه الابيات

أَكَذا يُجَازِى وُدُّ كُلِّ قَرِينِ ... أَمْ هٰذِهِ شِيَمُ الظِّبَاءِ الْعِينِ
إِمَّا بُيُوتُ النَّحْلِ بَيْنَ شِفَاهِهِمْ ... مَنْضُوضَةٌ أَوْ حَانَةُ الزَّرْجُونِ
قُصُّوا عَلَىَّ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى ... إِنَّ التَّأَسِّىَ رَوْحُ كُلِّ حَزِينِ
لَا تَنْظُرَنَّ مُخَجَّلًا لِلَوْمَةِ لَائِمٍ ... مَا أَنْتَ أَوَّلُ حَازِمٍ مَفْتُونِ

ومازال حسن على هذه الحالة يبكى الى الصباح ثم انما غفت عيناه فرأى زوجته حزينة وهى تبكى فقام من نومه وهو صارخ وانشد هذين البيتين

خَيَالُكَ عِنْدِى لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً ... جَعَلْتُ لَهُ فِى الْقَلْبِ أَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْوَصْلِ مَا عِشْتُ لَحْظَةً ... وَلَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ أَتَهَجَّعِ

فلما اصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكى العين حزين القلب ساهر الليل قليل الاكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله ان يسافر الى اخواته لاجل ان يساعدنه على قصده من حصولها فاحضر النجائب ثم حمل خمسين نجيبة من تحف العراق وركب واحدة منهن ثم اوصى والدته على البيت واودع جميع حوائجه الا قليلا ابقاه فى الدار ثم سار متوجها الى اخواته لعله ان يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر البنات فى جبل السحاب فلما دخل عليهن قدم اليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له يا اخانا ما سبب مجيئك بسرعة وما لك غير شهرين فبكى وانشد هذه الابيات

أَرَى النَّفْسَ فِى فِكْرٍ لِفَقْدِ حَبِيبِهَا ... فَلَا تَنْتَهِى بِالْحَيٰوةِ وَطِيبِهَا
سَقَامِىَ دَاءٌ لَيْسَ يُعْرَفُ طِبُّهُ ... وَهَلْ يُبْرِئُ الْأَسْقَامَ غَيْرُ طَبِيبِهَا
فَيَا مَانِعِى طِيبَ الْمَنَامِ تَرَكْتَنِى ... أُسَائِلُ عَنْكَ الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
قَرِيبَةُ عَهْدٍ مِنْ حَبِيبِى وَقَدْ حَوَى ... مَحَاسِنَ تَدْعُو مُقْلَتِى لِصَبِيبِهَا
فَيَا أَيُّهَا الشَّخْصُ الْمُلِمُّ بِأَرْضِهِ ... عَسَى نَفْحَةٌ تُحْيِى الْقُلُوبَ بِطِيبِهَا

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى افاق من غشيته فلما افاق انشد هذين البيتين

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه ... ويأتي بحبي والزمان غيور
ويسعدني دهري وتقضى حوائجي ... وتحصل من بعد الامور امور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذين البيتين

بالله يا منتهى سقمي وامراضي ... هل انت راض فاني في الهوى راض
أتهجرين بلا ذنب ولا سبب ... فواصلي وارحمي من هجرك الماضي

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

هجر المنام وفاء السهيد ... والعين بالدمع المصون تجود
تبكي بدمع كالعقيق صبابة ... يربو على طول المدى ويزيد
اهدى الي الشوق يا اهل الهوى ... نارا لها بين الضلوع وقود
واذا ذكرتك ارفض لي دمعة ... الا وفيها بارق ورعود

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

أذا العشق والتبريح ذقتم كوجدنا ... وهل وجد الا هم كوجدكم منا
ألا فاقل الله الهوى ما امره ... فيا ليت شعري ما يريد الهوى منا
وجوهكم الحسنا وان شطت النوى ... تمثل في ابصارنا اينما كنا
فقلبي مشغول بتذكار حبكم ... ويطربني صوت الحمام اذا غنى
الا يا حماما بات يدعو أليفه ... لقد زدتني شوقا واصبحتني حزنا
تركت جفوني لا تمل من البكا ... على سادة غابوا وبينهم عنا
احن اليهم كل وقت وساعة ... واشتاق في الليل البهيم اذا جنا

فلما سمعت كلامه اخته خرجت اليه فرأته راقدا مغشيا عليه فصرخت ولطمت وجهها فسمعها اخواتها فخرجن اليها فرأين حسنا راقدا مغشيا عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألنه عن حاله فبكى واخبرهن بما جرى له في غيابه حيث طارت زوجته واخذت اولادها معها فحزن عليه وسألنه عن الذي قالت عند ما راحت قال يا اخواتي انها قالت لوالدتي قولي لولدك اذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته ارياح المحبة والاشواق فليجئني في جزائر واق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذكرن وصارت كل واحدة تنظر الى اختها وحسن ينظرهن ثم اطرقن برؤسهن الى الارض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلن له امدد يدك الى السماء فان وصلت

الى السماء تصل الى زوجتك واولادك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما قلن لحسن امدد يدك الى السماء فان وصلت اليها تصل الى زوجتك واولادك جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلت ثيابه وانشد هذه الابيات

قَدْ هَيَّجَتْنِي الخُدُودُ الحُمْرُ وَالحَدَقُ ... وَفَارَقَ الصَّبْرُ لَمَّا اَقْبَلَ الأَرَقُ
بِيضٌ نَوَاعِمُ اَضْنَتْ بِالجَفَا جَسَدِي ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُ لِأَبْصَارِ الوَرَى رَمَقُ
حُورٌ يَمِيسُ كَغِزْلَانِ النَّقَا سَفَرَتْ ... عَنْ بَهْجَةٍ لَوْ رَآهَا الأَوْلِيَا عَلِقُوا
يَمْشِينَ مِثْلَ نَسِيمِ الرَّوْضِ فِي سَحَرٍ ... بِعِشْقِهِنَّ غَرَامِي الهَمُّ وَالقَلَقُ
عَلِقْتُ مِنْهُنَّ آمَالِي بِغَانِيَةٍ ... قَلْبِي لَهَا بِلَظَى النِّيرَانِ يَحْتَرِقُ
خَوْدَاءُ نَاعِمَةُ الأَطْرَافِ مَائِسَةٌ ... فِي وَجْهِهَا الصُّبْحُ بَلْ فِي شَعْرِهَا الغَسَقُ
قَدْ هَيَّجَتْنِي وَكَمْ فِي الحُبِّ مِنْ بَطَلٍ ... قَدْ هَيَّجَتْهُ خُدُودُ البِيضِ وَالحَدَقُ

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه واخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فاقبلت عليه اخته وقالت له يا اخي طب نفسا وقر عينا واصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأنى نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر

دَعِ المَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا ... وَلَا تَبِيتَنَّ إِلَّا خَالِيَ البَالِ
مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

ثم قالت له قو قلبك واشدد عزمك فان ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة والبكاء والغم والحزن يمرض ويسقم واقعد عندنا حتى تستريح وانا احتيل لك في الوصول الى زوجتك واولادك ان شاء الله تعالى فبكى بكاء شديدا وانشد هذين البيتين

لَئِنْ عُوفِيتُ مِنْ مَرَضٍ بِجِسْمِي ... فَمَا عُوفِيتُ مِنْ مَرَضٍ بِقَلْبِي
وَلَيْسَ دَوَاءُ أَمْرَاضِ التَّصَابِي ... سِوَى وَصْلِ الحَبِيبِ مَعَ المُحِبِّ

ثم جلس الى جانب اخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذي كان سببا في رواحها فاخبرها عن سبب ذلك فقالت له والله يا اخي اني اردت ان اقول لك احرق ثوب الريش فانساني الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الامر وزاد به القلق انشد هذه الابيات

تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِي حَبِيبٌ أَلِفْتُهُ — وَلَيْسَ لِشَيْءٍ قَدَّرَ اللهُ مَدْفَعُ
مِنَ الْعُرْبِ قَدْ حَازَ الْمَلَاحَةَ كُلَّهَا — غَزَالٌ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي يَرْتَعُ
لَئِنْ عَزَّ صَبْرِي فِي هَوَاهُ وَحِيلَتِي — بَكَيْتُ عَلَى أَنَّ الْبُكَا لَيْسَ يَنْفَعُ
مَلِيحٌ لَهُ سَبْعٌ وَسَبْعٌ كَأَنَّهُ — هِلَالٌ لَهُ خَمْسٌ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُ

فلما نظرت اختها الى ما هو فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت الى اخواتها وهى باكية العين حزينة القلب وبكت بين ايديهن ورمت نفسها عليهن وقبلت اقدامهن وسألتهن مساعدة اخيها على قضاء حاجته واجتماعه باولاده وزوجته وعاهدهن على ان يدبرن امرا يوصله الى جزائر واق وما زالت تبكى بين يدى اخواتها حتى ابكتهن وقلن لها طيبى قلبك فاننا نجتهد فى اجتماعه بامله ان شاء الله تعالى ثم انه اقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لاخواتها عم اخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان فى كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضى حوائجها وكانت البنات قد حدثنه بحديث حسن وما وقع له مع المجوسى وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يا بنت اخى اذا اهمك امر او نالك مكروه او عرضت لك حاجة فالقى هذا البخور فى النار واذكرينى فانى احضر لك بسرعة واقضى حاجتك وكان هذا الكلام فى اول يوم من السنة فقالت تلك البنت لبعض اخواتها ان السنة مضت بتمامها وعمى لم يحضر قومى اقدحى الزناد وائتينى بعلبة البخور فقامت البنت وهى فرحانة واحضرت علبة البخور وفتحتها واخذت منها شيئا يسيرا وناولته لاختها فاخذته ورمته فى النار وذكرت عمها فما فرغ البخور الا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادى ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته فلما نظرته البنات صار يشير اليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل اليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه ثم انه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال انى كنت فى هذا الوقت جالسا انا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت اليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت اخى فقالت يا عم اننا اشتقنا اليك وقد مضت السنة وما عادتك ان تغيب عنا اكثر من سنة فقال لهن انى كنت مشغولا وكنت عزمت على ان احضر اليكن غدا فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدثن معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة يا عمي انا كنا حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الاكبر التي اخذها وما قاسى من الامور الصعاب والاهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها الى بلاده قال نعم فاحديث له بعد هذا قالت له انها غدرت به وقد رزق منها بولدين فاخذتهما وسافرت بهما الى بلادها وهو غائب وقالت لامه اذا حضر ولدك وطالت عليه ليالي الفراق واراد مني القرب والتلاق وهزته ارياح المحبة والاشتياق فليجئني الى جزائر واق فحرك رأسه وعض على اصبعه ثم اطرق رأسه الى الارض وصار ينكت في الارض باصبعه ثم التفت يمينا وشمالا وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتتت منا الاكباد فهز رأسه اليهن وقال لهن يا بناتي لقد اتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه في هول عظيم وخطر جسيم فانه لا يقدر ان يصل الى جزائر واق فعند ذلك نادت البنات حسنا فخرج اليهن وتقدم الى الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به واجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن يا عم بين لاخينا حقيقة ما قلته فقال له يا ولدي اترك عنك هذا العذاب الشديد فانك لا تقدر ان تصل الى جزائر واق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة لان بينك وبين الجزائر سبعة اودية وسبعة بحار وسبعة جبال عظام وكيف تقدر ان تصل الى هذا المكان ومن يوصلك اليه بالله عليك ان ترجع من قريب ولا تتعب سرك فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه واما البنت الصغيرة فانها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشي عليها فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم واخذته الرأفة عليهم فقال لهم اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وابشر بقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ثم قال له يا ولدي قم وشد حيلك واتبعني فقام حسن على حيله بعد ان ودع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته ثم ان الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه واردف حسنا خلفه وسار به مدة ثلاثة ايام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل الى جبل عظيم ازرق وحجارته كلها زرق وفي وسط ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصيني فاخذ الشيخ بيد حسن وانزله ثم نزل

الشيخ واطلق الفيل ثم تقدم الى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج اليه عبد اسود احرد كانه عفريت وبيده اليمنى سيف والاخرى ترس من بولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف والترس من يده وتقدم الى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم اخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو واياه وقفل العبد الباب خلفهما فراى حسن المغارة كبيرة وواسعة جدا ولها دهليز معقود ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير الى فلاة عظيمة وتوجهوا الى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الاصفر ففتح الشيخ عبد القدوس بابا منهما ودخل وردّه وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر ان تفتحه وتدخل حتى ادخل وارجع اليك عاجلا فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم ان سار طار وان طار لم يلحقه غبار فقدمه الى الشيخ حسن وقال له اركب ثم ان الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وساروا في تلك البرية فقال الشيخ لحسن يا ولدي خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان الى الموضع الذي يوصلك اليه فاذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه فانزل عن ظهره واجعل عنانه في قربوص السرج واطلقه فانه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة ايام ولا تضجر فانه في اليوم السادس يخرج اليك شيخ اسود عليه لباس اسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة الى سرته فاذا رأيته فقبل يديه وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فانه يسألك عن حاجتك فاذا قال لك ما حاجتك فادفع اليه هذا الكتاب فانه ياخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة ايام اخر ولا تضجر وفي اليوم السادس انتظره فانه يخرج اليك فان خرج اليك بنفسه فاعلم ان حاجتك تقضى وان خرج اليك احد من غلمانه فاعلم ان الذي خرج اليك يريد قتلك والسلام واعلم يا ولدي ان كل من خاطر بنفسه اهلك نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ عبد القدوس لما اعطى حسنا الكتاب اعلمه بما يحصل له وقال له ان كل من خاطر بنفسه اهلك نفسه فان كنت تخاف على نفسك فلا تلق بها الى الهلاك وان كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الامور وان شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فانه يسير بك الى بنات اخي وهن يوصلنك الى

بلادك ويردك الى وطنك ويرزقك الله خيرا من هذه البنت التي تعلقت بها فقال حسن للشيخ كيف تطيب لي الحيوة من غير ان ابلغ مرادي والله اني لا ارجع ابدا حتى ابلغ حبيبي او تدركني منيتي ثم بكى وانشد هذه الابيات

عَلَى فَقْدِ حِبِّي مَعْ تَزَايُدِ صَبْوَتِي　　وَقَفْتُ أُنَادِي بِانْكِسَارِي وَذِلَّتِي
وَقَبَّلْتُ تُرْبَ الرَّبْعِ شَوْقاً لِأَجْلِهِ　　وَلَمْ يُجْدِنِي إِلَّا تَزَايُدَ حَسْرَتِي
رَعَى اللّٰهُ مَنْ بَانُوا وَفِي القَلْبِ ذِكْرُهُمْ　　فَوَاصَلْتُ الأَمِي وَفَارَقْتُ لَذَّتِي
يَقُولُونَ لِي صَبْراً وَقَدْ رَحَلُوا بِهِ　　وَقَدْ أَضْرَمُوا يَوْمَ التَّرَحُّلِ زَفْرَتِي
وَمَا رَاعَنِي إِلَّا الوَدَاعُ وَقَوْلُهُ　　إِذَا غِبْتُ فَاذْكُرْنِي وَلَا تَنْسَ صُحْبَتِي
لِمَنْ أَلْتَجِي مَنْ أَرْتَجِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ　　وَكَانُوا رَجَائِي فِي رَخَائِي وَشِدَّتِي
فَوَاحَسْرَتَا لَمَّا رَجَعْتُ مُوَدِّعاً　　وَسَرَّتْ عِدَاكَ المُبْغِضُونَ بِرَجْعَتِي
فَوَا أَسَفَا هٰذَا الَّذِي كُنْتُ حَاذِراً　　وَيَالَوْعَتِي زِيدِي لَهِيباً بِمُهْجَتِي
فَإِنْ غَابَ أَحْبَابِي فَلَا عَيْشَ بَعْدَهُمْ　　وَإِنْ رَجَعُوا يَا فَرْحَتِي وَمَسَرَّتِي
فَوَاللّٰهِ لَمْ يَنْفَضَّ دَمْعِي مِنَ البُكَا　　عَلَى فَقْدِهِمْ بَلْ عَبْرَةٌ بَعْدَ عَبْرَةِ

فلما سمع الشيخ عبد القدوس انشاده وكلامه علم انه لا يرجع عن مراده وان الكلام لا يؤثر فيه وتيقن انه لا بد ان يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم يا ولدي ان جزائر واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات ابكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وارهاط مختلفة وكل من دخل ارضهم لا يرجع وما وصل اليهم احد قط ورجع فبالله عليك ان ترجع الى اهلك من قريب واعلم ان البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر ان تصل اليها فاسمع مني يا ولدي ولعل الله يعوضك خيرا منها فقال حسن والله يا سيدي لو قطعت في هواها اربا اربا ما ازددت الا حبا وطربا ولا بد من رؤية زوجتي واولادي والدخول في جزائر واق وان شاء الله تعالى ما ارجع الا بها وباولادي فقال له الشيخ عبد القدوس حينئذ لا بد لك من السفر فقال نعم وانما اريد منك الدعاء بالاسعاف والاعانة لعل الله يجمع شملي بزوجتي واولادي عن قريب ثم بكى من عظم شوقه وانشد هذه الابيات

أَنْتُمْ مُرَادِي وَأَنْتُمْ أَحْسَنُ البَشَرِ　　أُحِلُّكُمْ فِي مَحَلِّ السَّمْعِ وَالبَصَرِ
مَلَكْتُمُ القَلْبَ مِنِّي وَهْوَ مَنْزِلُكُمْ　　وَبَعْدَكُمْ سَادَتِي أَصْبَحْتُ فِي كَدَرِ
فَلَا تَظُنُّوا انْتِقَالِي عَنْ مَحَبَّتِكُمْ　　فَحُبُّكُمْ صَيَّرَ المِسْكِينَ فِي ضَرَرِ

غِبْتُمْ فَغَابَ سُرُورِي بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ وَاَصْبَحَ الصَّفْوُ عِنْدِي غَايَةَ الكَدَرِ
تَرَكْتُمُونِي اُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ اَلَمٍ اَبْكِي بِدَمْعٍ يُحَاكِي هَاطِلَ المَطَرِ
يَا لَيْلُ طُلْتَ عَلَى مَنْ بَاتَ فِي قَلَقٍ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ يَرْعَى طَلْعَةَ القَمَرِ
اِنْ جُزْتَ يَا رِيحُ حَيًّا فِيهِ قَدْ نَزَلُوا بَلِّغْ سَلَامِي لَهُمْ فَالعُمْرُ فِي قِصَرِ
وَقُلْ لَهُمْ بَعْضَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ اَلَمٍ اِنَّ الاَحِبَّةَ لَا يَدْرُونَ عَنْ خَبَرِي

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما افاق قال له الشيخ عبد القدوس يا ولدي ان لك والدة فلا تذقها فقدك فقال حسن للشيخ والله ياسيدي ما بقيت ارجع الا بزوجتي او تدركني منيتي ثم بكى وناح وانشد هذه الابيات

وَحَقِّ الهَوَى مَا غَيَّرَ البُعْدُ عَهْدَكُمْ وَلَا اَنَا مِمَّنْ لِلعُهُودِ يَخُونُ
وَعِنْدِي مِنَ الاَشْوَاقِ مَا لَوْ شَرَحْتُهُ اِلَى النَّاسِ قَالُوا قَدْ اَرَاهُ جُنُونُ
فَوَجْدٌ وَحُزْنٌ وَانْتِحَابٌ وَلَوْعَةٌ وَمَنْ حَالُهُ هَذَا فَكَيْفَ يَكُونُ

فلما فرغ من شعره علم الشيخ انه لا يرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعا له واوصاه بالذي يفعله وقال له اني قد اكدت لك في الكتاب على ابي الرويش ابن بلقيس بنت معين فهو شيخي ومعلمي وجميع الانس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة الله فتوجه وارخى عنان الحصان فطار به اسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعا بالحصان مدة عشرة ايام حتى نظر امامه شبحا عظيما اسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخاف حسن منها وفزع ولم يزل حسن سائرا والخيول حوله الى ان وصل الى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه وتنظر لجامه في قربوص سرجه فدخل الحصان المغارة وحسن على الباب كما امره الشيخ عبد القدوس وصار متفكرا في عاقبة امره كيف تكون حيران ولهان لا يعلم الذي يجري له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكرا في عاقبة امره كيف تكون لا يعلم الذي يجري له ولم يزل واقفا على باب

المغارة خمسة ايام بلياليها وهو سهران حزين حيران متفكر حيث فارق الاهل والاوطان والاصحاب والخلان باكي العين حزين القلب ثم انه تذكر والدته وتفكر فيما يجري له وفي فراق زوجته واولاده وفي ما قاساه فانشد هذه الابيات

لَدَيكُمْ دَوَاءُ القَلْبِ وَالقَلْبُ ذَاهِبٌ	وَمِنْ سَفْحِ اَجْفَانِي دُمُوعٌ سَوَاكِبُ
فِرَاقٌ وَحُزْنٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ	وَبُعْدٌ عَنِ الاَوْطَانِ وَالشَّوْقُ غَالِبُ
وَمَا اَنَا اِلَّا عَاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ	بِبُعْدِ الَّذِي يَهْوَى دَهَتْهُ المَصَائِبُ
فَاِنْ كَانَ عِشْقِي قَدْ رَمَانِي بِنَكْبَةٍ	فَاَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ النَّوَائِبُ

فلم يفرغ حسن من شعره الا والشيخ ابو الرويش قد خرج له وهو اسود وعليه لباس اسود فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي اخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خده على قدميه ومسك رجله وحطها على راسه وبكى قدامه فقال له الشيخ ابو الرويش ما حاجتك يا ولدي فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ ابي الرويش فاخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابا فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكي وما زال قاعدا مكانه مدة خمسة ايام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الارق فصار يبكي ويتضجر من الم البعاد وكثرة السهاد ثم انشد هذه الابيات

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَا	اِنَّ المُحِبَّ لَفِي عَنَا
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الهَوَى	لَمْ يَدْرِ مَا جَهْدُ البَلَا
لَوْ كُنْتُ اَحْبِسُ عَبْرَتِي	لَوَجَدْتُ اَنْهَارَ الدِّمَا
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ قَدْ قَسَا	قَلْبًا وَاَوْلَعَ بِالشَّقَا
فَاِذَا تَعَطَّفَ لَامَنِي	فَاَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَا
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِاَرْتَدِي	فَاَصَابَ عَيْنِي الرِّدَا
بَكَتِ الوُحُوشُ لِوَحْشَتِي	وَكَذَاكَ سُكَّانُ الهَوَا

ولم يزل حسن يبكي الى ان لاح الفجر واذا بالشيخ ابي الرويش قد خرج اليه وهو لابس لباسا ابيض واومى اليه بيده ان يدخل فدخل حسن فاخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وايقن ان حاجته قد قضيت ولم يزل الشيخ سائرا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا الى باب مقنطر عليه باب من البولاد ففتح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى قاعة كبيرة مرخمة واسعة وفي وسطها بستان فيه من سائر الاشجار والازهار والاثمار والاطيار

على الاشجار تناغي وتسبح الله الملك القهار وفي القاعة اربع لواوين يقابل بعضها بعضا وفي كل ليوان مجلس فيه فسقية وعلى كل ركن من اركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفي كل مجلس كرسي وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جدا وبين ايديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤن عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا اليهما وعظموهما فاقبل عليهم واشار لهم ان يصرفوا الحاضرين فصرفوهم وقام الاربعة مشائخ وجلسوا بين يدي الشيخ ابي الرويش وسألوه عن حال حسن فعند ذلك اشار الشيخ ابو الرويش الى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من اول الامر الى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاء شديدا وحدثهم بحديثه الى آخره فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشائخ كلهم وقالوا اهل هذا هو الذي اطلعه المجوسي الى جبل سحاب بالنسور وهو في جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فاقبلوا على الشيخ ابي الرويش وقالوا له يا شيخنا ان بهرام تحيل في طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ ابو الرويش يا حسن حدثهم كيف نزلت واخبرهم بالذي رأيته من العجائب فاعاد عليهم ما جرى له من اوله الى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف خلص منه الرجل وكيف صاد الصبية وكيف غدرت به زوجته واخذت اولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الاهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم اقبلوا على الشيخ ابي الرويش وقالوا له يا شيخ الشيوخ والله ان هذا الشاب مسكين فعساك ان تساعده على خلاص زوجته واولاده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما حكى للمشائخ قصته قالوا للشيخ ابي الرويش هذا الشاب مسكين فعساك ان تساعده على خلاص زوجته واولاده فقال لهم الشيخ ابو الرويش يا اخواني ان هذا امر عظيم خطر وما رأيت احدا يكره الحيوة غير هذا الشاب وانتم تعرفون ان جزائر واق صعبة الوصول ما وصل اليها احد الا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم واعوانهم وانا حالف اني ما ادوس لهم ارضا ولا اتعرض لهم في شئ وكيف يصل هذا الى بنت الملك الاكبر ومن يقدر ان يوصله اليها ويساعده على هذا الامر فقالوا يا شيخ الشيوخ ان هذا الرجل اتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر اليك بكتاب اخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم ابي الرويش ورفع ذيله ووضعه على راسه وبكى وقال له سألتك بالله ان تجمع بيني وبين اولادي وزوجتي ولو كان في ذلك ذهاب

روحي ومهجتي فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ ابي الرويش اغتنم اجر هذا المسكين و
افعل معه جميلا لاجل اخيك الشيخ عبد القدوس فقال ان هذا الشاب مسكين ما يعرف
الذي هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه و
قبل ايادي الحاضرين واحدا بعد واحد وسالهم المساعدة فعند ذلك اخذ ابو الرويش ورقة
ودواة وكتب كتابا وختمه واعطاه لحسن ودفع له خريطة من الادم فيها بخور وآلات نار
من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت في شدة فبخر بقليل منه و
اذكرني فاني احضر عندك واخلصك منها ثم امر بعض الحاضرين ان يحضر له عفريتا من الجن
الطيارة في ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش بن فقطش
فقال له ابو الرويش ادن مني فدنا منه فوضع الشيخ ابو الرويش فاه على اذن العفريت
وقال له كلاما فحرك العفريت راسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدي قم اركب على كتف هذا
العفريت دهنش الطيار فاذا رفعك الى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبح فتهلك
انت وهو فقال حسن لا اتكلم ابدا ثم قال له الشيخ يا حسن اذا سار بك فانه يضعك
ثاني يوم في وقت السحر على ارض بيضاء نقية مثل الكافور فاذا وضعك هناك فامش عشرة
ايام وحدك حتى تصل الى باب المدينة فاذا وصلت اليها فادخل واسال عن ملكها
فاذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده واعطه هذا الكتاب ومهما اشار به اليك فافهمه فقال
حسن سمعا وطاعة وقام مع العفريت وقام المشائخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلما حمله
العفريت على عاتقه ارتفع به الى عنان السماء ومشى به يوما وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة في
السماء فلما كان الصبح وضعه في ارض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما ادرك حسن
انه على الارض ولم يكن عنده احد سار في الليل والنهار مدة عشرة ايام الى ان وصل الى
باب المدينة فدخلها وسال عن الملك فدلوه عليه وقالوا ان اسمه الملك حسون ملك
ارض الكافور وعنده من العساكر والجنود ما يملأ الارض في طولها والارض فاستاذن
فاذن له فلما دخل عليه وجده ملكا عظيما فقبل الارض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك
فقبل حسن الكتاب وناوله اياه فاخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه
خذ هذا الشاب وانزله في دار الضيافة فاخذه وسار حتى انزله هناك فاقام بها مدة ثلثة
ايام في اكل وشرب وليس عنده الا الخادم الذي معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه
ويسأله عن خبره وكيف وصل الى هذه الديار فاخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفي
اليوم الرابع اخذه الغلام واحضره بين يدي الملك فقال له يا حسن انت قد حضرت عندي

تريد ان تدخل جزائر واق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدى انا ارسلتك فى هذه الايام لان فى طريقك مهالك كثيرة وبرارى معطشة كثيرة المخاوف ولكن اصبر ولا يكون الا الخير فلا بد ان احتيل واوصلك الى ما تريد ان شاء الله تعالى واعلم يا ولدى ان هنا عسكرا من الديلم يريدون الدخول فى جزائر واق مهيئون بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن يا ولدى لاجل شيخ الشيوخ ابى الرويش ابن بلقيس بنت معين ما اقدر ان ارُدّك اليه الا مقضى الحاجة وعن قريب تأتى الينا مراكب من جزائر واق وما بقى لها الا القليل فاذا حضرت واحدة منها انزلتك فيها واوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك الى جزائر واق وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له انا صهر الملك حسون صاحب ارض الكافور واذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة فى جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك فاذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد احاط بالبضائع فمدّ يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التى انت تحتها واستجر بها واعلم يا ولدى انها اذا اجارتك قضيت حاجتك فتصل الى زوجتك واولادك وان لم تجرك فاحزن على نفسك وايئس من الحيوة وتيقن بهلاك نفسك واعلم يا ولدى انك مخاطر بنفسك ولا اقدر لك على شئ غير هذا والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حسنا لما قال له الملك حسون هذا الكلام واوصاه بالذى ذكرناه وقال له انا لا اقدر لك على شئ غير هذا قال له بعد ذلك اعلم انه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت الى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشى عليه فلما افاق انشد هذين البيتين

لَا بُدَّ لِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ صَارَعَتْنِي الْأُسْدُ فِي غَابَاتِهَا لَقَهَرْتُهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

فلما فرغ حسن من شعره قبّل الارض بين يدى الملك وقال له ايها الملك العظيم وكم بقى من الايام حتى تأتى المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون الى بلادهم فلا تترجّ سفرك فيها الا بعد ستة اشهر كاملة ثم ان الملك امر حسنا ان يذهب الى دار الضيافة وامر ان يحمل له كل ما يحتاج اليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذى يناسب الملوك فاقام فى دار الضيافة شهرا وبعد الشهر حضرت المراكب

تخرج الملك والتجار واخذ حسنا معه الى المراكب فرأى مركبا فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم الا الذي خلقهم وملك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع الى البر فاقام حسن عندهم حتى نزع اهلها البضائع منها الى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر الا ثلاثة ايام فاحضر الملك حسنا بين يديه وجهز له ما يحتاج اليه وانعم عليه انعاما عظيما ثم بعد ذلك استدعى رئيس تلك المركب وقال له خذ هذا الشاب معك في المركب لا تعلم به احدا واوصله الى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به فقال الرئيس سمعا وطاعة ثم ان الملك اوصى حسنا وقال له لا تعلم احدا من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع احدا على قصتك فتهلك قال سمعا وطاعة ثم ودعه بعد ان دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والاعداء وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلمه للرئيس فاخذه وحطه في صندوق وانزله في قارب ولم يطلعه في المركب الا والناس مشغولون في نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة ايام فلما كان اليوم الحادي عشر وصلوا الى البر فطلعه الرئيس من المركب فلما طلع من المركب الى البر رأى فيه دككا لا يعلم عددها الا الله فمشى حسن حتى وصل الى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما اقبل الليل جاءت خلق كثير من النساء مثل الجراد المنتشر وهن ماشيات على اقدامهن وسيوفهن مشهورة في ايديهن ولكنهن غائصات في الزرد فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لاجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التي تحتها حسن فاخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكي فقالت له يا هذا قم واقفا قبل ان يراك احد فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائما على قدميه وقبل يديها وقال لها يا سيدتي انا في جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمي من فارق اهله وزوجته واولاده وبادر الى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فارحميني وايقني انك تؤجرين على ذلك بالجنة وان لم تقبليني فاسئلك بالله العظيم الستار ان تستري علي فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه ورق قلبها اليه وعلمت انه ما خاطر بنفسه وجاء الى هذا المكان الا لامر عظيم فعند ذلك قالت لحسن يا ولدي طب نفسا وقر عينا وطيب قلبك وخاطرك وارجع الى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت اولا الى الليلة الآتية يفعل الله ما يريده ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم ان العساكر بتن يوقدن الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام الى

حكاية حسن فيها حكى كثرة من النساء ايضا وكيف اتصل بهم من عسكر ذلك الملك التابع

الصباح فلما طلع النهار رجعت المراكب الى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والامتعة الى ان اقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلب ولم يعلم بالذي قدر له في الغيب فبينما هو كذلك اذ اقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفا وحياصة مذهبة ورمحا ثم انصرفت عنه خوفا من العسكر فلما رأى ذلك علم ان التاجرة ما احضرت له هذه العدة الا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة على وسطه وتقلد بالسيف تحت ابطه واخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما اخذ السلاح الذي اعطته اياه الصبية التاجرة التي استجار بها وقالت له اجلس تحت الدكة ولا تخل احدا يعلم بحالك تعقله ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله وصار يطلب من الله الستر فبينما هو جالس اذ اقبلت المشاعل والفوانيس والشموع واقبلت عساكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصل الى خيامهن ودخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن واذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها فلما دخلت خيمتها القت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب والقى حسن سلاحه ونظر الى صاحبته فوجدها عجوزا شمطاء زرقاء العينين كبيرة الانف وهي داهية من الدواهي اقبح ما يكون في الخلق بوجه اجدر وحاجب امعط واسنان مكسرة وخدود مجعدة وشعر شائب ومخاط سائل وفم بالريالة سائل وهي كما قال في مثلها الشاعر

لها في زوايا الوجه تسع مصائب ... فواحدة منهن تبدي جهنما
بوجه بشيع ثم ذات قبيحة ... كصورة خنزير تراه مزمرما

وهي بذيئة معطاء لحية رقطاء فلما نظرت العجوز الى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا الى هذه الديار وفي اي المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على اقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

متى الايام تسمح بالتلاقي ... ويجمع شملنا بعد الفراق
واحظى بالذي ارضاه منهم ... عتابا ينقضي والود باقي

حكاية نصح حسن عند العجوز بكتمان امرها

فلو أن الليل يجري مثل دمعي ... لما خلى على الدنيا شراقي
وقاس على البرية ضيق صدري ... كذاك الشام مع أرض العراق
وذاك لأجل سيدة أحبتني ... تفارقني وواعد بالتلاقي

فلما فرغ حسن من شعره واخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وجعل يبكي ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته ونوحه وكربه حن قلبها له وأجارته وقالت له لا تخف ابدا ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدا الى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طب نفسك وطيب خاطرك ما بقي عليك خوف وقد وصلت الى مطلوبك وقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحا شديدا ثم ان العجوز ارسلت الى قواد العسكر ان يحضروا وكان ذلك في آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم اخرجوا ونادوا في جميع العسكر ان يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلف احد منهم فان تخلف احد ذهبت روحه فقالوا لها سمعا وطاعة ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار ثم عادوا واخبروها بذلك فعلم حسن انها هي رئيسة العسكر وصاحبة الرأي فيه وهي المقدمة عليه ثم ان حسنا لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنى بام الدواهي فما فرغت العجوز من امرها ونهيها الا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من اماكنه ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر وخلت منه الاماكن قالت شواهي لحسن ادن مني يا ولدي فدنا منها ووقف بين يديها فاقبلت عليه وقالت له ما السبب في مخاطرتك بنفسك ودخولك الى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك فاخبرني بالصحيح عن جميع شانك ولا تخف عني منه شيئا ولا تخف فانك قد صرت في عهدي وقد اجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فان اخبرتني بالصدق اعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الارواح وهلاك الاشباح وحيث وصلت الى ما بقي عليك باس ولا اخلي احدا يصل اليك بسوء ابدا من كل ما في جزائر واق فحكى لها قصته من اولها الى آخرها وعرفها شان زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم اقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف اخذت اولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيئا من اوله الى يومه الذي هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت راسها وقالت له سبحان الله الذي سلمك واوصلك الى هنا واوقعك عندي فلو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك الى زوجتك واولادك هو الذي اوصلك الى حصول

غرضك

بعيبك ولولا انك لها محب وبها ولها ان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا ان نقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب ان شاء الله تعالى ولكن اعلم يا ولدي ان زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة اشهر ليلا ونهارا فانسير من هنا حتى نصل الى ارض يقال لها ارض الطيور من شدة صياح الطيور وخفقان اجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قالت لحسن ان زوجتك في الجزيرة السابعة وهي الجزيرة الكبرى من جزائر واق واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة اشهر فانا نسير من هنا الى ارض الطيور من شدة طيرانها وخفقان اجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض ثم نسير في تلك الارض مدة احد عشر يوما ليلا ونهارا ثم بعد ذلك نخرج منها الى ارض يقال لها ارض الوحوش من شدة صياح السباع والضباع والوحوش وعوي الذئاب والسباع السود ثم نسير في تلك الارض مدة عشرين يوما ثم نخرج منها الى ارض يقال لها ارض الجن من شدة صياح الجان وصعود النيران ونطاير الشرر والدخان من افواههم وتصاعد زفراتهم وتمردهم نسد الطريق قدامنا ونصم آذاننا وتعمى ابصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ولا يمكن ان يلتفت منا احد الى خلفه فيهلك ويضع الفارس في ذلك المكان راسه على قربوص سرجه ولا يرفعها مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك يقابلك جبل عظيم ونهر جار متصلان بجزائر واق واق واعلم يا ولدي ان جميع هذا العسكر بنات ابكار والحاكم علينا من الملوك امراة من جزائر واق واق السبع ومسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجد في السير وعلى شاطئ هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة اغصانها تشبه رؤوس بني آدم فاذا طلعت عليها الشمس تصيح تلك الرؤوس جميعا وتقول في صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فاذا سمعنا صياحها نعلم ان الشمس قد طلعت وكذلك اذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول في صياحها ايضا واق واق سبحان الملك الخلاق فنعلم ان الشمس قد غربت ولا يقدر احد من الرجال ان يقيم عندنا ولا يصل الينا ولا يطأ ارضنا وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الارض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها ايضا قبائل

الجان المردة والشياطين تحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم الا الذي خلقهم فان كنت تخاف ارسلت معك من يوصلك الى الساحل واجئ بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك الى بلادك وان كان يطيب على قلبك الاقامة معنا فلا امنعك وانت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك ان شاء الله تعالى فقال لها يا سيدتي ما بقيت افارقك حتى اجتمع بزوجتي او يذهب روحي فقالت له هذا امر يسير فطيب قلبك وسوف تصل الى مطلوبك ان شاء الله تعالى ولا بد ان اطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبل يديها وراسها وشكرها على فعلها وفرط مروتها وسار معها وهو متفكر في عاقبة امره وهول الغربة فصار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الابيات

مِنْ مَكانِ الحَبيبِ هَبَّ نَسيمُ ... فَتَرانِي مِنْ فَرْطِ وَجْدِي أَهِيمُ
إِنَّ لَيْلَ الوِصالِ صُبْحٌ مُنيرٌ ... وَنَهارُ الفِراقِ لَيْلٌ بَهيمُ
وَوَداعُ الحَبيبِ صَعْبٌ شَديدٌ ... وَفِراقُ الأَنيسِ خَطْبٌ جَسيمُ
لَسْتُ أَشْكُو جَفاءَها لِلأَنامِ ... لَمْ تَكُنْ لِي في الوَرَى صَديقٌ حَميمُ
وَسُلُوِّي عَنْكُمْ مُحالٌ فَإِنِّي ... لَيْسَ يُسْلِي قَلْبِي عَذُولٌ ذَميمُ
يا وَحيدَ الجَمالِ حُسْنِي وَجْدِي ... يا عَديمَ المِثالِ قَلْبِي عَديمُ
كُلُّ مَنْ يَدَّعِي المَحَبَّةَ فِيكُمْ ... وَيَهابُ المَلامَ فَهْوَ مَلومُ

ثم ان العجوز امرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن بصحبة العجوز وهو غريق في بحر الافكار وينشد هذه الاشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعي ما اليه تلقيه ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى اول جزيرة من الجزائر السبع وهي جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن ان الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح واوجعه راسه وطاش عقله وعمي بصره وانسدت اذناه وخاف خوفا شديدا وايقن بالموت وقال في نفسه اذا كانت هذه ارض الطيور فكيف تكون ارض الوحوش فلما رأته العجوز المسماة بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدي اذا كان هذا حالك من اول جزيرة فكيف بك اذا وصلت الى بقية الجزائر فسأل الله وتضرع اليه وطلب منه ان يعينه على ما ابتلاه به وان يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا ارض الطيور وخرجوا منها ودخلوا ارض الوحوش فخرجوا منها ودخلوا في ارض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من ارض الجان ووصلوا الى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطئ النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر

حكاية بلوغ حسن الى جزيرة الطيور وملاقاته مع جماعة من البنات

[illegible] سعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر على جنبها [illegible] تجلس عليها وتقدمت [illegible] [illegible] ثم بعد ذلك حضر [illegible] ستارا [illegible] ثم أكلوا وشربوا وناموا [illegible] وصلوا إلى بلاد [illegible] واستعاذ [illegible] ما عنت له بظهوره [illegible] عند [illegible] حسن [illegible] في [illegible] حسن [illegible] يغتسلن [illegible] لا يعلم [illegible] لأنهن طلعن [illegible] حسن [illegible] تجردت من ثيابهن وقد رأى ما بين [illegible] المشافر وكامل وبسيط [illegible] وجوههن كالأقمار [illegible] شعورهن كليا على [illegible] الملوك ثم إن العجوز نصبت [illegible] أجلسته فوقه ولما خلصن طلعن من النهر وهن مجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسكر [illegible] حسن [illegible] العجوز [illegible] ينادي في جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن [illegible] يغتسلن [illegible] تكون فيهن فيعرفها وصارت [illegible] طائفة بعد طائفة فيقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي [illegible] الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثمانمائة

[illegible] بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز كانت تسأل حسنا عن البنات طائفة بعد طائفة [illegible] يعرف زوجته من بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول لها ما هي في هؤلاء يا سيدتي [illegible] تقدمت جارية في آخر الناس وفي خدمتها [illegible] جوار [illegible] خادمة كلهن [illegible] أبكار [illegible] ثيابهن ونزلن معها في النهر [illegible] عليهن [illegible] في الموج [illegible] ولم تزل معهن على هذه الحالة ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن وقدمن إليها [illegible] من حرير مزركش بالذهب فنشفتها [illegible] إليها ثيابا [illegible] وحليا [illegible] فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العساكر وجواريها فلما رآها حسن طار [illegible] وقال هذه أشبه الناس بالطيرة التي رأيتها على البحيرة في قصر أخواتي البنات وكانت [illegible] على أتباعها مثلها فقالت العجوز يا حسن هل هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا [illegible] ما هذه زوجتي ولا عمري رأيتها وما في جميع البنات التي رأيتهن في هذه [illegible] زوجتي ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت العجوز صفها لي [illegible] أوصافها حتى تكون في ذهني فإني أعرف كل بنت في جزائر الواق لأني نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن وإن وصفتها لي عرفتها وتحيلت لك في أخذها فقال لها حسن إن زوجتي

صاحبة وجه مليح وقد رجيح اسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الاسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كانها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفائف رقاق على خدها الايمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة وجهها منير كقمر مستدير وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفي العليل كانه الكوثر والسلسبيل فقالت العجوز زدني في اوصافها بيانا زادك الله بها افتتانا فقال لها حسن ان زوجتي ذات وجه جميل وخد اسيل وعنق طويل وطرف كحيل وخد كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغني عن الكأس والابريق قد ركبت في هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافة ما مثله حرم بين المشاعر كما قال في حقه الشاعر

اِسْمُ الَّذِي حَيَّرَنِي ... حُرُوفُهُ مُشْتَهِرَةْ
أَرْبَعَةٌ فِي خَمْسَةٍ ... وَسِتَّةٌ فِي عَشَرَهْ

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال

يَا قَلْبُ إِنْ حَالَكَ الْمَحْبُوبُ لَا تَدْبُرْ ... عَنْهُ وَتَصْتَكَ بِالسُّلْوَانِ لَا تَخْبُرْ
وَاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ دَائِمْ لِلْعِدَى تَقْبُرْ ... بِأَنَّ وَاللَّهِ مَا خَابَ الَّذِي يَصْبِرْ

وانشد

إِنْ شِئْتَ تَسْلَمُ بِطُولِ الدَّهْرِ مَا تَبْرَحْ ... اَلَا تَيَأَّسْ وَلَا تَقْنَطْ وَلَا تَمْرَحْ
وَاصْبِرْ وَلَا تَحْزَنَنْ قَطْ وَلَا تَفْرَحْ ... وَإِنْ ضَجِرْتَ ضُحًى فَاقْرَأْ أَلَمْ نَشْرَحْ

فاطرقت العجوز برأسها الى الارض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها الى حسن وقالت سبحان الله عظيم الشان اني بليت بك يا حسن فياليتني ما كنت عرفتك لان المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينها فاني قد عرفتها بصفاتها وهي بنت الملك الاكبر الكبيرة التي تحكم على جزائر واق باسرها فافتح عينيك وتدبر امرك وان كنت نائما فانتبه فانه لا يمكنك الوصول اليها ابدا وان وصلت اليها لا تقدر على تحصيلها لان بينك وبينها مثل بين السماء والارض فارجع يا ولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترميني معك فاني اظن انه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث اتيت لئلا تروح ارواحنا فخاف حسن على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فما زالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته وصار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحيوة ثم قال للعجوز يا سيدتي وكيف ارجع بعد ان وصلت الى هنا وما كنت اظن في نفسي انك تعجزين عن تحصيل غرضي

حكاية خطاب العجوز لحسن بانه لا يتمكن من نيل مراده

خصوصاً وانت نفيسة فتسكر البنات وتحاكمه عليهن فقالت بالله عليك يا ولدي ان تختار لك بنتاً من هؤلاء البنات وانا اعطيك اياها عوضاً عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة فبالله عليك ان تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع الى بلادك من قريب سالماً ولا تجرعني غصتك والله لقد رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر احد ان يخلصك منه فعند ذلك اطرق حسن راسه وبكى بكاء شديداً وانشد هذه الابيات

فَقُلْتُ لِعُذَّالِي لَا تَعْذِلُونِي ... لِغَيْرِ الدَّمْعِ مَا خُلِقَتْ جُفُونِي
مَدَامِعُ مُقْلَتِي طَفَحَتْ وَفَاضَتْ ... عَلَى خَدِّي وَاحْبَابِي جَفُونِي
دَعُونِي فِي الْهَوَى قَدْ رَقَّ جِسْمِي ... لِأَنِّي فِي الْهَوَى اَهْوَى جُنُونِي
فَيَا اَحْبَابُ قَدْ زَادَ اشْتِيَاقِي ... اِلَيْكُمْ مَا لَكُمْ لَا تَرْحَمُونِي
جَفَوْتُمْ بَعْدَ مِيثَاقِي وَعَهْدِي ... وَخُنْتُمْ صُحْبَتِي وَتَرَكْتُمُونِي
وَيَوْمَ الْبَيْنِ لَمَّا قَدْ رَحَلْتُمْ ... سُقِيتُ مِنَ الْعَنَا وَبِهِ ابْتَلُونِي
فَيَا قَلْبِي عَلَيْهِمْ ذُبْ غَرَامًا ... وَجُودِي بِالْمَدَامِعِ يَا عُيُونِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما قالت لحسن بالله يا ولدي ان تسمع مني كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع الى بلادك من قريب سالماً فاطرق راسه وبكى بكاء شديداً وانشد الابيات المذكورة فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فما زالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى افاق من غشيته ثم اقبلت عليه وقالت له يا سيدي ارجع الى بلادك فاني متى سافرت بك الى المدينة راحت روحك وروحي لان الملكة اذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك الى بلادها وجزائرها التي لم يصلها احد من اولاد بني ادم وتقتلني حيث حملتك معي واطلعتك على هذه الابكار التي رأيتهن في البحر مع انه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فحلف حسن انه ما نظر اليهن نظر سوء قط فقالت له يا ولدي ارجع الى بلادك وانا اعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فلما سمع حسن كلامها بكى ومرغ خديه على اقدامها وقال يا سيدتي ومولاتي

حكاية اخبار العجوز لحسن بانه لا يمكن الوصول الى جزيرة واق

وفرقة تبعه كيف يجد بعده وليس له حيلة ولا يمكن ولا نظر من اريد وقد فرقت بين دار احبيب ورجيت ... عسى ان يكون لي في الاجتماع نصيب ثم انشد هذه الابيات

يا ملوك الجمال رفقا بقلبي ... هجركم يا ملوك ملك كسرى
قد ملكتم رقا لي اسيرا ... ليتهم لو محاسن الورد زهرا
وسبتني العيون حين حللتم ... فانا منكم هناك تعتبر نثرا
ما لي كيف من ملامي ونصحي ... انما جئت بالنصيحة سكرا
ما على من شنوفي من العذل والكثر ... اذا لم تحط بذلك خبرا
آسرتني العيون وهي مراض ... وزمتني في الحب غصنا وقهرا
انثر الدمع بعد ابطال شعري ... فالذي من حديث نظما ونثرا
حمرة الخد قد اذابت فؤادي ... ساقطت مني جوارح جمرا
خبر اني متى تركت حديثي ... فبما في حديثها سرح صدرا
طول عمري في هوى الغيد لكن ... يحدث الله بعد ذلك امرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته واقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسا وقر عينا واخل فكرك من الهم والله لاخاطرن بمعاشي وروحي حتى تبلغ مقصودك او تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز الى آخر النهار فلما اقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم ان العجوز اخذت حسنا معها ودخلت به البلد واخلت له مكانا وحده لئلا يطلع عليه احد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من اتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الاكبر ابي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول يا سيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا ان لم اجتمع بزوجتي واولادي فانا اخاطر بروحي اما ان ابلغ مرادي واما ان اموت فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصاله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في امر هذا المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا نفسه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلي وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع اخوات بنات ابكار مقيمات عند ابيهن الملك الاكبر الذي هو حاكم على سبع جزائر واقطار واق وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي اكبر مدن ذلك القطر وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر اقطارها ثم ان

العجوز لما رأت حسنا تحترقا على الاجتماع بزوجته واولاده قامت وتوجهت الى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الارض بين يديها وكان للعجوز فضل عليها لانها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها واجلستها جنبها وسألتها عن سفرها فقالت لها والله ياسيدتي انها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية ساحضرها بين يديك ثم قالت لها يابنتي ياملكة العصر والزمان اني قد اتيت معي بشيء عجيب واريد ان اطلعك عليه لاجل ان تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فاخبرتها بحكاية حسن من اولها الى اخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها ياسيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفيا تحت الدكة فاجرته واتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه احد وادخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته بباسك وقوتك وكلما اخوفه يبكي وينشد الاشعار ويقول لي لا بد من زوجتي واولادي او اموت ولا ارجع الى بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء الى جزائر واق ولم ار عمري آدميا اقوى قلبا منه ولا اشد باسا الا ان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها ما رأيت اقوى قلبا منه الا ان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبا شديدا واطرقت راسها الى الارض ساعة ثم رفعت راسها ونظرت الى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك انك تحملين الذكور وتأتين بهم معك الى جزائر واق وقد خلين بهم نحلي ولم تخافي من سطوتي وحق راس الملك لولا ما لك علي من التربية والحرمة لقتلتك انت واياه في هذه الساعة اقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل احد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لم يقدر احد عليها ولكن اخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى انظره فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري اين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن ومضت الى ان دخلت على حسن فقالت له

حكاية غضب الملكة على العجوز بسبب ادخالها لحسن في جزائر الملكة واستخبارها عنه ثم من

ثم كتم الملكة يا من آخر عمره قد دنا فنام ... بها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ريقول اللهم الطف بي في قضائك وخلصني ... بلائك فصار يرتب به حتى اوقفته بين يدي الملكة نور الهدى واوصته العجوز في الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدي نور الهدى راها جارية اشارة فقبل الارض بين يديها وسلم عليها وانشد هذين البيتين

أدام الله عزك في سرور ... وخولك الاله بما حباك

وزادك رفعة ومجدا ... وأيدك القدير على عداك

فلما فرغ من شعره اشارت الملكة الى العجوز ان تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العجوز ان الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما اسمك ومن اي البلاد انت وما اسم زوجتك واولادك الذين جئت من اجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبتت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العصر والاوان ووحيدة الدهر والزمان اما انا فاسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة واما زوجتي فما اعرف لها اسما واما اسم اولادي فواحد اسمه ناصر والآخر اسمه منصور فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت من اين اخذت اولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت له وهل قالت لكم شيئا عندما طارت قال انها قالت لوالدتي اذا جاء ولدك وطالت عليه ايام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته ارياح الاشتياق فليجئني الى جزائر واق فحركت الملكة نور الهدى راسها ثم قالت له انها لو كانت ما تريدك ما قالت لامك هذا الكلام ولولا انها تريدك وتشتهي قربك ما كانت اعلمتك بمكانها ولا طلبتك الى بلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على كل ملك وصعلوك الذي جرى اخبرتك به ولا اخفيت منه شيئا وانا استجير بالله وبك ان لا تظلميني فارحميني واربحي اجري وثوابي وساعديني على الاجتماع بزوجتي واولادي وردي لهفتي وقرة عيني باولادي واسعفيني برؤيتهم ثم بكى وحن واشتكى وانشد هذين البيتين

لأشكرنك ما ناحت مطوقة ... جهدي وان كنت لا اقضي الذي وجبا

فما تقلبت في نعماء سابغة ... الا وجدتك فيها الاصل والسببا

فاطرقت الملكة نور الهدى راسها الى الارض وحركتها زمانا طويلا ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت عن ان اعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي فان عرفت زوجتك سلمتها اليك وان لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان ثم انشد هذه الابيات

حكاية عرض الملكة على حسن بنات المدينة كل بنت منهن عليه انما

أَقَمْتُمْ غَرَامِي فِي الْهَوَى وَقَعَدْتُمُ ... وَأَسْهَرْتُمُوا جَفْنِي الْقَرِيحَ وَنِمْتُمُ
وَعَاهَدْتُمُونِي أَنَّكُمْ لَنْ تُمَاطِلُوا ... فَلَمَّا أَخَذْتُمْ بِالْفُؤَادِ غَدَرْتُمُ
عَشِقْتُكُمْ طِفْلًا وَلَمْ أَدْرِ مَا الْهَوَى ... فَلَا تَقْتُلُونِي إِنَّنِي مُتَظَلِّمُ
أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ ... يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ وَالنَّاسُ نُوَّمُ
فَبِاللهِ يَا قَوْمِي إِذَا مُتُّ فَاكْتُبُوا ... عَلَى لَوْحِ قَبْرِي أَنَّ هٰذَا مُتَيَّمُ
لَعَلَّ فَتًى مِثْلِي أَضَرَّ بِهِ الْهَوَى ... إِذَا مَا رَأَى قَبْرِي عَلَيَّ يُسَلِّمُ

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذى شرطته ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعند ذلك امرت الملكة نور الهدى ان لا تبقى بنت فى المدينة حتى تطلع القصر وتمر امامه ثم ان الملكة امرت العجوز شواهى ان تنزل بنفسها الى المدينة وتحضر كل بنت كانت فى المدينة الى الملكة فى قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم تبق فى المدينة بنت الا وقد عرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها فى هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هى فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلى واخرجى كل من كان فى القصر واعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من فى القصر لم ير زوجته فيهن وقال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ما هى فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت جروه واسحبوه على وجهه فوق الارض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه احد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا فى بلادنا وبلاد ارضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه وطرحوا ذيله فوقه وغضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الاذن فعند ذلك تقدمت شواهى الى الملكة وقبلت الارض بين يديها واخذت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلى عليه خصوصا وانت تعرفين ان هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى امورا ما قاساها احد قبله ونجاه الله عز وجل من الموت لطول عمره وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك فان قتلته تنتشر الاخبار عنك مع المسافرين بانك تبغضين الاغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك ان لم تظهر زوجته فى بلدك واى وقت تشتهين حضوره فانا قادرة على رده اليك وايضا فانا ما اجرته الا طمعا فى كرمك بسبب ما لى عليك من التربية حتى ضمنت له انك توصلينه الى بغيته لعلمى بعدلك وشفقتك ولولا انى اعلم منك هذا ما كنت ادخلته بلدك وقلت فى نفسى ان الملكة تتفرج عليه وعلى ما يقول من الاشعار والكلام المليح الفصيح الذى يشبه الدر المنظوم وهذا قد دخل بلادنا واكل زادنا فوجب حقه علينا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت غلمانها باخذ حسن وضرب عنقه صارت العجوز تاخذ بخاطرها وتقول لها انه قد دخل بلادنا واكل زادنا فوجب حقه علينا خصوصا وقد وعدته بالاجتماع بك وانت تعرفين ان الفراق صعب وتعرفين ان الفراق قتال خصوصا فراق الاولاد وما بقي علينا من النساء واحدة الا انت فاريه وجهك فتبسمت الملكة وقالت من اين له ان يكون زوجي وخلف مني اولادا احضريه وجهه ثم امرت بحضوره فادخلوه عليها ووقفوا بين يديها وكشفت وجهها فلما رآها حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى افاق فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

يا نسيما هب من ارض العراق ... نحو آبادين من قد قال واق
أبلغ الاحباب عني انني ... ذقت من طعم الهوى مر المذاق
يا اهيل الحب منوا واعطفوا ... ذاب قلبي من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الى الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد ان ينفطر منها القصر ثم سقط على وجهه مغشيا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى افاق وسألته عن حاله فقال ان هذه الملكة اما زوجتي واما اشبه الناس بزوجتي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما سألته عن حاله قال لها ان هذه الملكة اما زوجتي واما اشبه الناس بزوجتي فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية ان هذا الغريب مجنون او مختل لانه ينظر في وجهي ويحملق عينيه فقالت لها العجوز يا ملكة ان هذا معذور فلا تؤاخذيه فانه يقال في المثل مريض الهوى ما له دواء وهو والمجنون سواء ثم ان حسنا بكى بكاء شديدا وانشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا ... وأسكب في مواطنهم دموعي
وأسأل من بفرقتهم بلاني ... يمن علي منه بالرجوع

ثم ان حسنا قال للملكة والله ما انت زوجتي ولكنك اشبه الناس بها فضحكت الملكة

نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبتى تمهل على روحك ميزتى وجاوبنى عن الذى سألتك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فانه قد قرب لك الفرج فقال حسن يا سيدة الملوك وملجأ كل غنى وصعلوك انى حين نظرتك جننت لانك اما زوجتى واما اشبه الناس بزوجتى فاسئلينى الان ما تريدين فقالت اى شئ فى زوجتك يشبهنى فقال لها يا سيدتى فى جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك يشبهها ثم ان الملكة التفتت الى شواهى ام الدواهى فقالت لها يا امى ارجعيه الى موضعه الذى كان فيه عندك واخدميه انت بنفسك حتى انفحص من امره فان كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث يحفظ الرفق والصحبة والود وجب علينا مساعدته على قضا حاجته خصوصا وقد نزل ارضنا واكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الاسفار ومكابدة اهوال الاخطار ولكن اذا اوصلته الى بيتك فاوصى عبيده اتباعك وارجعى الى بسرعة وان شاء الله تعالى لا يكون الا خيرا فعند ذلك خرجت العجوز واخذت حسنا ومضت به الى منزلها وامرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وامرتهم ان يجيئوا له جميع ما يحتاج اليه وان لا يقصروا فى حقه ثم عادت الى الملكة بسرعة فامرتها ان تحمل سلاحها وتأخذ معها الف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهى امرها ولبست دروعها واحضرت الالف فارس فلما وقفت بين يديها واخبرتها باحضار الالف فارس امرتها ان تسير الى مدينة الملك الاكبر ابيها وتنزل عند بنته منار السناء اختها الصغيرة وتقول لها البسى ولديك الدرعين اللذين عملتهما لهما وارسليهما الى خالتهما فانها مشتاقة اليهما وقالت لها اوصيك يا امى بكتمان امر حسن فاذا اخذتهما منها قولى لها ان اختك تستدعيك الى زيارتها فاذا اعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضرى بهما سريعا وخليها تحضر على مهلها وتعالى من طريق غير الطريق الذى تجئ منها ويكون سفرك ليلا ونهارا واحذرى ان يطلع على هذا الامر احد ابدا ثم انى حلفت بجميع الاقسام ان طلعت اختى زوجته وظهر ان ولديها ولداه لا امنعه من اخذها ولا من سفرها معه باولادها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة قالت انى احلف بالله واقسم بجميع الاقسام انها ان

طلبت زوجته لا امنعه من اخذها بل اساعده على اخذها وعلى سفرها معه الى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما اضمرته في نفسها وقد اضمرت العاهرة في نفسها انها ان لم تكن زوجته ولا اولادها يشبهونه تقتله ثم ان الملكة قالت للعجوز يا امي ان صدق حدسي تكون زوجته اختي منار السناء والله اعلم فان هذه الصفات صفاتها وجميع الاوصاف التي ذكرتها من الجمال البارع والحسن الباهر لا يوجد في احد غير اخواتي خصوصا الصغيرة ثم ان العجوز قبلت يدها ورجعت الى حسن واعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام الى العجوز وقبل راسها فقالت له يا ولدي لا تقبل راسي وقبلني في فمي واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفسا وقر عينا ولا يكن صدرك الا منشرحا ولا تستنكر تقبيلي في فمي فاني انا السبب في اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن الا منشرح الصدر وقرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فانشد حسن هذين البيتين

لِي فِي مَحَبَّتِكُمْ شُهُودٌ أَرْبَعٌ ... وَشُهُودُ كُلِّ قَضِيَّةٍ اِثْنَانِ
خَفَقَانُ قَلْبِي وَاضْطِرَابُ جَوَارِحِي ... وَنُحُولُ جِسْمِي وَانْعِقَادُ لِسَانِي

ثم انشد ايضا هذين البيتين

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءَ عَلَيْهِمَا ... عَيْنَايَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَقْضِيَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا ... شَرْخُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ

ثم ان العجوز جمعت سلاحها واخذت معها الف فارس حاملين السلاح وتوجهت الى تلك الجزيرة التي فيها اخت الملكة وسارت الى ان وصلت الى اخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة اختها ثلاثة ايام فلما وصلت شواهي الى المدينة وطلعت الى اخت الملكة منار السناء سلمت عليها وبلغتها السلام من اختها نور الهدى واخبرتها باشتياقها اليها والى اولادها وعرفتها ان الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها اياها فقالت لها الملكة منار السناء ان الحق علي لاختي وانا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن ازورها الآن ثم امرت بتبريز خيامها الى خارج المدينة واخذت لاختها معها ما يصلح لها من الهدية والتحف ثم ان الملك اباها نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له ان الملكة منار السناء نصبت خيامها بتلك الطريق لانها تريد زيارة اختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكرا يوصلها الى اختها واخرج من خزائنه من الاموال ومن الماكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة شقائق من اب واحد وام واحدة الا الصغيرة وكان اسم الكبيرة

نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السناء وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن وكانت اختهن من ابيهن فقط ثم ان العجوز تقدمت وقبلت الارض بين يدي منار السناء فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا امي فقالت لها ان الملكة نور الهدى اختك تامرك ان تغيري على ولديك وتلبسيهما المدعين اللذين فصلتهما لهما وان ترسليهما معي اليها فآخذهما واسبق بهما واكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السناء كلام العجوز اطرقت راسها الى الارض وقد تغير لونها ولم تزل مطرقة زمانا طويلا ثم حركت راسها ورفعته الى العجوز وقالت لها يا امي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عند ما ذكرت اولادي فانهم من حين ولادتهم لم ينظر احد وجوههم من الجن والبشر لا انثى ولا ذكر وانا اغار عليهم من النسيم اذا سرى فقالت لها العجوز اي شيء هذا الكلام يا سيدتي اتخافين عليهم من اختك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز قالت للسيدة منار السناء اي شيء هذا الكلام يا سيدتي اتخافين عليهم من اختك سلامة عقلك وان خالفت الملكة في هذا الامر لا يمكنك المخالفة فانها تعتب عليك ولكن يا سيدتي اولادك صغار وانت معذورة في الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن ولكن يا بنتي انت تعلمين شفقتي ومحبتي لك ولاولادك وقد ربيتكم قبلهم وانا استلمهم واخذهم وافرش لهم خدي وافتح قلبي واجعلهم في داخله ولا احتاج الى الوصية عليهم في مثل هذا الامر فطيبي نفسا وقري عينا وارسليهم لها واكثر ما اسبقك به يوم واحد او يومان ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ اختها ولم تدر ما هو مخبوء لها في الغيب فسمحت بارسالهم مع العجوز ثم انها دعت بهم وحممتهم وهيأتهم وغيرت عليهم والبستهم المدعين وسلمتهم للعجوز فاخذتهم وسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها امهم مثل ما اوصتها الملكة نور الهدى ولم تزل تجد في السير وهي خائفة عليهم الى ان وصلت بهم الى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم الى الملكة نور الهدى خالتهم فلما راتهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم الى صدرها واجلست واحدا على فخذها الايمن والثاني على فخذها الايسر ثم التفتت الى العجوز وقالت لها احضري الان حسنا فانا قد اعطيته ذمامي واجرته من حسامي

حكاية ايصال العجوز اولاد منار السناء الى اختها نور الهدى

قد بحصن بداري وانا في جوارك بعد ان قاسى الاهوال والشدائد وتعدى اسباب الموت التي همها متزايد مع انه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه وقطع انفاسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت العجوز باحضار حسن قالت لها انه قاسى الاهوال والشدائد وتعدى اسباب الموت التي همها متزايد مع انه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه قطع انفاسه فقالت لها العجوز اذا احضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبين زوجته واولاده فان لم تطيبي لهم اولاده تعفي عنه وترده الى بلاده فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضبا شديدا وقالت ويلك يا عجوز النحس الى متى هذه المخادعة في شان هذا الرجل الغريب الذي تجاسر علينا وكشف سترنا واطلع على احوالنا هل يظن انه يجي ارضنا وينظر وجوهنا ويوسخ اعراضنا ويرجع الى بلاده سالما فيفضح احوالنا في بلاده وبين اهله ويبلغ اخبارنا سائر الملوك في اقطار الارض وتسافر التجار باخبارنا في جميع الجهات ويقولون انسي دخل جزائر واق وعدى بلاد السحرة والكهنة وتخطى ارض الجان وارض الوحوش والطيور ورجع سالما فهذا لا يكون ابدا وانا اقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الارض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها ان لم يكونوا اولاده لاقتلنه وانا الذي اضرب عنقه بيدي ثم انها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف واغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكا وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز واتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة فخرجت العجوز مجرورة مع الحاجب والمماليك وقد اصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت الى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام اليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة اما قلت لك ارجع الى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولي وقلت لك اعطيك شيئا لا يقدر عليه احد ارجع الى بلادك من قريب فما اطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لي ولك فدونك وما اخترت فان الموت قريب قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بي فيما قدرته علي من بلائك واسترني يا ارحم الراحمين وقد يئس من الحيوة وتوجه مع العشرين مملوكا والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصرا ومنصورا جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتوانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما

وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه من شدة الفرح بولديه وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه فلما افاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما يا ابانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذي جمع شملكما بابيكما فلما افاق حسن من غشيته عانق اولاده ثم بكى حتى غشي عليه
فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

وَحَقِّكُمْ إِنَّ قَلْبِي لَمْ يُطِقْ جَلَدًا ... عَلَى الفِرَاقِ وَلَوْ كَانَ الوِصَالُ رَدَى
يَقُولُ لِي طَيْفُكُمْ إِنَّ اللِّقَاءَ غَدًا ... وَهَلْ أَعِيشُ عَلَى رَغْمِ العِدَاةِ غَدَا
وَحَقِّكُمْ يَا سَادَتِي مِنْ يَوْمِ فُرْقَتِكُمْ ... مَا لَذَّ لِي طِيبُ عَيْشٍ بَعْدَكُمْ أَبَدَا
وَإِنْ قَضَى اللهُ نَحْبِي فِي مَحَبَّتِكُمْ ... أَمُوتُ فِي حُبِّكُمْ مِنْ أَعْظَمِ الشُّهَدَا
وَظَبْيَةٍ فِي زَوَايَا القَلْبِ مَرْتَعُهَا ... وَشَخْصُهَا كَالكَرَى عَنْ مُقْلَتِي شَرَدَا
إِنْ أَنْكَرَتْ فِي مَجَالِ الشَّرْعِ سَفْكَ دَمِي ... فَإِنَّهُ فَوْقَ خَدَّيْهَا لَقَدْ شَهِدَا

فلما تحققت الملكة ان الصغار اولاد حسن وان اختها السيدة منار السناء زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما تحققت ان الصغار اولاد حسن وان اختها منار السناء زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات

بَعُدْتُمْ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ فِي الحَشَى ... وَغِبْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي الفُؤَادِ حُضُورُ
فَوَاللهِ مَا قَدْ مِلْتُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ ... وَإِنِّي عَلَى جَوْرِ الزَّمَانِ صَبُورُ
تَمُرُّ اللَّيَالِي فِي هَوَاكُمْ وَتَنْقَضِي ... وَفِي القَلْبِ مِنِّي زَفْرَةٌ وَسَعِيرُ

وكنت نبي ما ان ... فيني البعد ساعة   فكيف وقد مرت علي شهور
انا ر اذا هبت سنبات نسيمة   واني على لعبد الملاح غيور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشيا عليه فلما افاق رأى انهم قد اخرجوه وسحبوا على وجهه فقام يمشي ويتعثر في اذياله وصولة بيعد في بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر ان تخاطب الملكة في شانه من قوة غضبها فلما اخرج حسن من القصر صار متحيرا لا يعرف ابن يروح ولا اين يجي ولا ابن يذهب وضاقت عليه الارض بما رحبت ولم يجد من يحدثه ولا من يؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ اليه فايقن بالهلاك لانه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر ان يجوز على وادي الجان وارض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما افاق تفكر اولاده وزوجته ومجيئها على اختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة اختها ثم ندم على حضوره في هذه البلاد وعلى كونه لم يسمع كلام احد فانشد هذه الابيات

دعوا مقلتي تبكي على فقد من اهوى   فقد عز سلواني وزادت بي البلوى
وكاس صروف الدهر صرفا شربتها   فمن ذا على فقد الاحبة قد يقوى
بسطتم بساط العتب بيني وبينكم   الا يا بساط العتب عنا متى تطوى
سهرت ونمتم اذ زعمتم بانني   سلوت هواكم اذ سلوت عن السلوى
الا ان قلبي مولع بوصالكم   وانتم اطبائي حفظتم من الادوا
الم تنظروا ما حل بي من صدودكم   فذلك لمن تسوى ومن لم يكن يسوى
كتمت هواكم والغرام يذيعه   وقلبي بنيران الهوى ابدا يكوى
فرقوا لحالي وارحموني لانني   اقمت على الميثاق في السر والنجوى
فيا هل ترى الايام تجمعني بكم   فانتم منى قلبي وروحي لكم تهوى
فؤادي جريح بالفراق عليكم   تغيبون عنا عن حديثكم جرا يروى

ثم انه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا الى ان خرج الى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه وهو لا يعلم اين يتوجه هذا ما كان من امر حسن واما ما كان من امر زوجته منار السناء فانها ارادت الرحيل في اليوم الثاني بعد اليوم الذي رحلت فيه العجوز فبينما هي عازمة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك ابيها وقبل الارض بين يديها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان منار السناء بينما هي عازمة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك ابيها وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ملكة ان اباك الملك الاكبر يسلم عليك و يدعوك اليه فنهضت متوجهة مع الحاجب الى ابيها تنظر حاجته فلما رآها ابوها اجلسها الى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتي اني رأيت في هذه الليلة رؤيا وانا خائف عليك منها وخائف ان يحصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لاي شيء يا ابت واي شيء رأيت في المنام قال رأيت كأني دخلت كنزا فرأيت فيه اموالا عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها الا سبع حبات وهن احسن ما فيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي اصغرها واحسنها واعظمها نورا وكأني اخذتها في كفي لما اعجبني حسنها وخرجت بها من الكنز فلما خرجت من بابه فتحت يدي وانا فرحان وقلبت الجوهرة واذا بطائر غريب قد اقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا فانقض علي من السماء وخطف الجوهرة من يدي ورجع بها الى المكان الذي اتيت بها منه فلحقني الهم والحزن والضيق ففزعت فزعا عظيما ايقظني من المنام فانتبهت وانا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا لي ان لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهرا بغير رضاك وانت يا بنتي اصغر بناتي واعزهن عندي واكرمهن علي وها انت مسافرة الى اختك ولا اعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجعي الى قصرك فلما سمعت منار السناء كلام ابيها خفق قلبها وخافت على اولادها واطرقت برأسها الى الارض ساعة ثم رفعته الى ابيها وقالت له ايها الملك ان الملكة نور الهدى قد هيأت لي ضيافة وهي في انتظاري وقد ومي علي ساعة بعد ساعة ولها اربع سنين ما رأتني وان قعدت عن زيارتها تغضب مني ويعظم تعودي عندها سهرا يصعب واحضر عندك ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل الى جزائرنا ومن يقدر ان يصل الى الارض البيضاء والجبل الاسود ويصل الى جزيرة الكافور وقلعة الطيور وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا ولو دخلها غريب لغرق في بحار المهلكات فطب نفسا وقر عينا من شأن سفري فانه لا قدرة لاحد على ان يدوس ارضنا ولم تزل تستعطفه حتى انعم عليها بالاذن في المسير وادرك

حكاية خفقان قلب منار السناء بعد سماع كلام ابيها

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لم تزل تستعطفه حتى انعم عليها بالاذن في المسير ثم انه امر الف فارس ان يسافروا معها ليوصلوها الى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل الى مدينة اختها فتدخل قصر اختها وامرهم ان يقيموا عندها حتى يأخذوها ويعودوا بها الى ابيها واوصاها ابوها ان تقعد عند اختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعا وطاعة ثم انها نهضت وخرجت وخرج معها ابوها وودعها وقد اثر كلام ابيها في قلبها فخافت على اولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت في السير مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى وصلت الى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت الى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت اولادها يبكون عندها ويصيحون يا ابانا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت اولادها الى صدرها وقالت لهم هل رأيتم اباكم فلا كانت الساعة التي فارقته فيها ولو عرفت انه في دار الدنيا لكنت اوصلتكم اليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء اولادها وانشدت هذه الابيات

اَحِبَّايَ اِنِّي عَلَى الْبُعْدِ وَالْجَفَا ... اَحِنُّ اِلَيْكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ وَاَعْطِفُ
وَطَرْفِي اِلَى اَوْطَانِكُمْ مُتَلَفِّتٌ ... وَقَلْبِي عَلَى اَيَّامِكُمْ مُتَلَهِّفُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ ... مُحِبَّيْنِ يُهْنِينَا الْوَفَا وَالتَّلَطُّفُ

فلما رأتها اختها قد ضمت اولادها وقالت انا التي فعلت بنفسي وباولادي هكذا واخربت بيتي لم تسلم عليها اختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من اين لك هذه الاولاد هل تزوجت بغير علم ابيك او زنيت فان كنت زنيت وجب تنكيلك وان كنت تزوجت من غير علمنا فلاي شئ فارقت زوجك واخذت اولادك وفرقت بينهم وبين ابيهم وجئت بلادنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى قالت لاختها منار السناء وان كنت تزوجت من غير علمنا فلاي شئ فارقت زوجك واخذت اولادك وفرقت بينهم

وبين ايديهم وجئت بلادنا وقد اخفيت اولادك عنا اتظنين اننا لا ندري بذلك والله تعالى عالم الغيوب قد اظهر لنا امرك وكشف حالك وبين عوراتك ثم بعد ذلك امرت اعوانها ان يمسكوها فقبضوا عليها وكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضربا وجيعا حتى تشرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها في سجن وكتبت كتابا الى الملك الاكبر ابيها تخبره بخبرها وتقول له انه قد ظهر في بلادنا رجل من الانس واختي نور السناء تدعي انها تزوجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد اخفتهما عنا وعنك ولم تظهر على نفسها شيئا الى ان اتانا ذلك الرجل الذي من الانس وهو يسمى حسنا واخبرنا انه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم اخذت اولادها وراحت من غير علمه واخبرت والدته عند رواحها وقالت لها قولي لولدك اذا حصل له اشتياق ان يجيئني الى جزائر واق فقبضنا على الرجل عندنا وارسلت اليها العجوز شواهي تحضرها عندي هي واولادها فتجهزت نفسها وحضرت وقد كنت امرت العجوز ان تحضر لي اولادها اولا فتسبقهم الي بهم قبل حضورها فجاءت العجوز بالاولاد قبل حضورها فارسلت الى الرجل الذي ادعى انها زوجته فلما دخل علي ورأى الاولاد عرفهم وعرفوه فتحققت ان الاولاد اولاده وانها زوجته وعلمت ان كلام الرجل صحيح ولم يكن عنده عيب ورأيت ان القبح والعيب عند اختي فخشيت من هتك عرضنا عند اهل جزائرنا فلما دخلت علي هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضربا وجيعا وصلبتها من شعرها وقد اعلمتك بخبرها والامر امرك فالذي تأمرنا به نفعله وانت تعلم ان هذا الامر فيه هتيكة لنا وعيب في حقنا وحقك وربما تسمع اهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثلة فينبغي ان ترد لنا جوابا سريعا ثم اعطت المكتوب للرسول وسار به الى الملك فلما قرأه الملك الاكبر اغتاظ غيظا شديدا على ابنته منار السناء وكتب الى ابنته نور الهدى مكتوبا يقول لها فيه انا قد فوضت امرها اليك وحكمتك في دمها فان كان الامر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاوريني في امرها فلما وصل اليها كتاب ابيها وقرأته ارسلت الى منار السناء واحضرتها بين يديها وهي غريقة في دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم اوقفوها بين يدي الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاء شديدا وانشدت هذين البيتين

يَا رَبِّ إِنَّ ٱلْعِدَا يَسْعَوْنَ فِي تَلَفِي ... وَيَزْعُمُونَ بِأَنِّي لَسْتُ بِٱلنَّاجِي
وَقَدْ رَجَوْتُكَ فِي إِبْطَالِ مَا صَنَعُوا ... يَا رَبِّ أَنْتَ مَلَاذُ ٱلْخَائِفِ ٱلرَّاجِي

ثم بكى بكاء شديداً حتى وقع مغشياً عليها فلما افاقت انشدت هذين البيتين

أَلِفَ الْحَوَادِثُ مُهْجَتِي وَأَلِفْتُهَا ... بَعْدَ التَّنَافُرِ وَالْكَرِيمُ أَلُوفُ
لَيْسَ الْهُمُومُ عَلَى جِنْسٍ وَاحِدًا ... عِنْدِي بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُ أُلُوفُ

ثم انشدت ايضا هذين البيتين

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما امرت باحضار اختها الملكة منار السناء اوقفوها بين يديها وهي مكتفة فانشدت الاشعار السابقة ثم ان اختها احضرت لها سلما من خشب ومدتها عليه وامرت الخدام ان يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها بالحبال ثم كشفت راسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منار السناء نفسها في هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها احد فقالت لها يا اختي كيف قسا قلبك علي اما ترحميني ولا ترحمين هؤلاء الاطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها يا عاشقة يا عاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف اشفق عليك يا خائنة فقالت لها منار السناء وهي منبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبيني به وانا بريئة منه والله ما زنيت وانما تزوجته في الحلال وربي يعلم هل قولي صحيح ام لا وقلبي قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك علي فكيف ترميني بالزنا من غير علم ولكن ربي يخلصني منك وان كان الذي تقذفيني به من الزنا حقا فسيعاقبني الله عليه فتفكرت اختها في نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبيني بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها فرشوا على وجهها الماء حتى افاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الاهانة ثم انشدت هذين البيتين

وَإِذَا جَنَيْتُ جِنَايَةً ... وَأَتَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرَا
أَنَا تَائِبٌ عَمَّا مَضَى ... وَأَتَيْتُكُمْ مُسْتَغْفِرَا

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضبا شديدا وقالت لها اتتكلمين يا عاهرة قدامي

حكاية ضرب نور الهدى لمنار السناء واولادها وقولها لها ربما عن الزنا

بالشعر وتستغفرين من الذي فعلته من الكبائر وكان مرادي ان ترجعي لزوجك حتى شاهد فجورك وقوة عينك لانك تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور والفحش والكبائر ثم انها امرت الغلمان ان يحضروا لها الجريد فاحضروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها الى قدميها ثم دعت بسوط مضفور لو ضرب به الفيل لهرول مسرعا فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع اعضائها حتى غشي عليها فلما رأت العجوز شواهي ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهي تبكي وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم ائتوني بها فجاروا عليها و مسكوها واحضروها بين يديها فامرت برميها على الارض وقالت للجواري اسحبوها على وجهها واخرجوها فسحبوها واخرجوها من بين يديها هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر حسن فانه قام متجلدا ومشى في شاطئ النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشا لا يعرف الليل من النهار لشدة ما اصابه وما زال يمشي الى ان قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده و قرأها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

دبرت امرك عندما ... كنت الجنين ببطن امك
وعليك قد حننتها ... حتى لقد جادت بضمك
انا نكافيك الذي ... يأتي بهمك او بغمك
فاضرع الينا ناهضا ... فاحذ بكفك في مهمك

فلما فرغ من قراءة الورقة تيقن بالنجاة من الشدة وظفره بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا في موضع قفر ذي خطر لا يجد فيه احدا يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وانشد هذه الابيات

نسيم الصبا ان جزت ارض احبتي ... فبلغهم عني جزيل سلامي
وقل لهم اني رهين صبابة ... وان غرامي فوق كل غرام
عسى عطفة منهم يهب نسيمها ... فيحيي بها فورا رميم عظامي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما قرأ الورقة ايقن بالنجاة من الشدة وتحقق

الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا في موضع ذي خطر ولم يكن عنده
احد يؤانسه فبكى بكاء شديدا وانشد الاشعار التي ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين
فوجد ولدين صغيرين من اولاد السحرة والكهان وبين ايديهما قضيب من النحاس
منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الادم بثلاثة تروك منقوش عليها بالفولاذ
اسماء وخواتم والقضيب والطاقية مطروحان على الارض والولدان يختصمان ويتضاربان
عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما ياخذ القضيب الا انا والآخر يقول ما ياخذ
القضيب الا انا فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقالا
له يا عم احكم بيننا فان الله تعالى ساقك الينا لتقضي بيننا بالحق فقال قصا علي حكايتكما و
انا احكم بينكما فقالا له نحن الاثنان اخوان شقيقان وكان ابونا من السحرة الكبار وكان
مقيما في مغارة في هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب واخي يقول
ما ياخذ القضيب الا انا وانا اقول ما ياخذه الا انا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما
سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما قيمتهما فان القضيب
بحسب الظاهر يساوي ستة جدد والطاقية تساوي ثلاثة جدد فقالا له انت ما تعرف فضلهما
فقال لهما اي شيء فضلهما فقالا له في كل منهما سر عجيب وهو ان القضيب يساوي خراج
جزائر واق باقطارها والطاقية كذلك فقال حسن يا ولدي بالله اكشفا لي عن سرهما فقالا
له يا عم ان سرهما عظيم لان ابانا عاش مائة وخمسة وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى احكمهما
غاية الاحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما استخدامات الغريبة ونقشهما على مثال
الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلسمات وعندما فرغ من تدبيرهما ادركه الموت الذي لا بد
لكل احد منه فاما الطاقية فان سرها ان كل من وضعها على رأسه اختفى عن اعين
الناس جميعا فلا ينظره احد ما دامت على رأسه واما القضيب فان سره ان كل من ملكه
يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت امره وحكمه
وكل من ملكه وصار في يده اذا ضرب به الارض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن
في خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم قال في نفسه
والله انني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية ان شاء الله تعالى فانا احق بهما منهما
ففي هذه الساعة اتحيل على اخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي
واولادي من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذي ما لاحد من
الانس خلاص منه ولا مفر لعل والله ما ساقني لهذين الغلامين الا لاستخلص منهما

حكاية حيلة حسن على الولدين في اخذ القضيب والطاقية منهما

القضيب

القضيب والطاقية ثم رفع رأسه الى الغلامين وقال لهما ان شئتما فصل القضية فانا امتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فان امتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا لا والله يا عم وكلنا في امتحانك وحكمنا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان مني وترجعان الى قولي فقالا له نعم فقال لهما حسن انا آخذ حجرا وارميه فمن سبق منكم اليه واخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم ان حسنا اخذ حجرا ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسابق الغلامان تحته فلما بعدا اخذ حسن الطاقية ولبسها واخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه ليظهر حقيقة قوله في شأن سرائرهما فسبق الولد الصغير الى الحجر واخذه ورجع به الى المكان الذي فيه حسن فلم ير له اثرا فصاح على اخيه وقال له اين الرجل الحاكم بيننا فقال لا اراه ولم اعرف هل طلع الى السماء العليا او نزل الى الارض السفلى ثم انهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه فسب بعضهما وقالا لا قد راح القضيب والطاقية لا لي ولا لك وكان ابونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا ما اخبرنا به ثم انهما رجعا على اعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفي يده القضيب ولم يره احد من الناس ثم دخل القصر وطلع الى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من رف كان فوق راسها وعليه زجاج وصيني فحركه بيده فوقع الذي فوقه على الارض فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وارجعت الذي وقع الى مكانه وقالت في نفسها والله ما اظن الا ان الملكة نور الهدى ارسلت الي شيطانا فعمل معي هذه العملة فانا اسأل الله تعالى ان يخلصني منها ويسلمني من غضبها فيا رب اذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والسلب مع اختها وهي عزيزة عند ابيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي اذا غضبت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي قالت اذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع اختها فكيف يكون حال الغريب معها اذا غضبت عليه ثم انها قالت اقسمت عليك ايها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشان القوي السلطان خالق الانس والجان وبالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان تكلمني وتجيبني

فاجابها حسن وقال لها اما انا شيطان انا حسن لولها ان الها تم الحيران ثم قلع الطاقية من فوق راسه فظهر للعجوز وعرفته فادنته واخذته فقالت له اى شئ حصل لك فى عقلك حتى عبرت الى هنا يجى احتف فان هذه الفاجرة حذبت زوجتك ما صنعت من العذاب وهى اختها فكيف اذا وقعت بك ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هى فيه من الضيق والعقوبة و العذاب وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب ثم قالت له ان الملكة ندمت حيث اطلقتك وقد ارسلت اليك من يحملك ويعطيك قنطارا من الذهب قنطارا وتجعله فى رتبتى عندها و حلفت ان رجعوا بك تقتلك وتقتل زوجتك واولادك ثم ان العجوز بكت واظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها فبكى حسن وقال يا سيدتى كيف الخلاص من هذه الدار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التى توصلنى الى ان اخلص زوجتى واولادى ثم ارجع بهم الى بلادى سالما فقالت له العجوز ويلك انج بنفسك فقال لا بد لى من خلاصها وخلاص اولادى منها قهرا عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهرا عنها ارح واختف يا ولدى حتى ياذن الله تعالى ثم ان حسن اراها القضيب النحاس والطاقية فلما راتهما العجوز فرحت بهما فرحا شديدا وقالت له سبحان من يحيى العظام وهى رميم والله يا ولدى ما كنت انت وزوجتك الا من الهالكين والان يا ولدى قد نجوت انت وزوجتك واولادك فانى اعرف القضيب واعرف صاحبه فانه كان شيخى الذى علمنى السحر وكان ساحرا عظيما مكث مائة وخمسة وثلاثين سنة حتى اتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى اتقانهما ادركه الموت الذى لا بد منه وسمعته يقول لولديه يا ولدى هذان ما هما من نصيبكما وانما ياتى شخص غريب الديار ياخذهما منكما قهرا ولا تعرفان كيف ياخذهما فقالا يا ابانا عرفنا كيف يصل الى اخذهما منا فقال لا اعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدى لاخذهما فحكى لها كيف اخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له يا ولدى كما ملكت زوجتك واولادك اسمع منى ما اقول لك عليه انا ما بقى لى عند هذه الفاجرة اقامة بعدما تجاسرت على ونكلت بى وانا راحلة عنها الى مغارة السحرة لاقيم عندهم واعيش معهم الى ان اموت و انت يا ولدى البس الطاقية وخذ القضيب فى يدك وادخل على زوجتك واولادك فى المكان الذى هم فيه واضرب الارض بالقضيب وقل يا خدام هذه الاسماء تطلع اليك خدامه وان طلع لك احد من رؤوس القبائل فامره بما تريد وتختار ثم انه ودعها و خرج ولبس الطاقية واخذ القضيب معه ودخل المكان الذى فيه زوجته فرآها فى حالة العدم مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهى باكية العين حزينة القلب فى اسوء

حكاية دفع حسن العجوز الطاقية والقضيب ... على خلاص زوجته

حال لا تدري طريقا لخلاصها واولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكي عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها واصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم النكال فلما رآها في اسوء الحالات سمعها تنشد هذه الابيات

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفَسٌ خَافِتُ ... وَمُقْلَةٌ إِنْسَانُهَا بَاهِتُ
وَمُغْرَمٌ تُضْرَمُ أَحْشَاؤُهُ ... بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتُ
يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ مِمَّا رَأَى ... يَا وَيْحَ مَنْ يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ

ثم ان حسنا لما رأى ما هي فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشي عليه فلما افاق ورأى اولاده وهم يلعبون وقد غشي على امهم من كثرة الالم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا يا ابانا فغطى رأسه واستفاقت امهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وانما نظرت اولادها وهم يبكون ويصيحون يا ابانا فبكت امهم لما سمعتهم يذكرون اباهم ويبكون وانكسر قلبها وتقطعت احشاؤها ونادت من كبد قد تصدع وقلب موجع اين انتم واين ابوكم ثم تذكرت اوقات اجتماع شملها وتذكرت ما جرى لها بعد فراقه فبكت بكاء شديدا حتى جرحت دموعها خديها وبلت الارض وصارت خدودها غريقة في دموعها من كثرة البكاء وليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خدودها وشبع الذباب من جلدها ولم تجد لها مساعدا غير البكاء والتسلي بانشاد الاشعار فانشدت هذه الابيات

وَذَكَرْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ بَعْدَ مُوَدِّعِي ... فَجَرَتْ دُمُوعِي أَنْهُرًا فِي مَرْجِعِي
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الرِّكَابِ فَلَمْ أَجِدْ ... حَتْمًا لَا جَلَدًا وَلَا لُبِّي مَعِي
وَرَجَعْتُ لَا أَدْرِي الطَّرِيقَ وَلَمْ أُفِقْ ... مِنْ لَوْعَتِي وَتَوَلُّعِي وَتَوَجُّعِي
وَأَضَرُّ مَا بِي فِي رُجُوعِي شَامِتٌ ... قَدْ جَاءَنِي فِي صُورَةِ الْمُتَخَشِّعِ
يَا نَفْسُ إِذْ بَعُدَ الْحَبِيبُ فَفَارِقِي ... طِيبَ الْحَيَوةِ وَفِي الْبَقَا لَا تَطْمَعِي
يَا صَاحِبِي أَنْصِتْ لِأَخْبَارِ الْهَوَى ... حَاشَا لِقَلْبِكَ أَنْ أَقُولَ وَلَا يَعِي
أَرْوِي الْغَرَامَ مُسَلْسَلًا بِعَجَائِبٍ ... وَغَرَائِبٍ حَتَّى كَأَنِّي الْأَصْمَعِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على زوجته رأى اولاده وسمعها تنشد الابيات التي ذكرناها وقد التفتت يمينا وشمالا لا ترى سبب صياح اولادها

مطلب رفع حسن الطاقية من فوق رأسه ورؤية أولاده له وصياحهم وبكاء زوجته

وبكت لأبيهم لما تزوجت أولاده ... بذكر أولادها لأبيهم في هذا الوقت هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر حسن فإنه لما سمع شعرها بكى حتى غشي عليه وجرت دموعه على خديه مثل المطر وسال ماء الأولاد وكشف الطاقية عن رأسه فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم يا أبانا فسكتت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لا حيلة في قدر الله وقالت في نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لأبيهم في هذا الوقت وندائهم له ثم بكت وأنشدت هذه الأبيات

خَلَتِ الدِّيَارُ مِنَ السِّرَاجِ الطَّالِعِ   فَامُقْلَتِي جُودِي بِسُحْبِ الأَدْمُعِ
رَحَلُوا فَكَيْفَ تَصَبُّرِي مِنْ بَعْدِهِمْ   أَقْسَمْتُ مَا قَلْبِي وَلَا صَبْرِي مَعِي
يَا رَاحِلِينَ وَفِي الفُؤَادِ مَحَلُّهُمْ   هَلْ تَعُدْ ذَا يَا سَادَتِي مِنْ مَرْجِعِ
مَا ضَرَّ لَوْ رَجَعُوا وَفُزْتُ بِأُنْسِهِمْ   وَرَثَوْا لِفَيْضِ مَدَامِعِي وَتَوَجُّعِي
أَجْرَوْا سَحَائِبَ مُقْلَتِي يَوْمَ النَّوَى   فَحَمَاهُ لَمْ يُطْفِئْ تَضَرُّمَ أَضْلُعِي
وَطَمِعْتُ أَنْ يَبْقَوْا فَعَانَدَنِي البَقَا   فِيهِمْ وَخَابَتْ بِالتَّفَرُّقِ مَطْمَعِي
بِاللهِ يَا أَحْبَابَنَا عُودُوا لَنَا   فَلَقَدْ كَفَى مَا قَدْ جَرَى مِنْ أَدْمُعِي

فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من في القصر ثم قالت له كيف وصلت إلى هاهنا هل من السماء نزلت أم من الأرض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا أوان بكا ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمي البصر وجرى القلم بما حكم الله في القدم فبالله عليك من أي مكان جئت روح واختف لئلا يطلع أحد ويعلم حتى يذبحك ويذبحني فقال لها حسن يا سيدتي وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا فإما أن أموت وإما أن أخلصك من الذي أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادي إلى بلادي على رغم أنف هذه الفاجرة أختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زمانا طويلا وقالت له هيهات يا روحي هيهات أن يخلصني أحد مما أنا فيه إلا الله تعالى فانج بنفسك وارحل ولا ترم روحك في الهلاك فإن لها عسكرا جرارا ما يقدر واحد أن يقابله وهب أنك أخذتني وخرجت فكيف تصل إلى بلادك وتخلص من هذه الجزائر وصعوبة هذه الأماكن الخطرة وقد رأيت في الطريق الذي نظرتها من العجائب والغرائب والأهوال والشدائد ما لا يخلص منه أحد من الجن المتمردة فرح من قريب ولا تزد في همي على همي ولا غما على غمي ولا تدعي أنك تخلصني من هنا فمن يوصلني إلى بلادك في هذه الأودية والأرض المعطشة والأماكن المهلكة فقال لها حسن وحياتك يا نور عيني ما أخرج من هنا

ولا اسافر الا باذنك فقالت له يا رجل كيف تقدر على هذا الامر اي شيء جنسك فانك لا تعرف الذي تقوله ولو كنت تحكم على جان وعفاريت وسحرة وارهاط واعوان فانه لا يقدر احد ان يتخلص من هذه الاماكن فقرأت بنفسك سالما وخلني لعل الله يحدث بعد الامور امورا فقال لها حسن يا سيدة الملاح انا ما جئت الا لاخلصك بهذا القضيب وبهذه الطاقية ثم حكى لها حكايته مع الولدين فبينما هو في الحديث واذا بالملكة دخلت عليهما فسمعت حديثهما فلما رأى الحسن الملكة لبس الطاقية فقالت لاختها يا فاجرة من الذي كنت تحدثين معه فقالت لها ومن عندي يكلمني غير هذه الاطفال فاخذت السوط وصارت تضربها به وحسن واقف ينظر ولم تزل تضربها حتى غشي عليها ثم امرت بنقلها من ذلك المحل الى محل آخر فحلوها وخرجوا بها الى محل غيره وخرج حسن معهم الى المكان الذي اوصلوها اليه ثم القوها مغشيا عليها ووقفوا ينظرون اليها فلما افاقت من غشيتها انشدت هذه الابيات

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... نَدَمًا أَفَاضَ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ إِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا ... مَا عُدْتُ أَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
وَأَقُولُ لِلْحُسَّادِ مُوتُوا حَسْرَةً ... وَاللهِ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ أَمَانِي
طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ ... مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
يَا عَيْنُ مَا بَالُ الْبُكَا لَكِ عَادَةً ... تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَفِي أَحْزَانِ

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجواري فعند ذلك قلع حسن الطاقية فقالت له زوجته انظر يا رجل ما حل بي ما هذا كله الا لكوني عصيتك وخالفت امرك وخرجت من غير اذنك فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي واعلم ان المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه وانا اذنبت واخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع مني وان جمع الله شملنا لا اعصي لك امرا بعد ذلك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة حسن اعتذرت اليه وقالت له لا تؤاخذني بذنبي وانا استغفر الله العظيم فقال لها حسن وقد اوجعه قلبه عليها انت ما اخطأت وما اخطأ الا انا لاني سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة

حكاية استغفار زوجة حسن من ذنبها

ولا مقدار واعلمي يا حبيبة قلبي وثمرة فؤادي ونور عيني ان الله سبحانه اقدرني على تخليصك فهل تحبين ان اوصلك الى دار ابيك وتستوفي عنده ما قدره الله عليك او تسافرين الى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصي الا رب السماء فرح بلادك وخل عنك الطمع فانك لا تعرف اخطار هذه الديار وان لم تطعني سوف تنظر ثم انها انشدت هذه الابيات

عَلَيَّ وَعِنْدِي مَا تُرِيدُ مِنَ الرِّضَا ... فَمَا لَكَ غَضْبَانًا عَلَيَّ وَمُعْرِضَا
وَمَا قَدْ جَرَى حَاشَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْوُدِّ أَنْ يُنْسَى قَدِيمًا وَيَنْقَضِي
وَمَا بَرِحَ الْوَاشِي لَنَا مُتَجَنِّبًا ... فَلَمَّا رَأَى الْإِعْرَاضَ مِنَّا تَعَرَّضَا
فَإِنِّي بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ لَوَاثِقٌ ... وَإِنْ جَهِلَ الْوَاشِي وَقَالَ وَحَرَّضَا
فَنَكْتُمُ سِرًّا بَيْنَنَا وَنَصُونُهُ ... وَلَوْ كَانَ سَيْفُ الْعَذْلِ بِاللَّوْمِ مُنْتَضِي
أَظَلُّ نَهَارِي كُلَّهُ مُتَشَوِّقًا ... لَعَلَّ بَشِيرًا مِنْكَ يُقْبِلُ بِالرِّضَى

ثم بكت هي واولادها وسمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدن الملكة منار السناء تبكي هي واولادها ولم ينظرن حسنا عندهم فبكى الجواري حين رأينهم ودعين على الملكة نور الهدى فصبر حسن الى ان اقبل الليل وذهب الحرس الموكلون بها الى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء الى زوجته وحلها وقبل راسها وضمها الى صدره وقبل ما بين عينيها وقال لها ما اطول شوقنا الى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا في المنام او في اليقظة ثم انه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وقد اسبل الله عليهما الستر وسارا فلما وصلا الى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة فلما صارا هناك رأياه مقفولا فقال حسن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم انهما ايسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودق يدا على يد وقال كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته الا هذا فانه اذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الامر ثم ان حسنا انشد هذين البيتين

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولما هي فيه من الاهانة وآلام الزمان فالتفت حسن الى زوجته وانشد هذين البيتين

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَرِيهَةِ يَلْقَانِي

وان

وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ ... وَإِنْ يَصْفُ لِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي الثَّانِي

وانشد ايضا هذين البيتين

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ إِنَّنِي ... أَعِزُّ وَأَنَّ النَّائِبَاتِ تَهُونُ
وَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ ... وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

فقالت له زوجته والله ما لنا فرج الا ان نقتل ارواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم لاننا في نقاسي العذاب الاليم فبينما هما في الكلام واذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما افتح لك يا سيدتي منا السنا او زوجك حسن الا ان تطاوعاني في الذي اقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وارادا الرجوع الى الكلام الذي كانا فيه واذا بقائل يقول ما لكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها مهما تامرينا به نفعله ولكن افتحي لنا الباب اولا فان هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت له والله ما افتح لكما حتى تحلفا لي انكما تاخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما اصابكما اصابني ان سلمتما سلمت وان عطبتما عطبت فان هذه الفاجرة الساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من اجلكما وانت يا بنتي تعرفين مقداري فلما عرفاها اطمانا بها وحلفا لها بالايمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب فخرجا فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار احمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو ينقلب من تحتها ويجري جريا اقوى من جري المهر النجدي فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعاني ولا تفزعا من شيء فاني احفظ اربعين بابا من السحر اقل باب منها اجعل به هذه المدينة بحرا عجاجا متلاطما بالامواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك اعمله قبل الصبح لكني كنت لا اقدر ان افعل شيئا من ذلك الشر خوفا من الملك ابيها ورعاية لاخواتها لانهم مستعزون بكثرة الاعوان والارهاط والخدم ولكن سوف اريكما عجائب سحري فسيروا بنا على بركة الله تعالى وعونه فعند ذلك فرح حسن وزوجته ايضا بالخلاص وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا وزوجته والعجوز شواهي لما طلعوا من القصر وايقنوا بالخلاص خرجوا الى ظاهر المدينة فاخذ حسن القضيب بيده وضرب به الارض وقوى جنانه وقال يا خدام هذه الاسماء احضروا الي واطلعوني على احوالكم واذا بالارض قد انشقت وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الارض وراسه

في السحاب فقبلوا الارض بين يدي حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك ياسيدنا والحاكم علينا باي شيء تأمرنا فنحن لامرك سامعون ومطيعون ان شئت نيبس لك البحار وننقل لك الجبال من اماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم فتشجع قلبه وقوي جنانه وعزمه وقال لهم من انتم وما اسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن اي طائفة انتم ومن اي قبيلة ومن اي رهط فقبلوا الارض ثانيا وقالوا بلسان واحد نحن سبعة ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة فنحن سبعة ملوك نحكم على تسعة واربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والارهاط والاعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبراري والقفار وعامر البحار فامرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعا وتصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحا عظيما وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان اريد منكم ان تطلعوني على رهطكم وجندكم واعوانكم فقالوا يا سيدنا اذا اطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لانهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والالوان والوجوه والابدان فمنا رؤس بلا ابدان ومنا ابدان بلا رؤس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن ان شئت ذلك فلا بد لنا من ان نعرض عليك اولا من هو على صفة الوحوش ولكن يا سيدي ما تريد منا في هذا الوقت فقال لهم حسن اريد منكم ان تحملوني انا وزوجتي وهذه المرأة الصالحة في هذه الساعة الى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه اطرقوا رؤسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبون فقالوا بلسان واحد ايها السيد الحاكم علينا اننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا اننا لا نحمل احدا من بني آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا احدا من بني آدم على اكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن في هذه الساعة نشد لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك انت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت انا الى هنا فيما دون السنة فقالوا له انت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل الى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك ابدا لان الشيخ عبد القدوس الذي اركبك الفيل واركبك الجواد الميمون قطع بك في ثلاثة ايام مسافة ثلاث سنين للفارس المجد في السير واما الشيخ ابو الرويش الذي اعطاك الدهنش فانه قطع بك في اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة الله العظيم لان الشيخ ابا الرويش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم الله الاعظم ومن بغداد الى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين

فلما سمع حسن كلامهم تعجب عجبا عظيما وقال سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرّب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذي هوّن علينا كل امر شديد واوصلني الى هذه الديار وسخر لي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي واولادي فما ادري هل انا نائم او يقظان وهل انا صاح او سكران ثم التفت اليهم وقال لهم اذا ركبتموني خيولكم فكم يوم تصل بنا الى بغداد فقالوا انت تصل بك فيما دون السنة بعد ان تقاسي الامور الصعاب والشدائد والاهوال وتقطع اودية معطشة وقفار موحشة وبراري ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك يا سيدي من اهل هذه الجزائر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

حكاية ركوب حسن وزوجته والعجوز على الافراس ورؤيته عفريتا ومرافقته مع حسن

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجان قالوا لحسن لا نأمن عليك يا سيدي من اهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الاكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربما يقهروننا ويأخذونكم منا ويبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا انتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الاكبر وحملتم الانس من بلاده وحملتم ايضا ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الامر ولكن الذي اوصلك الى هذه الجزائر قادر ان يوصلك الى بلادك ويجمع شملك بامك قريبا غير بعيد فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك الى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعا وطاعة ثم دقوا الارض بارجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا واذا هم قد طلعوا ومعهم ثلثة افراس مسرجة ملجمة وفي مقدم كل سرج خرج في احدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الاخرى ملآنة زادا ثم قدموا الخيل فركب حسن جوادا واخذ ولدا قدامه وركبت زوجته الجواد الثاني واخذت ولدا قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى اصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل والسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون اذ نظر حسن الى جبل قدامه مثل العامود وهو طويل كالدخان المتصاعد الى السماء فقرأ شيئا من القرآن والصحف وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتا راسه كالقبة العظيمة وانيابه كالكلاليب وحنكه كالزقاق ومنخراه كالابريق واذناه كالادراق وفمه كالمغارة واسنانه

كعواميد الحجارة ويداه كالمدارى ورجلاه كالصوارى وراسه فى السحاب وقدماه فى تخوم الارض تحت التراب فلما نظر حسن الى العفريت انحنى وقبل الارض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف منى انا رئيس عمار هذه الارض وهذه اول جزيرة من جزائر واق وانا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما اطلعت على حالكم اشتهيت ان ارحل من بلاد السحرة الى ارض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الانس والجان اعيش فيها منفردا وحدى واعبد الله حتى ياتينى اجلى فاردت ان ارافقكم واكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر وانا ما اظهر الا بالليل فطيبوا قلوبكم من جهتى فاننى مسلم مثل ما انتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحا شديدا وايقن بالنجاة ثم التفت اليه وقال له جزاك الله خيرا فسر معنا على بركة الله فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكى للعجوز جميع ما جرى له وما قاساه ولم يزالوا سائرين طول الليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين طول الليل الى الصباح والخيل تسير بهم كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده فى خرجه واخرج منه شيئا واكله واخرج ماء وشربه ثم جدوا فى السير ولم يزالوا سائرين والعفريت امامهم وقد عرج بهم عن الطريق الى طريق اخرى غير مسلوكة على شاطئ البحر وما زالوا يقطعون الاودية والقفار مدة شهر كامل وفى اليوم الحادى والثلثين طلعت عليهم غبرة سدت الاقطار واظلم منها النهار فلما نظرها حسن حار واحمر واصفر وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز الى حسن وقالت له يا ولدى هذه عساكر جزائر واق قد لحقونا وفى هذه الساعة يأخذوننا قبضا باليد فقال لها حسن ما اصنع يا امى فقالت له اضرب الارض بالقضيب ففعل فطلع اليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال احسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع انت وزوجتك واولادك ومن معك فوق الجبل وخلونا نحن واياهم لاننا نعرف انكم على الحق وهم على الباطل ينصرنا الله عليهم فنزل حسن وزوجته واولاده والعجوز عن ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا صعد هو و زوجته واولاده والعجوز على طرف الجبل بعد ان صرفوا الخيل ثم بعد ذلك اقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة ومسيرة و دارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران واقدمت الشجعان وفرت الجبان ورمت الجن من افواهها لهيب الشرر الى ان اقبل الليل المعتكر فافترق الجمعان وانفصل الفريقان فلما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الارض اوقدوا النيران وطلع سبعة ملوك الى حسن فقبلوا الارض بين يديه فاقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا انهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة ايام نحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار الفين وقتلنا منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم فطب نفسا وانشرح صدرا ثم انهم ودعوه ونزلوا الى عسكرهم يحرسونه وما زالوا يشعلون النيران الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل الفراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلاطمون انطام البحار واستعر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وقتال حتى انهزمت عساكر واق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت اقدامهم واينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل اكثرهم واسر الملكة نور الهدى وكبار مملكتها وخواصها فلما اصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريرا من المرمر مصفحا بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريرا آخر للسيدة منار السناء زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج وجلست فوقه ونصبوا بجنبه سريرا آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي وجلست فوقه ثم انهم قدموا الاسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة الا ان يجوع كلبتين ويعطش فرسين ويربطك معهما في اذنابهما ويسوقهما الى البحر والكلبتين وراءك حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك ويطعمك كيف فعلت باختك هذه الفعال يا فاجرة مع انها تزوجت في الحلال بسنة الله ورسوله لانه لا رهبانية في الاسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء الا للرجال فعند ذلك امر حسن بقتل الاسارى جميعها فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم احدا فلما رأت الملكة منار السناء اختها في هذه الحالة وهي مقيدة

ما سورة بكت عليه وقالت لها يا أختي ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم إن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن فقالت لها أختها إنه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب فتضرعت لأختها حتى حن قلبها عليها ثم قالت لزوجها حسن ما تريد أن تفعل بأختي فها هي بين يديك وهي ما فعلت معك مكروهاً حتى تؤاخذها به فقال لها كفى تعذيبها إياك بكروها فقالت له كل مكروه فعلته معي كانت معذورة فيه وأما أنت فإنك قد أحرقت قلب أبي بفقدي فكيف يكون حاله بعد أختي فقال لها حسن الرأي رأيك مهما أردتيه فعليه فعند ذلك أمرت الملكة منار السناء بحل الأساري جميعهم فحلوهم لأجل أختها وكذلك أختها وبعد ذلك أقبلت على أختها وعانقتها وصارت تبكي هي وإياها ولم تزل كذلك ساعة زمانية ثم قالت الملكة نور الهدى لأختها يا أختي لا تؤاخذيني بما فعلته معك فقالت لها السيدة منار السناء يا أختي إن هذا كان مقدراً علي ثم جلست هي وأختها على السرير يتحدثان وبعد ذلك أصلحت منار السناء بين العجوز وبين أختها على أحسن ما يكون وطابت قلوبهما ثم إن حسناً صرف العسكر الذين كانوا في خدمة القضيب وشكرهم على ما فعلوه من نصره على عدائه ثم إن السيدة منار السناء حكت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختي من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيده الله تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقه فقالت لها أختها والله يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة منار السناء لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله إن هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصاً بسبب مروءته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم ثم إنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح فلما طلعت الشمس أرادوا الرحيل فودع بعضهم بعضاً وودعت منار السناء العجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند

ذلك ضرب حسن الارض بالقضيب فطلع له [illegible] عليه [illegible]
على هذه وسرّك فامرنا بما تريد حتى نعمله لك في [illegible] ثم انصرفوا [illegible]
وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم [illegible] الجواد من احسن الخيل ففعلوا ما امرهم
به في الوقت وقدموا له جوادين [illegible] فركب حسن جوادا منهما واخذ [illegible]
قدامه وركبت زوجته الجواد الاخر واخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة [illegible]
الهدى والعجوز [illegible] الى بلاد [illegible] حسن وزوجته [illegible] الملكة [illegible]
الهدى والعجوز [illegible] حسن [illegible] وزوجته واولاده [illegible]
بعد [illegible] على [illegible]
نزلوا عن ظهور الخيل [illegible]
فلما راهم حسن قام على رجليه [illegible] الملك [illegible]
الطيور فبعد ذلك [illegible] حسن [illegible]
عن ظهر جواده وجاء [illegible] وحسن [illegible] حسن [illegible]
هنّاه بالسلامة وفرح به فرحا شديدا [illegible] يا حسن [illegible] الى
اخره فاخبره حسن بجميع ذلك فتعجب [illegible] الملك حسون [illegible]
احد الى جزائر [illegible] على [illegible]
بعد ذلك قام الملك وركب [illegible]
الى ان اتوا الى [illegible] ودخلوا دار الملك [illegible] الملك حسون [illegible] هو وزوجته
واولاده في دار الضيافة فلما نزلوا اقاموا [illegible] وطرب
ثم بعد ذلك استاذن حسن الملك حسون في السفر الى بلاده [illegible] هو و
زوجته واولاده وركب الملك معهم [illegible] ايام فلما [illegible] حسنا وسار
حسن وزوجته واولاده [illegible] شهرا كاملا [illegible] انتهوا
على مغارة كبيرة ارضها من النحاس الاحمر فقال حسن لزوجته انظري هذه المغارة هل
تعرفيها فقالت لا فقال ان فيها شيخا يسمى ابا الرويش وله علي فضل كبير لانه هو الذي كان
سببا في المعرفة بيني وبين الملك حسون وصار يحدث زوجته عن ابي الرويش واذا بالشيخ
ابي الرويش قد خرج من باب المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبّل يديه فسلم عليه
الشيخ ابو الرويش وهنّاه بالسلامة وفرح به واخذه ودخل به المغارة وجلس هو واياه وصار
حسن يحدث الشيخ ابا الرويش بما جرى له في جزائر واق فتعجب الشيخ والرويش غاية العجب

قال وحقك يا ولدي [illegible] ولادك فحكى له حكاية القضيب والطاقية فلما سمع الشيخ ابو الرويش تلك الحكاية تعجب وقال لحسن يا ولدي لولا هذا القضيب و هذه الطاقية ما كنت خلصت زوجتك واولادك فقال له حسن نعم يا سيدي فبينما هم في الكلام واذا بالباب يطرق فخرج الشيخ ابو الرويش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد اتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم اليه الشيخ ابو الرويش وسلم عليه [illegible] فقال الشيخ ابو الرويش لحسن احك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن فشرع حسن يحكي للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى له من اوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب والطاقية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا شرع يحكي للشيخ عبد القدوس والشيخ ابي الرويش وهم في المغارة يتحدثون جميع ما جرى له من اوله الى آخره الى ان وصل الى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي اما انت فقد خلصت زوجتك واولادك ولم يبق لك حاجة بهما واما نحن فانا كنا السبب في وصولك الى جزائر واق وقد عملت معك الجميل لاجل بنات اخي وانا اسألك من فضلك و احسانك ان تعطيني القضيب وتعطي الشيخ ابا الرويش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس اطرق رأسه الى الارض واستحى ان يقول ما اعطيهما لكما ثم قال في نفسه ان هذين الشيخين قد فعلا معي جميلا عظيما وهما اللذان كانا السبب في وصولي الى جزائر واق ولولاهما ما وصلت الى هذه الاماكن ولا خلصت زوجتي واولادي ولا حصلت هذا القضيب وهذه الطاقية ثم رفع رأسه وقال نعم انا اعطيهما لكما ولكن يا سادتي اني اخاف من الملك الاكبر والد زوجتي ان يأتيني بعساكر الى بلادنا فيقاتلوني ولا اقدر على دفعهم الا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي لا تخف فنحن نبقى لك جاسوسا ورصدا في هذا الموضع وكل من اتى اليك من عند والد زوجتك نرده عنك ولا تخف من شيء اصلا جملة كافية فطب نفسا وقر عينا وانشرح صدرا فما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ اخذه الحياء و اعطى الطاقية للشيخ ابي الرويش وقال للشيخ عبد القدوس اصحبني الى بلادي وانا

حكاية طلب عبد القدوس من حسن القضيب والطاقية لابي الرويش

اعطا

أعطاها القضيب ففرح البنات بذلك فرحاً شديداً وجهز أخت حسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنها الوصف ثم أقام عندهم ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فلما ركب حسن دابة وأركب زوجته دابة صفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول من بعيد ... فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الرويش فإنه دخل المغارة وما زال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الأرض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده إليه وحين وصل حسن إلى تلك الديار بعد هذه الأهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك وشكره على نعمه وفضله وأنشد هذه الأبيات

لعل الله يجمعنا قريباً فنشبع في معانقة العناق
وأخبركم بأعجب ما جرى لي وما لاقيت من ألم الفراق
وأشفي مقلتي نظراً إليكم فإن القلب أشبع في اشتياق
خبأت لكم حديثاً في فؤادي لأخبركم به عند التلاقي
أعاتبكم على ما كان منكم عتاباً ينقضي والود باقي

فلما فرغ حسن من شعره نظر وإذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال لهم الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فإنك الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن بذلك فرحاً شديداً وكذلك زوجته ثم إنهم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات الملك أخي الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهن وسلم عليهن عمهن وقال لهن يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكن حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدمت البنات وعانقنه وفرحن به وهنأنه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديداً وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين

وما نظرت من بعد بعدك مقلتي إلى أحد إلا وشخصك ماثل
وما غمضت إلا رأيتك في الكرى كأنك بين الجفن والعين نازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحاً شديداً فقال لها حسن يا اختي انا ما اشكر احداً في هذا الامر الا انت من دون سائر المخلوقات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم انه حدثها بجميع ما جرى له في سفره من اوله الى آخره وما قاساه وما اتفق له مع اخت زوجته وكيف خلص زوجته واولاده وحدثها ايضاً بما رآه من العجائب والاهوال الصعاب حتى ان اختها كانت ارادت ان تذبحه وتذبحها وتذبح اولادها وما سلمهم منها الا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وان الشيخ ابا الرويش والشيخ عبد القدوس طلباها منه وانه ما اعطاهما الا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال والله ما انسى كلما فعلته معي من الخير من اول الامر الى اخره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسناً لما اجتمع بالبنات حكى لاخته جميع ما قاساه وقال لها انا ما انسى الذي فعلته معي من اول الزمان الى آخره فالتفتت اخته الى زوجته منار السناء وعانقتها وضمت اولادها الى صدرها ثم قالت لها يا بنت الملك الاكبر اما في قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين اولاده وحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل ان يموت فضحكت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله ثم احضروا شيئاً من الاكل والشرب واكلوا جميعاً وشربوا وانشرحوا ثم انه اقام عندهم عشرة ايام في اكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة ايام تجهز حسن للسفر فقامت اخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته الى صدرها لاجل الوداع وعانقته فاشار لها حسن وانشد هذه الابيات

ما سلوة العشاق الا بعيدة	وما فراق الحب الا شديدة
وما الجفا والبعد الا عنا	وما قتيل الحب الا شهيد
ما اطول الليل على عاشق	قد فارق الخل وامسى فريد
دموعه تجري على خده	يقول يا للدمع هل من مزيد

ثم ان حسناً اعطى الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحاً شديداً وشكر حسن على ذلك وبعد ان اخذه منه ركب ورجع الى محله ثم ركب حسن وزوجته واولاده من قصر البنات فخرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن الى بلاده فسار

حكاية سفر حسن من عند البنات الى بغداد واعطائه القضيب للشيخ عبد القدوس

في البر الاقفر مدة شهرين وعشرة ايام حتى وصل الى مدينة بغداد دار السلام فجاء الى داره من باب السر الذي يفتح الى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول الغيبة قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لم تأكل طعاما ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه اليها فلما وقف على الباب سمعها تبكي وتنشد هذه الابيات

بالله يا سادتي طبوا مريضكم ... فجسمه ناحل والقلب مكسور
فان سمحتم بوصل منكم كرما ... فالصب من نعم الاحباب مغمور
لا تيأس من قربكم فالله مقتدر ... فبينما العسر اذ دارت مياسير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسنا ينادي على الباب يا امي ان الايام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت الى الباب وهي ما بين مصدقة ومكذبة فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفا وزوجته واولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الارض مغشيا عليها فما زال حسن يلاطفها حتى افاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وامرتهم ان يدخلوا جميع ما معه في الدار فادخلوا الاحمال في الدار ثم دخلت زوجته واولاده فقامت لها امه وعانقتها وقبلت راسها وقبلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الاكبر ان كنت اخطأت في حقك فها انا استغفر الله العظيم ثم التفتت الى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة فلما سألته عن ذلك اخبرها بجميع ما جرى له من اوله الى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الارض مغشيا عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى افاقت وقالت له يا ولدي والله لقد فرطت في القضيب والطاقية فلو كنت احتفظت عليهما وابقيتهما لكنت ملكت الارض بطولها وعرضها ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك انت وزوجتك واولادك وباتوا في اهنى ليلة واطيبها فلما اصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدله من احسن القماش ثم خرج الى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلي والحلل والفراش ومن الاواني المثمنة التي لا يوجد مثلها عند الملوك ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك ثم انه اقام هو واولاده وزوجته ووالدته في اكل وشرب ولذة ولم يزالوا في ارغد عيش واهناه حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت

ومما يحكى ايضا

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمى خليفة وكان ذلك الرجل فقيرا مسكينا صعلوكا لم يتزوج في عمره قط فاتفق يوما من الايام انه اخذ شبكته ومضى بها الى البحر كما هي عادته ليصطاد قبل الصيادين فلما وصل الى البحر تحزم وتشمر ثم تقدم الى البحر وطرح شبكته ورماها اول مرة وثاني مرة فلم يطلع فيها شيء ولم يزل يرميها الى ان رماها عشر مرات فلم يطلع فيها شيء ابدا فضاق صدره وتحير فكره في امره وقال استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن الرزق على الله عز وجل واذا اعطى الله عبدا لا يمنعه احد واذا منع عبدا لا يعطيه احد ثم انه من كرب ما حصل له انشد هذين البيتين

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة ... فهيء لها صبرا وأوسع لها صدرا
فان اله العالمين بجوده ... سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

ثم جلس ساعة يتفكر في امره وهو مطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك انشد هذه الابيات

اصبر على حلو الزمان ومره ... واعلم بأن الله بالغ امره
فلرب ليل في الهموم كأنه ... ما اخيه حتى اطل بفجره
ولقد تمر الحادثات على الفتى ... وتزول حتى لا تعود لفكره

ثم قال في نفسه ارمي هذه المرة الاخرى واتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي ثم انه قام ورمى الشبكة على طول باعه في البحر وطوى حبالها وصبر عليها ساعة زمانية ثم بعد ذلك جذبها فوجدها ثقيلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

حكاية طرح خليفة الصياد الشبكة في البحر مرارا وطلوعها بلا شيء

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما رمى شبكته في البحر مرارا ولم يطلع له فيها شيء تفكر في نفسه وانشد الابيات السابقة ثم قال في نفسه ارمي هذه المرة الاخرى واتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي ثم قام ورمى الشبكة وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فوجدها ثقيلة فلما عرف انها ثقيلة مارسها بلطف وجذبها حتى طلعت الى البر واذا فيها قرد اعور اعرج فلما رآه خليفة قال لا حول ولا قوة الا بالله انا لله وانا اليه راجعون

اي شيء هذا البخت المنحوس والطالع المنحوس ما الذي حصل لي في هذا النهار المبارك ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى ثم انه اخذ القرد وربطه في حبل وتقدم الى شجرة طالعة على ساحل البحر وربطه فيها اي القرد وكان معه سوط فاخذه في يده ورفعه في الهواء واراد ان ينزل به على القرد فانطق الله هذا القرد بلسان فصيح وقال له يا خليفة امسك يدك ولا تضربني وخلني مربوطا في هذه الشجرة وروح الى البحر وارم شبكتك وتوكل على الله فانه يأتيك برزقك فلما سمع خليفة كلام القرد اخذ الشبكة ونزل بها الى البحر ورماها وارخى لها الحبال ثم سحبها فوجدها اثقل من المرة الاولى فلم يزل يعالج فيها حتى طلعت الى البر واذا فيها قرد آخر مفلج الاسنان مكحل العينين مخضب اليدين من رقه ويضحك وفي وسطه ثوب خلق فقال خليفة الحمد لله الذي ابدل سمك البحر بقرود ثم اتى الى ذلك القرد المربوط في الشجرة وقال له انظر يا مشئوم ما اقبح ما اشرت به علي فما اوقعني في القرد الثاني الا انت فانك لما صبحتني بعينك وعرجك اصبحت تعبانا تعبانا لا املك درهما ولا دينارا ثم انه اخذ السوط في يده ولوحه في الهواء ثلاث مرات واراد ان ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له سألتك بالله ان تعفو عني لاجل صاحبي هذا واطلب منه حاجتك فانه يدلك على ما تريد فرمى خليفة السوط وعفا عنه ثم اتى الى القرد الثاني ووقف عنده فقال له القرد يا خليفة هذا الكلام ما يفيدك شيئا الا اذا سمعت مني ما اقول لك فان سمعت مني وطاوعتني ولم تخالفني كنت انا السبب في غناك فقال له خليفة ما الذي تقوله لي حتى اطيعك فيه فقال له خلني مربوطا مكاني وقم الى البحر وارم شبكتك حتى اقول لك اي شيء تفعله بعد هذا فاخذ خليفة الشبكة ومضى الى البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها حتى طلعها الى البر واذا فيها قرد آخر الا ان هذا القرد احمر وفي وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين فلما نظره خليفة قال سبحان الله العظيم سبحان مالك الملك ان هذا اليوم مبارك من اوله الى آخره لان طالعه سعيد بوجه القرد الاول والصحيفة تظهر من عنوانها فهذا اليوم يوم قرود لم يبق في البحر ولا سمكة وما خرجنا اليوم الا لنصطاد القرود الحمد لله الذي بدل السمك بقرود ثم التفت الى القرد الثالث وقال له اي شيء تكون انت الآخر يا مشئوم فقال له هل انت لا تعرفني يا خليفة قال لا قال انا قرد ابي السعادات اليهودي الصيرفي فقال له خليفة واي شيء تصنع فقال له اصبح في اول النهار فيكتسب خمسة دنانير واصبح في آخر النهار فيكتسب خمسة دنانير فالتفت خليفة

حكاية رمي الصياد الشبكة في المرة الثالثة لنزول وطلوع قرد ثالث احمر مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين في وسطه ثياب زرق

الى البحر الاول وقال له قل يا مسعود ما احسن قرود الناس واما انت فتصبحني بعوينك ويوجهك وشوم طلعتك ... فلما تم كلامه اخذ المسوقة وثقفها في الهواء ثلث مرات واراد ان ينزل بها عليه فقال له القرد ابي السعادات انكه باخليفة وارفع يدك وتعال عندي حتى اقول لك اي شيء تعمل فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدم اليه وقال له على اي شيء تقول لي ياسيد القرود كلها فقال له خذ الشبكة وارمها في البحر وحلّني انا وهؤلاء القرود فاعمل عندك وهما طلع لك منها فهاته وتعال عندي وانا اخبرك بما يسرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرد ابي السعادات لما قال لخليفة خذ شبكتك وارمها في البحر وكل شيء طلع لك منها هاته وتعال عندي حتى اخبرك بما يسرك قال له خليفة سمعا وطاعة ثم انه اخذ الشبكة وطواها على كتفه وانشد هذه الابيات

اذا ضاق صدري اسعيتُ لخالقي   قديرٌ على تيسير كلِّ عسيرِ
فقبل ان يرتد ابلطرف من لطف ربه   بفكاك اسيرٍ وانجبار كسيرِ
فسلّمْ الى الله الامور جميعها   فافضالهُ يدريه كلّ بصيرِ

ثم انشد هذين البيتين

انت الذي قد رميت الناس في تعبٍ   بفي همومٍ واسباب البليّاتِ
لا تطمعنّي بشيءٍ لست ادركهُ   كم طامعٍ فات تحصيل الارادات

فلما فرغ خليفة من شعره تقدم الى البحر ورمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها واذا فيها فرخ سمك كبير الراس وذنبه كانه مغرفة وعيناه كانهما دينارات فلما رآه خليفة فرح به لانه ما اصطاد مثله في عمره واحده وهو متعجب منه واتى به الى قرد ابي السعادات اليهودي وهو كانه قد ملك الدنيا باسرها فقال له ما تريد ان تصنع بهذا يا خليفة واي شيء تعمل في قردك فقال له خليفة انا اخبرك يا سيد القرود كلها بما افعله اعلم اني قبل كل شيء اتدبر في هلاك هذا الملعون قردي واتخذك عوضا عنه واطعمك في كل يوم ما تشتهيه فقال له القرد حيث انك قد اخترتني فانا اقول لك كيف تفعل انت ويكون فيه صلاح حالك ان شاء الله تعالى فافهم ما اقوله لك وهو انك تهيئ لي انا الآخر حبلا وتربطني به في شجرة ثم تتركني وتذهب الى وسط الرصيف وتطرح شبكتك في بحر الدجلة

واذا طرحتها فاصبر عليها قليلا واسحبها فانك تجد فيها سمكة ما رأيت اظرف منها طول عمرك فهاتها
وتعال عندى وانا اقول لك كيف تفعل بعد ذلك فعند ذلك قام خليفة من وقته وساعته و
طرح الشبكة فى بحر الدجلة وسحبها فرأى فيها سمكة بياض قدر الخروف ما رأى مثلها فى
طول عمره وهى اكبر من الحوت الاول فاخذها وذهب بها الى القرد فقال له القرد هات
لك قدرا من الحشيش الاخضر واجعل نصفه فى قفة وحط السمكة فيه وغطها بالنصف
الآخر واتركنا مربوطين ثم احمل القفة على كتفك وادخل بها فى مدينة بغداد وكل من كلمك
وسألك فلا ترد عليه جوابا حتى تدخل سوق الصيارف فتجد فى صدر السوق دكان المعلم
ابى السعادات اليهودى شيخ الصيارف وتراه قاعدا على مرتبة ووراءه مخدة وبين يديه
صندوقان واحد للذهب والآخر للفضة وعنده مماليك وعبيد وغلمان فتقدم اليه
وحط القفة قدامه وقل له يا ابا السعادات انى قد خرجت اليوم الى الصيد وطرحت
الشبكة على اسمك فبعث الله تعالى هذه السمكة فيقول هل عرضتها على غيرى فقل له لا
والله فيأخذها منك ويعطيك دينارا فرده عليه فيعطيك دينارين فردهما عليه وكلما
اعطاك شيئا رده عليه ولو اعطاك وزنها ذهبا فلا تأخذ منه شيئا فيقول لك قل لى
ما تريد فقل له والله ما ابيعها الا بكلمتين فاذا قال لك وما هما الكلمتان فقل له قم على
رجليك وقل اشهدوا يا من حضر فى السوق انى ابدلت قرد خليفة الصياد بقردى و
ابدلت قسمه بقسمى وبخته ببختى وهذا ثمنها ومالى حاجة بالذهب فاذا فعل معك
ذلك فانا كل يوم اصبحك وامسيك وتبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهبا و
يصير ابو السعادات اليهودى يصبحه هذا الاعور الاعرج فيبليه الله كل يوم
بغرامة يغرمها ولا يزال كذلك حتى يفتقر ويصير لا يملك شيئا ابدا فان سمعت منى ما اقوله
لك تسعد وترشد فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد قال له قبلت ما اشرت به على يا
ملك القرود كلها واما هذا المشؤم لا بارك الله فيه فانى لا ادرى اى شئ اعمل معه
فقال له سيبه فى الماء وسيبنى انا الآخر فقال سمعا وطاعة ثم تقدم الى القرود
وحلها وتركها فنزلت فى البحر وتقدم خليفة الى السمكة واخذها وغسلها وجعل تحتها
حشيشا اخضر فى المقطف وغطاها بحشيش ايضا وحملها على كتفه وسار يغنى بهذا القول

سلّم أمورك إلى رب السما تسلم ... وافعل جميلا بطول العمر لا تندم
ولا تعاشر لأرباب التهم تُتّهم ... وصن لسانك ولا تشتم به تُشتم

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما فرغ من معاينته حمل القفة على كتفه وسار ولم يزل سائرا الى ان دخل مدينة بغداد فلما دخلها عرفه الناس فصاروا يصيحون عليه ويقولون ايش معك يا خليفة وهو لا يلتفت الى احد منهم حتى وصل الى سوق الصيارف ومر على الدكاكين كما اوصاه القرد ثم نظر الى دكان اليهودي فرآه جالسا في الدكان والغلمان في خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسان فلما رآه خليفة عرفه فمشى حتى وقف بين يديه فرفع اليهودي اليه رأسه فعرفه وقال له اهلا بك يا خليفة ما حاجتك وما الذي تريد ان كان احد كلمك او خاصمك قل لي حتى اروح معك الى الوالي فآخذ لك حقك منه فقال لا وحق رأسك يا قدوة اليهود ما كلمني احد وانما انا سرحت اليوم من بيتي على بختك ومضيت الى البحر ورميت شبكتي في الدجلة فطلعت هذه السمكة ثم فتح القفطف ورمى السمكة قدام اليهودي فلما رآها اليهودي استحسنها فقال وحق التوراة والعشر الكلمات اني كنت نائما البارحة فرأيت في المنام كأني بين يدي العذراء وهي تقول لي اعلم يا ابا السعادات اني قد ارسلت اليك هدية مليحة فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك ثم انه التفت الى خليفة وقال له بحق دينك هل رآها احد غيري فقال له خليفة لا والله وحق ابي بكر الصديق يا قدوة اليهود ما رآها احد غيرك فالتفت اليهودي الى بعض غلمانه وقال له تعال خذ هذه السمكة ورح بها الى البيت وخل سعادة تجهزها وتقلي وتشوي الى حين اقضي شغلي واجي فقال له خليفة ايضا رح يا غلام خل مرأة المعلم تقلي منها وتشوي منها فقال الغلام سمعا وطاعة يا سيدي ثم انه اخذ السمكة وذهب بها الى البيت واما اليهودي فانه مد يده بدينار وناوله لخليفة الصياد وقال له خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك فلما نظره خليفة في كفه قال سبحان مالك الملك وكأنه ما نظر شيئا من الذهب في عمره واخذ الدينار ومشى قليلا ثم انه تذكر وصية القرد فرجع ورمى له الدينار وقال له خذ ذهبك وهات سمك الناس هل انت عندك الناس سخرية فلما سمع اليهودي كلامه ظن انه يلعب معه فناوله دينارين على الدينار الاول فقال له خليفة هات السمك بلا لعب هل انت تعرف اني ابيع السمك بهذا الثمن فمد اليهودي يده الى اثنين آخرين وقال له خذ هذه الخمسة

حكاية شراء اليهودي السمكة من خليفة الصياد

دنانير حق السمك واترك الطمع فاخذها خليفة في يده وتوجه بها وهو فرحان وصار
ينظر الى الذهب ويتعجب منه ويقول سبحان الله ليس مع خليفة بغداد مثل ما معى
في هذا اليوم ولم يزل سائرا حتى وصل الى راس السوق ثم تذكر كلام العزة والوصية
التى اوصاه بها فرجع الى اليهودى ورمى له الذهب فقال له ما لك يا خليفة اى شئ
تطلب اتاخذ صرف دنانيرك دراهم فقال له لا اريد دراهم ولا دنانير وانما اريد ان
تعطينى ثمن سمك الناس فغضب اليهودى وصرخ عليه وقال له يا صياد اتجئ لى بسمكة
لا تساوى دينارا واعطيك فيها خمسة دنانير فلا ترضى هل انت مجنون فلا تبيعها
فقال له خليفة انا لا ابيعها بفضة ولا بذهب وما ابيعها الا بكلمتين تقولهما لى فلما
سمع اليهودى ذكر الكلمتين قامت عيناه في ام راسه وضاقت انفاسه وقرط على
اضراسه وقال له يا نطافة المسلمين هل تريد ان افرق دينى لاجل سمكتك وتفسد على
ملتى وعقيدتى التى وجدت عليها ابائى من قبلى وصاح على غلمانه فحضروا بين يديه
فقال لهم ويلكم دونكم هذا النحس اقطعوا بالصفع قفاه واكثروا من الضرب اياه فنزلوا
عليه بالضرب وما زالوا يضربونه حتى وقع تحت الدكان فقال لهم اليهودى خلوا
عنه حتى يقوم فقام خليفة على حيله كأنه لم يكن به شئ فقال له اليهودى قل لى
اى شئ تريده في ثمن هذه السمكة وانا اعطيك اياه فانك ما نلت منا خيرا في هذه
الساعة فقال خليفة لا تخف على يا معلم من الضرب لانى اكل ضربا مثل عشرة حمير
فضحك اليهودى من كلامه وقال له بالله عليك قل لى اى شئ تريد وانا وحق دينى
اعطيك اياه فقال له لا يرضينى منك في ثمن هذه السمكة الا الكلمتان فقال له
اليهودى اظن انك تطلب منى ان اسلم فقال له خليفة والله يا يهودى ان اسلمت
فسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضر اليهود وان بقيت على كفرك فكفرك لا يضر المسلمين
ولا ينفع اليهود ولكن الذى اطلبه منك ان تقوم على قدميك وتقول اشهدوا
على يا اهل السوق انى قد بدلت قردى بقرد خليفة الصياد وحظى في الدنيا بحظه
وبختى ببخته فقال اليهودى ان كان هذا الامر مرادك فهو على هين وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اليهودى قال لخليفة الصياد ان كان هذا الامر

مرادك فهو على ما تحب ثم قام اليهودي من وقته وساعته ووقف على قدميه وقال مثل ما قال له خليفة الصياد فبعد ذلك التفت اليه وقال له هل بقي لك عندي شيء فقال الصياد لا فقال له اليهودي مع السلامة فنهض خليفة من وقته وساعته واخذ قفصه وشبكته وجاء الى بحر الدجلة ورمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فاطلعها بعد جهد فلما اطلعها رآها ملآنة بالسمك من جميع الاصناف فجاءت له امرأة ومعها طبق فاعطته دينارا فاعطاها بدينار سمكا وجاء اليه خادم آخر واخذ منه بدينار وهكذا حتى باع سمكا بعشرة دنانير ولم يزل يبيع في كل يوم بعشرة دنانير الى مدة عشرة ايام حتى جمع مائة دينار ذهبا وكان لخليفة الصياد بيت من داخل ممر التجار فبينما هو نائم في بيته ليلة من الليالي قال في نفسه يا خليفة ان الناس كلهم يعرفون انك رجل فقير صياد وقد حصل معك مائة دينار من الذهب فلا بد ان امير المؤمنين هارون الرشيد يسمع بخبرك من احد الناس فربما يحتاج الى مال فيرسل اليك ويقول لك اني محتاج الى مبلغ من الدنانير وقد بلغني ان عندك مائة دينار فاقرضني اياها فاقول يا امير المؤمنين انا رجل فقير والذي اخبرك ان عندي مائة دينار كذب علي وليس معي ولا عندي شيء من ذلك فيسلمني الى الوالي ويقول له جرده من ثيابه وعاقبه بالضرب من هذه الورطة اني اقوم في هذه الساعة واعاقب نفسي بالسوط لاكون قد تمرنت على الضرب وقال له حشيشه قم تجرد من ثيابك فقام من وقته وساعته وتجرد من ثيابه واخذ في يده سوطا كان عنده وكان عنده مخدة من جلد فصار يضرب على تلك المخدة ضربة وعلى جلده ضربة ويقول آه آه والله ان هذا كلام باطل يا سيدي واللهم يكذبون علي وانا رجل فقير صياد وليس معي شيء من حطام الدنيا فسمع الناس خليفة الصياد وهو يعاقب نفسه ويضرب فوق المخدة بالسوط ولوقع الضرب على جسده وعلى المخدة دوي في الليل ومن جملة من سمعه التجار فقالوا يا ترى ما لهذا المسكين يصيح ونسمع وقع الضرب نازلا عليه فكأن اللصوص قد نزلوا عليه وهم الذين يعاقبونه فعند ذلك قاموا كلهم على حس الضرب والصياح وخرجوا من منازلهم وجاؤا الى بيت خليفة فرأوه مقفولا فقالوا لبعضهم ربما تكون اللصوص نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغي ان نطلع من السطوح فطلعوا السطوح ونزلوا من المرق فرأوه عريانا وهو يعاقب نفسه فقالوا له ما لك يا خليفة اي شيء خبرك فقال لهم اعلموا يا جماعة اني حصلت بعض دنانير وانا خائف ان يرفع امري الى امير المؤمنين هارون

حكاية ضرب خليفة الصياد لنفسه في الليل

الرشيد فيحضرنى بين يديه ويطلب منى تلك الدنانير فانكر واذا انكرت اخاف ان يعاقبنى وها انا اعاقب نفسى واجعل ذلك تمرينا لنفسى على ما يأتى فصحب عليه التجار وقالوا له انزل شدك الفعال لا بارك الله فيك ولا فى الدنانير التى جاءتك وقد اقلقتنا فى هذه الليلة وازعجت قلوبنا فبطل خليفة الضرب عن نفسه ونام الى الصباح فلما قام من النوم واراد ان يذهب الى شغله تفكر فى امر المائة دينار التى حصلت معه وقال فى نفسه ان تركتها فى البيت يسرقها اللصوص وان وضعتها فى كمر على وسطى فربما ينظرها احد فيترصدنى حتى انفرد فى مكان خال عن الناس فيقتلنى ويأخذها منى ولكن انا افعل شيئا من الحيل وهو مليح نافع جدا ثم انه نهض من وقته وساعته وخيط له جيبا فى طوق جبته وربط المائة دينار فى صرة ووضعها فى ذلك الجيب الذى عمله ثم قام واخذ شبكته وقفته وعصاه وسار حتى وصل الى بحر دجلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما وضع المائة دينار فى جيبه اخذ قفته وعصاه وشبكته وذهب الى بحر دجلة ورمى شبكته فيه ثم جذبها فلم يطلع له شئ فانتقل من ذلك الموضع الى موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شئ ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان حتى بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمى الشبكة ولم يطلع له شئ فقال فى نفسه والله انى ما بقيت ارمى شبكتى فى الماء الا هذه المرة فاما عليها واما بها فطرح الشبكة بقوة عزمه ومن شدة غيظه طارت الصرة التى فيها المائة دينار من طوقه ووقعت فى وسط البحر وراحت فى قوة التيار فرمى الشبكة من يده وتجرد من ثيابه وتركها على البر ونزل فى البحر وغطس على الصرة ولم يزل يغطس ويطلع نحو مائة مرة حتى ضعفت قوته وطلع قنطا ولم يقع بتلك الصرة فلما يئس منها طلع الى البر فلم يجد سوى العصا والشبكة والقفة وطلب ثيابه فلم يقع لها على اثر فقال فى نفسه اهجن ما يضرب به المثل لا تكمل الحجة الا بنيك الجمل ثم انه فرد الشبكة والتف فيها واخذ العصا فى يده والقفة على كتفه وسار يخب مثل الجمل الهائم يجرى يمينا وشمالا وخلفا واماما اشعث اغبر كأنه العفريت المتمرد اذا انطلق من السجن السليمانى هذا ما كان من امر خليفة الصياد واما ما كان من امر الخليفة هارون الرشيد فانه كان له صاحب جوهرى يقال له ابن القرناص وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسماسرة يعرفون ان ابن القرناص تاجر الخليفة وجميع ما يباع فى مدينة بغداد

من التحف وغيرها من الامور المثمنة لا يباع حتى يعرض عليه ومن جملة ذلك المماليك والجواري فبينما ذلك التاجر الذي هو ابن القرناص جالس في دكانه يوما من الايام واذا بشيخ الدلالين قد اقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراؤن مثلها وهي في غاية من الحسن والجمال والقد والاعتدال ومن جملة محاسنها انها تعرف في جميع العلوم والفنون ونظم الاشعار وتضرب على جميع آلالات الطرب فاشتراها ابن القرناص الجوهري بخمسة آلاف دينار ذهبا وكساها بالف دينار واتى بها الى امير المؤمنين فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة في كل علم وفي كل فن فرآها عارفة بجميع العلوم والصنائع ليس لها في عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب وهي كما قال الشاعر

أُرَدِّدُ الطَّرْفَ فِيهَا كُلَّمَا سَفَرَتْ	وَفِي تَمَنُّعِهَا لِلطَّرْفِ رَدَّاتُ
تَحْكِي الغَزَالَ بِجِيدٍ كُلَّمَا الْتَفَتَتْ	وَلِلغَزَالِ كَمَا قَدْ قِيلَ لَفَتَاتُ

واين هذا من قول الآخر

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ تُرْوَى عَنْ مَعَاطِفِهِ	أَلسُّمْرُ الرِّشَاقُ عَوَالِي سَمْهَرِيَّاتُ
سَاجِي الجُفُونِ حَرِيرِيِّ العِذَارِ لَهُ	فِي قَلْبِ عَاشِقِهِ المُضْنَى مَقَامَاتُ

فلما اصبح الصباح ارسل الخليفة هارون الرشيد الى ابن القرناص الجوهري فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية ثم ان الخليفة اشتغل قلبه بتلك الجارية المسماة بقوت القلوب وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهي بنت عمه وترك جميع المحاظي وقعد شهرا كاملا لم يخرج من عند تلك الجارية الا لصلوة الجمعة ثم يعود اليها على الفور فعظم ذلك على ارباب الدولة فشكوا هذا الامر الى الوزير جعفر البرمكي فصبر الوزير على امير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة فدخل الجامع واجتمع بامير المؤمنين وحكى له جميع ما وقع له من القصص التي تتعلق بالعشق الغريبة لاجل ان يستخرج ما عنده فقال له الخليفة يا جعفر والله ان ذلك الامر ليس باختياري ولكن قلبي تعلق في شرك الهوى وما ادري كيف يكون العمل فقال له الوزير جعفر اعلم يا امير المؤمنين ان هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت امرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهده النفس وانا اخبرك بشئ آخر وهو ان احسن ما تفتخر به الملوك وابناء الملوك هو الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص فاذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها فقال له الخليفة نعم ما قلته يا جعفر فامض بنا على الفور في هذه الساعة الى الصيد فلما انقضت صلوة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتهما وساعتهما وسارا الى الصيد والقنص وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن

الكلام

الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد لما طلع هو وجعفر إلى الصيد والقنص سار إلى أن وصلا إلى البرية وقد كان أمير المؤمنين وأبو جعفر راكبين على بغلتين فصارا مشتغلين في الحديث مع بعضهما وسبقهما العسكر وقد حمي عليهما الحر فقال الرشيد يا جعفر إني قد حصل لي العطش الشديد ثم إن الرشيد صار ينظر فرأى شخصا على كوم عال فقال لجعفر هل أنت ناظر ما أنا ناظره فقال له الوزير نعم يا أمير المؤمنين أنظر شخصا على كوم عال وهو إما حارس بستان أو حارس مقثأة وعلى كل حال لا يخلو مكانه من الماء فقال الوزير أنا أمضي إليه وآتيك منه بشربة فقال الرشيد إن بغلتي أسرع من بغلتك فقف أنت ههنا من أجل العسكر وأنا أمضي بنفسي وآتي من عند هذا الشخص وأعود فساق الرشيد بغلته فجرت مثل الريح العاصف أو سيل الماء المنحدر فوصل إلى ذلك الشخص في لمح البصر فلم يجد ذلك الشخص إلا خليفة الصياد فرآه الرشيد وهو عريان ملفوف بالشبكة وعيناه من غاية الاحمرار كأنهما مشاعل النار وهو بهيئة شنيعة وقد صار أغبر كأنه عفريت أو غضنفر فسلم عليه الرشيد فرد عليه السلام وهو غضبان ومن عينيه تلتهب النيران فقال له الرشيد يا رجل هل عندك شيء من الماء فقال له خليفة يا هذا هل أنت أعمى أو مجنون قد رأيت بحر دجلة فإنه وراء هذا الكوم فدار الرشيد من خلف الكوم ونزل إلى بحر دجلة وشرب وسقى بغلته ثم طلع من وقته وساعته ورجع إلى خليفة الصياد فقال له ما شأنك يا رجل وما قعودك هنا وما صنعتك فقال له خليفة إن هذا السؤال أعجب وأغرب من سؤالك عن الماء أما ترى آلة صنعتي على كتفي فقال له الرشيد كأنك صياد فقال له نعم فقال له الرشيد فأين جبتك وأين قميصك وأين حزامك وأين ثيابك وقد كانت الحوائج التي أخذت من خليفة مثل التي ذكرها له سواء بسواء فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن في نفسه أنه هو الذي أخذ ثيابه من على شاطئ البحر فنزل خليفة من وقته وساعته من فوق الكوم أسرع من البرق الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له يا رجل هات لي حوائجي وخل عنك اللعب والمزاح فقال له الخليفة أنا والله ما رأيت ثيابك ولا أعرفها وقد كان الرشيد له خدود وأكتاف وفم

عصى فقال له خليفة ما آخذ منك الا قيراط ولكن هات لى ثيابى التى هى عندك والا ضربتك بهذه العصا [illegible] ولوث ثيابك [illegible] من خليفة [illegible] العصا مع خليفة الصياد [illegible] قال فى نفسه والله انا ما احمل من هذا الصعلوك الممرور [illegible] بهذه العصا وكان على الرشيد قباء من اطلس فقلعه وقال للخليفة يا رجل خذ هذا القباء عوضا عن ثيابك فاخذه خليفة وقلبه وقال ان ثيابى تساوى عشرة من هذه العباءة المزوقة فقال الرشيد البسه حتى اجئ لك بثيابك فاخذه خليفة ولبسه فرآه طويلا عليه وقد كان مع خليفة سكين مربوطة فى اذن القفة فاخذها وقطع بها [illegible] مقدار ثلثه حتى صار [illegible] ثم التفت الى الرشيد وقال له خويلد [illegible] [illegible] بكل شهر [illegible] فى صنعة الصيد

فقال له الخليفة ما [illegible] فى كل شهر عشرة دنانير فقال له خليفة والله يا مسكين [illegible] والله ان [illegible] فى كل [illegible] ان تكون معى [illegible] [illegible] فى كل يوم خمسة دنانير ويكون [illegible] واحد [illegible] فقال له الرشيد [illegible] بذلك فقال له خليفة انزل الآن [illegible] فوق ظهر الحمارة واربطها حتى تبقى تعين فى حمل السمك و [illegible] حتى [illegible] صيد وهذه الشبكة [illegible] الرشيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذه الشبكة [illegible] واعمل [illegible] وارمها فى [illegible] [illegible] ما اراه خليفة ورمى الشبكة فى البحر وسحبها فما قدر ان يطلعها فجاء خليفة فقوى سحبها معه [illegible] على تطلعها فقال لخليفة يا زمر [illegible] ان كنت اخذت عباءتك عوضا عن ثيابى فى المرة الاولى فى هذه المرة اخذ حمارك فى شبكتى ان رأيتها تقطعت و [illegible] حتى تثناب على روحك وتحزقوا فقال له الرشيد اسحب انا وانت [illegible] فسحبا الاثنان معا فما قدرا ان يطلعا تلك الشبكة الا بالتعب فلما اطلعاها نظرها فاذا هى ملآنة من جميع انواع السمك ومن سائر الوانه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما اطلع الشبكة [illegible] الخليفة رآها ملآنة من جميع اصناف السمك فقال له خليفة والله انا زمار [illegible]

الصيد تكون صيادا عظيما قال الراى الصواب انك تركب حمارتك وتروح الى السوق وتأتى بفردين وانا احفظ هذا السمك حتى تحضر ونحمله انا وانت على ظهر حمارتك وعندى الميزان والارطال وجميع ما تحتاج اليه فناخذ الجميع معنا وليس عليك الا ان تمسك الميزان وتقبض الاثمان فان معنا سمكا يساوى عشرين دينارا فاسرع بمجئ الفردين ولا تبطئ فقال له الخليفة سمعا وطاعة ثم تركه وترك السمك وساق بغلته وهو فى غاية الفرح ولم يزل يضحك على ما جرى له مع الصياد حتى وصل الى جعفر فلما رآه جعفر قال له يا امير المؤمنين لعلك لما رحت الى الشرب وجدت بستانا طيبا قد خلته وحدك فيه فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك ثم ان جميع البرامكة قاموا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا امير المؤمنين ادام الله عليك الافراح وازال عنك الاتراح ما سبب تأخيرك حين ذهبت الى الشرب وما الذى جرى لك فقال لهم الخليفة لقد جرى لى حديث عجيب وامر مطرب مجيب ثم اعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله انت سرقت ثيابى ومن كونه اعطاه قباءه ومن كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلا فقال له جعفر والله يا امير المؤمنين لقد كان فى خاطرى انى اطلب القباء منك ولكن اروح فى هذه الساعة الى الصياد واشتريها منه فقال له الخليفة والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها واتلفها ولكن يا جعفر قد كلت من صيدى فى البحر لانى قد اصطدت سمكا كثيرا وهو على شاطئ البحر عند معلمى خليفة فانه واقف هناك ينتظرنى حتى ارجع اليه وآخذ له فردين وساطورا ثم اروح انا واياه الى السوق فنبيعه ونقسم ثمنه فقال له يا امير المؤمنين وانا اجئ اليكم بالذى يشترى منكم فقال له الخليفة يا جعفر وحق آبائى الطاهرين ان كل من جاء لى بسمكة من السمك الذى قدام خليفة الذى علمنى الصيد اعطيه فيها دينارا ذهبا فنادى المنادى فى العسكر ان اطلعوا واشتروا سمكا لامير المؤمنين فطلع المماليك وقصدوا شاطئ البحر فبينما خليفة ينتظر امير المؤمنين حتى يحضر له فردين واذا بالمماليك قد انقضوا عليه مثل العقبان واخذوا السمك ووضعوه فى مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه فقال خليفة لا شك ان هذا السمك من سمك الجنة ثم اخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل فى الماء الى حلقه وصار يقول يا الله بحق هذا السمك ان عبدك الزمار شريكى يجئ فى هذه الساعة واذا بعبد قد اقبل عليه وكان ذلك العبد مقدما على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة وكان سبب

تأخره عن المماليك ان بوابه وقف يبول في الطريق فلما وصل عبد خليفة وجد السمك لم يبق منه شيء قليل ولا كثير فنظر يمينا وشمالا فرأى خليفة الصياد واقفا في الماء ومعه السمك فعند ذلك قال له يا صياد تعال فقال له الصياد رح بلا فضول فتقدم اليه الخادم وقال له هات هذا السمك وانا اعطيك الثمن قال خليفة الصياد للخادم هل انت قليل العقل انا لا ابيعه فسحب عليه الدبوس فقال له خليفة لا تضرب يا شقي فالانعام خير من الدبوس ثم انه رمى اليه السمك فاخذه الخادم وجعله في منديله وحط يده في جيبه فلم يجد ولا درهما واحدا فقال العبد يا صياد ان بختك مشئوم وانا والله ما معي شيء من الدراهم ولكن في غد تعال في دار الخلافة وقل دلوني على الطواشي صندل فيدلك الخدام علي فاذا جئتني هناك يحصل لك الذي فيه النصيب فتأخذه وتروح الى حال سبيلك فعند ذلك قال خليفة ان هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من اوله ثم انه اخذ شبكته على كتفه ومشى حتى دخل بغداد ومشى في الاسواق فرأى الناس خلعة الخليفة عليه وصاروا ينظرون اليه حتى دخل الحارة وكان دكان خياط امير المؤمنين على باب الحارة فنظر الخياط خليفة الصياد وعليه خلعة تساوي الف دينار وهي من ملابس الخليفة فقال يا خليفة من اين لك هذه الفرجية فقال له خليفة واي شيء لك في الفضول انا اخذتها من الذي علمته الصيد وصار غلامي وعفوت عنه من قطع يده لانه سرق ثيابي واعطاني هذه العباءة عوضا عنها فعلم الخياط ان الخليفة قد عبر عليه وهو يصطاد ومزح معه واعطاه الفرجية

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخياط علم ان الخليفة قد عبر على خليفة الصياد وهو يصطاد وقد مزح معه واعطاه الفرجية ثم توجه الصياد الى بيته هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الخليفة هارون الرشيد فانه ما طلع الى الصيد والقنص الا لاجل ما يشتغل عن الجارية قوت القلوب وكانت زبيدة لما سمعت بالجارية واشتغال الخليفة بها اخذها ما يأخذ النساء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والشراب وهجرت لذيذ المنام وصارت تنتظر غياب الخليفة او سفره حتى تنصب لقوت القلوب شرك المكائد فلما علمت ان الخليفة خرج الى الصيد والقنص امرت الجواري ان يفرشن الدار

حكاية اخذ الغيرة لزبيدة على قوت القلوب

واكثرت من الزينة والانتخار ووضعت الاطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلك طبقا صينيا فيه حلاوة من الطف ما يكون ووضعت فيه البنج وبنجته ثم انها امرت بعض الخدام ان يمضي الى الجارية قوت القلوب ويدعوها الى زاد السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين ويقول لها ان زوجة امير المؤمنين قد شربت اليوم دواء وقد سمعت بطيب نغماتك فاشتهت ان تتفرج على شيء من صناعتك فقالت سمعا وطاعة لله وللسيدة زبيدة ثم انها نهضت قائمة من وقتها وساعتها ولم تعلم بما هو مخبوء لها في الغيب واخذت معها ما تحتاج من الآلات وسارت مع الخادم ولم تزل سائرة حتى دخلت على السيدة زبيدة فلما دخلت عليها قبلت الارض بين يديها مرارا عديدة ثم نهضت قائمة على قدميها وقالت السلام على السعد الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسية والبضعة النبوية وفقك الله للاقبال والسلامة في الايام والاعوام ثم وقفت من جملة الجواري والخدام فعند ذلك رفعت اليها السيدة زبيدة رأسها وتأملت الى حسنها وجمالها فرأت جارية اسيلة الخدود رمانية النهود بوجه اقمر وجبين ازهر وطرف احور قد سكنت جفونها فتورا وابتهج وجهها نورا كأن الشمس تطلع من غرتها وظلام الليل من طرتها والمسك يفوح من نكهتها والازهار تزهو من بهجتها والقمر يبدو من جبينها والغصن يميل من قدها كأنها البدر اذا تناهى فقد اشرق في جنح الظلام وقد تغزلت عيناها وتقوست حاجباها وصيغت من المرجان شفتاها تذهل بحسنها من نظرها وتسحر بطرفها كل من رآها جل من خلقها وكملها وسواها وهي كما قال الشاعر فيمن صاهاها

اذا غضبت رأيت الناس قتلى ... وان رضيت فارواح تعود
لها من طرفها لحظات سحر ... تميت بها وتحيي من تريد
وتسبي العالمين بمقلتيها ... كأن العالمين لها عبيد

ثم ان السيدة زبيدة قالت لها اهلا وسهلا ومرحبا بك يا قوت القلوب اجلسي حتى تفرجينا على اشغالك وحسن صناعتك فقالت سمعا وطاعة ثم جلست ومدت يدها واخذت الدف الذي قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

أيا ذا الطار قلبي طار شوقا ... ويصرخ من جواه وانت تضرب
فلم تأخذ سوى قلب جريح ... على توقيعك الانسان يرغب
فقل قولا ثقيلا او خفيفا ... وغنّ ما تشاء فانت تطرب
وطب واخلع عذارك يا محبي ... وقم وارقص وملْ واعجب وعجّب

ثم ضربت ضربا كثيرا وغنت حتى اوقفت الطير وهاج بهم المكان ثم حطت الدف واخذت الشبابة التي قيل فيها هذا البيت

لها اعين انسانها باصابع يشير الى لحن صحيح بلا شكل

وكما قال الشاعر ايضا هذا البيت

اذا انهت الى القصد الاغاني يطيب الوقت من طرب بوصل

ثم انها حطت الشبابة بعد ان طرب بها كل من حضر ثم اخذت العود الذي قال فيه الشاعر

وغصن رطيب عاد عودا لقينة تحن اليها الاكرمون الافاضل
تجس وتبلوه لفرط ذكائها باناملها ما انفقته الشمائل

فشدت اوتاره وحركت اذانه وحطته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها فكان الشاعر قال فيها وفي عودها هذه الابيات

مذ افصحت بالوتر الاعجمي او افهمت من لم يكن يفهم
وخبرت ان الهوى قاتل يودي بعقل الرجل المسلم
جارية لله من كفها مستوفر ينطق عن ذي فم
قد حبست بالعود جري الهوى مثل الطبيب الحاذق بحري الدم

ثم ضربت اربع عشرة طريقة وغنت عليه نوبة كاملة حتى ادهشت الناظرين واطربت السامعين ثم انشدت هذين البيتين

قدوم عليك مبارك فيه السرور يجدد
افنا له متواتر ونعيمه لا ينفد

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قوت القلوب لما غنت الاشعار وضربت على الاوتار بين يدي السيدة زبيدة قامت بعد ذلك ولعبت بالشعبذة والدكيات وكل فن مليح حتى ان السيدة زبيدة كادت ان تعشقها وقالت في نفسها ما يلام ابن عمي الرشيد في عشقها ثم ان الجارية قبلت الارض بين يدي زبيدة وقعدت فقدموا لها الطعام ثم قدموا الحلوى وقدموا الصحن الذي فيه البنج فاكلت منه فما استقرت الحلوى في جوفها حتى انقلبت راسها وانطرحت على الارض نائمة فقالت السيدة زبيدة للجواري ارفعنها الى بعض المقاصير

حتى اطلبها فقلن لها سمعا وطاعة ثم قالت لبعض الخدام اعمل لنا صندوقا وائتني به ثم امرت ان يعمل صورة قبر وليشيعوا ان الجارية قد شرقت وماتت ونبهت على خواصها ان كل من قال انها بالحيوة تضرب رقبته واذا بالخليفة قد اتى في تلك الساعة من الصيد والقنص واول ما سأل عن الجارية فتقدم اليه بعض خدمه وقد كانت اوصته السيدة زبيدة انه اذا سأله الخليفة عنها يقول له انها ماتت فقبل الارض بين يديه وقال له يا سيدي تعيش راسك وتيقن ان قوت القلوب غصّت بالطعام فماتت فقال الخليفة لا بشرك الله بالخير يا عبد السوء ثم قام ودخل القصر فسمع بموتها من كل من في القصر فقال اين قبرها فاتوا به الى التربة واروه القبر الذي عمل تزويرا وقالوا له هذا قبرها فلما نظره صاح واعتنق القبر وبكى وانشد هذين البيتين

بِاللّٰهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا ... وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا اُفُقٌ ... فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

ثم ان الخليفة بكى عليها بكاء شديدا ومكث هناك ساعة زمانية ثم قام من عند القبر وهو في غاية الحزن فعلمت السيدة زبيدة ان حيلتها قد تمت فقالت للخادم هات الصندوق فاحضره بين يديها فاحضرت الجارية ووضعتها فيه وقالت للخادم اجتهد في بيع الصندوق واشترط على من يشتريه انه يشتريه وهو مقفول ثم تصدّق بثمنه فاخذه الخادم وخرج من عندها وامتثل امرها هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر خليفة الصياد فانه لما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قال ليس لي شغل في هذا اليوم احسن من رواحي الى الطواشي الذي قد اشترى مني السمك فانه واعدني ان اروح اليه في دار الخلافة ثم ان خليفة خرج من داره قاصدا دار الخلافة فلما وصل اليها وجد المماليك والعبيد والخدم قياما وقعودا فتأملهم واذا بالخادم الذي اخذ منه السمك جالس والمماليك في خدمته فصاح عليه غلام من المماليك فالتفت اليه الخادم لينظر من هو واذا هو بالصياد فلما عرف الصياد انه رآه وتحقق ذاته قال له ما قصرت يا شقير هكذا تكون اصحاب الامانات فلما سمع الخادم كلامه ضحك عليه وقال له والله لقد صدقت يا صياد ثم ان الخادم صندل اراد ان يعطيه شيئا فمد يده الى جيبه واذا بصياح عظيم فرفع الخادم راسه لينظر ما الخبر واذا بالوزير جعفر البرمكي خارج من عند الخليفة فلما رآه الخادم نهض اليه قائما ومشى بين يديه وصارا يتحدثان وهما ماشيان حتى طال الوقت فوقف خليفة الصياد مدة والخادم لم يلتفت اليه فلما طال وقوفه تعرّض اليه الصياد وهو بعيد عنه واشار اليه بيده وقال يا سيدي شقير خلي

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع قوت القلوب [illegible]

اروح فسمعه الخادم واستحى ان يرده خائباً بسبب حضور الوزير جعفر وصار الخادم يتحدث مع الوزير وبينما هو مشتغل عن الصياد قال خليفة يا ابا طالب قبح الله كل ثقيل وكل من يأخذ متاع الناس وينتاقل عليهم انا دخيلك يا سيدي كرش النخال ان تعطيني الذي لي لاجل ان اروح فسمعه الخادم فاستحى من جعفر ورآه ايضاً جعفر وهو يشير بيده ويتحدث مع الخادم ولكنه لم يعرف ما يقول له فقال للخادم وقد انكر عليه يا طواشي اي شيء يطلب منك هذا السائل المسكين فقال له صندل الخادم اما تعرف هذا يا مولانا الوزير فقال الوزير جعفر والله ما اعرفه ومن اين اعرف هذا وانا ما رأيته الا في هذه الساعة فقال له الخادم يا مولانا هذا الصياد الذي نهبنا سمكه من شاطئ دجلة وكنت انا ما لحقت شيئاً واستحييت ان ارجع الى امير المؤمنين بلا شيء وكل المماليك قد اخذ وانا ما وصلت اليه وجدته واقفاً في وسط البحر يدعو الله ومعه اربع سمكات فقلت له هات ما معك وخذ حقه فلما اعطاني السمك ادخلت يدي في جيبي واردت ان اعطيه شيئاً فما رأيت فيه شيئاً فقلت له تعال الي في القصر وانا اعطيك شيئاً تستعين به على فقرك فجاءني في هذا اليوم فمددت يدي واردت ان اعطيه شيئاً فجئت انت فقمت في خدمتك واشتغلت بك عنه فطال عليه الامر فهذه قصته وهذا سبب وقوفه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

حكاية استعطاف جعفر الوزير صندل الطواشي على خليفة الصياد

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان صندل الطواشي لما حكى لجعفر البرمكي حكاية خليفة الصياد قال له بعد ذلك فهذه قصته وهذا سبب وقوفه فلما سمع الوزير كلام الطواشي تبسم منه وقال يا طواشي كيف جاء هذا الصياد في وقت حاجته ولم تقضها له اما تعرفه يا رئيس الطواشية قال لا قال هذا معلم امير المؤمنين وشريكه وقد اصبح اليوم مولانا الخليفة ضيق الصدر حزين القلب مشتغل البال وما له شيء يشرح صدره الا هذا الصياد فلا تخله يروح حتى اشاور عليه الخليفة واحضره بين يديه فلعل الله يفرج ما به ويسليه على فقد قوت القلوب بسبب حضوره فيعطيه شيئاً يستعين به فتكون انت السبب في ذلك فقال له الخادم يا مولاي افعل ما تريد فالله تعالى يبقيك ركناً لدولة امير المؤمنين ادام الله ظلها وحفظ فرعها واصلها ثم ان الوزير جعفر نهض متوجهاً الى الخليفة والخادم امر المماليك انهم لا يفارقون الصياد فقال خليفة الصياد عند ذلك ما اجمل احسانك يا اشقير فقد صار الطالب مطلوباً لاني جئت لاطلب مالي فحبسوني على البواقي فلما دخل جعفر على الخليفة وجده

قاعد وهو مطرق برأسه الى الارض ضيق الصدر كثير الفكر يترنم بقول الشاعر

تُكَلِّفُنِي السُّلْوَانَ عَنْهَا عَوَاذِلِي ... وَمَا لِي عَلَى قَلْبِي إِذَا لَمْ يُطِعْ يَدِي
وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ عَنْ حُبِّ طِفْلَةٍ ... عَلَى حُبِّهَا وَالْهَجْرِ لَا جَلْدَ صَبْرِي
وَلَمْ أَنْسَهَا وَالْكَأْسُ قَدْ دَارَ بَيْنَنَا ... وَقَدْ مَالَ فِي نَجْمِ لِحَاظِيهَا سُكْرِي

فلما صار جعفر بين يدي الخليفة قال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين فرفع الخليفة راسه وقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال جعفر عن اذن امير المؤمنين يتكلم عبده ولا حرج عليه فقال الخليفة ومتى كان عليك حرج في الكلام وانت سيد الوزراء تكلم بما تريد فقال له الوزير جعفر اني خرجت يا مولانا من بين يديك اريد داري فرأيت استاذك ومعلمك وشريكك خليفة الصياد واقفا بالباب وهو متغير منك يشتكي منك ويقول سبحان الله قد علمته الصيد وذهب ليأتيني بقفتين فلم يأت وما هذا الا شركة الا وما هو المعلمين فان كان لك غرض في الشركة فلا باس والا [illegible] فلما سمع الخليفة كلامه تبسم وزال ما كان عنده من ضيق الصدر ثم قال يا جعفر بحياتي عليك أحق ما تقوله من ان الصياد واقف بالباب قال جعفر وحياتك يا امير المؤمنين انه واقف بالباب فقال الخليفة يا جعفر والله لاسعين في قضاء حقه فان اراد الله على يدي شقاوة نالها وان اراد له على يدي سعادة نالها ثم ان الخليفة اخذ ورقة وقطعها قطعا وقال يا جعفر اكتب بيدك عشرين قدرا من دينار الى الف دينار ومراتب الولاية والامارات من اقل العمل الى الخلافة وعشرين صنفا من انواع النكال من اقل التعزير الى القتل فقال جعفر سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم كتب الاوراق بيده كما امره الخليفة ثم بعد ذلك قال الخليفة يا جعفر اقسم بحق آبائي الطاهرين واتصالي بحمزة وعقيل اني اريد ان احضر خليفة الصياد وآمره ان يأخذ ورقة من هذه الاوراق لا يعرف ما فيها الا انا وانت فاي شيء كان فيها ملكته له ولو كان فيها الخلافة نزعت نفسي منها وملكته اياها ولا ابخل بها عليه وان كان فيها شنق او قطع او هلاك فعلته به فاذهب وائتني به فلما سمع جعفر هذا الكلام قال في نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ربما يطلع لهذا المسكين شيء باتلافه فاكون انا السبب ولكن الخليفة قد حلف وما بقي الا انه يدخل ولا يكون الا ما يريده الله ثم توجه الى خليفة الصياد وقبض على يده واراد الدخول به فطار عقل خليفة من راسه وقال في نفسه اي شيء عيبي حتى جئت الى هذا العبد النحس [illegible]

حكاية خليفة الصياد [illegible]

يبني ومن كريم التخان امر بجعفر ان يرسل سائر ابيه والمماليك خلفه وقد تقدمه وهو يقول ما
كفى الحبس حتى يكون هولاء خلفي . ما هي فيجرموني ان اهرب ولم يزل جعفر سائرا به
حتى قطع سبعة دهاليز ثم قال للخليفة ويلك يا صياد انك تقف بين يدي امير المؤمنين
وحامي حومة الدين ثم رفع الستر الاكبر فوقعت عين خليفة الصياد على الخليفة وهو جالس
على سريره وارباب الدولة قيام في خدمته فلما عرفه تقدم اليه وقال اهلا وسهلا
يا زمار ما نعرف ان تعمل صيادا ثم تركتني قاعدا احرس السمك ورحت ولم تجئ فما
شعرت الا والمماليك ... اقبلوا ... فخطفوا السمك مني وانا واقف
وحدي وهذا كله منك ولو ... كنت ... لا ... اليوم ...
ولكن انا جئت في طلب حقي خمسة دنانير وانت من ... في هذا الموضع فتبسم الخليفة
ثم رفع طرف الستارة واخرج راسه من تحتها وقال له تقدم وخذ لك ورقة من هذه
الاوراق فقال خليفة الصياد لامير المؤمنين ... كنت ... زمار والان صرت منجما
ولكن من كثرت صنائعه كثر فقره فقال له جعفر خذ الورقة بسرعة من غير كلام وامتثل ما
امرك به امير المؤمنين فتقدم خليفة ... ومد يده وقال هيهات ان كان هذا
الزمار يرجع غلامي ويصطاد معي ثم اخذ الورقة وناولها الخليفة وقال يا زمار ما راى شئ
طلع لي فيها لا تخف منه شيئا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما اخذ ورقة من الاوراق وناولها
للخليفة قال له يا زمار ما راى شئ طلع لي فيها لا تخف منه شيئا فاخذها الخليفة بيده و
ناولها للوزير جعفر وقال له اقرأ ما فيها فنظر اليها جعفر وقال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقال الخليفة خيرا يا جعفر ما رأيت فيها فقال يا امير المؤمنين طلع في الورقة
يضرب الصياد مائة عصا فامر الخليفة بضربه مائة عصا فامتثلوا امره وضربوا الخليفة مائة
عصا ثم قام وهو يقول لعن الله هذا اللعب يا كريم التخان هل الحبس والضرب من جملة اللعب
فقال جعفر يا امير المؤمنين ان هذا المسكين جاء الى البحر وكيف يرجع عطشانا فانا نرجو من
صدقات امير المؤمنين ان يأخذ له ورقة اخرى فلعله يطلع له فيها شئ فيرجع به ليستعين
به على فقره فقال الخليفة والله يا جعفر ان اخذ ورقة وطلع له فيها قتل لاقتلنه فتكون
انت السبب فقال جعفر ان كان يموت فانه يستريح فقال له خليفة الصياد لابشرك الله

[illegible]

[illegible] الجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة امير المؤمنين الرشيد فما عندكم بارك الله فيكم فقال واحد من التجار والله ان هذه مخاطرة فما اقول كلاما فما على فيه ملام هو على بعشرين دينارا فقال آخر بخمسين دينارا ثم تزايد التجار به الى ان وصل مائة دينار فقال المنادي هل عندكم زيادة يا تجار فقال خليفة الصياد على بمائة دينار ودينار فلما سمع التجار كلام خليفة حسبوه يلعب فضحكوا عليه وقالوا يا طواشي بع الى خليفة بالمائة دينار ودينار فقال الطواشي والله ما ابيعه الا له خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب فخرج خليفة الذهب وسلمه الى الخادم ووقعت المعاقدة ثم ان الخادم

الصندوق بالمال ثم وضعه ورجع الى القصر واعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت
بذلك ثم ان خليفة استند الصندوق على كتفه فلم يقدر على حمله لعظم ثقله فحمله على
رأسه واتى به الى الحارة ووضعه عن رأسه وكان قد تعب فقعد يتفكر فيما جرى له وصار
يقول في نفسه يا ليت شعري ما في هذا الصندوق ثم فتح باب داره وعالج في الصندوق
حتى ادخله داره وبعد ذلك ما كان بعقله شيء فقال في نفسه اي شيء حصل في عقلي
حتى اشتريت هذا الصندوق فلابد من كسره والاطلاع على ما فيه ثم عالج القفل فلم يقدر فقال في
نفسه انا اخليه الى غد ثم طلب ان ينام فلم يجد موضعا ينام فيه لان الصندوق جاء
على قياس البيت فطلع ونام فوقه واستمر ساعة واذا بشيء يتحرك ففزع خليفة
وذهب عنه النوم وقد طار عقله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد لما نام على الصندوق واستمر ساعة واذا
بشيء يتحرك ففزع وطار عقله من النوم وقال كأن فيه جانا الحمد لله الذي ما جعلني
فتحته لاني لو كنت فتحته لقاموا علي في الظلام واهلكوني ولم يحصل لي منهم خير ثم انه رجع
ونام واذا بالصندوق تحرك ثانية اكثر من الاول فقعد خليفة قائما وقال هذه
مرة اخرى لكنها مزعجة ثم بادر الى السراج فلم يجده ولم يكن معه ما يشتري به سراجا
فخرج من البيت وصاح يا اهل الحارة وكان اكثر اهل الحارة نائمين فانتبهوا على
صياحه وقالوا ما لك يا خليفة فقال الحقوني بسراج فان الجان جاءوا لي فضحكوا عليه
واعطوه سراجا فاخذه ودخل بيته وضرب قفل الصندوق بحجر فكسره وفتح
الصندوق واذا هو بجارية كأنها حورية وهي نائمة في الصندوق وكانت مبنجة وقد
تقايأت البنج في تلك الساعة فاستفاقت وفتحت عينيها وحست بالضيق فتحركت
فلما رآها خليفة قام اليها وقال بالله يا سيدتي من اين انت ففتحت عينيها وقالت
هات لي ياسمينا ونرجسا فقال خليفة ما هنا الا تمر حناء فاستفاقت في نفسها
ونظرت خليفة فقالت له اي شيء انت ثم انها قالت واين انا فقال لها انت في بيتي قالت
اما انا في قصر الخليفة هارون الرشيد فقال لها اي شيء الرشيد يا مجنونة ما انت الا
جاريتي وفي هذا اليوم اشتريتك بمائة دينار ودينار وجئت بك الى بيتي وكنت في هذا الصندوق
نائمة فلما سمعت الجارية كلامه قالت له ما اسمك قال اسمي خليفة ما بال نجمي قد سعد

وانا اشرب بحيي من ذلك فضحكت وقالت دعني من هذا الكلام بل هل عندك شيء نأكل فقال والله ولا شيء نشرب وانا والله لي يومان ما اكلت شيئا وانا الآن محتاج الى لقمة فقالت له اما معك دراهم فقال الله يحفظ هذا الصندوق الذي افقرني لاني اردت ما كان فيه وبقيت مفلسا فضحكت عليه الجارية وقالت قم اطلب من جيرانك شيئا آكله فاني جائعة فقام خليفة وخرج من البيت وصاح يا اهل الحارة وقد كانوا راقدين فانتبهوا وقالوا ما لك يا خليفة فقال يا جيراني انا جائع وما عندي شيئا آكله فنزل له واحد بعيش وآخر بكسرة وآخر بقطعة جبن وآخر بخيارة وآخر ملأ مجرة فدخل البيت وحط الجميع بين يديها وقال لها كلي فضحكت عليه وقالت له كيف آكل من هذا ولا عندي كوز ماء اشرب منه فاني اخاف ان اشرق بلقمة فاموت فقال خليفة انا املأ لك هذه الجرة ثم اخذ الجرة وخرج في وسط الحارة وصاح يا اهل الحارة فقالوا له ما مصيبتك في هذه الليلة يا خليفة فقال لهم قد اعطيتموني طعاما فاكلت ولكن عطشت فاسقوني فنزل له هذا بكوز وهذا بابريق وهذا بقلة فملأ الجرة ودخل بها البيت وقال لها يا سيدتي ما بقي لك حاجة فقالت نعم ما بقي لي حاجة في هذا الوقت فقال لها كلميني وحدثيني بحديثك فقالت ويلك ان كنت لم تعرفني فانا اعرفك بنفسي انا قوت القلوب جارية الخليفة هارون الرشيد وقد غارت مني السيدة زبيدة فبنجتني ووضعتني في هذا الصندوق ثم قالت الحمد لله الذي كان هذا الامر سهلا ولم يكن غيره ولكن ما جرى لي هذا الامر الا لسعادتك فلا بد ان تاخذ من الخليفة الرشيد مالا كثيرا يكون سببا لغناك فقال لها خليفة اما هو الرشيد الذي كنت في قصره محبوسا قالت نعم قال والله ما رأيت ابخل منه ذلك الزمار القليل الخير والعقل فانه ضربني بالامس مائة عصا واعطاني دينارا واحدا مع اني علمته الصيد وشاركته فغدر بي فقالت له دع عنك هذا الكلام القبيح وافتح عينيك وعليك بالادب اذا رأيته بعد هذه المرة فانك تبلغ مرادك فلما سمع كلامها كان كأنه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لاجل سعادته فقال لها على الرأس والعين ثم قال لها باسم الله نامي فقامت ونامت ونام هو بعيدا عنها الى الصباح فلما اصبحت طلبت منه دواة وورقة فاحضرهما لها فكتبت الى ابن القرناص الذي هو صاحب الخليفة تخبره بحالها وما جرى لها من انها عند خليفة الصياد وقد اشتراها ثم رفعت له الورقة وقالت له خذ هذه الورقة وامض بها الى سوق الجواهر واسأل عن دكان ابن القرناص الجوهري واعطه هذه الورقة ولا تتكلم فقال لها خليفة سمعا وطاعة ثم انه اخذ الورقة من يدها ومضى بها الى سوق

اجواس ... [illegible] ... وسلم ... [illegible] ... السلام

احسفر ... [illegible] ... ضربها ... ابه

فعله ... [illegible] ... حليفه لا

... [illegible] ... بلما سوق مابها

... [illegible] ... من الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد ثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن القرناص ... [illegible] ... فيها

تناولها ووضعها على رأسه ... [illegible] ... خليفة وما

نردد بين ... [illegible] ... لا اسري لك

سيئا ... [illegible] ... لا اعطاك

الله عافيه ... [illegible] ... صاح على ... [illegible] ... فقال لهما امضيا مع هذا الرجل

الى دكان محسن الصيرفي وقولا له يا محسن اعط هذا الف دينار من الذهب ورجعا

بي ... [illegible] ... الى دكان الصيرفي وقالا له يا محسن اعط

هذا الرجل الف دينار من الذهب ... اعطاه اياها واخذها خليفة ورجع مع العبدين

الى دكان سيدهما فوجدوه راكب ... [illegible] ... والمماليك والغلمان

حوله وفي جنب بغلته بغلة ... مسرجة ملجمة فقال لخليفة بسم الله اركب

هذه البغلة فقال خليفة ... [illegible] ... والله لي ... ان ... فقال له ابى

ابن القرناص والله لا بد من ركوبك ... خليفة ليركبها فركبها مقلوبا ومسك ذنبها

وصرخ فرمته على الارض فضحكوا ... ثم قام وقال انا ما قلت لك ... هذه الحمار

... ابن القرناص ... خليفة في السوق وراح الى امير المؤمنين واعلمه بالجارية

ثم رجع ... الى بيته ... دخل البيت لسطر الجارية فراى اهل الحارة مجتمعين

وهم يقولون ان خليفة ... كله يا ترى هذه الجارية من اين له فقال واحد

منهم هذا قواد مجنون لعله وجدها في الطريق سكرانة فحملها واتى بها الى بيته وما غاب الا

لانه ... فبينما هم في الكلام واذا خليفة اقبل عليهم فقالوا له اي شيء حالك يا مسكين

اما تعرف ... فقال لا والله فقالوا في هذه الساعة ... مماليك واخذوا جاريتك

التي سرقتها ... فقال خليفة كيف اخذوا جاريتي فقال واحد لو كان

رقم ١٢٠

وقع كانوا اقتتلوا [illegible] الى دكان ابن القرناص [illegible]
ما [illegible] الكتف [illegible]
[illegible] الخادم [illegible]
[illegible]
الحمد لله الذي [illegible] اعطيته [illegible]
[illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible] ابن القرناص حين [illegible]
[illegible] الخليفة [illegible]
على الخليفة [illegible]
كيف كان [illegible] جليسة [illegible]
وقد ذكر لي [illegible] الجارية
فقال هل هو [illegible] الخليفة [illegible]
[illegible] الخليفة [illegible] فضحك عليه وقال له يا استاذ هل كنت تعرف
حقيقة [illegible] كلام امير المؤمنين [illegible] وقال له وحق من انعم
عليك [illegible] طرز الحديث ثم اعاد
عليه جميع ما جرى له من الاول الى الآخر وصار الخليفة يضحك عليه ثم [illegible]
الخادم وما جرى له معه وكيف [illegible] على الدينار الذي اخذه من
الخليفة [illegible] ايضا [illegible] السوق واشتراء [illegible] بالمائة دينار
دينار وهو لا يعلم [illegible] جميع [illegible] من المبتدا الى المنتهى فضحك عليه
الخليفة وانشرح صدره وقال [illegible] على من قد [illegible] حتى الى اهله ثم
سكت وبعد ذلك امر له الخليفة بخمسين الف دينار وخلعة [illegible] الخلفاء
الكبار وبغلة واهدى اليه عبيدا من السود [illegible] وصار كأنه بعض الملوك
الموجودة في ذلك الزمان وقد فرح الخليفة [illegible] وعلم ان هذا كله من فعال
السيدة زبيدة بنت عمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت يا معين بينهما الملك السعيد ان الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف ان هذا كل من فعال السيدة زبيدة بنت عمه فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لا يدخل عليها ولا يميل اليها فلما تحققت ذلك حصل لها من غيظه هم عظيم واصفر لونها بعد الاحمرار فلما اعياها الصبر ارسلت الى ابن عمها امير المؤمنين تعتذر اليه وتقر بذنبها وقد انشدت هذه الابيات

اشتاق الى ما كان منكم لترضي ... لاطفي شجي حسرة وتأسفا
ارثي لي رق الغرام صبابتي ... بعد الذي لاقيته منكم كفى
لقد شرستني بعدكم يا احبتي ... ولكنني ما كان عيشي الذي صفا
تحيون ذا ودتموا بعهدكم ... وموتي اذا لم تسمحوا لي بالوفا
هموا انني اذ تذنبا انا مسيئا ... والله ما خلي احبب اذا جفا

فلما وصلت رسالة السيدة زبيدة الى امير المؤمنين وقرأها عرف انها اعترفت بذنبها وارسلت تعتذر اليه مما فعلت فقال في نفسه ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وارسل اليها الجواب جواب رسالتها مستملا على الرضى والسماح والعفو عما مضى فحصل لها الفرح العظيم ثم ان الخليفة رتب لخليفة الصياد في كل شهر خمسين دينارا واتخذه له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام ثم ان الخليفة قبل الارض بين يدي امير المؤمنين وخرج وهو يمشي ويتبختر فلما وصل الى الباب نظر اليه صندل الخادم الذي اعطاه المائة دينار فعرفه وقال له يا صياد من اين لك هذا كله فحدثه بما جرى له من اوله الى آخره ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب في غناه وقال له اما تعطيني شيئا من هذا المال الذي صار لك فمد خليفة يده الى جيبه فطلع منه كيسا فيه الف دينار من الذهب وناوله للخادم فقال له الخادم خذ مالك بارك الله لك فيه وتعجب من مروءته وسماحة نفسه على فقره ثم ان خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب على البغلة والخدام ماسكة كفلها وهو سائر الى ان اتى الى الخان والناس يتفرجون عليه ويتعجبون مما حصل له من العز فتقدم اليه الناس بعد ما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة فاخبرهم بما جرى له من الاول الى الآخر ثم انه اشترى دارا مليحة الاركان وانفق عليها جملة من المال حتى صارت كاملة المعاني وسكن في تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين

انظر لها يشبه دار النعيم ... الهم تنفيه وتشفي السقيم

قد حجلت دنيا تهمّا للعلى ... والخبر فيها كل و... مدة

ثم انه لما استقر في داره خطب له بنتا من بنات اعيان اهل المدينة من نساء الحسان ودخل بها وحصل له غاية الاسر والحظ الزائد والانبساط وصار في نعمة زائدة وسعادة كاملة فلما رأى نفسه في ذلك النعيم شكر الله سبحانه وتعالى على ما اعطاه من النعم الوافرة والمكارم المتواترة وصار لربه حامدًا بحمد الشاكرين بما نوال الساجد

لك الحمد يا من فضله متواتر ... ويا من له جود عميم وعاسر
لك الحمد مني يا قليل الحمد ابتي ... لجودك والاحسان الفضل زائد
لقد جدت انعامًا علي ومنة ... وفضلًا واحسانًا فيها انا سائر
وكل الورى من بحر جودك ناهل ... وانت لهم عند الشدائد ناصره
وجولتنا ... نعمة ... واسعتنا ... لذنبي غافر
بجاه الذي قد جاء للناس رحمة ... ... صادق ... الطاهر
عليه صلوات الله ثم سلامه ... و... ولال ... شر
واصحابه الغر الكرام اولي النهى ... مدى ... حتى ... الاباتر

ثم ان خليفة صار يتردد على الخليفة هارون الرشيد مع القبول حسان وصار الرشيد يشمله باحسانه وجوده ولم يزل خليفة في انعم وسرور وحبور ونعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات سبحان من له العز والبقاء وهو حي لا يموت ابدا

ومما يحكى

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من احسن اهل زمانه كثير المال رفيع الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويلتهي بهوى النساء الملاح فاتفق انه كان نائمًا في ليلة من الليالي فرأى في نومه انه في روضة من احسن الرياض وفيها اربع طيور ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فاعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى انه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج اشواقه الى الصباح فقال في نفسه لابد ان اروح اليوم الى من يفسر لي هذا المنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج اشواقه الى الصباح فلما اصبح الصباح قال لابد ان اروح اليوم الى من يفسر لي هذا المنام فقام وصار يتمشى يمينا وشمالا الى ان بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع الى منزله فبينما هو في الطريق اذ خطر بباله انه يميل الى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الاغنياء فلما وصل اليها واذا به يسمع بها صوت انين من كبد حزين وهو ينشد هذه الابيات

نَسِيمُ الصَّبَا هَبَّتْ لَنَا مِنْ رُسُومِهَا ... مُعَطَّرَةٌ يَشْفِي العَلِيلَ شَمِيمُهَا
وَقَفْتُ بِاَطْلَالٍ دَوَارِسَ سَائِلاً ... وَلَيْسَ يُجِيبُ الدَّمْعَ اِلَّا رَمِيمُهَا
فَقُلْتُ نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللهِ خَبِّرِي ... هَلِ الدَّارُ هَذِي قَدْ يَعُودُ نَعِيمُهَا
وَاَحْظَي بِظَبْيٍ مَالَ بِي لِينُ قَدِّهِ ... وَاَجْفَانُهُ الوَسْنَى ضَنَانِي سَقِيمُهَا

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل الباب فرأى روضة من احسن الرياض في باطنها ستر من ديباج احمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر اربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كانها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرونين وفم كانه خاتم سليمان وشفتين واسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل الى الستر فرفعت رأسها اليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتاملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر الى الروضة وكانت من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الاشجار بالاثمار والماء المنحدر من اربعة لواوين يقابل بعضها بعضا فتامل في الليوان الاول فرأى مكتوبا على دائرته بالزنجفر الاحمر هذان البيتان

اَلَا يَا دَارُ لَمْ يَدْخُلْكِ حُزْنٌ ... وَلَمْ يَغْدُرْ بِصَاحِبِكِ الزَّمَانُ
نِعْمَ الدَّارُ تَأْوِي كُلَّ ضَيْفٍ ... اِذَا مَا الضَّيْفُ ضَاقَ بِهِ المَكَانُ

ثم تامل في الليوان الثاني فرأى مكتوبا في دائرته بالذهب الاحمر هذه الابيات

لَاحَتْ عَلَيْكِ ثِيَابُ السَّعْدِ يَا دَارُ ... مَا غَرَّدَتْ فِي غُصُونِ الرَّوْضِ اَطْيَارُ
وَدَامَ فِيكِ عَبِيرَاتٌ مُعَطَّرَةٌ ... وَتَنْقَضِي بِكِ لِلْاَحْبَابِ اَوْطَارُ

فتأمل هذي [illegible] | الا ترى [illegible]
ثم تأملت في الإيوان [illegible] لا [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
ثم تأملت في [illegible] الربيع [illegible] لا [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible] الروضة [illegible] وكان طرحه [illegible] تماثيل في حسنها وجمالها وبهائها [illegible] كل من رآها ثم قالت لها [illegible] على [illegible] على [illegible] فلما [illegible] هذه الروضة [illegible] لا [illegible] فيها [illegible] الرمان [illegible] فلما سمع مسرور كلامها [illegible] تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير [illegible] من ذلك [illegible] في امره وانشد هذه الابيات

أمرتبدي في بديع محاسن | بين الربا والروح والريحان
والآس والنسرين ثم بنفسج | [illegible] الاغصان
يا روضة كملت بحسن صفاتها | وحوت جميع الزهر والأفنان
فالبدر يجلي تحت ظل غصونها | [illegible] أطيب الألحان
قمريها وهزارها ويمامها | وكذا البلابل هيجت أشجاني
وقف الغرام بمهجتي متحيرا | في حسنها كتحير السكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته على شعره بهذه الأبيات

لا ترتجي وصل التي علقتها | واقطع مطامعك التي أملتها
وذر الذي ترجوه إنك لم تطق | صد التي في العاشقين تبعتها
يجني على العشاق لحاظي ولم | تعظم على مقالة قد قلتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمره في سره وتفكر وقال في نفسه ما للبلية إلا الصبر ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت

بين ايديهما وفيها من سائر الالوان من السماني وافراخ الحمام ولحوم الضأن فأكلا حتى اكتفيا ثم امرت برفع الموائد ورفعت واحضرت آلات الغسل فغسلا ايديهما ثم امرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله ان صدري في ضيق في هذه الليلة لاني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور انا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئا قال نعم انا عارف به فقدمته بين ايديهما واذا هو من الابنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقومة بالذهب لوحه وحجارة من در وياقوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لما امرت باحضار الشطرنج احضروه بين ايديها فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت اليه زين المواصف وقالت له هل تريد الحمر ام البيض فقال يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي انت الحمر لانهم ملاح ولمثلك املح ودعي لي الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فاخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يدها الى القطع تنقل في اول الميدان فنظر الى اناملها فرأى كأنها من عجين فاندهش مسرور من حسن انامله ولطف شمائلها فالتفتت اليه وقالت له يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الاقمار اذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك واذا هي تقول له الشاه مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف انه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا العب معك الا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعا وطاعة فقالت له احلف لي واحلف لك ان كلا منا لا يغدر صاحبه فتحالفا معا على ذلك فقالت يا مسرور ان غلبتك اخذت منك عشرة دنانير وان غلبتني لم اعطك شيئا فظن انه يغلبها فقال لها يا سيدتي لا تحنثي في يمينك فاني اراك اقوى مني في اللعب فقالت له رضيت بذلك وصارا يلعبان ويتسابقان بالبيادق والحقتهم بالافراز وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الافراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الازرق فوضعته عن راسها وشمرت عن معصم كأنه عامود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر الى رشاقتها ورقة معانيها فاحتار واخذه الانبهار فمد يده الى البيض فراحت الى الحمر فقالت يا مسرور اين عقلك الحمر لي والبيض لك فقال لها ان من ينظر اليك ليس

حكاية لعب مسرور الشطرنج مع زين المواصف وغلبها عليه

يملك عقله فلما نظرت زين المواصف الى حاله اخذت منه البيض واعطته الحمر ولعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف انه مشغول بهواها قالت يا مسرور ما بقيت تنال مرادك الا اذا كنت تغلبني كما هو شرطك ولا بقيت العب معك في كل مرة الا بمائة دينار فقال لها حبا وكرامة وصار يلاعبها وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك الى الصباح وهو لم يغلبها ابدا فنهض قائما على اقدامها فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال امضي الى منزلي واتي بمالي لعلي ابلغ الى امالي فقالت له افعل ما تريد مما بدا لك فمضى الى منزله واتاها بالمال جميعه فلما وصل اليها انشد هذين البيتين

رأيتُ طيراً مرّ بي في المنام	في روض انسٍ زهرهُ ذو ابتسام
لكنّه لمّا بدا صدقه	منكِ الوفا تأويل هذا المنام

فلما حضر عندها مسرور بجميع ماله صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر ان يغلبها بدور واحد ولم يزل الا كذلك ثلثة ايام حتى اخذت منه جميع ماله فلما نفد ماله قالت له يا مسرور وما الذي تريد قال الاعبك على دكان العطارة فقالت له كم تساوي تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة اشواط فغلبته ثم لعب معها على الجواري والعقارات والبساتين والعمارات فاخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه وبعد ذلك التفتت اليه وقالت له هل بقي معك شيء من المال تلعب به فقال لها وحق من اوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تملك شيئا من المال وغيره لا قليلا ولا كثيرا فقالت له يا مسرور كل شيء يكون اوله رضا لا يكون آخره ندامة فان كنت ندمت فخذ مالك واذهب عنا الى حال سبيلك وانا اجعلك في حل من قبلي فقال لها مسرور وحق من قضى علينا بهذه الامور لو اردت اخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما اعشق احدا سواك فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضي والشهود واكتب لي جميع الاملاك والعقارات فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما في الوقت والساعة واتى بالقاضي والشهود واحضرهم عندها فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن انا ملها وقال لها يا سيدتي لا اكتب الحجة الا بشرط ان تشتري العقارات والجواري والاملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك فقالت قد اتفقنا

على ذلك وكتب الحجة بان ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينتقل الى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك واخذت الحجة زين المواصف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما اخذت الحجة من القاضي مشتملة على ان جميع ما كان ملكا لمسرور صار ملكا لها قالت له يا مسرور اذهب الى حال سبيلك فالتفتت اليه جاريتها هبوب وقالت له انشدنا شيئا من الاشعار فانشد في شان لعب الشطرنج هذه الابيات

أَشكو الزَّمانَ وَما قَد حَلَّ بي وَجَرى ... وَأَشتَكي الخُسرَ وَالشِّطرَنجَ وَالنَّظَرا
في حُبِّ جارِيَةٍ غَيداءَ ناعِمَةٍ ... ما مِثلُها في الوَرى أُنثى وَلا ذَكَرا
فَوَّقَت لي سِهاماً مِن لَواحِظِها ... وَقَدَّمَت لي جُيوشاً تَغلِبُ البَشَرا
حُمراً وَبيضاً وَفُرساناً مُصادِمَةً ... فَبارَزَتني وَقالَت لي خُذِ الحَذَرا
وَأَهمَلَتني إِذ مَدَّت أَنامِلَها ... في جُنحِ لَيلٍ بَهيمٍ تُشبِهُ الشَّعَرا
لَم أَستَطِع أُخَلِّصُ البَيدَقَ أَنقُلُها ... وَالوَجدُ صَيَّرَني لِلدَّمعِ مُنهَمِرا
بَيادِقٌ وَرِخاخٌ مَع فَرازِينِهِ ... كَرَّت فَأَدبَرَ جَيشُ البيضِ مُنكَسِرا
لَقَد رَمَتني بِسَهمٍ مِن لَواحِظِها ... فَصارَ قَلبي بِذاكَ السَّهمِ مُنفَطِرا
وَخَيَّرَتني بَينَ العَسكَرَينِ مَعاً ... فَاختَرتُ تِلكَ الجُيوشَ البيضَ مُقتَدِرا
وَقُلتُ هَذي جُيوشُ البيضِ تَصلُحُ لي ... هُمُ المُرادُ وَأَمّا أَنتِ فَالحُمَرا
وَلاعَبَتني عَلى رَهنٍ رَضيتُ بِهِ ... وَلَم أَكُن عَن رِضاها أَبلُغُ الوَطَرا
يا لَهفَ قَلبي وَيا شَوقي وَيا حَزَني ... عَلى وِصالِ فَتاةٍ تُشبِهُ القَمَرا
ما القَلبُ في حُرَقٍ كَلّا وَلا أَسَفٍ ... عَلى عَقاري وَلَكِن يَألَفُ النَّظَرا
وَصِرتُ حَيرانَ مَبهوتاً عَلى وَجَلٍ ... أُعاتِبُ الدَّهرَ فيما تَمَّ لي وَجَرى
قالَت فَما لَكَ مَبهوتاً فَقُلتُ لَها ... هَل شارِبُ الخَمرِ قَد يَصحو إِذا سَكِرا
إِنسِيَّةٌ سَلَبَت عَقلي بِقامَتِها ... إِن لانَ مِنها فُؤادٌ يُشبِهُ الحَجَرا
أَطمَعتُ نَفسي وَقُلتُ اليَومَ أَملِكُها ... عَلى الرِّهانِ وَلا خَوفاً وَلا حَذَرا

لا زال يطمع قلبي في تواصلها ... حتى بقيت على الحالين مفتقرا
هل يرجع الصب عن عشق أضر به ... ولو غدا في بحار الوجد منحدرا
فأصبح العبد لا مال يقلبه ... بنار شوق ووجد ما قضى وطرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع الى عقلك وامض الى حال سبيلك فقد افنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك اليه فالتفت مسرور الى زين المواصف وقال لها يا سيدتي اطلبي اي شيء ولك كل ما تطلبينه فاني اجيء به اليك واحضره بين يديك فقالت يا مسرور وما بقي معك شيء من المال فقال لها يا منتهى الآمال اذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستعطيا فقال لها ان لي قرائب واصحابا ومهما طلبته يعطوني اياه فقالت له اريد منك اربع نوافج من المسك الاذفر واربع اواني من الغالية واربعة ارطال من العنبر واربعة آلاف دينار واربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فان كنت يا مسرور تأتي بذلك الامر ابحت لك الوصال فقال لها هذا علي هين يا مخجلة الاقمار ثم ان مسرور اخرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته منه فارسلت خلفه هبوب الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة اذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف الى ان لحقته فقال لها يا هبوب الى اين ذاهبة فقالت له ان سيدتي ارسلتني خلفك من اجل كذا وكذا واخبرته بما قالته لها زين المواصف من اوله الى آخره فقال والله يا هبوب ان يدي لا تملك شيئا من المال فقالت له فلاي شيء وعدتها فقال كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لابد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفسا وقر عينا والله لاكونن سببا لاتصالك بها ثم انها تركته ومشت وما زالت ماشية الى ان وصلت الى سيدتها فبكت بكاء شديدا وقالت لها يا سيدتي والله انه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها لا حيلة في قضاء الله تعالى ان هذا الرجل ما وجد عندنا قلبا رحيما لاننا اخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وان ملت الى مراده اخاف ان يشيع الامر فقالت لها هبوب يا سيدتي ما يسهل علينا حاله واخذ ماله ولكن ما عندك الا انا وجاريتك سكوب فمن يقدر ان يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك اطرقت برأسها الى الارض ساعة فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا ان ترسلي

محاورتها مع هبوب جارية زين المواصف لها في مسرور

خلفه وتنعى عليه ولا تدعه يسأل احداً من اللئام فما امرّ السؤال فقبلت كلام الجواري
ودعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذه الابيات

دنا الوصل يا مسرور فاصبر بلا مطل ... اذا اسودّ جنح الليل فلتأت بالفعل
ولا تسأل الانذال في الحال يا فتى ... فقد كنت في سكرى وقد ردّ لي عقلي
فمالك من ذود عنك جميعه ... وزدتك يا مسرور من فوقه وصلي
لانك ذو صبر وفيك حلاوة ... على جور محبوب جفاك بلا عذل
فبادر لتغنم وصلنا ولك الهنا ... ولا تعط افهاماً فتدري بنا اهلي
هلم الينا مسرعاً غير مبطئ ... وكل من ثمار الوصل في غيبة البعل

ثم انها طوت الكتاب واعطته لجاريتها هبوب فاخذته ومضت به الى مسرور فوجدته
يبكي وينشد قول الشاعر

وهبّ على قلبي نسيم من الجوى ... ففتت الاكباد من فرط وجدتي
لقد زاد وجدي بعد بعد احبتي ... وفاضت جفوني في تزايد عبرتي
وعندي من الاوهام ما ان اخبره ... لصمّ الحصى والصخر لانت لسرعة
الا ليت شعري هل اري ما يسرّني ... واحظى بما ارجوه من نيل بغيتي
وتطوى ليالي الصدّ من بعد هجرها ... وابرأ مما داخل القلب خلّت

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الاشعار وهو
في غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الابيات ويرددها اذ سمعته هبوب فطرقت
عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فاخذه وقرأه وقال لها يا هبوب
ما وراءك من اخبار سيدتك فقالت يا سيدي ان في هذا الكتاب ما يغني عن ردّ الجواب
وانت من ذوي الالباب ففرح مسرور فرحاً شديداً وانشد هذين البيتين

ورد الكتاب فسرّنا مضمونه ... واردت اني في الفؤاد اصونه
وازددت شوقاً عند ما قبّلته ... فكانما درّ الهوى مكنونه

ثم انه كتب كتاباً جواباً لها واعطاه لهبوب فاخذته واتت به الى زين المواصف فلما
وصلت اليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر اوصافه وكرمه وصارت مساعدة

له على جمع شمله بها فقالت لها زين المواصف يا هبوب انما نطلع على الوصول الينا فقالت لها هبوب انه سيأتي سريعا فلم تستتم كلامها واذا به قد اقبل وطرق الباب ففتحت له واخذته وادخلته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورحبت به واجلسته الى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هاتي له بدلة من احسن ما يكون فقامت هبوب واتت ببدلة مذهبة فاخذتها واودعتها عليه وارخت على نفسها بدلة ايضا من افخر الملابس ووضعت على رأسها شبكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على الشبكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجواهر واليواقيت وارخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وارخت شعرها كانه الليل الداجي وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتتعطف فانشدت الجارية من بديع شعرها هذه الابيات

خَجِلَتْ غُصُونُ البَانِ مِنْ خَطَوَاتِهَا   وَسَطَتْ عَلَى العُشَّاقِ مِنْ لَحَظَاتِهَا
قَمَرٌ بَدَا فِي غَيَاهِبِ شَعْرِهَا   كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ فِي دُجَى وَفَرَاتِهَا
طُوبَى لِمَنْ بَاتَتْ تَلِيهِ بِحُسْنِهَا   وَيَمُوتُ فِيهَا حَالِفًا بِحَيَاتِهَا

فشكرتها زين المواصف ثم انها اقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائما على قدميه وقال ان صدق ظني فما هي انسية وانما هي من عرائس الجنة ثم انها دعت بالمائدة فحضرت واذا مكتوب على اطراف المائدة هذه الابيات

عُجْ بِالمَلَاعِقِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجِ   وَالْذَذْ بِنَوْعِ القَلَايَا وَالطَّبَاهِيجِ
عَلَى سَمَانَى مَا زِلْتُ أَعْشَقُهَا   مَعَ الفِرَاخِ العَوَالِي وَالفَرَارِيجِ
لِلهِ دَرُّ الكَبَابِ الَّذِي يَزْهُو بِحُمْرَتِهِ   وَالبَقْلُ يُغْمَسُ فِي خَلِّ السَّكَارِيجِ
نِعْمَ الأَرُزُّ بِأَلْبَانِ الحَلِيبِ غَدَتْ   فِيهِ الكُفُوفُ إِلَى حَدِّ الدَّمَالِيجِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ   لَدَى رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ التَّوَارِيجِ

ثم انهم اكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس وملأ الكاس مسرور وقال يا من انا عبدها وهي سيدتي ثم صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عَجِبْتُ لِعَيْنِي أَنْ تَمَلَّى بِمِلْئِهَا   بِحُسْنِ فَتَاةٍ أَشْرَقَتْ بِجَمَالِهَا
وَلَيْسَ لَهَا فِي عَصْرِهَا مِنْ مُشَابِهٍ   لِلُطْفِ مَعَانِيهَا وَحُسْنِ خِصَالِهَا
وَيَحْسُدُ غُصْنُ البَانِ لِينَ قَوَامِهَا   إِذَا خَطَرَتْ فِي حُلَّةٍ بِاعْتِدَالِهَا
بِوَجْهٍ مُنِيرٍ يُخْجِلُ البَدْرَ فِي الدُّجَى   وَفَرْقٍ حَكَى فِي النُّورِ ضَوْءَ هِلَالِهَا

حكاية خلوص مسرور بزين المواصف وكلامهما

إذا حضرت في الارض يعبق نشرها … نسيماً يرى في سهلها وجبالها

فلما فرغ مسرور من شعره قالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وقد اكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الامور وانا ارد عليك املاكات وجميع ما اخذناه منك فقال يا سيدتي انت في حل مما تذكرينه وان كنت غدرت في اليمين التي بيني وبينك فانا اروح واصير مسلما فقالت لها جاريتها هبوب يا سيدتي انت صغيرة السن وتعرفين كثيرا وانا استشفع عندك بالله العظيم فان لم تطيعيني في امري وتجبري خاطري لا انام الليلة عندك في الدار فقالت لها يا هبوب ما يكون الا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلسا آخر فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلسا وزينته وعطرته باحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام واحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما امرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الانس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت منهم الانفاس فقالت زين المواصف يا مسرور قد آن اوان اللقاء والتداني فان كنت لحبنا تعاني فانشد لنا شعرا بديع المعاني فانشد مسرور هذه القصيدة

أُسِرْتُ وَفِي قَلْبِي لَهِيبٌ تَضَرَّمَا … بِحَبْلِ وِصَالٍ فِي الْفِرَاقِ تَصَرَّمَا
وَحُبِّ فَتَاةٍ قَدْ تَلَفَ قَلْبِي قَوَامُهَا … وَقَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي بِخَدٍّ تَنَعَّمَا
لَهَا الْحَاجِبُ الْمَقْرُونُ وَالطَّرْفُ أَحْوَرُ … وَثَغْرٌ يُحَاكِي الْبَرْقَ حِينَ تَبَسَّمَا
لَهَا مِنْ سِنِينِ الْعُمْرِ عَشْرٌ وَأَرْبَعٌ … وَدَمْعِي حَكَى فِي حُبِّ هَاتِيكَ عَنْدَمَا
فَعَايَنْتُهَا مَا بَيْنَ نَهْرٍ وَرَوْضَةٍ … بِوَجْهٍ يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي أُفُقِ السَّمَا
وَقَفْتُ لَهَا شِبْهَ الْأَسِيرِ مَهَابَةً … وَقُلْتُ سَلَامُ اللهِ يَا سَاكِنَ الْحِمَى
فَرَدَّتْ سَلَامِي عِنْدَ ذَلِكَ رَغْبَةً … بِلُطْفِ حَدِيثٍ مِثْلِ دُرٍّ تَنَظَّمَا
وَحِينَ رَأَتْ قَوْلِي لَدَيْهَا تَحَقَّقَتْ … مَرَامِي وَصَارَ الْقَلْبُ مِنْهَا مُصَمِّمَا
وَقَالَتْ أَمَا هَذَا الْكَلَامُ جَهَالَةٌ … فَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الصَّبِّ اللَّوْمَا
فَإِنْ تَقْبَلِينِي الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ هَيِّنٌ … فَمِثْلُكِ مَعْشُوقٌ وَمِثْلِي مُتَيَّمَا
فَلَمَّا رَأَتْ مِنِّي الْمَرَامَ تَبَسَّمَتْ … وَقَالَتْ وَرَبِّ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَا

يهودية قد تهود دينها ... وما أنت إلا للنصارى ملازما
فكيف ترى وصلي ولست بملتي ... فإن تبغ هذا الفعل تصبح نادما
أيلعب بالدينين ما حل في الهوى ... ويصبح مثلي للملام مكلما
ويهوى به الأديان في كل وجهة ... وتبقى على ديني ودينك محرما
فكيف تهوى في يهود محبة ... وصرت بشوقي وصلي عليك محرما
وتحلف بالإنجيل قولا محققا ... ليحفظ سر في هواك وتكتما
وأحلف بالتوراة يمينا صادق ... بأني على عهدك الذي كان تقدما
حلفت على ديني ودينك ... وحلفها على ديني يمينا معظما
وقلت لها ما الاسم يا غاية المنى ... فقالت أنا زين المواصف في الحمى
فناديت يا زين المواصف إنني ... بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها ... فأذهب قلبي وازداد تغرما
فما زلت تحت الستر أخضع شاكيا ... كثير الهوى في الفؤاد تحكما
فلما رأت حالي وفرط تولهي ... أبانت لي وجها ضاحكا متبسما
وهبت لنا ريح الوصال وعطرت ... نوافح عطر المسك جيدا ومعصما
وقد عطرت منها الأماكن كلها ... وقبلت من فيها رحيقا ومبسما
ومالت كغصن البان تحت غلائل ... وحللت وصلا كان قبل محرما
وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع ... بضم ولثم وارتشاف من اللمى
وما زينة الدنيا سوى من تحبه ... يكون قريبا منك كي تتحكما
فلما تجلى الصبح قامت وودعت ... بوجه جميل فائق البدر في السما
وقد أنشدت عند الوداع ودمعها ... على الخد منثور وبعضا منظما
فلا أنس عهد الله ما عشت في الورى ... وحسن الليالي واليمين المعظما

فعند ذلك طربت زين المواصف وقالت يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يا مسرور إن مالك حرام علينا حلال لك لأننا قد صرنا أحبابا ثم إنها ردت عليه جميع ما أخذته منه من الأموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة نأتي إليها ونتفرج عليها قال نعم يا سيدتي لي روضة ليس لها نظير ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن

طعاماً فاخراً وان يهيّئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة ثم انه دعاها الى منزله فحضرت هي وجواريها فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودارت بينهم الكاس وطابت منهم الانفاس وخلا كل حبيب بحبيبه فقالت له يا مسرور انه خطر ببالي شعر رقيق اريد ان اقوله على العود فقال لها قوليه فاخذت العود بيدها واصلحت شانه وحركت اوتاره وحسنت النغمات وانشدت تقول هذه الابيات

قَدْ مَالَ بِي طَرَبٌ مِنَ الأَوْتَارِ ... وَصَفَا الصَّبُوحُ لَنَا لَدَى الأَسْحَارِ
وَالحُبُّ يَكْشِفُ عَنْ فُؤَادِ مُتَيَّمٍ ... مَبْدَا الهَوَى بِتَهَتُّكِ الأَسْتَارِ
مَعْ خَمْرَةٍ رَقَّتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا ... كَالشَّمْسِ تُجْلَى فِي يَدِ الأَقْمَارِ
فِي لَيْلَةٍ جَاءَتْ لَنَا بِسُرُورِهَا ... تَمْحُو بِصَفْوٍ نَائِبَ الأَكْدَارِ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا مسرور انشد لنا شيئاً من اشعارك ومتعنا بفواكه اثمارك فانشد هذين البيتين

طَرِبْنَا عَلَى بَدْرٍ يُدِيرُ مُدَامَةً ... وَنَغْمَةِ عُودٍ فِي رِيَاضٍ مَقَامُنَا
وَغَنَّتْ قَمَارِيهَا وَمَالَتْ غُصُونُهَا ... سَحَرًا وَفِي أَنْحَائِهَا غَايَةُ المُنَى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف انشد لنا شعراً فيما وقع لنا ان كنت مشغولاً بحبنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف قالت لمسرور ان كنت مشغولاً بحبنا فانشد لنا شعراً فيما وقع لنا فقال لها حباً وكرامة وانشد هذه القصيدة

قِفْ وَاسْتَمِعْ مَا جَرَى لِي ... فِي حُبِّ هَذَا الغَزَالِ
رِيمٌ رَمَانِي بِنَبْلٍ ... وَلَحْظُهُ قَدْ غَزَا لِي
فُتِنْتُ عِشْقًا وَإِنِّي ... فِي الحُبِّ ضَاقَ احْتِيَالِي
هَوِيتُ ذَاتَ دَلَالٍ ... مَحْجُوبَةً بِالنِّصَالِ
أَبْصَرْتُهَا وَسْطَ رَوْضٍ ... وَقَدُّهَا ذُو اعْتِدَالِ
سَلَّمْتُ قَالَتْ سَلَامًا ... لَمَّا صَغَتْ لِمَقَالِي
سَأَلْتُ مَا الإِسْمُ قَالَتْ ... إِسْمِي وَفَاقَ جَمَالِي
سُمِّيتُ زَيْنَ المَوَاصِفْ ... فَقُلْتُ رِقِّي لِحَالِي
فَإِنَّ عِنْدِي غَرَامًا ... هَيْهَاتَ صَبٌّ مِثَالِي

قالت فإن كنت تهوى وكنت طامعًا في وصالي
أريد مالا جزيلا يفوق كل نوال
أريد منك ثيابا من الحرير غوالي
وربع قنطار مسك برسم ليل وصالي
ولؤلؤا وعقيقا من النفيس الغالي
وفضة ونضارا من الحلي الحوالي
أظهرت صبرا جميلا على عظيم اشتغالي
فأنعمت لي بوصل في ليلة ذات هلال
إن لامني الغير فيها أقول يا للرجال
لها شعور طوال واللون لون الليالي
وخدها فيه ورد مشعل للطرف اشتعال
وجفنها فيه سيف ولحظها كالنبال
وثغرها فيه خمر وريقها كالزلال
كأنه عقد در حوى نظام اللآلي
وجيدها جيد ظبي مليحة في كمال
وصدرها كرخام ونهدها كالقلال
وبطنها فيه طي معطر بالغوالي
وتحت ذلك شيء له انتهت آمالي
مرتفع وسمين مكلثم يا موالي
كأنه تخت ملك تمسه أرض حالي
وبين العمودين تلقى له مصاطب عالي
لكنه فيه وصف قد هي عقل الرجال
له شفاه كبار ونفره كالبغال
يبدو بحمرة عين ومشفر كالجمال
إذا أتيت إليه بهمة في الفعال
تلقاه حر التلاقي بقوة وحمالي

تزينت كل شجاع   محلول عزم القتال
وبات يلثم عنقه   بالجنة في وصال
فبينما عنده مليح   ذو بهجة وجمال
كمثل زين المواصف   مليحة في الكمال
أتيت ثناء إليها   ونلت شيئاً حلالي
ولذة بت نغنما   فاقت جميع الليالي
لما أتى الصبح قامت   ووجهها كالهلال
تهز منها قواما   هز الرماح العوالي
وودعتني وقالت   متى تعود الليالي
فقلت يا نور عيني   إذا أردت تعالي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طرباً عظيماً وحصل لها غاية الانشراح وقالت يا مسرور قد دنا الصباح ولم يبق إلا الرواح خوفاً من الافتضاح فقال حباً وكرامة ثم نهض قائماً على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات وهو متفكر في محاسنها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها وأقاما على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش وأهناه ثم إنه ورد عليها في بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه الله ولا أحياه لأنه إن وصل إلينا تكدر عيشنا يا ليتني كنت يئست منه فلما أتى إليها مسرور جلس يتحدث معها على العادة فقالت له يا مسرور قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونه أنه يصل إلينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل وما لأحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدري ما يكون بل أنت أخبر وأدرى بأخلاق زوجك ولا سيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال فقالت إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فاقدم عليه وسلم عليه واجلس إلى جانبه وقل له يا أخي أنا رجل عطار واشتر منه شيئاً من أنواع العطارة وتردد عليه مراراً وأطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما أحتال به يكون مصادفاً فقال لها سمعاً وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها إلى الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الاصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل

حكاية وصول زوج زين المواصف من السفر

النساء

النساء فسألها عن حالها فذكرت له انها مريضة من وقت ما سافر هو والجواري وقالت له ان قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك وصارت تشكو اليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ما حمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر الا برفيق ولا تقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر الا برفيق ولا تنقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حبا وكرامة والله ان امرك رشيد ورأيك سديد وحياة رأسك ما يكون الا ما تريدينه ثم انه خرج بشيء من بضاعته الى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه واذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه وجلس الى جنبه وصار يحييه ومكث يحدث معه ساعة ثم اخرج كيسا وحله واخرج منه ذهبا ودفعه الى زوج زين المواصف وقال له اعطني بهذه الدنانير شيئا من انواع البضاعة لابيعه في دكاني فقال له سمعا وطاعة ثم اعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه اياما فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له انا مرادي رجل اشاركه في المتجر فقال له مسرور وانا الآخر مرادي رجل اشاركه في المتجر لان ابي كان تاجرا في بلاد اليمن وخلف لي مالا عظيما وانا خائف على ذهابه فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له هل لك ان تكون رفيقا لي واكون لك رفيقا وصاحبا وصديقا في السفر والحضر وعلمك البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال له مسرور حبا وكرامة ثم انه اخذه واتى به الى منزله واجلسه في الدهليز ودخل الى زوجته زين المواصف وقال لها اني رافقت رفيقا ودعوته الى الضيافة فجهزي لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت انه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها بمسرور وحيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور في دار زوج زين المواصف قال اخرجي معي اليه ورحبي به وقولي له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت اتحضرني قدام رجل غريب اجنبي اعوذ بالله ولو قطعتني قطعا ما احضر قدامه فقال لها زوجها لاي شيء تستحيين منه وهو نصراني ونحن يهود وتصير اصحابا فقالت انا ما اشتهي ان احضر قدام الرجل الاجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا اعرفه فظن زوجها انها صادقة في

قولها ولم يزل يعالجها حتى تبسمت وتلاطفت واخذت الطعام وخرجت الى مسرور وحيته به فاطرق راسه الى الارض كانه مستحيى فنظر الرجل الى اطراقه وقال لاشك ان هذا زاهد فاكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور فصارت تنظره وينظرها الى ان مضى النهار فانصرف مسرور الى منزله والتهبت فى قلبه النار واما زوج زين المواصف فانه صار متفكرا فى لطف صاحبه وفى حسنه فلما اقبل الليل قدمت اليه زوجته طعاما ليتعشى كعادته وكان عنده فى الدار طير هزار اذا جلس ياكل ياتى اليه ذلك الطير وياكل معه ويرفرف على راسه وكان ذلك الطير قد الف مسرور فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب منه فصار متفكرا فى امر ذلك الطير وفى بعده عنه واما زين المواصف فانها لم تنم بل صار قلبها مشغولا بمسرور واستمر ذلك الامر الى ثانى ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودى امرها وتفقد عليها وهى مشغولة البال فانكر عليها وفى رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج فى منامها بذكر مسرور وهى نائمة فى حضنه فانكر ذلك عليها وكتم امره فلما اصبح الصباح ذهب الى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس واذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا يا اخى ثم قال له انى مشتاق اليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية ثم قال له قم يا اخى معى الى منزلى حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور حبا وكرامة فلما وصلا الى المنزل تقدم اليهودى واخبر زوجته بقدوم مسرور وانه يريد ان يتجر هو واياه ويؤاخيه وقال لها هيئى لنا مجلسا حسنا ولابد انك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له بالله عليك لا تحضرنى قدام هذا الرجل الغريب فما لى غرض ان احضر قدامه فسكت عنها وامر الجوارى ان تقدم الطعام والشراب ثم انه استدعى بالطير الهزار فنزل فى حجر مسرور ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدى ما اسمك قال اسمى مسرور والحال ان زوجته طول الليل تلهج فى منامها بهذا الاسم ثم رفع راسه فنظرها وهى تشير اليه وتغمزه بحاجبها فعرف ان الحيلة قد تمت عليه فقال يا سيدى امهلنى حتى اجئ باولاد عمى يحضرون المؤاخاة فقال له مسرور افعل ما بدا لك فقام زوج زين المواصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج زين المواصف قال لمسرور امهلني حتى اجيء باولاد عمي ليحضروا اعقد المؤاخاة بيني وبينك ثم انه مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء اليها وصار ينظرهما منها وهما لاينظرانه واذا بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب اين راح سيدك قالت الى خارج الدار قالت لها اغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد ان تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم ان زين المواصف اخذت الكاس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت الى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله ان ريقك احلى من هذا الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فرقه الى قدمه حتى فاحت روائحه في المجلس كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما وقد امتلأ قلبه غيظا مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فاتى الى الباب فوجده مغلقا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه فقالت الجارية ياسيدة قد جاء سيدي فقالت افتحي له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب الى الباب وفتحته فقال لها مالك تغلقين الباب فقالت هكذا في غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا فقال احسنت فانه يعجبني ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم امره وقال يامسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم وتتأخى في يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعا وطاعة فعل ماتريد فعند ذلك مضى مسرور الى منزله وصار زوج زين المواصف متفكرا في امره ولا يدري ما يصنع وصار خاطره في غاية التكدير وقال في نفسه حتى الهزار تنكرني والجواري اغلقت الابواب في وجهي وملن الى غيري ثم انه صار من شدة قهره يردد انشاد هذه الابيات

لقد عاش مسرور زمانا منعما ... بلذة ايام وعيش تصرما
تعاندني الايام فيمن احبه ... وقلبي بنيران يزيد تضرما
صفا لك دهر بالمليحة قد مضى ... ولازلت في ذات الجمال متيما
لقد عاينت عيناي حسن جمالها ... فاصبح قلبي في هواها متيما
لقد طالما قد ارشفتني مع الرضا ... بعذب ثناياها رحيقا على ظما
فمالك ياطير الهزار تركتني ... وصرت لغيري في الغرام مسلما
لقد ابصرت عيني امورا عجيبة ... تنبه اجفاني اذا كن نوما

رأيت حبيبي قد اذن بموديني ... وطير مزاري لم يكن لي محوّما
وحق اله العالمين لا ... اراد قضاء في الخليفة ابرما
لا فعل ما يستوجب النار ... بحمل دنا من وصلها او تقدما

فلما سمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها ان هذا الامر صحيح صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه ان لم اغربهما عن اوطانهما لم يرجعا عما هما فيه ابدا فلما باع جميع املاكه كتب كتابا مزورا ثم قرأه عليها وادعى ان هذا الكتاب جاءه من عند اولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوما فاجابته الى ذلك وقالت له هل آخذ معي بعض جواري قال خذي منهن هبوب وسكوب ودعي هنا خطوب ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم على الرحيل بهن فارسلت زين المواصف الى مسرور ان فات المعاد الذي بيننا ولم نأت فاعلم انه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وابعدنا عن بعضنا فلا تنس العهود والمواثيق التي بيننا فاني اخاف من حيله ومكره ثم ان زوجها جهز حاله للسفر واما زين المواصف فانها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رأت زين المواصف ان زوجها لابد له من السفر لمت قماشها ومتاعها واودعت جميع ذلك عند اختها واخبرتها بما جرى لها وودعتها وخرجت من عندها وهي تبكي ثم رجعت الى بيتها فرأت زوجها قد احضر الجمال وصار يضع عليها الاحمال وهيأ لزين المواصف احسن الجمال فلما رأت زين المواصف انه لابد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق ان زوجها قد خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما رأت زوجها احضر الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات

الا يا حمام الدار بلغ سلامنا ... من الصب للمحبوب عند فراقنا

حكاية كتابة زين المواصف الابيات على الباب الاول والثاني والثالث لاجل

[illegible]

[illegible]

[illegible] سبحان الله [illegible]

[illegible] هذه الأبيات

[illegible]

ألا يا حمام [illegible]

[illegible]

وتابعه أني لا أزال حزينة ... ونادمة على ما كان من طيب وقتنا
كأن حبي لا يزال منيّما ... حزيناً على ما قد مضى من سرورنا
قضينا زماناً بالمسرة والهنا ... وفزنا بوصل ليلنا ونهارنا
فلم نستفق إلا وصيح صائحاً ... علينا غراب البين ينعى فراقنا
رحلنا وخلّينا الديار بلاقعا ... فيا ليتنا لم نخل تلك المساكنا

ثم انت الى الباب الثاني وكتبت عليه هذه الابيات

أيا واصلاً بالباب بالله فانظرا ... جمال حبيبي في الدياجي وأخبرا
بأني أبكي إن تذكرت وصله ... ولا ينفد الدمع الذي بي بالبكا جرى
فإن لم تجد صبراً على ما أصابني ... فضع فوق هاتيك التراب تعفرا
وسافر إلى شرق البلاد وغربها ... وعش صابراً فالله للأمر قدّرا

ثم انت الى الباب الثالث وبكت بكاء شديدا وكتبت عليه هذه الابيات

رويدك يا مسرور إن زرت دارها ... فاعبر الى الابواب واقرأ سطورها
ولا تنس عهد الود إن كنت صادقاً ... فكم طعمت حلو الليالي ومرها
فبالله يا مسرور لا تنس قربها ... فقد تركت فيك الهنا وسرورها
ألا وابك أيام الوصال وطيبها ... وأنت متى ما جئت أرخت ستورها
فسافر قصبات الورد لأجلنا ... وخض بحرها واستقص عنا بدورها
لقد ذهبت عنا ليالي وصالنا ... وفرط ظلام الهجر اطفأ نورها
رعى الله أياماً مضت ما أسرها ... بروض الأماني إذ قطفنا زهورها
فهلا استمرت مثل ما كنت أرتجي ... أبى الله إلا وركها وصدورها
فهل ترجع الأيام يجمع شملنا ... وأوفي إذا وافت لربي نذورها
وكن عالماً أن الأمور بكف من ... يخط على لوح الجبين سطورها

ثم بكت بكاء شديدا ورجعت الى الدار تبكي وتنتحب فصارت تتذكر ما مضى و قالت سبحان الله الذى حكم علينا بهذا ثم زاد تأسفها على مفارقة الاحباب وعلى فراق الديار وانشدت هذه الابيات

عليك سلام الله يا منزل خلا ... لقد قضت الأيام فيك سرورها
ألا يا حمام الدار لا زلت نائحاً ... لمن فارقت أقمارها وبدورها
رويدك يا مسرور فابك لفقدنا ... لقد فقدت عيني لفقدك نورها

وَلَوْ نَظَرَتْ عَيْنَاكَ يَوْمَ رَحِيلِنَا   وَنِيرَانَ قَلْبِي زَادَ دَمْعِي سَعِيرَهَا
وَلَا تَنْسَ ذَاكَ الْعَهْدَ فِي ظِلِّ رَوْضَةٍ   حَوَتْ شَمْلَنَا فِيهَا وَأَرْخَتْ سُتُورَهَا

ثم صوت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذى صنعه لها فلما ان صارت على ظهر البعير انشدت هذه الابيات

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا مَنْزِلًا خَلَا   وَقَدْ طَالَ مَا زِدْنَا هُنَاكَ تَجَمُّلَا
فَلَيْتَ زَمَانِي فِي ذُرَاكَ تَصَرَّمَتْ   لَيَالِيهِ حَتَّى فِي الصَّبَابَةِ أُقْتَلَا
جَزِعْتُ عَلَى بُعْدِي وَشَوْقِي لِمَوْطِنٍ   شُغِفْتُ بِهِ لَمْ أَدْرِ مَا قَدْ تَحَصَّلَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى فِيهِ عَوْدَةً   تَرُوقُ كَمَا رَاقَتْ لَنَا فِيهِ أَوَّلَا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزني على فراق منزلك فانك تعودين اليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا الى ظاهر البلاد واستقبلوا الطريق وعلمت ان الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها ٭ كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر في امره وامر محبوبته فحس قلبه بالفراق فنهض قائما على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء الى منزلها فرأى الباب مقفولا ورأى الابيات التى كتبتها زين المواصف فقرأ على الباب الاول فلما قرأه وقع في الارض مغشيا عليه ثم افاق من غشيته وفتح الباب الاول ودخل الى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج في اثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرآها في اخره وزوجها في اوله لاجل حوائجه فلما رآها تعلق بالهودج باكيا حزينا من الم الفراق وانشد هذه الابيات

لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ رُمِينَا   بِسِهَامِ الصُّدُودِ طُولَ السِّنِينَا
يَا مُنَى الْقَلْبِ جِئْتُ لِلدَّارِ يَوْمًا   عِنْدَمَا زِدْتُ فِي هَوَاكِ شُجُونَا
فَرَأَيْتُ الدِّيَارَ تَقْفِرًا بَبَابًا   فَشَكَوْتُ النَّوَى وَزِدْتُ أَنِينَا
وَسَأَلْتُ الْجِدَارَ عَنْ كُلِّ قَصْدِي   أَيْنَ رَاحُوا وَصَارَ قَلْبِي رَهِينَا
قَالَ سَارُوا عَنِ الْمَنَازِلِ حَتَّى   صَيَّرُوا الْوَجْدَ فِي الْفُؤَادِ دَفِينَا
كَتَبُوا لِي عَلَى الْجِدَارِ سُطُورًا   فِعْلَ أَهْلِ الْوَفَا مِنَ الْعَالَمِينَا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت انه مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت انه مسرور فبكت هي وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله ان ترجع عنا لئلا يراك ويراني زوجي فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه فلما افاق ودعا بعضهما وانشد هذه الابيات

نَادَى الرَّحِيلُ سُحَيْرًا فِي الدُّجَى الهَادِي　قَبْلَ الصَّبَاحِ وَهَبَّتْ نَسْمَةُ النَّادِي
شَدُّوا المَطَايَا وَجَدُّوا فِي تَرَحُّلِهِمْ　وَأَسْرَعَ الرَّكْبُ لَمَّا زَمْزَمَ الحَادِي
وَعَطَّرُوا أَرْضَهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ　وَعَجَّلُوا سَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ الوَادِي
تَمَلَّكُوا مُهْجَتِي عِشْقًا وَقَدْ رَحَلُوا　وَغَادَرُونِي عَلَى آثَارِهِمْ غَادِي
يَا جِيرَةً مَقْصِدِي أَنْ لَا أُفَارِقَهُمْ　حَتَّى بَلَلْتُ الثَّرَى مِنْ دَمْعِيَ النَّادِي
يَا وَيْحَ قَلْبِي بَعْدَ البُعْدِ مَا صَنَعَتْ　يَدُ الفِرَاقِ عَلَى رَغْمِي بِأَكْبَادِي

وما زال مسرور ملازما للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في ان يرجع قبل الصباح خشية الافتضاح فتقدم الى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانية فلما افاق وجدهم سائرين فالتفت نحو سيرهم وشم ريح القبول وصار يترنم بانشاد هذه الابيات

مَا هَبَّ رِيحُ القُرْبِ لِلْمُشْتَاقِ　إِلَّا شَكَا مِنْ لَوْعَةِ الأَشْوَاقِ
هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةٌ سَحَرِيَّةٌ　مَا فَاقَ إِلَّا وَهْوَ فِي الآفَاقِ
مُلْقًى عَلَى فُرُشِ السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى　يَبْكِي الدِّمَاءَ بِدَمْعِهِ المُهْرَاقِ
مِنْ جِيرَةٍ رَحَلُوا وَقَلْبِي مَعْهُمُ　بَيْنَ الرِّكَابِ يُسَاقُ بِالسُّوَّاقِ
وَاللهِ مَا فِي القُرْبِ هَبَّتْ نَسْمَةٌ　إِلَّا وَقَفْتُ لَهَا عَلَى الأَحْدَاقِ

ثم رجع مسرور الى الدار وهو في غاية الاشتياق فرآها خالية من الاطناب موحشة من الاحباب فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه كادت ان تخرج روحه من جسده فلما افاق انشد هذين البيتين

يَا رَبْعُ رِقَّ لِذِلَّتِي وَخُضُوعِي　وَنُحُولِ جِسْمِي وَانْهِمَالِ دُمُوعِي
وَانْشُرْ إِلَيْنَا مِنْ عَبِيرِ نَسِيمِهِمْ　أَرَجًا لِتَشْفِيَ خَاطِرِي المَوْجُوعِ

فلما رجع مسرور الى منزله صار متحيرا من اجل ذلك باكي العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة ايام هذا ما كان من امر مسرور واما ما كان من امر زين المواصف فانها عرفت ان الحيلة قد تمت عليها فان زوجها ما زال سائرا بها مدة

عشرة ايام ثم انزلها في بعض المدن فكتبت زين المواصف كتابا بالمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت ارسلي هذا الكتاب الى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودي فاخذت الجارية منها الكتاب وارسلته الى مسرور فلما وصل اليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بلّ التراب وكتب كتابا وارسله الى زين المواصف وختمه بهذين البيتين

كيف الطريق الى ابواب سلوان	وكيف يسلو الذي في حرّ نيران
ما كان اطيب اوقات لهم سلفت	فليت منها لدينا بعض احيان

فلما وصل الكتاب الى زين المواصف اخذته وقرأته واعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمي خبره فعلم زوجها انهما يتراسلان فاخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوما ثم نزل بهن في بعض المدن هذا ما كان من امر زين المواصف واما ما كان من امر مسرور فانه صار لا يهنأ له نوم ولا يقرّ له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل كذلك اذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في المنام ان زين المواصف قد جاءت اليه في الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد اتى قلبه في غاية الولوع فانشد هذه الابيات

سلام على من زار في النوم طيفها	فهيّج اشواقي وزاد غرامي
وقد قمت من ذاك المنام مولّعا	برؤية طيف زار لي بمنامي
هل تصدق الاحلام فيمن احبّه	وتشفي عليلي في الهوى وسقامي
فطورا تعاطيني وطورا تضمّني	وطورا تواسيني بطيب كلام
ولمّا تقضّى في المنام عتابنا	وصارت عيوني بالدموع دوامي
رشفت رضابا من لماها كأنّه	رحيق ارى ريّاه مسك ختام
عجبت لما قد كان في النوم بيننا	وقد نلت منها منيتي ومرامي
وقد قمت من ذاك المنام ولم اجد	من الطيف الّا لوعتي وغرامي
فاصبحت كالمجنون حين رأيتها	وامسيت سكرانا بغير مدام
الا يا نسيم الريح بالله بلّغي	تحيّة اشواقي لهم وسلامي
وقولي لهم ذاك الذي تعهدونه	سقته صروف الدهر كأس حمام

ثم انه توجه الى منزلها وما زال يبكي حتى وصل اليه فنظر الى المكان فوجده خاليا ورأى خيالها يلوح قدامه وكان شخصها امامه فاشتعلت نيرانه وزادت احزانه ووقع مغشيا

عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا لما رأى في المنام زين المواصف وهي تعانقه فرح غاية الفرح ثم انتبه من النوم وراح الى دارها فرأى الدار خالية فزادت احزانه ووقع مغشيا عليه فلما افاق جعل ينشد هذه الابيات

تَنَشَّقْتُ مِنْهُمْ فَائِحَ الْعِطْرِ وَالْبَانِ ... فَرُحْتُ بِقَلْبٍ زَائِدِ الْوَجْدِ وَلْهَانِ
أُعَالِجُ أَشْوَاقِي كَئِيباً مُتَيَّماً ... بِرَبْعٍ خَلَا عَنْ حُسْنِ أُنْسِي وَخِلَّانِي
فَأَمْرَضَنِي بِالْبَيْنِ وَالْوَجْدِ وَالْأَسَى ... وَذَكَّرَنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ بِخِلَّانِي

فلما فرغ من شعره سمع غرابا ينعق على جانب الدار فبكى وقال سبحان الله لا ينعق الغراب الا على الدار الخراب ثم تحسر وتنهد وانشد هذه الابيات

مَا لِلْغُرَابِ بِدَارِ الْحِبِّ يَبْكِيهَا ... وَالنَّارُ تُحْرِقُ أَحْشَائِي وَتُنْكِيهَا
عَلَى زَمَانٍ تَقَضَّى فِي مَحَبَّتِهِمْ ... قَدْ رَاحَ قَلْبِي ضَيَاعاً فِي مَهَاوِيهَا
أَمُوتُ وَجْداً وَنَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي ... وَأَكْتُبُ الْكُتْبَ مَا لِي مَنْ يُؤَدِّيهَا
وَاحَسْرَتِي لِضَنَى جِسْمِي وَقَدْ رَحَلَتْ ... حَبِيبَتِي يَا تُرَى تَأْتِي لَيَالِيهَا
فَيَا نَسِيمَ الصَّبَا إِنْ زُرْتَهَا سَحَراً ... سَلِّمْ عَلَيْهَا وَقِفْ بِالدَّارِ تُحْيِيهَا

وقد كان لزين المواصف اخت تسمى نسيما وكانت تنظر اليه من مكان عال فلما رأته على تلك الحالة بكت وتحسرت وانشدت هذه الابيات

كَمْ ذَا التَّرَدُّدُ فِي الْأَوْطَانِ تَنْبِكِيهَا ... وَالدَّارُ تَنْدُبُ بِالْأَحْزَانِ بَانِيهَا
كَانَ السُّرُورُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ رَحَلَتْ ... سُكَّانُهَا وَشُمُوسٌ أَشْرَقَتْ فِيهَا
أَيْنَ الْبُدُورُ الَّتِي كَانَتْ طَوَالِعَهُ ... مَحَتْ صُرُوفُ الرَّدَى أَلْهَى مَعَانِيهَا
دَعْ مَا مَضَى مِنْ مِلَاحٍ كُنْتَ تَأْلَفُهَا ... وَانْظُرْ عَسَى تُرْجِعُ الْأَيَّامُ تُبْدِيهَا
لَوْلَاكَ مَا رَحَلَتْ سُكَّانُهَا أَبَداً ... وَلَا رَأَيْتَ غُرَاباً فِي أَعَالِيهَا

فبكى مسرور بكاء شديدا لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت اختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك احد فيظن انك تأتي من اجلي لانك رحلت اختي وتريد ان ترحلني انا الاخرى وانت تعرف انه لولا انت ما خلت

الديار من سكانها فتسلى عنها واتركها فقد مضى ما مضى فلما سمع مسرور ذلك من اختها بكى بكاء شديدا وقال لها يا نسيم لو قدرت ان اطير لطرت شوقا اليها فكيف انسى عنها فقالت مالك حيلة الا الصبر فقال لها سألتك بالله ان تكتبي لها كتابا من عندك وتردى لنا جوابا ليطيب خاطرى وتنطفي النار التي في ضمائري فقالت حبا وكرامة ثم اخذت دواة وقرطاسا وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من الم الفراق ويقول ان هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذى لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكى بدموع غزار قد قرحت الدموع اجفانه واضرمت في كبده احزانه وطال تأسفه وكثر قلقه مثل طير فقد الفه وعجل تلفه فيا اسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك لقد اضنى جسمي النحول ودمعي صار في هول وضاقت على الجبال والسهول فامسيت من فرط وجدى اقول

وَجْدِي عَلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ بَاقِ ... ازْدَادَتْ الَى سُكَّانِهَا اشْوَاقِي
وَبَعَثْتُ نَحْوَكُمْ حَدِيثَ صَبَابَتِي ... وَبِكَاسِ حُبِّكُمْ سَقَانِي السَّاقِي
وَعَلَى رَحِيلِكُمْ وَبُعْدِ دِيَارِكُمْ ... جَرَتِ الْجُفُونُ بِدَمْعِهَا الْمُهْرَاقِ
يَا حَادِيَ الْاظْعَانِ عَرِّجْ بِالْحِمَى ... فَالْقَلْبُ مِنِّي زَائِدُ الْاحْرَاقِ
وَاقْرَأْ سَلَامِي لِلْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ ... مَا انْ لَهُ غَيْرُ اللَّمَا مِنْ رَاقِ
اوْدَى الزَّمَانُ بِهِ فَشَتَّتَ شَمْلَهُ ... وَرَمَى حُشَاشَتَهُ بِسَهْمِ فِرَاقِ
بَلِّغْ لَهُمْ وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي ... مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِمْ وَمَا انَا لَاقِ
قَسَمًا بِحُبِّكُمْ يَمِينًا انَّنِي ... اوْفِي لَكُمْ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
مَا مِلْتُ قَطُّ وَلَا سَلَوْتُ هَوَاكُمْ ... كَيْفَ السُّلُوُّ لِعَاشِقٍ مُشْتَاقِ
فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلَامُ تَحِيَّةً ... مَمْزُوجَةً بِالْمِسْكِ فِي الْاوْرَاقِ

فتعجبت اختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة اشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الاذفر وبخرته بالند والعنبر واوصلته الى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا الا لاختي او جاريتها هبوب فقال حبا وكرامة فلما وصل الكتاب الى زين المواصف عرفت انه من املاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها واجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكي حتى غشي عليها فلما افاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين الى الاحباب وشكت حالها اليه وما نالها من الوجد

عليها ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه ان هذا كتاب الى سيدي ومالك رقي ومولاي وصاحب سري ونجواي اما بعد فقد اقلقني السهر وزاد بي الفكر ومالي على بعدك مصطبر يا من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق اقلقني والوجد اهلكني وكيف لا اكون كذلك وانا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الحيوة هل لمن انقطعت انفاسه ان يطيب كاسه لانه لا هو مع الاحياء ولا مع الاموات ثم انشدت هذه الابيات

كِتَابُكَ يَا مَسْرُورُ قَدْ هَيَّجَ البَلْوَى ... فَوَاللهِ مَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ وَلَا سَلْوَى
وَلَمَّا قَرَأْتُ الخَطَّ حَنَّتْ جَوَارِحِي ... وَمِنْ مَاءِ دَمْعِي هَاطِلًا لَمْ اَزَلْ اُرْوَى
وَلَوْ كُنْتُ طَيْرًا طِرْتُ فِي جُنْحِ لَيْلَةٍ ... فَلَمْ اَدْرِ طَعْمَ المَنِّ بَعْدَكَ وَالسَّلْوَى
حَرَامٌ عَلَيَّ العَيْشُ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ ... فَاِنِّي عَلَى حَرِّ التَّفَرُّقِ لَا اَقْوَى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وارسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه الا لاختي نسيم فلما وصل الى اختها نسيم اوصلته الى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشي عليه هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر زوج زين المواصف فانه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتها من محل الى محل فقالت له زين المواصف سبحان الله الى اين تسير بنا وتبعد نا عن الاوطان قال الى ان اقطع بكم مسنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور وانظر كيف اخذتن جميع مالي واعطيتنه لمسرور فكل شيء ضاع لي آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدي ثم انه مضى الى الحداد وصنع لهن ثلثة قيود من الحديد واتى بها اليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثيابا من الشعر وصار يبخرها بالكبريت ثم اتى بهن الى الحداد وقال له ضع هذه القيود في ارجل هؤلاء الجواري فاول ما قدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على انامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه فقال لليهودي ما ذنب هؤلاء الجواري فقال الهن جواري وسرقن مالي وهربن مني فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة واذنبت كل يوم الف ذنب

لا يؤاخذها لان ايدينا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا نقدر ثم وضع الحداد في رجليها ثم سأله ان لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عند قالت لليهودي سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جوابا ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيدا صغيرا وقيد الجواري بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلا ونهارا الى ان انحلت جسومهن وتغيرت الوانهن واما الحداد فانه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار الى منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الابيات

شُلَّتْ يَمِينُكَ يَا قَيْنُ بِمَا وَثَقَتْ ... تِلْكَ الْقُيُودَ عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْعَصَبِ
قَيَّدْتَ أَقْدَامَ مَوْلَاةٍ مُنَعَّمَةٍ ... إِنْسِيَّةٍ خُلِقَتْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ مَا كَانَتْ خَلَاخِلُهَا ... مِنَ الْحَدِيدِ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الذَّهَبِ
وَلَوْ رَأَى حُسْنَهَا قَاضِي الْقُضَاةِ رَثَى ... لَهَا وَأَجْلَسَهَا تِيهًا عَلَى الرُّتَبِ

وكان قاضي القضاة مارا على دار الحداد وهو يترنم بانشاد هذه الابيات فارسل اليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائما على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال ادام الله ايام مولانا القاضي وفسح في عمره انها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والكمال بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل ثم اخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضي يا حداد دلها علينا واوصلها الينا حتى نأخذ لها حقها لان هذه الجارية صارت متعلقة برقبتك وان كنت لا تدلها علينا فان الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعا وطاعة ثم انه توجه من وقته وساعته الى دار زين المواصف فوجد الباب مغلوقا وسمع كلاما رخيما من كبد حزين فان زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الابيات

قَدْ كُنْتُ فِي وَطَنِي وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... وَالْحِبُّ يَمْلَأُ لِي بِالصَّفْوِ أَقْدَاحَا
دَارَتْ عَلَيْنَا بِمَا نَهْوَاهُ مِنْ طَرَبٍ ... فَلَيْسَ تُنْكِرُ إِمْسَاءً وَإِصْبَاحَا
لَقَدْ قَضَيْنَا زَمَانًا كَانَ يُنْعِشُنَا ... كَأْسًا وَعُودًا وَقَانُونًا وَأَفْرَاحَا
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ أُلْفَتَنَا ... وَالْحِبُّ وَلَّى وَوَقْتُ الصَّفْوِ قَدْ رَاحَا

فَلَيْتَ عَنَّا غُرَابَ الْبَيْنِ مُنْزَجِرٌ	وَلَيْتَ فَجْرَ وِصَالِي فِي الْهَوَىٰ لَاحَا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن من بالباب فقال لهن انا الحداد ثم اخبرهن بما قاله القاضي وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوة بين يديه حتى يخلص لهن حقهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحداد لما اخبر زين المواصف بكلام القاضي وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح اليه والباب مغلوق علينا والقيود في ارجلنا والمفاتيح مع اليهودي قال لهن الحداد انا اعمل للاقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد انا اصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف نمضي عند القاضي ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال لهن الحداد ان القاضي لا يعيبكن وانتن في هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للاقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من ارجلهن واخرجهن ودلهن على بيت القاضي ثم ان جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها الى الحمام وغسلتها والبستها ثياب الحرير فرجع لونها اليها ومن تمام السعادة ان زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف باحسن الزينة ومضت الى بيت القاضي فلما نظرها القاضي وقف قائما على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة الفاظ ورشقته في ضمن ذلك بسهام الالحاظ وقالت له ادام الله مولانا القاضي وايد به المتقاضي ثم اخبرته بامر الحداد وما فعل معها من فعل الاجواد وبما صنع بها اليهودي من العذاب الذي يدهش الالباب واخبرته انه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضي يا جارية ما اسمك قالت اسمي زين المواصف وجاريتي هذه اسمها هبوب فقال لها القاضي ان اسمك وافق مسماه وطابق لفظه معناه فتبسمت ولفت وجهها فقال لها القاضي يا زين المواصف الك بعل ام لا قالت ما لي بعل قال وما دينك قالت ديني الاسلام وملة خير الانام فقال لها اقسمي بالشريعة

ذات الآيات والعبر انك على ملة خير البشر فاسلمت له وتشهدت فقال لها القاضى كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودي فقالت اعلم ايها القاضى ادام الله ايامك بالتراضى وبلغك امالك وختم بالصالحات اعمالك ان ابي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر الف دينار وجعلها في يد هذا اليهودى ليتجر فيها والكسب بيننا وبينه وراس المال ثابت بالبينة الشرعية فعند ما مات ابي طمع اليهودى فيّ وطلبني من امى ليتزوج بي فقالت له امى كيف اخرجها من دينها واجعلها يهودية فوالله لاعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها واخذ المال وهرب الى مدينة عدن وعند ما سمعنا به انه في مدينة عدن جئنا في طلبه فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا انه يتاجر في البضائع ويشترى بضاعة بعد بضاعة فصدقنا فلم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا اشد العذاب ونحن غرباء ومالنا معين الا الله تعالى ومولانا القاضى فلما سمع القاضى هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب هل هذه سيدتك وانتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجيني بها وانا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة ان لم اخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد ان اجازيه بما فعل فقالت له هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضى روحي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد ان شاء الله تعالى ارسل الى هذا الكافر واخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب في عذابه فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق وغرام وبعد ان انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا على دار القاضى الثاني فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه اعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت امرها الى القضاة الاربعة وكل واحد يسألها ان تتزوج به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم اليهودى بشيء من ذلك لانه كان في دار الوليمة فلما اصبح الصباح نهضت جاريتها وافرغت عليها حلة من افخر الملابس ودخلت بها على القضاة الاربعة في مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين اسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه فعند ذلك قالوا لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك

الا الطيبا فلا بد من ان نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك الا طيبا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودي مقيم عند اصحابه في الولية وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعوا ولاة الاحكام وارباب الاقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من اليم العذاب ثم بكت وانشدت هذه الابيات

يَا عَيْنُ سُحِّي الدَّمْعَ كَالطُّوفَانِ ... فَعَسَى بِدَمْعِي تَنْطَفِي أَحْزَانِي
مِنْ بَعْدِ لُبْسِي لِلْحَرِيرِ مُطَرَّزًا ... أَضْحَى لِبَاسِي مَلْبَسَ الرُّهْبَانِ
وَالْعِطْرُ كِبْرِيتٌ بُخُورُ مَلَابِسِي ... شَتَّانَ بَيْنَ النَّدِّ وَالرَّيْحَانِ
لَوْ كُنْتَ يَا مَسْرُورُ تَعْلَمُ حَالَنَا ... مَا كُنْتَ تَرْضَى ذِلَّتِي وَهَوَانِي
وَهُبُوبُ فِي قَيْدِ الْحَدِيدِ أَسِيرَةٌ ... مَعْ كَافِرٍ بِالْوَاحِدِ الدَّيَّانِ
وَزَهِدْتُ أَحْوَالَ الْيَهُودِ وَدِينَهُمْ ... وَالْيَوْمَ دِينِي أَشْرَفُ الْأَدْيَانِ
وَسَجَدْتُ لِلرَّحْمٰنِ سَجْدَةَ مُسْلِمٍ ... وَتَبِعْتُ شَرْعَ مُحَمَّدٍ بِبَيَانِ
مَسْرُورُ لَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ... وَاحْفَظْ وَثِيقَ الْعَهْدِ وَالْأَيْمَانِ
أَبْدَلْتُ دِينِي فِي هَوَاكَ وَإِنَّنِي ... مِنْ فَرْطِ حُبِّي لَمْ يَزَلْ كِتْمَانِي
بَادِرْ إِلَيْنَا إِنْ حَفِظْتَ وِدَادَنَا ... حِفْظَ الْكِرَامِ وَلَا تَكُنْ مُتَوَانِي

ثم انها كتبت كتابا يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الاول الى الآخر وسطرت فيه هذه الاشعار ثم طوت الكتاب وناولته بجاريتها هبوب وقالت لها احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله الى مسرور فبينما هما كذلك واذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين فقال مالي اراكما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن ما لنا معين عليك الا الله سبحانه وتعالى فانه هو الذي يخلصنا من جورك وان لم تردنا الى بلادنا واوطاننا فنحن في غد نترافع واياك الى حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودي ومن خلصكما من القيود من ارجلكما ولكن لا بد ان اصنع لكل واحدة منكن قيدا قدره

عشرة ارطال واطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع ما نويته لنا تقع فيه
ان شاء الله تعالى كما ابعدتنا عن اوطاننا وفي غد نقف واياك قدام حاكم المدينة
واستمروا على ذلك الى الصباح ثم نهض اليهودى وجاء الى الحداد ليصنع قيودا لهن
فعند ذلك قامت زين المواصف هى وجواريها واتت الى دار الحكم ودخلتها فرأت
القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة السلام ثم قال قاضى القضاة لمن
حوله ان هذه الجارية زهراوية وكل من رآها احبها وخضع لحسنها وجمالها ثم ان
القاضى ارسل معها من الرسل اربعة وكانوا اشرافا وقال لهم احضروا غريمها فى اسوء
حال هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر اليهودى فانه لما صنع لهن القيود
توجه الى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار فى امره فبينما هو كذلك واذا بالرسل قد
تعلقوا به وضربوه ضربا شديدا وجروه سحبا على وجهه حتى اتوا به الى القاضى فلما
رآه القاضى صرخ فى وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من امرك انك فعلت
ما فعلت وابعدت هؤلاء عن اوطانهن وسرقت مالهن وتريد ان تجعلهن يهودا
فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودى يا مولاى ان هذه زوجتى فلما سمع القضاة
منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الارض وانزلوا على وجهه
بنعالكم واضربوه ضربا وجيعا فان ذنبه لا يغفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير والبسوه
ثيابا من الشعر والقوه على الارض ونتفوا لحيته وضربوه ضربا وجيعا على وجهه بالنعال
ثم اركبوه على حمار وجعلوا وجهه الى كفله وامسكوه ذيل الحمار فى يده وطافوا به
حول المدينة حتى جرسوه فى سائر البلد ثم عادوا به الى القاضى وهو فى ذل عظيم
فحكم عليه القضاة الاربعة بان تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش
الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال يا سادات القضاة ما تريدون منى
فقالوا له قل ان هذه الجارية ما هى زوجتى وان المال مالها وانا تعديت عليها
وشتتها عن اوطانها فاقر بذلك وكتبوا باقراره حجة واخذوا منه المال ودفعوه
الى زين المواصف واعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأى حسنها وجمالها
متحيرا فى عقله وقد ظن كل واحد من القضاة انها يؤول امرها اليه فلما وصلت
الى منزلها جهزت امرها من جميع ما تحتاج اليه وصبرت الى ان دخل الليل فاخذت
ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هى وجواريها فى ظلام الليل ولم تزل سائرة
مسافة ثلاثة ايام بلياليها هذا ما كان من امر زين المواصف واما ما كان

من امر القضاة فانهم بعد ذهابها امروا بحبس اليهودي زوجها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القضاة امروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف فلما اصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون ان تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند احد منهم ثم ان القاضي الذي ذهب اليه اولاً قال انا اريد اليوم ان انفرج على خارج المدينة لان لي حاجة هناك ثم ركب بغلته واخذ غلامه وصار يطوف في ازقة المدينة طولاً وعرضاً ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبر فبينما هو كذلك اذ وجد باقي القضاة سائرين وكل واحد منهم يظن انها ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في ازقة المدينة فاخبروه بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم الى منزله مريضاً ورقدوا على فرش الضنى ثم ان قاضي القضاة تذكر الحداد فارسل اليه فلما حضر بين يديه قال يا حداد هل تعرف شيئاً من خبر الجارية التي دللتها علينا فوالله ان لم تطلعني عليها والا ضربتك بالسياط فلما سمع الحداد كلام القاضي انشد هذه الابيات

إِنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَلَكَتْ	مَجَامِعَ الْحُسْنِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ حَسَنَا
رَنَتْ غَزَالاً وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَبَدَتْ	شَمْسًا وَمَاجَتْ غَدِيرًا وَانْثَنَتْ غُصُنَا

ثم ان الحداد قال والله يا مولاي حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني ابداً وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت الى منزلها فلم اجدها ولم ار احداً يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء او عرج بها الى السماء فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه ان تخرج منها وقال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من اجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الاربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج الى الطبيب ثم ان وجهاء الناس دخلوا على القاضي الاول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وانشد هذه الابيات

كُفُّوا الْمَلَامَ كَفَانِي مُؤْلِمُ السَّقَمِ	وَاسْتَعْذِرُوا قَاضِيًا يَقْضِي عَلَى الْأُمَمِ

مَنْ كَانَ يَعْذِلُنِي فِي الْحُبِّ يَعْذِرُنِي ... وَلَا يَلُمْ فَقَتِيلُ الْحُبِّ لَمْ يُلَمِ
نَقَاضِياً كُنْتُ وَالْأَقْدَارُ تُسْعِدُنِي ... عَلَى الْمَرَاتِبِ فِي خَطِّي وَفِي قَلَمِي
حَتَّى رُمِيتُ بِسَهْمٍ لَا طَبِيبَ لَهُ ... مِنْ طَرْفِ جَارِيَةٍ جَاءَتْ لِسَفْكِ دَمِي
مَا مِثْلُ مُسْلِمَةٍ تَشْكُو ظُلَامَتَهَا ... وَثَغْرُهَا كَنَظِيمِ الدُّرِّ مُنْتَظِمِ
نَظَرْتُ تَحْتَ مُحَيَّاهَا وَقَدْ سَفَرَتْ ... بَدْرًا بَدَا تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ فِي الظُّلَمِ
وَجْهًا مُنِيرًا وَثَغْرًا بَاسِمًا عَجَبًا ... قَدْ عَمَّهَا الْحُسْنُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ
وَاللهِ مَا نَظَرَتْ عَيْنِي كَطَلْعَتِهَا ... مِنَ الْبَرِيَّةِ فِي عُرْبٍ وَلَا عَجَمِ
يَا حُسْنَ مَا وَعَدَتْنِي وَهِيَ قَائِلَةٌ ... إِذَا وَعَدْتُ أَفِي يَا قَاضِيَ الْأُمَمِ
هَذَا مَقَامِي وَهَذَا مَا بُلِيتُ بِهِ ... لَا تَسْأَلُوا عَنْ شُجُونِي يَا أُولِي الْهِمَمِ

فلما فرغ القاضي من هذه الابيات بكى بكاء شديدا ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الابيات

كَمُلَتْ صِفَاتُ الْعَاشِقِينَ لِمَنْ غَدَا ... فِي الْقَبْرِ مَقْتُولَ الْحَبِيبِ وَصَدِّهِ
قَدْ كَانَ هَذَا لِلْبَرِيَّةِ قَاضِيًا ... وَيَرَاعُهُ سِجْنُ الْحُسَامِ بِغِمْدِهِ
فَقَضَى عَلَيْهِ الْحُبُّ لَمْ نَرَ قَبْلَهُ ... مَوْلًى تَذَلَّلَ فِي الْأَنَامِ لِعَبْدِهِ

ثم انهم ترحموا عليه وانصرفوا الى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضررا ولا الما يحتاج الى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة فاجابهم منشدا بهذه الابيات

بُلِيتُ بِهَا وَمِثْلِي لَا يُلَامُ ... رُمِيتُ بِنَبْلَةٍ مِنْ كَفِّ رَامِ
أَتَتْنِي مَرْأَةٌ تُدْعَى هُبُوبًا ... تَعُدُّ الدَّهْرَ عَامًا بَعْدَ عَامِ
وَمَعْهَا طِفْلَةٌ أَبْدَتْ مُحَيًّا ... يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
فَبَيَّنَتِ الْمَحَاسِنَ وَهْيَ تَشْكُو ... وَأَدْمُعُ جَفْنِهَا ذَاتُ انْسِجَامِ
سَمِعْتُ كَلَامَهَا وَنَظَرْتُ فِيهَا ... فَأَضْنَتْنِي بِثَغْرٍ ذِي ابْتِسَامِ
وَقَدْ رَحَلَتْ بِقَلْبِي أَيْنَ رَاحَتْ ... وَخَلَّتْنِي رَهِينًا فِي غَرَامِي
فَهَذِي قِصَّتِي فَارْثُوا لِحَالِي ... وَحُطُّوا قَاضِيًا غَيْرِي غُلَامِي

ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا الى القاضي الثالث فوجدوه مريضا وحصل له ما حصل للثاني وكذلك

الرابع فوجدوا الجميع مرضى لحبها ووجدوا الشهود ايضا مرضى بحبها فان كل
من رآها مات بحبها وان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود
مرضى بحبها فان كل من رآها مات بعشقها وان لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام
من شدة حبها رحمهم الله اجمعين هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر زين
المواصف فانها جدت في السير مدة ايام حتى قطعت مسافة بعيدة فاتفق انها
خرجت هي وجواريها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان
عنده اربعون بطريقا فلما رأى جمال زين المواصف نزل اليها وعزم عليها وقال
لها استريحوا عندنا عشرة ايام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك
الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها فسدت عقيدته وافتتن بها وصار
يرسل اليها مع البطارقة واحدا بعد واحد لاجل ان يؤلفها فصار كل من ارسله
اليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها له وهي تتعذر وتتمنع ولم يزل دانس
يرسل اليها واحدا بعد واحد حتى ارسل اليها اربعين بطريقا وكل واحد
حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر
لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم باغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس
واشتد غرامه قال في نفسه ان صاحب المثل يقول ما حك جسمي غير
ظفري ولا سعى في مرامي مثل اقدامي ثم نهض قائما على قدميه وصنع طعاما
مفتخرا وحمله ووضعه بين يديها وكان ذلك في اليوم التاسع من العشرة
ايام التي اتفق معها على اقامتها عنده لاجل الاستراحة فلما وضعه بين
يديها قال تفضلي بسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يدها وقالت
بسم الله الرحمن الرحيم واكلت هي وجواريها فلما فرغت من الاكل قال لها يا
سيدتي اريد ان انشدك ابياتا من الشعر قالت له قل فانشد هذه الابيات

مَلَكْتِ قَلْبِي بِالحَاظٍ وَوَجَنَاتِ	وَفِي هَوَاكِ غَدَا نَثْرِي وَابْيَاتِي
أَتَتْرُكِينَ مُحِبًّا مُغْرَمًا دَنِفًا	أُعَالِجُ العِشْقَ حَتَّى فِي المَنَامَاتِ

لانه يكتبني صريعا ما لها فاقد ... فكيف اشغال دير بعد لذاتي
يا سادة جوزيت في الحب سعادتي ... رفقا بحالي وعطفا في شكاياتي

فلما سمعت زين المواصف شعره اجابته عن شعره بهذين البيتين

يا طالب الوصل لا يغررك ذو امل ... اكفف سؤالك عني ايها الرجل
لا تطمع النفس فيما لست تملكه ... ان المطامع مقرون بها الوجل

فلما سمع شعرها رجع الى صومعته وهو متفكر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في امرها ثم بات تلك الليلة في اسوء حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فاننا لا نقدر على اربعين رجلا رهبانا وكل واحد منهم يراودني عن نفسي فقال لها الجواري حبا وكرامة ثم انهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما خرجت هي وجواريها من الدير ليلا لم يزلن سائرات واذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها واذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف فسمعت اهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون ان القضاة والشهود ماتوا في حبها وولى اهل المدينة قضاة وشهودا غيرهم واطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت الى جواريها وقالت لجاريتها هبوب الا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها اذا كان الرهبان الذين عقيدتهم ان الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم انه لا رهبانية في الاسلام ولكن امض بنا الى اوطاننا ما دام امرنا مكتوما ثم انهن سرن وبالغن في السير هذا ما كان من امر زين المواصف وجواريها واما ما كان من امر الرهبان فانهم لما اصبح الصباح اتوا الى زين المواصف لاجل السلام فرأوا المكان خاليا فاخذهم المرض في اجوافهم ثم ان الراهب الاول مزق ثيابه وصار ينشد هذه الابيات

الا يا اصيحابي تعالوا فانني ... مفارقكم عما قليلا وراحل
فان فؤادي فيه الام لوعة ... وقلبي به من زفرة الحب قاتل

لِأَجْلِ فَتَاةٍ قَدْ أَتَتْ نَحْوَ أَرْضِنَا　لَهَا الْبَدْرُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ يُعَادِلُ
فَرَاحَتْ وَخَلَّتْنِي قَتِيلَ جَمَالِهَا　طَرِيحَ سِهَامٍ مِنْ صَادٍ دُونَهَا مَقَاتِلُ

ثم ان الراهب الثاني انشد هذه الابيات

يَا رَاحِلِينَ بِمُهْجَتِي رِفْقًا عَلَى　مِسْكِينِكُمْ وَتَعَطَّفُوا بِالْمَرْجِعِ
رَاحُوا فَرَاحَتْ رَاحَتِي مِنْ بَعْدِهِمْ　وَنَأَوْا وَطِيبُ حَدِيثِهِمْ فِي مَسْمَعِي
شَطُّوا فَشَطَّ مَزَارُهُمْ يَا لَيْتَهُمْ　مَنُّوا عَلَيْنَا فِي الْمَنَامِ بِمَرْجِعِ
أَخَذُوا فُؤَادِي عِنْدَ مَا رَحَلُوا وَقَدْ　تَرَكُوا جَمِيعِي فِي سَوَابِحِ أَدْمُعِي

ثم ان الراهب الثالث انشد هذه الابيات

يُصَوِّرُكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي وَمَسْمَعِي　فَقَلْبِي لَكُمْ مَأْوًى وَكُلِّي بِأَجْمَعِ
وَذِكْرُكُمْ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ فِي فَمِي　وَيَجْرِي كَجَرْيِ الرُّوحِ فِي كُلِّ أَضْلُعِ
وَصَيَّرْتُمُونِي كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَى　وَأَغْرَقْتُمُونِي فِي الْغَرَامِ بِمَدْمَعِي
دَعُونِي أَرَاكُمْ فِي الْمَنَامِ لَعَلَّكُمْ　تُرِيحُوا خُدُودِي مِنْ تَبَارِيحِ أَدْمُعِي

ثم ان الراهب الرابع انشد هذين البيتين

خَرِسَ اللِّسَانُ وَقَلَّ فِيكَ كَلَامِي　وَالْحُبُّ مِنْهُ تَوَجُّعِي وَسَقَامِي
يَا بَدْرَ تِمٍّ فِي السَّمَاءِ مَحَلُّهُ　قَدْ زَادَ فِيكَ تَوَلُّهِي وَهُيَامِي

ثم ان الراهب الخامس انشد هذه الابيات

أَهْوَى قَمَرًا عَاذِلَ الْقَدِّ رَشِيقَ　وَالْخَصْرُ نَحِيلٌ شَاكِي الضَّرَرِ
وَالرِّيقُ لَهُ نَشْبَهُ سُلَافٍ وَرَحِيقٍ　وَالرِّدْفُ ثَقِيلٌ لَا هِيَ الْبَشَرِ
وَالْقَلْبُ غَدَا بِالْغَرَامِ حَرِيقْ　وَالصَّبُّ قَتِيلٌ بَيْنَ السَّمَرِ
وَالدَّمْعُ عَلَى الْخَدِّ قَانٍ كَعَقِيقْ　فِي الْخَدِّ يَسِيلُ مِثْلَ الْمَطَرِ

ثم ان الراهب السادس انشد هذه الابيات

يَا مُتْلِفِي فِي الْحُبِّ فَرْطُ صُدُودِهِ　يَا غُصْنَ بَانٍ لَاحَ نَجْمُ سُعُودِهِ
أَشْكُو إِلَيْكَ كَآبَتِي وَصَبَابَتِي　يَا مُحْرِقِي فِي نَارِ وَرْدِ خُدُودِهِ
هَلْ مِثْلُ صَبٍّ فِيكَ غَادَرَ نُسْكَهُ　وَغَدَا عَدِيمَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ

ثم ان الراهب السابع انشد هذه الابيات

سَجَنَ الْفُؤَادَ وَدَمْعَ عَيْنِي أَطْلَقَا　وَالْوَجْدُ جَدَّدَهُ وَصَبْرِي مَزَّقَا
حُلْوُ الشَّمَائِلِ مَا أَمَرَّ صُدُودَهُ　يَرْمِي الْفُؤَادَ بِسَهْمِهِ عِنْدَ اللِّقَا

يا عاذلي اقصر وتب عما مضى	ما انت في خبر الغرام مصدقا

وهكذا باقي البطارقة والرهبان كلهم يبكون وينشدون الاشعار واما كبيرهم دانس فانه زاد به البكاء والعويل ولم يجد لوصالها من سبيل ثم انه صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عدمت اصطباري يوم سار احبتي	وفارقني من كان سؤلي ومنيتي
فيا حادي الاظعان رفقا بعيسهم	عسى ان يمنوا بالرجوع لدارتي
جفا جفن عيني النوم يوم فراقهم	وجددت احزاني وفارقت لذتي
الى الله اشكو ما الاقي بحبها	لقد انحلت جسمي واودت بقوتي

ثم انهم لما يئسوا منها اجمع رأيهم على انهم يصورون صورتها عندهم واتفقوا على ذلك الى ان اتاهم هادم اللذات هذا ما كان من امر هؤلاء الرهبان اصحاب الدير واما ما كان من امر زين المواصف فانها سارت تقصد محبوبها مسرورا ولم تزل سائرة الى ان وصلت الى منزلها وفتحت الابواب ودخلت الدار ثم ارسلت الى اختها نسيم فلما سمعت اختها بذلك فرحت فرحا شديدا واحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم انها فرشت لها والبستها وارخت الستور على الابواب واطلقت العود والند والعنبر والمسك الاذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار اعظم ما يكون ثم ان زين المواصف لبست افخر قماشها وتزينت احسن الزينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما دخلت دارها اتت لها اختها بالفراش والقماش وفرشت لها والبستها افخر الثياب كل ذلك جرى و مسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها التي تخلفن عن السفر معها و ذكرت لهن جميع ما وقع لها من الاول الى الآخر ثم انها التفتت الى هبوب و اعطتها دراهم وامرتها ان تذهب وتأتي لها بشيئ تاكله هي وجواريها فذهبت واتت بالذي طلبته من الاكل والشرب فلما انتهى اكلهن وشربهن امرت هبوب

ان تمضي الى مسرور وتنظر اين هو وتشاهد ما هو فيه من الاحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار * فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلى بانشاد الاشعار ويذهب الى الدار ويقبل الجدار فاتفق انه مضى الى محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْهُ وَقَدْ ظَهَرْ ... وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ
نَادَيْتُ لَمَّا قَدْ سَبَى قَلْبِي الْفِكَرْ ... يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ
هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ
لَوْ كَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِفِي ... مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يَا سَادَتِي رِفْقُوا بِصَبٍّ مُدْنَفِ ... وَارْثُوا لِحَالِ كَبِيرِ قَوْمٍ ذَلَّ فِي
شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِيكَ مَا طَاوَعْتُهُمْ ... وَسَدَدْتُ كُلَّ مَسَامِعِي وَنَهَيْتُهُمْ
وَحَفِظْتُ مِيثَاقَ الَّذِينَ حَبَبْتُهُمْ ... قَالُوا عَشِقْتَ مُفَارِقًا فَأَجَبْتُهُمْ
كُفُّوا إِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

ثم انه رجع الى منزله وقعد يبكي فغلب عليه النوم فرأى في منامه كان زين المواصف اتت الى الدار فانتبه من نومه وهو يبكي ثم سار متوجها الى منزل زين المواصف وهو ينشد هذه الابيات

أَأَسْلُو الَّتِي فِي الْحُبِّ قَدْ مَلَكَتْ أَسْرِي ... وَقَلْبِي عَلَى نَارٍ أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ
عَشِقْتُ الَّتِي أَشْكُو إِلَى اللهِ بُعْدَهَا ... وَصَرْفَ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثِ مِنْ دَهْرِي
مَتَى الْمُلْتَقَى يَا غَايَةَ الْقَلْبِ وَالْمُنَى ... وَأَحْظَى بِجَمْعِ الشَّمْلِ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ

وكان آخر ما انشد من الشعر وهو ماش في زقاق زين المواصف فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه واذا بهبوب متوجهة الى قضاء حاجة فرأها وهي مقبلة من صدر الزقاق فلما رأها فرح فرحا شديدا فلما رأته هبوب اتت اليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له انها ارسلتني في طلبك اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم اخذته ورجعت به اليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزالا يقبلان بعضهما بعضا ويتعانقان حتى غشي عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والفراق فلما افاق

من خشيتها امرت جاريتها هبوب باحضار قُلّة مملوءة من شراب السكر وقلّة مملوءة من شراب الليمون فاحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم اكلوا وشربوا وما زالوا كذلك الى ان اقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من اوله الى آخره ثم انها اخبرته باسلامها ففرح واسلم هو ايضا وكذلك جواريها وتابوا الى الله تعالى فلما اصبح الصباح امرت باحضار القاضي والشهود واخبرتهم انها عازبة وقد وفت العدّة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها عليه وصاروا في ارغد عيش هذا ما كان من امر زين المواصف ومسرور وامّا ما كان من امر زوجها اليهودي فانه حين اطلقه اهل المدينة من السجن سافر منها متوجها الى بلاده ولم يزل مسافرا حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلثة ايام فاخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها امضي الى مقبرة اليهود واحفري قبرا وضعي عليه الرياحين ورشّي حوله الماء وان جاء اليهودي وسألك عني فقولي له ان سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوما فان قال لك اريني قبرها فخذيه الى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحيوة فقالت سمعا وطاعة ثم انهم رفعوا الفراش وادخلوه في مخدع ومضت الى بيت مسرور فقعد هو وايّاها في اكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلثة ايام هذا ما كان من امرهم وامّا ما كان من امر زوجها فانه لما اقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب مَن بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها فقال لها ما يبكيك واين سيدتك فقالت له ان سيدتي قد ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحيّر في امره وبكى بكاء شديدا ثم قال لها يا هبوب اين قبرها فاخذته ومضت به الى المقبرة وارته القبر الذي حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديدا ثم انشد هذين البيتين

شيئانِ لو بَكَتِ الدِماءُ عليهما ... عَيْناي حتى تُؤذِنا بذهابِ
لم يَقْضِيا المِعشارَ من حقّيهما ... شرخُ الشبابِ وفُرقةُ الاحبابِ

ثم بكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

آواهُ وا اسفا قد خانني جلَدي ... ومن فراقِ حبيبي مُتُّ بالكمدِ
يا ما دهاني من بعد الحبيب ويا ... تقطيعَ قلبي على ما قدّمته يدي
يا ليتني قد كتمتُ السرَّ في زمني ... ولم أبُحْ بغرامٍ هاجَ في كبدي

قَدْ كُنْتُ فِي عِيشَةٍ مَرْضِيَّةٍ رَغَدٍ وَصِرْتُ مِنْ بَعْدِهَا فِي الذُّلِّ وَالنَّكَدِ
يَا هُبُوبُ لَقَدْ هَيَّجْتِ لِي شَجَنًا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ مِنْ دُونِ الْوَرَى سَنَدِي
وَمِنَ الْمَوَاصِفِ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَلَا كَانَ الَّذِي بِهِ فَارَقَتْ رُوحِي بِجَسَدِي
لَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى نَقْضِ الْعُهُودِ وَقَدْ عَاتَبْتُ نَفْسِي عَلَى التَّفْرِيطِ فِي عَمَدِي

فلما فرغ من شعره بكى وانّ واشتكى فخرّ مغشيا عليه فلما غشى عليه اسرعت هبوب بجرّه ووضعه فى القبر وهو بالحيوة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت الى سيدتها واعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحا شديدا وانشدت هذين البيتين

الدَّهْرُ أَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكَدِّرِي حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِي
مَاتَ الْعَذُولُ وَمَنْ هَوِيتُ مُوَاصِلِي فَانْهَضْ إِلَى دَاعِ السُّرُورِ وَشَمِّرِ

ثم انهم اقاموا مع بعضهم على الاكل والشرب واللهو واللعب والطرب الى ان اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات

ومما يحكى

انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من اكابر التجار ومن الامناء الاحرار الّا انه كان مولعا بالسفر الى جميع الاقطار ويحب السير فى البرارى والقفار والسهول والاوعار وجزائر البحار فى طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الاخطار وقاسى فى السفر ما يشيب الاطفال الصغار وكان اكثر التجار فى ذلك الزمان مالا واحسنهم مقالا صاحب خيول وبغال وبخاتى وجمال وغرائر واعدال وبضائع واموال واقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وازرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية وكانت غرائر احماله من الحرير لانه كان كثير الاموال بديع الجمال مائل الاعطاف شهى الانعطاف كما قال فيه بعض واصفيه

وَتَاجِرٍ عَايَنْتُ عُشَّاقَهُ وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ثَائِرُ
فَقَالَ مَا لِلنَّاسِ فِي ضَجَّةٍ قُلْتُ عَلَى عَيْنَيْكَ يَا تَاجِرُ

وقال آخر فى وصفه واجاد واتى فيه بالمراد

وَتَاجِرٍ فِي وَصْلِهِ زَادَنَا	وَالقَلْبُ مِنَ الحَاظِهِ حَائِرُ
فَقَالَ لِي مَالَكَ فِي حَيْرَةٍ	قُلْتُ عَلَى عَيْنِكَ يَا تَاجِرُ

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى عليا نور الدين كانه البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القد والاعتدال فجلس ذلك الصبي يوما من الايام في دكان والده على جرى عادته للبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد دارت حوله اولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين ازهر وخد احمر وعذار اخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر

وَمَلِيحٍ قَالَ صِفْنِي	قُلْتُ اَنْتَ فِي الحُسْنِ رَجِيحٌ
قُلْتُ قَوْلًا بِاخْتِصَارٍ	كُلُّ مَا فِيكَ مَلِيحٌ

وكما قال فيه بعض واصفيه

لَهُ خَالٌ عَلَى صَفَحَاتِ خَدٍّ	كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ فِي صَحْنِ مَرْمَرْ
وَالحَاظٌ بِاَسْيَافٍ تُنَادِي	عَلَى عَاصِي الهَوَى اَللّٰهُ اَكْبَرْ

فعزمه اولاد التجار وقالوا يا سيدي نور الدين نشتهي في هذا اليوم انا نتفرج نحن واياك في البستان الفلاني فقال لهم حتى اشاور والدي فاني لم اقدر ان اروح الا باجازته فبينما هم في الكلام واذا بوالده تاج الدين قد اتى فنظر اليه ولده وقال يا ابي ان اولاد التجار قد عزموني لاجل ان اتفرج انا واياهم البستان الفلاني فهل تأذن لي في ذلك فقال نعم يا ولدي ثم انه اعطاه شيئا من المال وقال له توجه معهم فركب اولاد التجار حميرا وبغالا وركب نور الدين بغلة وسار معهم الى بستان فيه ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهو مشيد الاركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه ايوان وباب سماوي يشبه ابواب الجنان وبوابه اسمه رضوان وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الالوان الاحمر كأنه مرجان والاسود كأنه انوف السودان والابيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الانواع مختلفة الالوان صنوان وغير صنوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل

ما تشتهي الشفة واللسان ووجد والعنب مختلف الالوان صنوانا وغير صنوان كما قال فيه الشاعر

عِنَبٌ طَعمُهُ كَطَعمِ الشَّرابِ | حالِكٌ لَونُهُ كَلَونِ الغُرابِ
بَينَ اَوراقِهِ زَهَا فَتَراهُ | كَبَنانِ النِّساءِ بَينَ الخِضابِ

وكما قال فيه الشاعر ايضا

عَناقِيدُ حَكَتْ لَمَّا تَدَلَّتْ | عَلَى قُضبانِها جِسمِي نُحُولا
حَكَتْ عَسَلاً وَمَاءً فِي إِناءٍ | وَعادَتْ بَعدَ حَضْرِمِها شُمُولا

ثم انتهوا الى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالسا في تلك العريشة كانه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوبا على باب العريشة هذين البيتين

سَقَى اللهُ بُستانا تَدَلَّتْ قُطُوفُهُ | فَمالَتْ بِها الاَغصانُ مِن شِدَّةِ الشُّربِ
إِذا رَقَصَتْ اَغصانُهُ بِيَدِ الصَّبا | تُنَقِّطُها الاَنواءُ بِاللُّؤلُؤِ الرَّطبِ

ورأوا مكتوبا في داخل العريشة هذين البيتين

اُدخُلْ بِنا يا صاحِ فِي رَوضَةٍ | تَجلُو عَنِ القَلبِ صَدَا هَمِّهِ
نَسِيمُها يَعثُرُ فِي ذَيلِهِ | وَزَهرُها يَضحَكُ فِي كُمِّهِ

وفي ذلك البستان فواكه ذات افنان والطيار من جميع الاصناف والالوان مثل فاختة وبلبل وكروان وقمري وحمام يغرد على الاغصان وانهارها بها الماء الجاري وقد راق من تلك المجاري باز هار واثمار ذات لذات كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

سَرَتِ النَّسِيمُ عَلَى الغُصُونِ فَشابَهَتْ | خُوْدًا تَعَثَّرُ فِي جَمِيلِ ثِيابِها
وَحَكَتْ جَداوِلُها السُّيُوفَ إِذا انتَضَتْ | اَيدِي الفَوارِسِ مِن غِلافِ قِرابِها

وكما قال فيه الشاعر ايضا

وَالنَّهرُ مَدَّ عَلَى الغُصُونِ وَلَم يَزَلْ | اَبَدًا يُمَثِّلُ شَخصَها فِي قَلبِهِ
حَتَّى إِذا فَطِنَ النَّسِيمُ سَعَى لَها | مِن غَيرَةٍ فَاَمالَها مِن قُربِهِ

واشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان وفيه من الرمان ما يشبه اكر القيروان كما قال فيه الشاعر واجاد

وَرُمّانٍ رَقِيقِ القِشرِ يَحكِي | نُهُودَ البِكرِ إِذ بَرَزَتْ نُحُولا
إِذا قَشَّرتَهُ تَبدُو لَدَينا | مِنَ الياقُوتِ ما بَهَرَ العُقُولا

وكما قال فيه الشاعر

مُلَمْلَمَةٌ تُبْدِي لِقَاصِدِ جَوْفِهَا … يَوَاقِيتَ حُمْرًا فِي مَعَاطِفِ عَبْقَرِ
وَرُمَّانَةٍ شَبَّهْتُهَا إِذْ رَأَيْتُهَا … بِنَهْدِ الْعَذَارَى أَوْ بِقُبَّةِ مَرْمَرِ
وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلْمَرِيضِ وَصِحَّةٌ … وَفِيهَا حَدِيثٌ لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
وَفِيهَا يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ … مَقَالًا بَلِيغًا فِي الْكِتَابِ الْمُسَطَّرِ

وفي ذلك البستان تفاح سكري وداماني يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

تُفَّاحَةٌ جَمَعَتْ لَوْنَيْنِ قَدْ حَكَيَا … خَدَّيْ حَبِيبٍ وَمَحْبُوبٍ قَدِ اجْتَمَعَا
لَاحَا عَلَى الْغُصْنِ كَالضِّدَّيْنِ مِنْ عَجَبٍ … فَذَاكَ أَسْوَدُ وَالثَّانِي بِهِ لَمَعَا
تَعَانَقَا فَبَدَا وَاشٍ فَرَاعَهُمَا … فَاحْمَرَّ ذَا خَجَلًا وَاصْفَرَّ ذَا وَلَعَا

وفي ذلك البستان مشمش لوزي وكافوري وجيلاني وعنتابي كما قال فيه الشاعر

وَالْمِشْمِشُ اللَّوْزِيُّ يَحْكِي عَاشِقًا … جَاءَ الْحَبِيبُ لَهُ فَحَيَّرَ لُبَّهُ
وَكَفَاهُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَيَّمِ مَا بِهِ … يَصْفَرُّ ظَاهِرُهُ وَيُكْسَرُ قَلْبُهُ

وقال فيه آخر واجاد

أُنْظُرْ إِلَى الْمِشْمِشِ فِي زَهْرِهِ … حَدَائِقُ يَجْلُو سَنَاهَا الْحَدَقْ
كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ إِذَا مَا زَهَتْ … الْغُصْنُ يَزْهُو بِهَا فِي الْوَرَقْ

وفي ذلك البستان برقوق وقراصيا وعناب تشفي السقيم من الاوصاب ويقطعون الدوخة والصفراء من الرأس والتين فوق اغصانه ما بين احمر واخضر يحير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

كَأَنَّمَا التِّينُ يَبْدُو مِنْهُ أَبْيَضُهُ … مَعْ أَخْضَرَيْنِ أَوْرَاقٍ مِنَ الشَّجَرِ
أَبْنَاءُ رُومٍ عَلَى أَعْلَى الْقُصُورِ وَقَدْ … جَنَّ الظَّلَامُ لَهُمْ بَاتُوا عَلَى حَذَرِ

وقال آخر واجاد

أَهْلًا بِتِينٍ جَاءَنَا … مُنَضَّدًا عَلَى طَبَقْ
كَسُفْرَةٍ مَضْمُومَةٍ … قَدْ جُمِعَتْ بِلَا حَلَقْ

وقال آخر واجاد

أَنْعِمْ بِتِينٍ طَابَ طَعْمًا وَاكْتَسَى … حُسْنًا وَقَارَبَ مَنْظَرًا مِنْ مَخْبَرِ
يُبْدِي تَعَاطِيهِ إِذَا مَا ذُقْتَهُ … رِيحَ الْأَقَاحِ وَطِيبَ طَعْمِ السُّكَّرِ
وَحَكَى إِذَا مَا صُبَّ فِي أَطْبَاقِهِ … أُكَرًا صُنِعْنَ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ

وما احسن قول بعضهم

قَالُوا وَقَدْ اَلِفَتْ نَفْسِي تَفَكُّهَهَا بِغَيْرِ فَاكِهَةٍ فِي حُبِّهَا هَامُوْا
لِاَيِّ شَيْءٍ تُحِبُّ التِّيْنَ قُلْتُ لَهُمْ لِلتِّيْنِ قَوْمٌ وَلِلْجُمَّيْزِ اَقْوَامُ

واحسن منه قول الآخر

اَلتِّيْنُ يُعْجِبُنِي عَنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ لَمَّا اسْتَوٰى وَالْتَوٰى فِي غُصْنِهِ الزَّاهِي
كَاَنَّهُ عَابِدٌ وَالسُّحْبُ مَاطِرَةٌ فَاضَتْ مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ

وفى ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ما هو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ما هو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان ما بين اصفر واخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

يَهْنِيكَ كُمَّثْرٰى غَدَا لَوْنُهَا لَوْنَ مُحِبٍّ زَائِدِ الصُّفْرَةْ
شَبِيْهَةٌ بِالْبِكْرِ فِي خِدْرِهَا وَالْوَجْهُ مِنْهَا مُسْبَلُ السُّتْرَةْ

وفى ذلك البستان من الخوخ السلطانى ما هو مختلف الالوان من اصفر واحمر كما قال فيه الشاعر

كَاَنَّمَا الْخُوخُ فِي رَوْضِهِ وَقَدْ بَدَا اَحْمَرُهُ الْعَنْدَمِي
بَنَادِقٌ مِنْ ذَهَبٍ اَصْفَرٍ قَدْ خُضِّبَتْ وَجْهُهَا بِالدَّمِ

وفى ذلك البستان من اللوز الاخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلثة اثواب صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه

ثَلٰثَةُ اَثْوَابٍ عَلٰى جَسَدٍ رَطْبٍ مُخَالِفَةُ الْاَشْكَالِ مِنْ صَنْعَةِ الرَّبِّ
تُرِيْهِ الرَّدٰى فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَاِنْ يَكُنِ الْمَسْجُوْنُ فِيْهَا بِلَا ذَنْبِ

وقال اخر واجاد

اَمَا تَرٰى لِلَّوْزِ حِيْنَ نُظْهِرُهُ مِنَ الْاَفَانِيْنِ كَفُّ مُعْتَطِفِ
وَقِشْرُهُ قَدْ جَلَا الْقُلُوْبَ لَنَا كَاَنَّهُ الدُّرُّ دَاخِلَ الصَّدَفِ

واحسن منه قول الآخر

يَا حُسْنَ لَوْزٍ اَخْضَرٍ ... اَصْغَرُهُ مِلْؤُ الْيَدِ
كَاَنَّمَا زِئْبِرُهُ ... نَبْتُ عِذَارِ الْاَمْرَدِ
وَقَدْ غَدَتْ قُلُوْبُهُ ... مِنْ زَوْجٍ وَمُفْرَدِ
كَاَنَّهَا لَآلِئٌ ... تُصَانُ فِي زَبَرْجَدِ

وقال آخر واجاد

مَا اَبْصَرَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ اللَّوْزِ فِي ... حُسْنِهِ لَمَّا بَدَتْ اَنْوَارُهُ
اَلرَّأْسُ مِنْهُ بِاشْتِعَالٍ شَائِبٌ ... حِيْنَ انْتَشَا وَاخْضَرَّ مِنْهُ عِذَارُهُ

وفي ذلك البستان النبق مختلف الالوان صنوان وغير صنوان كما قال فيه بعض واصفيه هذا الشاعر

اُنْظُرْ اِلَى النَّبْقِ فِي الْاَغْصَانِ مُنْتَظِمًا ... كَشَمْشٍ مُعْجِبٍ يَزْهُو عَلَى الْقُضُبِ
كَاَنَّ صُفْرَتَهُ لِلنَّاظِرِيْنَ غَدَتْ ... تَحْكِي جَلَاجِلَ قَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ

وقال آخر واجاد

وَسِدْرَةٍ كُلَّ يَوْمٍ ... مِنْ حُسْنِهَا فِي فُنُوْنِ
كَاَنَّمَا النَّبْقُ فِيْهَا ... وَقَدْ بَدَا لِلْعُيُوْنِ
جَلَاجِلٌ مِنْ نُضَارٍ ... قَدْ عُلِّقَتْ فِي غُصُوْنِ

وفي ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيه الشاعر الولهان

وَحَمْرَاءَ مِلْؤُ الْكَفِّ تَزْهُو بِحُسْنِهَا ... فَظَاهِرُهَا نَارٌ وَبَاطِنُهَا ثَلْجُ
وَمِنْ عَجَبٍ ثَلْجٌ مَعَ النَّارِ لَمْ يَذُبْ ... وَمِنْ عَجَبٍ نَارٌ وَلَيْسَ لَهَا وَهْجُ

وقال بعضهم واجاد

وَاَشْجَارِ نَارَنْجٍ كَاَنَّ ثِمَارَهَا ... اِذَا مَا بَدَتْ لِلنَّاظِرِ الْمُتَفَرِّسِ
خُدُوْدُ نِسَاءٍ قَدْ تَبَرَّجْنَ زِيْنَةً ... بِاَيَّامِ عِيْدٍ فِي غَلَائِلِ سُنْدُسِ

وقال آخر واجاد

كَاَنَّ رُبَى النَّارَنْجِ اِذْ هَبَّتِ الصَّبَا ... وَاَضْحَتْ بِهِ الْاَغْصَانُ وَهْيَ تَمِيْدُ
خُدُوْدٌ عَلَيْهَا بَهْجَةُ الْحُسْنِ اَقْبَلَتْ ... عَلَيْهَا بِاَوْقَاتِ السَّلَامِ خُدُوْدُ

وقال آخر واجاد

وَشَادِنٍ قُلْنَا لَهُ صِفْ لَنَا ... بُسْتَانَنَا هٰذَا وَنَارَنْجَنَا
فَقَالَ لِي بُسْتَانُكُمْ طَلْعَتِي ... وَمَنْ جَنَى النَّارَنْجَ نَارًا جَنَى

وفي ذلك البستان الاترج لونه كلون التبر وقد حط من اعلى مكان وتدلى في الاغصان كما قال فيه كأنه سبائك العقيان وقد قال فيه الشاعر الولهان

أَمَا تَرَى أَيْكَةَ الْأُتْرُجِّ مُثْمِرَةً	يُخْشَى عَلَيْهَا إِذَا مَالَتْ مِنَ الْعَطَبِ
كَأَنَّمَا عِنْدَ مَا مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا	غُصُونُ تَحْمِلُ قُضْبًا نَامِنَ الذَّهَبِ

وفي ذلك البستان الكباد متدل في اغصانه كنهود ابكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر واجاد

وَكَبَّادَةٍ بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرْتُهَا	عَلَى غُصْنٍ رَطْبٍ كَقَامَةِ اَغْيَدِ
إِذَا مَيَّلَتْهَا الرِّيحُ مَالَتْ كَأُكْرَةٍ	بَدَتْ ذَهَبًا فِي صَوْلَجَانِ زَبَرْجَدِ

وفي ذلك البستان الليمون زاكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة لجانيه وريحه يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه

اَمَا تَرَى اللَّيْمُونَ لَمَّا بَدَا	يَأْخُذُ إِشْرَاقَهُ بِالْعِيَانِ
كَأَنَّهُ بَيْضُ دُجَاجٍ وَقَدْ	لَطَّخَهُ الْخَمْسُ بِالزَّعْفَرَانِ

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضروات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر انواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الاجناس في ذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه اذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد الا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج اولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه واجلسوا نور الدين في وسط الايوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما جلسوا في الليوان اجلسوا نور الدين في وسط الايوان على نطع من الاديم المزركش متكئا على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان

وَمِزْوَجَةٍ مُعَطَّرَةِ النَّسِيمِ ... تُذَكِّرُ طِيبَ اَوْقَاتِ النَّعِيمِ
وَنَهْدِي طِيبَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ ... اِلَى وَجْهِ الْفَتَى الْحُرِّ الْكَرِيمِ

ثم ان هؤلاء الشباب خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون اطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل في نور الدين وينظر الى حسن صورته وبعد ان اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان اقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها اوان من الصيني والبلور لان بعض اولاد التجار كان وصى اهل بيته بها قبل خروجه الى البستان وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسبح في البحار كالقطا والسمان وافراخ الحمام وشياه الضان والطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا واكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الاكل قاموا عن الطعام وغسلوا ايديهم بالماء الصافي والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا ايديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلا مطرزا بالذهب الاحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث واذا بخولي البستان ذهب وجاء بسل مملوء بالورد وقال ما تقولون يا اسيادنا في المشموم فقال بعض اولاد التجار لا بأس به خصوصا الورد فانه لا يرد فقال البستاني نعم ولكن من عادتنا اننا لا نعطي الورد الا بالمنادمة فمن اراد اخذه فليأت بشيء من الشعر يناسب المقام وكان اولاد التجار عشرة اشخاص فقال واحد منهم نعم اعطني وانا انشدك شيئا من الشعر يناسب المقام فناوله حزمة من الورد فاخذها وانشد هذين البيتين

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ ... لِاَنَّهُ لَا يُمَلُّ
كُلُّ الرَّيَاحِينِ جُنْدٌ ... وَهُوَ الْاَمِيرُ الْاَجَلُّ
اِنْ غَابَ عَزُّوا وَتَاهُوا ... حَتَّى اِذَا جَاءَ ذَلُّوا

ثم ناول الثاني حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

دُونَكَ يَا سَيِّدِي وَرْدَةً ... يُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ اَنْفَاسُهَا
كَغَادَةٍ اَبْصَرَهَا عَاشِقٌ ... غَطَّتْ بِاَكْمَامِهَا رَاْسَهَا

ثم ناول الثالث حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

وَرْدٌ نَفِيسٌ يَسُرُّ الْقَلْبَ رُؤْيَتُهُ ... تَحْكِي رَوَائِحُهُ مَا طَابَ مِنْ نَدِّ
قَدْ ضَمَّهُ الْغُصْنُ فِي اَوْرَاقِهِ طَرَبًا ... كَقُبْلَةٍ بِفَمٍ مِنْ غَيْرِ مَا صَدِّ

ثم ناول الرابع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

اَمَا تَرَى دَوحَةَ الوَردِ الَّتِي ظَهَرَت ... لَهَا بَدَائِعُ قَد رُكِّبنَ فِي قُضُبِ
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتٌ يُطُوفُ بِهَا ... زَبَرجَدٌ قَد حَوَى شَيئًا مِنَ الذَّهَبِ

ثم ناول الخامس حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

قُضُبُ الزَّبَرجَدِ قَد حَمَلنَ وَاِنَّمَا ... اَثمَارُهُنَّ سَبَائِكُ العِقيَانِ
وَكَأَنَّ وَقعَ القَطرِ مِن اَورَاقِهِ ... دَمعٌ بَكَتهُ فَوَاتِرُ الاَجفَانِ

ثم ناول السادس حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

يَا وَردَةً لِبَدِيعِ الحُسنِ قَد جَمَعَت ... وَاَودَعَ اللهُ فِيهَا لُطفَ اَسرَارِ
كَأَنَّهَا خَدُّ مَحبُوبٍ وَنَقَّطَهُ ... لَدَى التَّوَاصُلِ مُشتَاقٌ بِدِينَارِ

ثم ناول السابع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

قُلتُ لِلوَردِ مَا لِشَوكِكَ يُؤذِي ... كُلَّ مَن مَسَّهُ سَرِيعَ الجِرَاحِ
قَالَ لِي مَعشَرُ الرَّيَاحِينِ جُندِي ... اَنَا سُلطَانُهَا وَشَوكِي سِلَاحِي

ثم ناول الثامن حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

رَعَى اللهُ وَردًا غَدَا اَصفَرًا ... بَهِيًّا نَضِيرًا يُحَاكِي النُّضَارَا
وَحُسنَ غُصُونٍ بِهِ اَثمَرَت ... وَحَمَّلنَ مِنهُ شُمُوسًا صِفَارَا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

شَجَرَاتُ وَردٍ اَصفَرٍ جَذَبَت ... فِي قَلبِ كُلِّ مُتَيَّمٍ طَرَبَا
عَجَبًا لَهَا مِن دَوحَةٍ سُقِيَت ... مَاءَ اللُّجَينِ فَاَثمَرَت ذَهَبَا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين

اَلَم تَرَ اَنَّ جُندَ الوَردِ يَزهُو ... بِصُفرٍ مِن مَطَالِعِهِ وَحُمرِ
وَقَد شَبَّهتُهُ وَالشَّوكُ فِيهِ ... نِصَالَ زُمُرُّدٍ فِي تُرسِ تِبرِ

فلما استقر الورد في ايديهم احضر البستاني صفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الاحمر وانشد يقول هذين البيتين

هَتَفَ الفَجرُ بِالسَّنَا فَاسقِ خَمرًا ... عَانِسًا تَجعَلُ الحَلِيمَ سَفِيهَا
لَستُ اَدرِي مِن لُطفِهَا وَصَفَاهَا ... اَبِكَاسٍ تُرَى اَمِ الكَاسُ فِيهَا

ثم ان خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور الى ان وصل الى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولي البستان كاسا وناوله اياه فقال له نور الدين

انت تعرف ان هذا شيء لا اعرفه ولا شربته قط لان فيه اثما كبيرا وقد حرمه في كتابه الرب القدير فقال خولي البستان ياسيدي نور الدين ان كنت ما تركت شربه الا من اجل الاثم فان الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللّٰهَ ذُو كَرَمٍ	وَمَا عَلَيْكَ إِذَا أَذْنَبْتَ مِنْ بَأْسِ
إِلَّا اثْنَتَيْنِ فَلَا تَقْرَبْهُمَا أَبَدًا	اَلشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَالْإِضْرَارُ لِلنَّاسِ

ثم قال واحد من اولاد التجار بحيوتي عليك ياسيدي نور الدين ان تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على اقدامه فاستحى نور الدين واخذ القدح من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له الشاب خولي البستان ياسيدي نور الدين لولا انه مر ما كانت فيه هذه المنافع الم تعلم ان كل حلو اذا اكل على سبيل التداوي يجده الآكل مرا وان هذه الخمرة منافعها كثيرة فمن جملة منافعها انها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الارياح وتروق الدم وتصفي اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوى همة الرجل على الجماع ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء

شَرِبْنَا وَعَفْوُ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	وَدَاوَيْتُ أَسْقَامِي بِمُرْتَشَفِ الْكَاسِ
وَمَا غَرَّنِي فِيهَا وَأَعْرِفُ إِثْمَهَا	سِوَى قَوْلِهِ فِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ

ثم ان خولي البستان نهض قائما على اقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعا من مخادع ذلك الايوان واخرج منه قمع السكر مكررا وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال له ياسيدي ان كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشربه الآن فقد حلا فعند ذلك اخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكاس واحد من اولاد التجار وقال ياسيدي نور الدين انا عبدك وكذا الآخر قال انا من خدامك وقام الآخر وقال من اجل خاطري وقام الآخر وقال بالله عليك يا سيدي نور الدين اجبر بخاطري ولم يزل العشرة اولاد التجار بنور الدين الى ان اسقوه العشرة اقداح كل واحد قدحا وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمرا قط الا في تلك الساعة فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال ياجماعة والله انتم ملاح وكلامكم

مليح ومكانكم مليح الا انه يحتاج الى سماع طيب فان الشراب بلا سماع عدمه اولى من وجوده كما قال الشاعر فيه هذين البيتين

أَدِرْهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ ... وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي ... رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيرِ

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال اولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كانها الية طرية او فضة نقية او دينار في صينية او غزال في برية بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بابلية وحواجب كانها قسي محنية وخد وردية واسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماصية واعكان مطوية وارداف كانها مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كانه صرة في بقجة مطوية كما قيل فيها هذه الابيات

وَلَوْ أَنَّهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ ... رَأَوْا وَجْهَهَا مِنْ دُونِ أَصْنَامِهِمْ رَبَّا
وَلَوْ أَنَّهَا فِي الشَّرْقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ ... لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ وَاتَّبَعَ الْغَرْبَا
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ ... لَأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا عَذْبَا

وقال آخر هذه الابيات

أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ كَحْلَاءُ الْعُيُونِ بَدَتْ ... كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ قَنَصَتْ أَشْبَالَ آسَادِ
أَرْخَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِي مِنْ ذَوَائِبِهَا ... بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يُشْدَدْ بِأَوْتَادِ
مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهَا النِّيرَانُ مَا اتَّقَدَتْ ... إِلَّا بِأَفْئِدَةٍ ذَابَتْ وَأَكْبَادِ
فَلَوْ رَآهَا حِسَانُ الْعَصْرِ قُمْنَ لَهَا ... عَلَى الرُّؤُوسِ وَقُلْنَ الْفَضْلُ لِلْبَادِي

وما احسن قول بعض الشعراء

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا عَنْ زِيَارَتِنَا ... خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الْحَاسِدِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا ... حَوَتْ مَعَاطِفُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ ... وَالْحُلِيَّ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

وتلك الصبية كانها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع اخضر فوق جبين ازهر تدهش العقول وتحير ارباب المعقول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خولي البستان لما جاءهم بالصبية التي ذكرناها انها في غاية من الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كانها المرادة بقول الشاعر

أَقْبَلَتْ فِي غِلَالَةٍ زَرْقَاءِ ... لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَحَقَّقْتُ فِي الْغِلَالَةِ مِنْهَا ... قَمَرَ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

وما احسن قول الآخر واجوده

جَاءَتْ مُبَرْقَعَةً فَقُلْتُ لَهَا اسْفِرِي ... عَنْ وَجْهِكِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْأَزْهَرِ
قَالَتْ أَخَافُ الْعَارَ قُلْتُ لَهَا اقْصُرِي ... بِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ لَا تَتَحَيَّرِي
رَفَعَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ عَنْ وَجَنَاتِهَا ... فَتَسَاقَطَ الْبَلُّورُ فَوْقَ الْجَوْهَرِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِقُبْلَةٍ فِي خَدِّهَا ... كَيْمَا تَكُونَ خَصِيمَتِي فِي الْمَحْشَرِ
وَنَكُونَ أَوَّلَ عَاشِقَيْنِ تَخَاصَمَا ... يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبٍّ أَكْبَرِ
وَأَقُولُ طَوِّلْ فِي الْحِسَابِ وُقُوفَنَا ... حَتَّى يَطُولَ إِلَى الْحَبِيبَةِ مَنْظَرِي

ثم ان الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية اعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح اننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان الا ان تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين فانه لم يات محلنا هذا الا في هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت اخبرتني لاجل ان اجئ بالذى كان معي فقال لها يا سيدتي انا اروح واجئ به اليك فقالت الصبية افعل ما بدا لك فقال لها اعطيني امارة فاعطته منديلا فعند ذلك خرج سريعا وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس اخضر من حرير اطلس بشكلين من الذهب فاخذته الصبية منه وحلته ونفضته فنزل منه اثنتان وثلثون قطعة خشب ثم ركبت الخشبة في بعضه على صورة ذكر في انثى وانثى في ذكر وكشفت عنه معاصمها واقامته فصار عودا محكوكا مجرودا صنعة الهنود ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته باناملها فعند ذلك ان العود ورن ولاماكنه القديمة قد حن وقد تذكر المياه التي قد سقته والارض التي نبت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكانها سالته عن ذلك كله فاجابها بلسان الحال منشدا هذه الابيات

لَقَدْ كُنْتُ عُودًا لِلْبَلَابِلِ مَنْزِلًا ... أَمِيلُ بِهَا وَجْدًا وَفَرْعِي أَخْضَرُ

ينوحون من نوحي فعلمت نوحهم ... ومن اجل ذاك النوح سرّي مجهر
وما لي بلا ذنب على الارض قاطعي ... وصيّرني عودًا نحيلًا كما ترى
ولكنّ ضربي بالانامل مخبر ... باني قتيل في الانام مصبّر
فمن اجل هذا صار كل منادم ... اذا ما رأى نوحي يهيم ويسكر
وقد حنّن المولى عليّ قلوبهم ... وقد صرت في اعلى الصدور واصدر
تعانق قدّي كلّ من فاق حسنها ... وكلّ غزال ناعس الطرف احور
فلا فرّق الله المهيمن بيننا ... ولا عاش محبوب بصدّ ويهجر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك اخذت العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقا عديدة ثم عادت الى طريقتها الاولى وانشدت هذه الابيات

لو انّهم جنحوا للصبّ او زاروا ... لحطّ عنه من الاشواق اوزار
وعندليب على غصن يناجزه ... كأنّه عاشق شطّت به الدار
قم وانتبه فليالي الوصل مقمرة ... كأنّها باجتماع الشمل اسحار
واليوم في غفلة عنّا حواسدنا ... وقد دعتنا الى اللذات اوتار
اما ترى اربعا للهو قد جمعت ... آس وورد ومنثور وانوار
واليوم قد جمعت للحظ اربعة ... صبّ وخلّ ومشروب ودينار
فاظفر بحظك في الدنيا فلذّتها ... تفنى وتبقى روايات واخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الابيات نظر اليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل اليها وهي الاخرى كذلك لانها نظرت الى الجماعة الحاضرين من اولاد التجار كلهم والى نور الدين فرأت انه بينهم كالقمر بين النجوم لانه رخيم اللفظ والدلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال الطف من النسيم وارق من التسنيم كما قيل فيه هذه الابيات

قسمًا بوجنته وباسم ثغره ... وبأسهم قد راشها من سحره
وبلين معطفه ونبل لحاظه ... وبياض غرّته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظري ... وسطا عليّ بنهيه وبأمره
وعقارب قد ارسلت من صدغه ... وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خدّيه وآس عذاره ... وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره

وَبِغُصْنِ قَامَتِهِ الَّذِي هُوَ مُثْمِرٌ ... رُمَّانُهُ يَزْهُو جَنَاهُ بِصَدْرِهِ
وَبِرِدْفِهِ الْمُرْتَجِّ فِي حَرَكَاتِهِ ... وَسُكُونِهِ وَبِدِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ
وَحَرِيرِ مَلْبَسِهِ وَخِفَّةِ ذَاتِهِ ... وَبِمَا حَوَاهُ مِنَ الْجَمَالِ بِأَسْرِهِ
إِنَّ الشَّذَا قَدْ فَاحَ مِنْ أَنْفَاسِهِ ... وَالرِّيحُ تَرْوِي طِيبَهَا عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ دُونَهُ ... وَكَذَا الْهِلَالُ قُلَامَةٌ مِنْ ظُفْرِهِ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها اعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول

عَوَّادَةٌ مَالَتْ بِنَا ... فِي نَشْوَةِ الْمُتَنَبِّذِ
قَالَتْ لَنَا أَوْتَارُهَا ... أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وانشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقا وغراما وقد صارت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانيا وانشدت هذه الابيات

يُعَاتِبُنِي عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ ... وَيَهْجُرُنِي وَرُوحِي فِي يَدَيْهِ
وَيُبْعِدُنِي وَيَعْلَمُ مَا بِقَلْبِي ... كَأَنَّ اللهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ
كَتَبْتُ مِثَالَهُ فِي وَسْطِ كَفِّي ... وَقُلْتُ لِنَاظِرِي عَوِّلْ عَلَيْهِ
فَلَا عَيْنِي تَرَى مِنْهُ بَدِيلًا ... وَلَا قَلْبِي يُصَبِّرُنِي لَدَيْهِ
فَيَا قَلْبِي نَزَعْتُكَ مِنْ فُؤَادِي ... لِأَنَّكَ بَعْضُ حُسَّادِي عَلَيْهِ
إِذَا مَا قُلْتُ يَا قَلْبِي تَسَلَّى ... فَقَلْبِي لَمْ يَمِلْ إِلَّا إِلَيْهِ

فلما انشدت الصبية تلك الابيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر ان يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال اليها وضمها الى صدره فانطبقت الاخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام ولعب معها في التقبيل زق الحمام فالتفتت له

وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على اقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها ثم انها اخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذه الابيات

قمرٌ يسلّ من الجفون اذا انثنى　عضباً ويهزّ بالغزال اذا رنا
ملكٌ محاسنه البديعة جنده　ولدى الطعان قوامه تحكي القنا
لو ان رقة خصره في قلبه　ما جار قط على المحب ولا جنى
يا قلبه القاسي ودقة خصره　هل لا نقلت الى هنا من ها هنا
يا عاذلي في حبه كن عاذري　فلك البقاء بحسنه ولي الفنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال اليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم انه انشد هذه الابيات

لقد خلتها شمس الضحى فتخيلت　ولكن لهيب الحر منها بمهجتي
وماذا عليها لو اشارت فسلمت　علينا باطراف البنان واومت
رأى وجهها اللاحي فقال وتاه في　محاسنها اللاتي عن الحسن جلت
أهذي التي قد همت شوقاً بحبها　فانك معذور فقلت هي التي
رمتني بسهم اللحظ عمداً وما رثت　لحالي وذلي وانكساري وغربتي
فاصبحت مسلوب الفؤاد متيماً　انوح وابكي طول يومي وليلتي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته واخذت عودها وضربت عليه باحسن حركاتها واعادت جميع النغمات ثم انشدت هذه الابيات

وحياة وجهك يا حياة الانفس　لا حلت عنك يئست ام لم ايأس
فلئن جفوت فان طيفك واصل　او غبت عن عيني فذكرك مؤنسي
يا موحشاً طرفي وتعلم انني　ابداً بغير هواك لم استأنس
خداك من ورد وريقك قهوة　هلا سمحت بها بهذا المجلس

فعند ذلك طرب نور الدين من انشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم اجابها عن شعرها بهذه الابيات

ما اسفرت عن محيا الشمس في الغسق　الا تحجب بدر التم في الافق
ولا بدت لعيون الصبح طرتها　الا وعوذ ذاك الفرق بالفلق
خذ من مجاري دموعي في تسلسلها　وارو الحديث هوى من اقرب الطرق

وَرُبَّ دَاهِيَةٍ بِالنَّبْلِ قُلْتُ لَهَا | مَهْلاً بِنَبْلِكِ اِنَّ الْقَلْبَ فِي فَرَقٍ
اِنْ كَانَ دَمْعِي بِبَحْرِ النَّبْلِ تَنْسِبُهُ | فَاِنَّ وَذَلِكَ مَنْسُوبٌ اِلَى الْمَلَقِ
قَالَتْ فَهَاتِ جَمِيعَ الْمَالِ قُلْتُ خُذِي | قَالَتْ وَنَوْمَكَ اَيْضًا قُلْتُ مِنْ حَدَقِي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته الى صدرها وصارت تقبله تقبيلا كزق الحمام كذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد ان فرغت من التقبيل اخذت العود وانشدت هذه الابيات

وَيْلاهُ وَيْلِي مِنْ مَلامَةِ عَاذِلٍ | اَشْكُوهُ اَمْ اَشْكُو اِلَيْهِ تَمَلْمُلِي
يَا هَاجِرِي مَا كُنْتُ اَحْسِبُ اَنَّنِي | اَلْقَى الْاِهَانَةَ فِي هَوَاكَ وَاَنْتَ لِي
عَنَّفْتُ اَرْبَابَ الصَّبَابَةِ بِالْهَوَى | وَاَبَحْتُ فِيكَ لِعَاذِلِيكَ تَذَلُّلِي
بِالْاَمْسِ كُنْتُ اَلُومُ اَرْبَابَ الْهَوَى | وَالْيَوْمَ اَعْذِرُ كُلَّ صَبٍّ مُبْتَلِي
وَاِنِ اعْتَرَتْنِي مِنْ فِرَاقِكَ شِدَّةٌ | اَصْبَحْتُ اَدْعُو اللّٰهَ بِاسْمِكَ يَا عَلِي

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها انشدت ايضا هذين البيتين

قَالَتِ الْعُشَّاقُ اِنْ لَمْ يُسْقِنَا | مِنْ رِيقِهِ وَرَحِيقٍ فِيهِ السَّلْسَلِ
نَدْعُو اِلٰهَ الْعَالَمِينَ يُجِيبُنَا | وَيَقُولُ فِيهِ الْكُلُّ مِنَّا يَا عَلِي

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافتها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وقلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيه وقبلته بين عينيه وعلى شامة خديه ووهبت له جميع ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبي ان الهدية على مقدار مهديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم ردّه عليها وقبّلها في فمها وخدها وجبينها فلما انقضى ذلك ولم يبق الا الحي القيوم رازق الطاوس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على

قدميه فقالت له الصبية الى اين يا سيدى فقال لها الى بيت والدى فحلف عليه اولاد التجار انه ينام عندهم فابى وركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت والده فقامت له امه وقالت له يا ولدى ما سبب غيابك الى هذا الوقت والله انك قد شوشت عليّ وعلى والدك بغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك ثم ان امه تقدمت اليه لتقبله فى فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت يا ولدى كيف بعد الصلوة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصى من له الخلق والامر فبينما هما فى الكلام واذا بوالده قد اقبل ثم ان نور الدين ارتمى فى الفراش ونام فقال ابوه ما لنور الدين هكذا فقالت له امه كان راسه اوجعته من هواء البستان فعند ذلك تقدم له والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشم منه رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر فقال له ويلك يا ولدى هل بلغ بك السفه الى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده وهو فى سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالامر المقدر على عين والده اليمنى فسالت على خده فوقع على الارض مغشيا عليه واستمر فى غيشته ساعة فرشوا عليه ماء الورد فلما افاق من غشيته اراد ان يضربه فمنعته امه فحلف بالطلاق من امه انه اذا اصبح الصباح لا بد من قطع يده اليمنى فلما سمعت امه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تدارى والده وتأخذ بخاطره الى ان غلب عليه النوم فصبرت الى ان طلع القمر واتت الى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذي فعلته مع والدك فقال لها وما الذى فعلته مع والدى فقالت انك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد حلف بالطلاق انه اذا اصبح الصباح لا بد ان يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم فقالت له امه يا ولدي ان هذا الندم لا ينفعك وانما ينبغي لك انك تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل الى احد من اصحابك وانتظر ما يفعل الله فانه يغير حالا بعد حال ثم ان امه فتحت صندوق المال واخرجت منه كيسا فيه مائة دينار وقالت له يا ولدي خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فاذا فرغت منك يا ولدي فارسل اعلمني حتى ارسل اليك غيرها واذا راسلتني فارسل الى اخبارك سرا

ولعل الله ان يقدر لك فرجا وتعود الى منزلك ثم انها ودعته وبكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد فعند ذلك اخذ نور الدين كيس الدنانير من امه واراد ان يخرج فرأى كيسا كبيرا قد نسيته امه بجنب الصندوق فيه الف دينار فاخذه نور الدين ثم ربط الاثنين على وسطه وخرج من الزقاق وتوجه الى جهة بولاق قبل الفجر فلما اصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الله الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم الى مقصده ليحصل ما قسم الله له كان نور الدين وصل الى بولاق فصار يمشى على ساحل البحر فرأى مركبا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها اربع مدقوقة فى البر ورأى البحرية واقفين فقال لهم نور الدين الى اين انتم مسافرون فقالوا له الى مدينة اسكندرية فقال لهم نور الدين خذونى معكم فقالوا له اهلا وسهلا ومرحبا بك يا شاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من زوادة وفرش وغطاء ثم رجع الى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين فى المركب لم تمكث الا قليلا وسارت من وقتها وساعتها ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت الى مدينة رشيد فلما وصلوا الى هناك رأى نور الدين زورقا صغيرا سائرا الى اسكندرية فنزل فيه وعدى الخليج ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قنطرة تسمى قنطرة الجامى فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره احد من الواقفين فى الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رأى مدينة حصينة الاسوار حسنة المتنزهات تلذ لسكانها وترغب فى ايطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهت ازهارها واورقت اشجارها واينعت اثمارها وتدفقت انهارها وهى مدينة مليحة الهندسة والقياس اهلها اجناس من خيار الناس اذا غلقت ابوابها امنت اصحابها وهى كما قيل فيها هذه الابيات

قد قلت يوما لخل	له مقال فصيح

إِسْكَنْدَرِيَّةُ صِفْهَا	فَقَالَ ثَغْرٌ مَلِيحُ
قُلْتُ وَفِيهَا مَعَاشٌ	فَقَالَ إِنْ هَبَّ رِيحُ

وقال بعض الشعراء

إِسْكَنْدَرِيَّةُ ثَغْرٌ	رُضَابُهُ يُسْتَطَابُ
مَا أَحْسَنَ الْوَصْلَ فِيهَا	إِنْ لَمْ يُصِبْهَا غُرَابُ

فمشى نور الدين في تلك المدينة ولم يزل ماشيا فيها الى ان وصل الى سوق التجارين ثم الى سوق الصرافين ثم الى سوق النقلية ثم الى سوق الفكهانية ثم الى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لان وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشي في سوق العطارين واذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم اخذه من يده ومضى به الى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الاشجار اوراق وفي ذلك الزقاق ثلث دور وفي صدر ذلك الزقاق دار اساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة الى عنان السماء قد كنسوا الساحة التي قدامها ورشوها وتنشم روائح الازهار قاصدوها يقابلها النسيم كانه من جنان النعيم فاول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين الى تلك الدار وقدم له شيئا من الماكول واكل هو واياه فلما فرغ من الاكل قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر الى هذه المدينة فقال له يا والدي في هذه الليلة قال له ما اسمك قال علي نور الدين فقال له الشيخ يا ولدي يا نور الدين يلزمني الطلاق ثلثا انك ما دمت مقيما في هذه المدينة لا تفارقني وانا اخلي لك موضعا تسكن فيه فقال له نور الدين يا سيدي الشيخ زدني بك معرفة فقال يا ولدي اعلم اني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجرا آخر فاحتجت الى الف دينار فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب علي بها منشورا وصبر علي بها الى ان رجعت الى هذه المدينة وارسلتها اليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وانت صغير وان شاء الله تعالى اجازيك ببعض ما فعل والدك معي فلما سمع نور الدين هذا الكلام اظهر الفرح والابتسام واخرج الكيس الذي فيه الالف دينار واعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيئا من البضائع لاتجر فيه ثم ان نور الدين

اقام في مدينة اسكندرية مدة ايام وهو يتفرج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب الى ان فرغت منه المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة فأتى الى الشيخ العطار ليأخذ منه شيئا من الالف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان فجلس في دكانه ينتظره الى ان يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك واذا باعجمي قد اقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كانها فضة نقية او بلطية في فسقية او غزالة في برية بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بابلية ونهود عاجية و اسنان لؤلؤية وبطن خماصية واعطاف مطوية وسيقان كاطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كما قال فيها بعض واصفيها

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَا تَهْوَاهُ قَدْ خُلِقَتْ	فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ
اَلْوَرْدُ مِنْ خَدِّهَا يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ	وَالْغُصْنُ مِنْ قَدِّهَا يَزْهُو بِهِ الثَّمَرُ
اَلْبَدْرُ طَلْعَتُهَا وَالْمِسْكُ نَكْهَتُهَا	وَالْغُصْنُ قَامَتُهَا مَا مِثْلُهَا بَشَرُ
كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ	فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ حُسْنِهَا قَمَرُ

ثم ان الاعجمي نزل من بغلته وانزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق فاخذها الدلال و نزل بها الى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الأبنوس مزركش بالعاج الابيض فوضعه الدلال على الارض واجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي او كوكب دري وهي كأنها البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعر

أَقَدْ عَارَضَ الْبَدْرُ جَهْلًا حُسْنَ صُورَتِهَا	فَرَاحَ مُنْكَسِفًا وَانْشَقَّ بِالْغَضَبِ
وَسَرْحَةُ الْبَانِ إِنْ قِيسَتْ بِقَامَتِهَا	تَبَّتْ يَدَا مَنْ غَدَتْ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

وما احسن قول الشاعر

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْمُذْهَبِ	مَاذَا فَعَلْتِ بِعَابِدٍ مُتَرَهِّبِ
نُورُ الْخِمَارِ وَنُورُ وَجْهِكِ تَحْتَهُ	هَزَمَا بِضَوْئِهِمَا جُيُوشَ الْغَيْهَبِ
وَإِذَا أَتَى طَرْفِي لِيَسْرِقَ نَظْرَةً	فِي الْخَدِّ حَرَّاسٌ رَمَتْهُ بِكَوْكَبِ

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم تدفعون في درة الغواص وقنيصة القناص فقال له تاجر من التجار عليّ بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة

ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجارية الى ان اوصلوا ثمنها الى تسعمائة و خمسين دينارا وتوقف البيع على الايجاب والقبول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التجار صاروا يتزايدون في الجارية الى ان بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فعند ذلك اقبل الدلال على الاعجمي سيدها وقال له ان جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل تبيع ونقبض لك الثمن فقال الاعجمي هل هي راضية بذلك فاني احب مراعاة خاطرها لاني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت اني لا ابيعها الا لمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فان قالت رضيت فبعها لمن ارادته وان قالت لا فلا تبعها فعند ذلك تقدم الدلال اليها وقال لها يا سيدة الملاح اعلمي ان سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين دينارا افتاذنين ان ابيعك فقالت الجارية للدلال ارني الذي يريد ان يشتريني قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها الى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت اليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت الى الدلال وقالت له يا دلال هل انت مجنون او مصاب في عقلك فقال لها الدلال لاي شيء يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام فقالت له الجارية ايحل لك من الله ان تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شان زوجته هذه الابيات

تَقُولُ لِي وَهِيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِهَا ... وَقَدْ دَعَتْنِي إِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا
إِنْ لَمْ تَنِكْنِي نَيْكَ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ ... فَلَا تَلُمْنِي إِذَا أَصْبَحْتَ قَرْنَانَا
كَأَنَّ أَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُهُ ... فَكُلَّمَا عَرَكَتْهُ رَاحَتِي لَانَا

وقال في ايره ايضا

لِي أَيْرٌ يَنَامُ لُؤْمًا وَشُؤْمًا ... كُلَّمَا نِلْتُ مِنْ حَبِيبٍ وِصَالَا
وَإِذَا مَا غَدَوْتُ فِي الْبَيْتِ فَرْدًا ... طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

وقال في ايره ايضا

وَلِي أَيْرٌ سُوءٌ كَثِيرُ الْجَفَا ... يُعَامِلُ بِاللُّؤْمِ مَنْ يُكْرِمُهْ

إذا نِمتُ قامَ وإنْ قُمتُ نام	فَلا رَحِمَ اللهُ مَنْ يَرحَمُه

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد و قال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت لنا في السوق الا بجارية مشؤمة تتجارى علي وتهجوني بين التجار فعند ذلك اخذها الدلال وانصرف عنه و قال لها يا سيدتي لا تكوني قليلة الادب ان هذا الشيخ الذي هجوته هو شيخ السوق ومحتسبه صاحب مشورة التجار فضحكت وانشدت هذه الابيات

يَصلحُ للحُكّامِ في عصرِنا	وذاكَ للحُكّامِ مِمّا يَجِب
الشنقُ للوالي على بابِهِ	والضربُ بالدِّرّةِ للمُحتَسِب

ثم ان تلك الجارية قالت للدلال والله يا سيدي انا لا اباع لهذا الشيخ فبعني الى غيره لانه ربما يخجل مني فيبيعني الى اخر فاصير ممتهنة ولا ينبغي لي ان ادنس نفسي بالامتحان وقد علمت ان امر بيعي مفوض اليّ فقال لها الدلال سمعا وطاعة ثم توجه بها الى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها الى ذلك الرجل قال لها يا سيدتي هل ابيعك الى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينارا فنظرت اليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل انت مجنون او مصاب في عقلك حتى تبيعني الى هذا الشيخ الفاني فهل انا من كنكت المشاق او من مهلهل الاخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ وكلاهما كجدار ايل الى السقوط او عفريت محقه النجم بالهبوط اما الاول فانه ناطق لسان الحال بقول من قال

طلبتُ قُبلتَها في الثغرِ قائلةً	لا والذي أوجدَ الأشياءَ من عدمِ
ما كانَ لي في بياضِ الشيبِ من أربٍ	أفي الحياةِ يكونُ القطنُ حشوَ فمي

وما احسن قول الشاعر

قالوا بياضُ الشعرِ نورٌ ساطعٌ	يكسو الوجوهَ مهابةً وضياءَ
حتّى بدا خطُّ المشيبِ بمفرقي	فوددتُ أنْ لا أعدمَ الظلماءَ
لو أنَّ لحيةَ مَن يشيبُ صحيفةٌ	بمعادِهِ ما اختارَها بيضاءَ

واحسن منه قول الاخر

ضيفٌ ألمَّ برأسي غيرَ محتشمٍ	السيفُ أحسنُ فعلاً منهُ باللممِ
ابعُدْ بعدتَ بياضاً لا بياضَ لهُ	لأنتَ أسودُ في عيني من الظلمِ

واما الآخر فانه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب فقد اتى في خضاب شيبه باقبح مين وانشد لسان حاله هذين البيتين

قَالَتْ أَرَاكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتُ لَهَا	كَتَمْتُهُ عَنْكِ يَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي
فَقَهْقَهَتْ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ذَا عَجَبٌ	تَكَاثَرَ الْغِشُّ حَتَّى صَارَ فِي الشَّعَرِ

وما احسن قول الشاعر

يَا مَنْ يُخَضِّبُ بِالسَّوَادِ مَشِيبَهُ	كَيْ يَسْتَقِرَّ لَهُ الشَّبَابُ وَيَحْصُلُ
هَا فَاخْتَضِبْ بِسَوَادِ حَظِّي مَرَّةً	وَلَكَ الضَّمَانُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُلُ

فلما سمع الشيخ الذى صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت في هذا اليوم سوقنا الا بجارية سفيهة تسفه على كل من في السوق واحدا بعد واحد وتهجوهم بالاشعار والكلام الفشار ثم ان ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فاخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال لها والله اني ما رايت عمري جارية اقل حياء منك وقد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار وقد بغضني من اجلك جميع التجار فرآها في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين فاستاذن الدلال الجارية في البيع فقالت ارني اياه حتى انظر اليه واسأله عن حاجة فان كانت تلك الحاجة في بيته فانا اباع له والا فلا فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم اليه قال يا سيدي شهاب الدين اعلم ان هذه الجارية قالت لي انها تسألك عن حاجة فان كانت عندك فانها تباع لك وها انت قد سمعت ما قالته لاصحابك من التجار و

ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدلال قال للتاجر انك سمعت ما قالته هذه الجارية لاصحابك التجار انا والله خائف ان اجيء بها اليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك وابقى انا معك مفضوحا فان اذنت لي في المجيء بها اجيء بها اليك فقال له ائتني بها فقال الدلال سمعا وطاعة ثم ذهب الدلال واتى بالجارية اليه فنظرته الجارية وقالت له يا سيدي شهاب الدين هل في بيتك

مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم يا سيدة الملاح عندى منها في البيت عشر مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت اصبر عليك حتى ترقد واجعلها على فمك و انفك حتى تموت ثم انها التفتت الى الدلال وقالت له يا اخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضني من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ في كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضني على سيدى شهاب الدين وفيه ثلثة عيوب الاول انه قصير والثانى ان انفه كبير والثالث ان لحيته طويلة وقد قال فيه بعض الشعراء

مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِشَخْصٍ	مِثْلِ هٰذَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ اَجْمَعْ
فَلَهُ لِحْيَةٌ ذِرَاعٌ وَاَنْفٌ	طُولَ شِبْرٍ وَقَامَةٌ طُولَ اِصْبَعْ

وقال بعضهم ايضا

مَنَارَةُ الْجَامِعِ فِي وَجْهِهِ	كَرُتْبَةِ الْخِنْصِرِ فِى الْخَاتَمِ
لَوْ دَخَلَ الْعَالَمُ فِي اَنْفِهِ	اَصْبَحَتِ الدُّنْيَا بِلَا عَالَمِ

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان و اخذ بطوق الدلال وقال يا اخس الدلالين كيف تأتى الينا بجارية توبخنا وتهجونا واحدا بعد واحد بالاشعار والكلام الفشار فعند ذلك اخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمرى وانا في هذه الصناعة ما رأيت جارية اقل ادبا منك ولا انحس على من نحسك لانك قد قطعت رزقى في هذا اليوم ولا ربحت منك الا الصفع على القفا والاخذ بالطوق ثم ان الدلال وقف بتلك الجارية ايضا على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها اتباعين لهذا التاجر سيدى علاء الدين فنظرته فوجدته احدب فقالت ان هذا احدب وقد قال فيه الشاعر

قَصُرَتْ مَنَاكِبُهُ وَطَالَ فَقَارُهُ	يَحْكَاهُ شَيْطَانٌ يُصَادِفُ كَوْكَبَا
وَكَاَنَّهُ قَدْ ذَاقَ اَوَّلَ دِرَّةٍ	وَاَحَسَّ ثَانِيَةً فَصَارَ مُحَدَّبَا

وقال فيه بعض الشعراء ايضا

كَمَا رَقِيَ اَحَدٌ كُمْ بَغْلَهُ	صَارَ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى مُثْلَهُ
اَمَالَهُ الضَّحْكُ فَلَا تَعْجَبُوا	اِنْ جَفَلَتْ مِنْ تَحْتِهِ الْبَغْلَهُ

وكما قال فيه بعض الشعراء

وَلَرُبَّ اَحْدَبَ زَادَ فِي حَدَبَاتِهِ فِيهَا وَقَاطِبَةُ الْعُيُونِ تَمُجُّهُ
فَكَأَنَّهُ غُصْنٌ تَقَلَّصَ يَابِسٌ وَلَوَاهُ مِنْ طُولِ الْمَدَى اُتْرُجُّهُ

فعند ذلك اسرع الدلال اليها واخذها واتى بها الى تاجر اخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت اليه فوجدته اعمش فقالت ان هذا اعمش كيف تبيعنى له وقد قال فيه بعض الشعراء

رَمَدًا بِهِ اَمْرَاضُهُ هَدَّتْ قُوَاهُ لِحِينِهِ
يَا قَوْمُ قُومُوا فَانْظُرُوا هٰذَا الْقَذَى فِي عَيْنِهِ

فعند ذلك اخذها الدلال واتى بها الى تاجر اخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت اليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك ان هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله فى حلقه كيف تبيعنى له يا انحس الدلالين اما سمعت ان كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان العقل وهذا امر منتهو بين العقلاء كما قال بعض الشعراء

مَا رَجُلٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ فَزَادَتِ اللِّحْيَةُ فِي هَيْبَتِهِ
اِلَّا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ يَكُونُ طُولًا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ

وكما قال فيه بعض الشعراء ايضا

لَنَا صَدِيقٌ وَلَهُ لِحْيَةٌ طَوَّلَهَا اللّٰهُ بِلَا فَائِدَهْ
كَأَنَّهَا بَعْضُ لَيَالِي الشِّتَا طَوِيلَةٌ مُظْلِمَةٌ بَارِدَهْ

فعند ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له الى اين تتوجه بي فقال لها الى سيدك الاعجمي وكفانا ما جرى لنا بسببك فى هذا النهار وقد تسببت فى منع رزقى ورزقه بقلة ادبك ثم ان الجارية نظرت فى السوق والتفتت يمينا وشمالا وخلفا واماما فوقع نظرها بالامر المقدر على نور الدين على المصرى فرأته شابا مليحا نقى الخد رشيق القد وهو ابن اربعة عشر سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر اذا بدر فى ليلة اربعة عشر بجبين ازهر وخد احمر وعنق كالمرمر واسنان كالجوهر وريق احلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه

بَدَتْ لِتُحَاكِي حُسْنَهُ وَجَمَالَهُ بُدُورٌ وَغِزْلَانٌ فَقُلْتُ لَهَا قِفِي

أرويدك بانزلان لا تنشبهي ... بهذا ويا اقمار لا تتكلفي

وما احسن قول بعض الشعراء

ومهفهف من شعره وجبينه ... تغدو الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فلما نظرت تلك الجارية الى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما رأت عليا نور الدين تعلق قلبها بمحبته فالتفتت الى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذي جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودى مازاد في ثمنى شيئا فقال لها الدلال يا سيدة الملاح ان هذا شاب غريب مصرى ووالده من اكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها واكابرها وله مدة يسيرة في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من اصحاب ابيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من اصبعها خاتم ياقوت مثمنا وقالت للدلال اوصلنى عند هذا الشاب المليح فان اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه بها الى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لانه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال كما قال فيه بعض واصفيه

صفا في وجهه ماء الجمال ... ومن الحاظه رمي النبال
ويشرق كل صب ان سقاه ... بمر صدوده ولو صل حالي
تغزلت في قامته وعشقي ... كمال في كمال في كمال
وان غلائل الاثواب منه ... مزررة على طوق الهلال
ومقلته وخالاه ودمعي ... ليال في ليال في ليال
وحاجبه وطلعته وجسمي ... هلال في هلال في هلال
وطافت مقلتاه بكأس خمر ... على العشاق ان يمر حلالى
واوشفني على ظمأ زلالا ... بباسم ثغره يوم الوصال

نَقْتُلِي عِنْدَهُ وَدَمِي لَدَيْهِ	حَلَالٌ فِي حَلَالٍ فِي حَلَالِ

ثم ان الجارية نظرت الى نور الدين وقالت له يا سيدى بالله عليك اما انا مليحة فقال لها يا سيدة الملاح وهل في الدنيا احسن منك فقالت له الجارية ولاى شيء رأيت التجار كلهم زادوا في ثمني وانت ساكت ما تكلمت بشيء ولا زدت في ثمني دينارا واحدا كأنني ما اعجبتك يا سيدى فقال لها يا سيدتى لو كنت في بلدى كنت اشتريتك بجميع ما تملكه يدى من المال فقالت له يا سيدى انا ما قلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني شيأ لجبرت بخاطرى لو كنت لا تشتريني لاجل ان تقول التجار لولا ان هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصرى لان اهل مصر لهم خبرة بالجوارى فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذى ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا غير الدلالة واما قانون السلطان فانه على البائع فقال نور الدين للدلال خلها على بالف دينار دلالة وثمنا فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت بعت نفسى لهذا الشاب المليح بالف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر بيتنا هل وقال آخر ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشترى وقال آخر والله انهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين الا والدلال احضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة وناولها لنور الدين وقال له تسلم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهى ما تصلح الا لك ولا تصلح انت الا لها وانشد الدلال هذين البيتين

اَتَتْهُ السَّعَادَةُ مُنْقَادَةً	اِلَيْهِ تُجَرِّجِرُ اَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ اِلَّا لَهُ	وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ اِلَّا لَهَا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الالف دينار التى كان وضعها وديعة عند العطار صاحب ابيه واخذ الجارية واتى بها الى البيت الذى اسكنه فيه الشيخ العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساطا خلقا ونطعا عتيقا فقالت له يا سيدى هل انا مالي منزلة عندك ولا استحق ان توصلني الى بيتك الاصلى الذى فيه مصالحك ولاى شيء ما دخلت بي عند ابيك فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ان هذا بيتى الذى انا فيه ولكنه ملك الشيخ عطار من اهل هذه المدينة وقد اخلاه لي واسكنني فيه وقد قلت لك انى غريب واننى من اولاد مدينة

مصر فقالت له الجارية ياسيدي اقلّ لبيوت يكفي الى ان ترجع الى بلدك ولكن ياسيدي بالله عليك ان تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله ياسيدة الملاح ماكان عندي من المال غير الالف دينار التي وزنته في ثمنك ولا املك غير تلك الدنانير شيئا من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالامس فقالت له اما لك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما وتأتيني بها حتى اقول لك اي شيء تفعل بها فقال لها ما لي صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه الى العطار وقال له السلام عليك ياعم فرد عليه السلام وقال له ياولدي اي شيء اشتريت بالالف دينار في هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له ياولدي هل انت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بالف دينار ياليت شعري ما جنس هذه الجارية فقال له نور الدين ياعم انها جارية من اولاد الافرنج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين قال للشيخ العطار انها جارية من اولاد الافرنج فقال له الشيخ اعلم ياولدي ان خيار اولاد الافرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائة دينار ولكن والله ياولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فان كنت حببتها فبت عندها في هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح انزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار وقدر انك غرقت في البحر او طلع عليك اللصوص في الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن ياعم انت تعرف انه ماكان معي غير الالف دينار الذي اشتريت به الجارية ولم يبق معي شيء انفقه ولا درهم واحد واني اريد من فضلك واحسانك ان تقرضني خمسين درهما انفقها الى غد فابيع الجارية واورد هالك من ثمنها فقال الشيخ اعطيك ياولدي على الرأس ثم وزن له خمسين درهما وقال له ياولدي انت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلق بها قلبك فما يهون عليك ان تبيعها وانت ما تملك شيئا تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهما فتأتيني فاقرضك اول مرة وثاني مرة وثالث مرة الى عشر مرات فاذا اتيتني بعد ذلك فلا ارد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهما فاخذها نور الدين واتى بها الى الجارية

فقالت له يا سيدي رح الى السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهما حريرا ملونا خمسة الوان وهات لنا بالثلثين درهما الاخرى لحما وخبزا وفاكهة وشرابا ومشموما فعند ذلك ذهب نور الدين الى السوق واشترى منه كلما طلبته تلك الجارية واتى به اليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يديها وطبخت طعاما واتقنته غاية الاتقان ثم قدمت له الطعام فاكل واكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام وشربت هي وايا ه ولم تزل تسقيه وتوانسه الى ان سكر ونام فقامت الجارية من وقتها وساعتها واخرجت من بقجتها جرابا من اديم طائفي وفتحته واخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها الى ان فرغت فصار زنارا مليحا فلفته في خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كانها فضة نقية انعم من الحرير واطرى من الليلة وهي اشهر من علم واحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كانها قسي السهام وعيون كانها عيون غزلان وخد ود كانها شقائق النعمان وبطن خميصة الاعكان وسرة تسع اوقية من دهن البان وفخذين كانهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء يكل عن وصفه اللسان وينسكب عند ذكره العبرات فكان الشاعر قصدها بهذه الابيات

فمن شعرها الليل ومن فرقها الضحى ... ومن خدها ورد ومن ريقها خمر
ومن وصلها ماوى ومن هجرها لظى ... ومن ثغرها در ومن وجهها بدر

وما احسن قول بعض الشعراء

بدت قمرا وماست غصن بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كان الحزن مشغوف بقلبي ... فساعة هجرها يجد الوصالا
لها وجه يفوق على الثريا ... ونور جبينها فاق الهلالا

وقال بعضهم ايضا

سفرن بدورا وانجلين اهلة ... ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وفيهن كحلاء العيون لحسنها ... تود الثريا ان تكون لها ثرى

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته الى تلك الجارية وضمها الى صدره ومص شفتها الفوقانية بعد ان مص التحتانية ثم زرق اللسان بين الشفتين

وقام اليها فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فازال بكارتها وفال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع في خدها تقبيلا كوقع الحصى في الماء وزهوا كطعن الرماح في الغارة الشعواء لان نور الدين كان مشتاقا الى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركوب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وانين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال كما قال فيها الشاعر

هٰذِي الَّتِي اَنَا طُولَ الدَّهْرِ نَاسِيهَا … فَلَا حَجَجْتُ اِلَى مَنْ لَيْسَ يُدْنِيهَا
كَاَنَّهَا الْبَدْرُ فِي تَكْوِينِ صُورَتِهَا … سُبْحَانَ خَالِقِهَا سُبْحَانَ بَارِيهَا
اِنْ كَانَ ذَنْبِي عَظِيمًا فِي مَحَبَّتِهَا … فَلَيْسَ لِي تَوْبَةٌ يَوْمًا اُرَجِّيهَا
قَدْ صَيَّرَتْنِي حَزِينًا سَاهِرًا دَنِفًا … وَالْقَلْبُ قَدْ حَارَ فِكْرًا فِي مَعَانِيهَا
وَاَنْشَدَتْ بَيْتَ شِعْرٍ لَيْسَ يَعْرِفُهُ … اِلَّا فَتًى لِقَوَافِي الشِّعْرِ يَرْوِيهَا
لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ اِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ … وَلَا الصَّبَابَةَ اِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية الى الصباح في لذة وانشراح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما نام هو وتلك الجارية الى الصباح في لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الازرار امنين طوارق الليل والنهار وقد باتا على احسن حال ولم يخشيا في الوصال كثرة القيل والقال كما قال فيهما الشاعر المفضال

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدِ … لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمٰنُ اَحْسَنَ مَنْظَرًا … مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا … مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَاِذَا تَاَلَّفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْهَوَى … فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى اَهْلَ الْهَوَى … هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

وَاِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ	نِعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ

فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فرأها احضرت الماء فاغتسل هو وايا ها وادى ما عليه من الصلوة لربه ثم اتته بما تيسر من المأكول والمشروب فاكل وشرب ثم ادخلت الجارية يدها تحت المخدة واخرجت الزنار الذى صنعته بالليل وناولته اياه وقالت له يا سيدى خذ هذا الزنار فقال لها من اين هذا الزنار قالت يا سيدى هو الحرير الذى اشتريته البارح بالعشرين درهما فقم واذهب به الى سوق العجم واعطه للدلال لينادى عليه ولا تبعه الا بعشرين دينارا سالمة ليدك فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل شئ بعشرين درهما يباع بعشرين دينارا يعمل فى ليلة واحدة قالت له الجارية يا سيدى انت ما تعرف قيمة هذا ولكن اذهب به الى السوق واعطه للدلال فاذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك اخذ نور الدين الزنار من الجارية واتى به الى سوق الاعاجم واعطى الزنار للدلال وامره ان ينادى عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم اتى اليه وقال له يا سيدى قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين دينارا سالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين دينارا وهو ما بين مصدق و مكذب فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريرا من سائر الالوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع الى البيت واعطاها الحرير وقال لها اعمليه كله زنانير وعلميني ايضا حتى اعمل معك فانى طول عمرى ما رأيت صنعة احسن من هذه الصنعة ولا اكثر مكسبا منها قط واثها والله احسن من التجارة بالف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له يا سيدى نور الدين امض الى صاحبك العطار واقترض منه ثلثين درهما وفى غد ادفعها له من ثمن الزنار هى والخمسين درهما التى اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين واتى الى صاحبه العطار وقال له يا عم اقرضنى ثلثين درهما وفى غد ان شاء الله تعالى اجئ لك بالثمانين درهما جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلثين درهما فاخذها نور الدين واتى بها الى السوق واشترى بها لحما وخبزا ونقلا وفاكهة ومشموما كما فعل بالامس واتى به الى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما اخذت اللحم قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاما فاخرا ووضعته قدام سيدها

نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هي واياه وصارت تملأ وتسقيه وهو يملأ ويسقيها فلما لعب المدام بعقلها اعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فانشدت هذين البيتين

اقول لاهيف حيّي بكأس	لها من مسك نكهته ختام
امن خديك تعصر قال كلا	متى عُصرت من الورد المدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وينادمها وتعاطيه الكأس والطاس وتطلب ان يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الانفاس واذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا وقد زادها السكر حسنا وجمالا فانشدت هذين البيتين

وهيفاء تهوى الراح قالت لصبها	بمجلس انس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدر كاس المدام وتسقني	ابيتك مهجورا تخاف ملالها

ولم يزالا كذلك الى ان غلب عليه السكر ونام فقامت هي من وقتها وساعتها وصارت شغلها في الزنار على جري عادتها ولما فرغت اصلحته ولفته في ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت بجانبه الى الصباح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار اصلحته ولفته في ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه الى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصال ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له امض به الى السوق وبعه بعشرين دينارا كما بعت نظيره بالامس فعند ذلك اخذه ومضى به الى السوق وباعه بعشرين دينارا واتى الى العطار ودفع له الثمانين درهما وشكر فضله ودعا له فقال له يا ولدي هل انت بعت الجارية فقال نور الدين انت تدعو علي كيف ابيع روحي من جسدي ثم انه حكى له الحكاية من المبتدأ الى المنتهى واخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي انك قد فرحتني وان شاء الله انت بخير دائما فاني اود لك الخير لمحبتي لوالدك وبقاء صحبتي معه ثم ان نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته الى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع ما يحتاج اليه على جري العادة واتى به الى تلك الجارية ولم يزل نور الدين

هو والجارية فى اكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة وهي تعمل فى كل ليلة زنارا ويصبح يبيعه بعشرين دينارا ينفق منها ما يحتاج اليه والباقى يعطيه لها تحفظه عندها الى وقت الحاجة اليه وبعد السنة قالت له الجارية يا سيدي نور الدين اذا بعت الزنار فى غد فخذ لى من حقه حريرا ملونا ستة الوان فانه قد خطر ببالى ان اصنع لك منديلا تجعله على كتفك ما فرحت بمثله اولاد التجار ولا اولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين الى السوق وباع زنارا واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به اليها فقعدت مريم الزنارية تصنع فى المنديل جمعة كاملة لانها كلما فرغت من زنار فى ليلة تعمل فى المنديل شيئا الى ان خلصته ثم ناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشى فى السوق فصار التجار والناس واكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فاتفق ان نور الدين كان نائما ذات ليلة من الليالى فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكى بكاء شديدا وتنشد هذه الابيات

دنا فراق الحبيب واقتربا ... واحربا للفراق واحربا
تفتتت مهجتي فوا اسفي ... على ليال مضت لنا طربا
لابد ان ينظر الحسود لنا ... بعين سوء ويبلغ الاربا
فما علينا اضر من حسد ... ومن عيون الوشاة والرقبا

فقال لها نور الدين يا سيدتى مريم ما لك تبكين فقالت له ابكى من الم الفراق فقد احس قلبى به فقال لها يا سيدة الملاح ومن الذى يفرق بيننا وانا الآن احب الخلق اليك واعشقهم لك فقالت له ان عندى اضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالى يوقع الناس فى الاسف ولقد احسن الشاعر حيث قال

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر
وفى السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر
وكم على الارض من خضر ويابسة ... وليس يرجم الا ما له ثمر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ... وتستقر باقصى قاعه الدرر

ثم قالت يا سيدى نور الدين اذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل

افرنجي اعور العين اليمنى اعرج الرجل الشمال وهو شيخ اغبر الوجه مكاثم اللحية لانه هو الذى يكون سببا لفراقنا وقد رأيته اتى فى تلك المدينة واظن انه ما جا الا فى طلبي فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح ان وقع بصري عليه قتلته و مثلت به فقالت له مريم يا سيدى لا تقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاربه ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشيه ولا تحدث معه بكلام ولا بالجواب الشرعي قط وادعوا الله ان يكفينا شره ومكره فلما اصبح الصباح اخذ نور الدين الزنار وذهب به الى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو واولاد التجار فاخذته سِنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم واذا بذلك الافرنجي مرّ على ذلك السوق فى تلك الساعة ومعه سبعة من الافرنج فرأى نور الدين نائما على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه فى يده فقعد الافرنجي عنده واخذ طرف المنديل وقلبه فى يده واستمر يقلّبه فيه ساعة فاستحسّ به نور الدين فافاق من النوم فرأى الافرنجي الذى وصفته الجارية بعينه جالسا عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة ارعبته فقال له الافرنجي لاي شيء تصرخ علينا هل نحن اخذنا منك شيأ فقال له نور الدين والله يا ملعون لو كنت اخذت مني شيأ لكنت ذهبت بك الى الوالي فقال له الافرنجي يا مسلم بحق دينك وما تعتقده ان تخبرني من اين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الافرنجي لما سأل نور الدين عن الذى عمل المنديل قال له ان هذا المنديل شغل والدتي عملته لي بيدها فقال له الافرنجي اتبيعه لي وتأخذ ثمنه مني فقال له نور الدين والله يا ملعون لا ابيعه لك ولا لغيرك فانها ما عملته الا على اسمي ولم تعمل غيره فقال بعه لي وانا اعطيك ثمنه فى هذه الساعة خمسمائة دينار ودع الذى عملته تعمل لك غيره احسن منه فقال له نور الدين انا ما ابيعه ابدا لانه لا نظير له فى هذه المدينة فقال له الافرنجي يا سيدي وهل لا تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة الى ان اوصله الى تسعمائة دينار فقال نور الدين يفتح الله علىّ بغير بيعه انا

ما ابيعه ولا بالف دينار ولا باكثر ابدا ولم يزل ذلك الافرنجي يرغب نور الدين بالمال في ذلك المنديل الى ان اوصله الى الف دينار فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال نور الدين انا ما ابيعه والله فقال له تاجر من التجار اعلم يا ولدي ان هذا المنديل قيمته مائة دينار ان كثرت ووجد له راغب وان هذا الافرنجي دفع فيه الف دينار جملة فربحك تسعمائة دينار فاي ربح تريد اكثر من هذا الربح فالرأي عندي انك تبيع هذا المنديل وتأخذ الالف دينار وتقول للتي عملته لك تعمل لك غيره او احسن منه واربح انت الالف دينار من هذا الافرنجي الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع الافرنجي المنديل بالف دينار ودفع له الثمن في الحضرة واراد نور الدين ان ينصرف ويمضي الى جاريته مريم ليبشرها بما كان من امر الافرنجي فقال الافرنجي يا جماعة التجار احجزوا نور الدين فانكم واياه ضيوفي في هذه الليلة فان عندي بتية خمر رومي من معتق الخمر وخاروف سمين وفاكهة ونقلا ومشموما فانتم تؤانسونا في هذه الليلة ولا يتأخر احد منكم فقال التجار يا سيدي نور الدين نشتهي ان تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث واياك من فضلك واحسانك ان تكون معنا فنحن واياك ضيوف عند هذا الافرنجي لانه رجل كريم ثم انهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالغصب عن الرواح الى بيته ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين واخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الافرنجي الى قاعة مطيبة رحيبة بليوانين فاجلسهم فيها ووضع بين ايديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئول ثم وضع الافرنجي على تلك السفرة الاواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم ثم قدم لهم الافرنجي بتية ملآنة بالخمر الرومي المعتق وامر بذبح خاروف سمين ثم ان الافرنجي اوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين ان ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده فلما رآه الافرنجي مستغرقا في السكر قال آنستنا يا سيدي نور الدين في هذه الليلة نمرحبا بك ثم مرحبا بك وصار الافرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال يا سيدي نور الدين هل تبيعني

جاريتك التي اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بالف دينار من مدة سنة وانا اعطيك في ثمنها الآن خمسة آلاف دينار بزيادة اربعة آلاف فابى نور الدين ولم يزل ذلك الافرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه في المال حتى وصل الجارية الى عشرة آلاف دينار فقال نور الدين وهو في سكره قدام التجار بعتك اياها هات العشرة آلاف دينار ففرح الافرنجي بذلك القول فرحا شديدا واشهد عليه التجار وباتوا في اكل وشرب وانشراح الى الصباح ثم صاح الافرنجي على غلمانه وقال لهم ايتوني بالمال فاحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقدا وقال له يا سيدي نور الدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتها لي الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نور الدين يا ملعون انا ما بعتك شيئا وانت تكذب علي وليس عندي جواري فقال له الافرنجي قد بعتني جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يا نور الدين انت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك انك بعته اياها بعشرة آلاف دينار قم اقبض الثمن وسلم اليه الجارية والله يعوضك خيرا منها أتكره يا نور الدين انك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ في كل يوم وليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الاصلي وفي كل يوم تعمل لك زنارا تبيعه بعشرين دينارا وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح اي ربح اكثر من هذا الربح واي مكسب اكثر من هذا المكسب فان كنت تحبها فها انت قد شبعت منها في هذه المدة فاقبض الثمن واشتر غيرها احسن منها أو نزوجك بنتا من بناتنا بمهر اقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت اجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة الى ان قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية واحضر الافرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نور الدين هذا ما كان من امر نور الدين واما ما كان من امر مريم الزنارية فانها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم الى المغرب ومن المغرب الى نصف الليل فلم يعد اليها سيدها فجزعت وصارت تبكي بكاء شديدا فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فارسل اليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها

ياسيدتي مالك تبكين فقالت لها يا امي اني قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء الى هذا الوقت وانا خائفة ان يكون احد عمل عليه حيلة من اجلي لاجل ان يبيعني فدخلت عليه الحيلة وباعني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية قالت لزوجة العطار انا خائفة ان يكون احد عمل على سيدي حيلة من شاني لاجل ان يبيعني فدخلت عليه الحيلة وباعني فقالت لها زوجة العطار ياسيدتي مريم لو اعطوا سيدك فيك ملأ هذه القاعة ذهبا لم يبعك لما اعرفه من محبته لك ولكن ياسيدتي مريم ربما يكون جماعة اتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه واستحى ان يأتي بهم الى هذا المحل لانه لا يسعهم او لان مرتبتهم اقل من ان يجيء بهم الى البيت او احب ان يخفي امرك عنهم فبات عندهم الى الصباح ويأتي ان شاء الله تعالى اليك في غد بخير فلا تحملي نفسك هما ولا غما يا سيدتي فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها انا ابيت عندك في هذه الليلة واسليك الى ان يأتي اليك سيدك ثم ان زوجة العطار صارت تلاهي مريم وتسليها بالكلام الى ان ذهب الليل كله فلما اصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الافرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها واصفر لونها وصارت ترتعد كانها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها ياسيدتي مريم مالي اراك قد تغير حالك واصفر وجهك وزاد به الذبول فقالت لها الجارية ياسيدتي والله ان قلبي قد احس بالفراق وبعد التلاق ثم ان الجارية تأوهت بنصاعد الزفرات وانشدت هذه الابيات

لا تركنن الى الفراق	فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها	تصفر من الم الفراق
وكذاك عند شروقها	تبيض من فرح التلاق

ثم ان مريم الزنارية بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار ياسيدتي اما قلت لك ان سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة

من اجل بيعي فما اشك انه باعني في هذه الليلة لهذا الافرنجي وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي فبينما هي وزوجة العطار في الكلام واذا بسيدها نور الدين قد دخل عليها في تلك الساعة فنظرت اليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه اثر الحزن والندامة منه فقالت له يا سيدي نور الدين كأنك بعتني فبكى بكاء شديدا وتأوه وتنفس الصعداء وانشد هذه الابيات

هِيَ المَقَادِيرُ فَمَا يُغْنِي الحَذَرْ ... إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَى القَدَرْ
إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا بِامْرِئٍ ... وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ
أَصَمَّ أُذْنَيْهِ وَأَعْمَى عَيْنَهُ ... وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ ... رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ
لَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى ... كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ

ثم ان نور الدين اعتذر الى الجارية وقال لها والله يا سيدتي مريم انه قد جرى القلم بما الله حكم والناس قد عملوا علي حيلة من اجل بيعك فدخلت علي الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك اعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق ان يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان في وهمي ثم ضمته الى صدرها وقبلت ما بين عينيه وانشدت هذه الابيات

وَحَقِّ هَوَاكُمْ مَا سَلَوْتُ وِدَادَكُمْ ... وَلَوْ تَلِفَتْ رُوحِي هَوًى وَتَشَوُّفَا
أَنُوحُ وَأَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... كَمَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى شَجَرِ النَّقَا
تَنَغَّصَ عَيْشِي بَعْدَكُمْ يَا أَحِبَّتِي ... مَتَى غِبْتُمُ عَنِّي فَمَا لِي مُلْتَقَى

فبينما هما على هذه الحالة واذا بالافرنجي قد طلع عليهما وتقدم ليقبل ايادي السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد يا ملعون فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي ولكن يا ملعون ان شاء الله تعالى لا يكون الا الخير فضحك الافرنجي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر اليها وقال لها يا سيدتي مريم اي شيء ذنبي انا وانما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضى نفسه وطيب خاطره وانه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا انه فرغ غرضه منك ما باعك وقد قال بعض الشعراء

مَنْ مَلَّنِي فَلْيَمْضِ عَنِّي عَامِدًا ... إِنْ عُدْتُ أَذْكُرُهُ فَلَسْتُ بِرَاشِدِ

ما ضاقت الدنيا علي باسرها ... حتى ترى في راغبا في زاهد

وقد كانت هذه الجارية بنت ملك افرنجة وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة ابيها حديث عزيب وامر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان لخروج مريم الزنارية من عند ابيها وامها سببا عجيبا وامرا غريبا وذلك انها تربت عند ابيها وامها في العز والدلال وتعلمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة وحل الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها واوانها وقد اعطاها الله عز وجل من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع اهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من ابيها وكل من خطبها منه يأبى ان يزوجها له لانه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الاولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفا بحبها اكثر منهم فاتفق انها مرضت في بعض السنين مرضا شديدا حتى اشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها انها اذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها ارادت ان توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير فارسلها والدها ملك افرنجة الى ذلك الدير في مركب صغيرة وارسل معها بعضا من بنات اكابر المدينة ومن البطارقة لاجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين في سبيل الله فاخذوا جميع ما في تلك المركب من البطارقة والبنات والاموال والتحف فباعوا ما اخذوه في مدينة القيروان فوقعت مريم في يد رجل عجمي تاجر من التجار وقد كان ذلك العجمي عنينا لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم ان ذلك العجمي مرض مرضا شديدا حتى

اشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت في خدمته الى ان عافاه الله من مرضه فتذكر ذلك الاعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فاراد ان يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمني علي يا مريم فقالت يا سيدي تمنيت عليك ان لا تبيعني الا لمن اريده واحبه فقال لها نعم لك علي ذلك والله يا مريم ما ابيعك الا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا وكان الاعجمي قد عرض عليها الاسلام فاسلمت وعلمها العبادات فتعلمت من ذلك الاعجمي في تلك المدة امر دينها وما يجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والاحاديث النبوية فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن ارادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا فاخذها علي نور الدين كما اخبرنا هذا ما كان من سبب خروجها من بلادها واما ما كان من امر ابيها ملك افرنجة فانه لما بلغه امر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وارسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الابطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين ورجعوا الى ابيها بالويل والثبور وعظائم الامور فحزن عليها ابوها حزنا شديدا فارسل وراءها ذلك الاعور الاعرج الاعجم لانه كان اعظم وزرائه وكان جبارا عنيدا ذا حيل وخداع وامره ان يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهبا ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار وسائر المدن ولم يقع لها على خبر الى ان وصل الى مدينة اسكندرية وسال عنها فوقع على خبرها عند نور الدين علي المصري فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت في بكاء وعويل فقال لها يا سيدتي مريم خلي عنك هذا الحزن والبكاء وقومي معي الى مدينة ابيك ومحل مملكتك ومحل عزك ووطنك لتكوني بين خدمك وغلمانك واتركي هذا الذل وهذه الغربة ويكفي ما قد حصل لي من التعب والسفر من اجلك وصرف الاموال فان لي في السفر والتعب وصرف الاموال نحو سنة ونصف وقد امرني والدك ان اشتريك ولو بملء مركب ذهبا ثم ان وزير ملك افرنجة صار يقبل قدميها ويخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك ادبا معها وقالت له يا ملعون الله تعالى

لا يبلغك ما في مرادك ثم قدم اليها الغلمان في تلك الساعة بغلة بسرج مزركش وأركبوها عليها ورفعوا فوق راسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الافرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وانزلوها في قارب صغير وصاروا يقذفون بها الى ان اوصلوها الى المركب الكبيرة وانزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الاعور وقال البحرية المركب ارفعوا الصاري فرفعوه من وقتهم وساعتهم فردوا القلوع والاعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاديف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينيها فصارت تبكي في سرها بكاء شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير ملك افرنجة لما سافرت بهم المركب وفيها مريم الزنارية صارت تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينيها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

أَيَا مَنْزِلَ ٱلْأَحْبَابِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ ... إِلَيْنَا وَمَا عِلْمِي بِمَا ٱللّٰهُ صَانِعُ
فَسَارَتْ بِنَا سُفُنُ ٱلْفِرَاقِ وَأَسْرَعَتْ ... وَطَرْفِي قَرِيحٌ قَدْ نَحَتْهُ ٱلْمَدَامِعُ
لِفُرْقَةِ خِلٍّ كَانَ غَايَةَ مَقْصِدِي ... بِهِ تَنْتَفِي سُقْمِي وَتُمْحَى ٱلْمَوَاجِعُ
أَلَا يَا إِلٰهِي كُنْ عَلَيْهِ خَلِيفَتِي ... فَعِنْدَكَ يَوْمًا لَا تَضِيعُ ٱلْوَدَائِعُ

ولم تزل مريم كلما تذكرته تبكي وتنوح فاقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاما بل شغلها داعي الوجد والغرام ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت هذه الابيات

لِسَانُ ٱلْهَوَى فِي مُهْجَتِي لَكَ نَاطِقٌ ... يُخَبِّرُ عَنِّي أَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
وَلِي كَبِدٌ جَمْرُ ٱلْهَوَى قَدْ أَذَابَهَا ... وَقَلْبِي جَرِيحٌ مِنْ فِرَاقِكَ خَافِقُ
وَكَمْ أَكْتُمُ ٱلْحُبَّ ٱلَّذِي قَدْ أَذَابَنِي ... وَجَفْنِي قَرِيحٌ وَٱلدُّمُوعُ سَوَابِقُ

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من امرها هي والوزير الاعور الاعرج واما ما كان من امر نور الدين علي المصري ابن التاجر تاج الدين فانه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت

عليه الدنيا وصار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه الى القاعة التي كان مقيما بها هو ومريم فرآها في وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التي كانت على جسدها فضمها الى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

تُرى هَل يَعودُ الشَّملُ بَعدَ تَشَتُّتي وَبَعدَ نَوالي حَسرَتي وَتَلَفُّتي
فَهَيهاتَ ما قَد كانَ لَيسَ بِراجِعٍ فَيا هَل تُرى أَحظى بِوَصلِ حَبيبَتي
وَيا هَل تُرى قَد يَجمَعُ اللهُ شَملَنا وَتَذكُرُ أَحبابي عُهودَ مَوَدَّتي
وَيَحفَظُ وُدّي مَن يَجهَلي أَضعَنَهُ وَتَرعى عُهودي ثُمَّ سالِفَ صُحبَتي
فَما أَنا إِلّا مَيِّتٌ بَعدَ بُعدِهِم وَهَل تَرتَضي الأَحبابُ يَوماً مَنِيَّتي
فَيا أَسَفي إِن كانَ يُجدي تَأَسُّفي لَقَد ذُبتُ وَجداً مِن تَزايُدِ حَسرَتي
وَضاعَ زَمانٌ كانَ فيهِ تَواصُلي فَيا هَل تُرى دَهري يَجودُ بِمُنيَتي
فَيا قَلبُ زِد وَجداً وَيا عَينُ أَهمِلي دُموعاً وَلا أَنقى الدُموعَ بِمُقلَتي
وَيا بُعدَ أَحبابي وَفَقدَ تَصَبُّري وَقَد قَلَّ أَنصاري وَزادَت بَلِيَّتي
سَأَلتُ إِلَهَ العالَمينَ يَجودُ لي بِعَودِ حَبيبي وَالوِصالِ كَعادَتي

ثم ان نور الدين بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونظر الى زوايا القاعة وانشد هذين البيتين

أَرى آثارَهُم فَأَذوبُ شَوقاً وَأُجري في مَواطِنِهِم دُموعي
وَأَسأَلُ مَن قَضى بِالبُعدِ عَنهُم يَمُنُّ عَلَيَّ يَوماً بِالرُجوعِ

ثم ان نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجري الى البحر وصار يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

سَلامٌ عَلَيكُم لَيسَ لي عَنكُمُ غِنى وَإِنّي عَلى الحالَينِ في القُربِ وَالبُعدِ
أَحِنُّ إِلَيكُم كُلَّ وَقتٍ وَساعَةٍ وَأَنتُم فَإِنّي شَوقَ العِطاشِ إِلى الوِردِ
وَعِندَكُمُ سَمعي وَلُبّي وَناظِري وَتَذكارُكُم عِندي أَلَذُّ مِنَ الشَهدِ
فَيا أَسَفي لَمّا اِستَقَلَّت رِكابُكُم وَحادَت بِكُم تِلكَ السَفينَةُ عَن قَصدي

ثم ان نور الدين ناح وبكى وأن وحن واشتكى ونادى يا مريم يا مريم هل كانت

رؤيتي لك في المنام ام اضغاث احلام ولما زادت به الحسرات انشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد عيني تراكم ... واسمع من قرب الديار ندا كم
وتجمعنا الدار التي انست بنا ... واعطى مني قلبي وانتم مناكم
خذوا العظامي اين سرتم محفة ... واين حللتم فادفنوا في حذاكم
فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... واترك قلبا مغرما في هواكم
ولو قيل لي ماذا على الله تشتهي ... لقلت رضى الرحمن ثم رضاكم

فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي ويقول يا مريم يا مريم واذا بالشيخ قد طلع من مركب واقبل عليه فراه يبكي وينشد هذين البيتين

يا مريم الحسن عودي ان لي مقلا ... سحائب المزن تجري من سواكبها
واستخبري في عذي لي دون ازمانا ترى ... اجفان عيني غرقى في كواكبها

فقال له الشيخ يا ولدي كانك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الافرنجي فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خر مغشيا عليه ساعة زمانية ثم افاق وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وانشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد يرجى وصالها ... ولذة انسي قد يعود كما لها
فان بقلبي لوعة وصبابة ... ويزعجني قيل الوشاة وقالها
اقيم نهاري باهتا متحيرا ... وفي الليل ارجوان يزور خيالها
فوالله لا اسلو عن العشق ساعة ... وكيف ونفسي في الوشاة مالها
منعمة الاطراف مهضومة الحشى ... لها مقلة في القلب مني نبالها
يحاكي قضيب البان في الروض قدها ... ويخجل ضوء الشمس حسنا جمالها
ولولا اخاف الله جل جلاله ... لقلت لذات الحسن جل جلالها

فلما نظر ذلك الشيخ الى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتنانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة الى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من التجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الا خيرا فان شاء الله سبحانه وتعالى اوصلك اليها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما قال لنور الدين انا اوصلك اليها ان شاء الله تعالى قال له نور الدين متى السفر قال الريس قد بقي لنا ثلثة ايام ونسافر في خير وسلامة فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضله واحسانه وبعد ذلك تذكر ايام الوصال واجتماع الشمل بجاريته عديمة المثال فبكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

هَلْ يَجْمَعُ الرَّحْمٰنُ لِي وَلَكُمْ شَمْلًا ... وَهَلْ اَبْلُغُ الْمَقْصُودَ يَاسَادَتِي اَمْ لَا
وَيَنْتَحِ صَرْفُ الدَّهْرِ مِنْكُمْ بِزَوْرَةٍ ... وَاُطْبِقُ اَجْفَانِي عَلَى ذَا تُكُمْ بُخْلَا
وَلَوْ كَانَ وَصْلُكُمْ يُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ ... بِرُوحِي وَلٰكِنِّي اَرَى وَصْلَكُمْ اَغْلَى

ثم ان نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه الى السوق واخذ منه جميع ما يحتاج اليه من الزاد وادوات السفر واقبل على ذلك الريس فلما رآه قال له يا ولدي ما هذا الذي معك قال زوادتي وما احتاج اليه في السفر فضحك الريس من كلامه وقال له يا ولدي هل انت رائح تتفرج على عمود الصواري ان بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين اذا طاب الريح وصفت الاوقات ثم ان ذلك الشيخ اخذ من نور الدين شيئا من الدراهم وطلع الى السوق واشترى له جميع ما يحتاج اليه في السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلوا ثم اقام نور الدين في المركب ثلثة ايام الى ان تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا في المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة واحد وخمسين يوما وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب واسروا جميع من فيها واتوا بهم الى مدينة افرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم فامر الملك بحبسهم وفي وقت نزولهم من عند الملك الى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الاعور فلما وصل الغراب الى المدينة طلع الوزير الى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة باحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وارباب دولته وتوجهوا الى البحر ليلاقوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جوادا فركبته فلما وصلت الى القصر قابلتها امها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقا او صارت امرأة ثيبا فقالت لهم مريم يا امي بعد ان يباع الانسان في بلاد المسلمين من تاجر الى

تاجر ويصير بحكم ما عليه كيف يبقى بنتا بكرا ان التاجر الذى اشتراني هذا دني بالضرب وغضبني وازال بكارتي وباعني لآخر وآخر باعني لآخر فلما سمعت امها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ثم اعادت على ابيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر امره لديه وعرض حالها على ارباب دولته وبطارقته فقالوا له ايها الملك انها تنجست من المسلمين وما يطهرها الا ضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك امر الملك باحضار الاسارى المسلمين الذين في الحبس فاحضروهم جميعا بين يديه ومن جملتهم نور الدين فامر الملك بضرب رقابهم فاول من ضربوا رقبته رئيس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحدا بعد واحد حتى لم يبق الا نور الدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه الى نطع الدم وارادوا ان يضربوا رقبته واذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له يا مولاي انت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة اسارى من المسلمين ان رد الله بنتك مريم لاجل ان يساعدوا في خدمتها والآن قد وصلت اليك بنتك السيدة مريم فاوف بنذرك الذى نذرته فقال لها الملك يا امي وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندك من الاسارى غير هذا الاسير الذى يريدون قتله فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة الى ان يأتي الينا اسارى من المسلمين فارسل اليك اربعة آخر ولو كنت سبقت قبل ان يضربوا رقاب هؤلاء الاسارى لاعطيناك كلما تريدينه فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها الى نور الدين واخرجته من نطع الدم ونظرت اليه فرأته شابا لطيفا ظريفا رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر فاخذته ومضيت به الى الكنيسة وقالت له يا ولدي اقلع ثيابك التى عليك فانها لا تصلح الا لخدمة السلطان ثم ان العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف اسود ومئزر من صوف اسود وسير عريض فالبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير وامرته ان يخدم الكنيسة فخدم الكنيسة مدة سبعة ايام فبينما هو كذلك واذا بتلك العجوز قد اقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه العشرة دراهم واخرج في هذه الساعة تفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا امي اى شئ الخبر فقالت له العجوز اعلم يا ولدي

ان بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد ان تدخل الكنيسة فى هذا الوقت لاجل ان تزورها وتتبرك بها وتتقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التى نذرتها ان نجاها المسيح ومعها اربعمائة بنت ما واحدة منهن الا كاملة فى الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الامراء وارباب الدولة وفى هذه الساعة يحضرن وربما يقع نظرهن عليك فى هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيوف فعند ذلك اخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد ان لبس ثيابه وخرج الى السوق وصار يتفرج فى شوارع المدينة حتى عرف جميعها وابوابها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نور الدين لما لبس ثيابه اخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج الى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع الى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد اقبلت على الكنيسة ومعها اربعمائة بنت نهد ابكار كانهن الاقمار ومن جملتهن بنت الوزير الاعور وبنات الامراء وارباب الدولة وهى تمشى بينهن كانها القمر بين النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم يا مريم فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادى يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق واردن قتله فى تلك الساعة فالتفتت اليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فانه مجنون بلا شك لان علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف راسه وحملق عينيه واشار بيديه وعوج رجليه واخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت السيدة مريم اما قلت لكن ان هذا مجنون احضرنه عندى وابعدن عنه حتى اسمع ما يقول فانى اعرف كلام العرب وانظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة ام لا فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت الى هنا من اجلى وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنونا فقال لها نور الدين يا سيدتى اما سمعت قول الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ	مَا لَذَّةُ العَيْشِ اِلَّا لِلْمَجَانِينِ

هاتوا جنوني وهاتوا من جننت به
فان وفى بجنوني لا تلوموني

فقالت له مريم والله يا نور الدين انك الجاني على نفسك فاني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك وانا ما اخبرتك الا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وانما هو من باب المشاهدة والعيان لاني رايت الوزير الاعور فعرفت انه ما دخل في هذه البلدة الا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم نعوذ بالله من زلة العاقل ثم تزايد بنور الدين الحال فانشد هذا المقال

هب لي جناية من زلت به القدم
قد يشمل العبد من ساداته كرم
حسب المسيء بذنب من جنايته
فرط الندامة اذ لا ينفع الندم
فعلت ما يقتضي التأديب معترفا
فاين ما يقتضيه العفو والكرم

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ما جرى له وينشدان الاشعار ودموعهما تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى واليم الوجد والجوى الى ان لم يبق لاحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولى واقبل الظلام وقد كان على السيدة مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف معانيها وقد اجاد من قال فيها

تبدت كبدر التم في الحلل الخضر
مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت انا التي
كويت قلوب العاشقين على الجمر
انا الفضة البيضاء والذهب الذي
يفك به المأسور من شدة الاسر
فقلت لها اني الصدود اذابني
فقالت اتشكو لي وقلبي من صخر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة
فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما جن الليل اقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل اغلقتن الباب فقلن لها قد اغلقناه فعند ذلك اخذت السيدة مريم البنات واتت بهن الى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء ام النور لان النصارى يزعمون ان روحها وسرها في ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن في الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن اني اريد ان ادخل وحدي في هذه الكنيسة واتبرك بها فانه حصل لي

اشتياق اليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين واما انتن فحيث فرغتن من الزيارة فتمن حيث شئتن فقلن لها حبا وكرامة وافعلي انت ما تريدينه ثم انهن تفرقن عنها في الكنيسة وتمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين واذا به في ناحية جالسا على مثل الجمر وهو في انتظارها فلما اقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست واجلسته في جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلي والحلل ونفيس القماش وضمت نور الدين الى صدرها وجعلته في حضنها ولم يزل هي واياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ما اقصر ليل التلاق وما اطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَبِكْرَ الدَّهْرِ ... آهٍ أَنْتِ غُرَّةُ اللَّيَالِي الْغُرِّ
فَجِئْتِنِي بِالصُّبْحِ وَقْتَ الْعَصْرِ ... هَلْ كُنْتِ كُحْلاً فِي عُيُونِ الْفَجْرِ
أَوْ كُنْتِ نَوْماً فِي عُيُونِ رَمَدٍ

يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ وَمَا أَطْوَلَهَا ... آخِرُهَا مُوَاصِلٌ أَوَّلَهَا
كَحَلْقَةٍ مُفْرَغَةٍ مَا إِنْ لَهَا ... مِنْ طَرَفٍ وَالْحَشْرُ أَيْضاً قَبْلَهَا
فَالصَّبُّ بَعْدَ الْبَعْثِ مَيْتُ الصَّدِّ

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة واذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عبادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعر

رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ النَّاقُوسَ قُلْتُ لَهُ ... مَنْ عَلَّمَ الظَّبْيَ ضَرْباً بِالنَّوَاقِيسِ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ أَيُّ الضَّرْبِ يُؤْلِمُكِ ... ضَرْبُ النَّوَاقِيسِ أَمْ ضَرْبُ النَّوَى قِيسِي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية ما زالت هي ونور الدين في لذة وطرب الى ان طلع الغلام النوافيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

لَا زِلْتُ أَلْثُمُ وَرْدَ خَدٍّ غَضٍّ ... وَأَعُضُّ ذَاكَ مُبَالِغاً فِي الْعَضِّ

حتى اذا طبنا ونام رقيبنا ... وعيونه مالت لنحو الغمض
ضربت نواقيس تنبه اهلها ... بموذن يدعو صلوة الفرض
قامت على عجل للبس ثيابها ... من خوف نجم رقيبنا المنقض
وتقول يا سؤلي ويا كل المنى ... جاء الصباح بوجهه المبيض
اقسمت لو اعطيت يوم ولاية ... وبقيت سلطانا شديد القبض
لهدمت اركان الكنائس كلها ... وقتلت كل مقسس في الارض

ثم ان السيدة مريم ضمت نور الدين الى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نور الدين كم يوم لك فى هذه المدينة فقال سبعة ايام فقالت له هل سرت فى هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وابوابها التى من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريقا لصندوق النذر الذى فى الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله اذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الاول فاذهب فى تلك الساعة الى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهى وافتح باب الكنيسة الذى فيه الخوخة التى توصل الى البحر فانك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يده اليك فناوله يدك فانه يطلعك فى السفينة فاقعد عنده حتى اجئ اليك والحذر ثم الحذر من ان يلحقك النوم فى تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم ان السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده فى تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن واخذتهن واتت الى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفا فقدموا لها بغلة زرزورية فركبتها وارخوا عليها ناموسية من الحرير واخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشية وبايديهم السيوف مسلولة وساروا بها الى ان وصلوا بها الى قصر ابيها هذا ما كان من امر مريم الزنارية واما ما كان من امر نور الدين المصرى فانه لم يزل مختفيا وراء الستارة التى كان مستترا خلفها هو ومريم الى ان طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء الى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له اين كنت راقدا فى هذه الليلة قال فى محل داخل المدينة كما امرتنى فقالت له العجوز انك فعلت الصواب يا ولدى ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك اقبح قتلة فقال لها

نور الدين الحمد لله الذى نجانى من شر هذه الليلة ولم يزل نور الدين يقضى شغله فى الكنيسة الى ان مضى النهار واقبل الليل بدياجى الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذور واخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر الى ان مضى ثلث الليل الاول وقام ومشى الى باب الخوخة التى توصل الى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشى الى ان وصل الى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح الى البحر فوجد السفينة راسية على شاطئ البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا لحيته طويلة وهو واقف فى وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما امرته مريم فاخذه من يده وجذبه من البر فصار فى وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل ان يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدى الريس كيف نعوم والملك اخبرنا انه فى غد يركب السفينة فى هذا البحر ليطلع على ما فيه لانه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال ويلكم يا ملاعين هل بلغ من امركم انكم تخالفوننى وتردون كلامى ثم ان ذلك الشيخ الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته فقال له واحد اى شئ عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمد يده الى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب اعناق البحرية واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطئ البحر ثم التفت الى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة ارعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائما ووثب فى البر وقلع الوتد ثم طلع فى السفينة اسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له افعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر فى النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين فى البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين

ماسك بيده الراجع وهو غريق في بحر الافكار ولم يزل مستغرقا في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب وكلما نظر الى الريس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه اليها الريس بل صار مشغولا في فكر ووسواس الى ان تضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين الى الريس فرآه قد اخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته واخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وقد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحبا يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي ثم ان نور الدين هزه الشوق والطرب وايقن ببلوغ الامل والارب فردد صوته باطيب النغمات وانشد هذه الابيات

قل لقوم هم لعشقي جهلوا … في حبيب ما اليه وصلوا
عن غرامي بين قومي فاسألوا … قد حلا نظمي ورق الغزل
في هوى قوم بقلبي نزلوا
ذكرهم عندي يزيل السقما … عن فؤادي ويزيح الالما
زاد شوقي وهيامي عندما … اضحى القلب كئيبا مغرما
وبه في الناس سار المثل
انا لا اقبل فيهم لومة … لا ولا اقصد عنهم سلوة
لكن الحب رماني حسرة … اشعلت منه بقلبي جمرة
حرها في كبدي يشتعل
من عجيب قد اباحوا سقمي … مع سهادي بطول الليل المظلم
كيف راموا بالتجافي عدمي … واستحلوا في الهوى سفك دمي
وهم في جورهم قد عدلوا
يا ترى من ذا الذي اوصاكم … بالتجافي عن فتى يهواكم
ولعمري والذي انشاكم … ان تنقل العذال قولا عنكم
كذبوا والله فيما نقلوا
لا ازاح الله عني عللا … لا ولا شافي لقلبي غللا

يَوْمَ اَشْكُو مِنْ هَوَاكُمْ مَلَلًا	أَنَا لَا أَرْضَى سِوَاكُمْ بَدَلًا
عَذِّبُوا قَلْبِي وَإِنْ شِئْتُمْ صِلُوا	
لِي فُؤَادٌ لَمْ يَحُلْ عَنْ حُبِّكُمْ	لَوْ تَعَانِي حَسْرَةً مِنْ صَدِّكُمْ
سُخْطُ هٰذَا وَالرِّضَى مِنْ عِنْدِكُمْ	مَا تَمَنَّيْتُمْ فَافْعَلُوا فِي عَبْدِكُمْ
هُوَ بِالرُّوحِ لَكُمْ لَا يَبْخَلُ	

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت منه السيدة مريم غاية العجب وشكرته على قوله وقالت له من هذه حالته ينبغي ان يسلك مسالك الرجال ولا يفعل فعل الانذال والارذال وقد كانت السيدة مريم قوية القلب تعرف باحوال سير المراكب في البحر المالح وتعرف الاهواء كلها واختلافها وتعرف جميع طرق البحر فقال لها نور الدين والله يا سيدتي لو اطلت عليّ هذا الامر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصا مع نار الوجد والاشتياق واليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها واخرجت شيئا من المأكول والمشروب فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك اخرجت من اليواقيت والجواهر واصناف المعادن والذخائر الغالية وانواع الذهب والفضة ما خف حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به واخرجته من قصور ابيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا اعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود الصواري فلما وصلوا الى المينة طلع نور الدين من وقته وساعته من تلك السفينة وربطها في حجر من احجار القصارين واخذ معه شيئا من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم اقعدي يا سيدتي في السفينة حتى اطلع بك الى اسكندرية مثل ما احب واشتهي فقالت له ولكن ينبغي ان يكون ذلك بسرعة لان التواني في الامور يورث الندامة فقال لها ما عندي تراخ فقعدت مريم في السفينة وتوجه نور الدين الى بيت العطار صاحب ابيه ليستعير لها من زوجته نقابا وحبرة وخفا وازارا كعادة نساء اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر ابي العجب العجاب هذا ما كان من امر نور الدين ومريم الزنارية واما ما كان من امر ابيها ملك افرنجة فانه لما

اصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له يا مولانا انها خرجت بالليل وراحت الى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا فبينما الملك يتحدث مع الجواري والخدم في تلك الساعة واذا بصيحتين عظيمتين تحت القصر دوّى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له ايها الملك انه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحا والاسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك ان كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاؤا له بالخبر وقالوا له ان سفينتك قد فقدت فقال ان كانت سفينتي فقدت فابنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب ثم ان الملك دعا من وقته وساعته برئيس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح ان لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر وتأتيني بها وبمن فيها لاقتلنك اشنع قتلة وامثل بك ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الاسير الذي كان عندك في شان بلاده ومن اي البلاد هو فقالت له كان يقول انا من مدينة اسكندرية فلما سمع الرئيس كلام العجوز رجع من وقته وساعته الى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلوع ففعلوا ما امرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلا ونهارا حتى اشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الافرنج الوزير الاعور الاعرج الذي كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مركبهم بعيدا عنها واتوا اليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الاعور الاعرج لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا ولصا محتالا لا يقدر احد على احتياله يشبه ابا محمد البطال ولم يزالوا يقذفون ويسيرون الى ان وصلوا الى تلك السفينة فهجموا

عليها وحملوا احملة واحدة فلم يجدوا فيها احداً الا السيدة مريم فاخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد ان طلعوا على الشاطئ رقا مرا زمنا طويلا ثم عادوا من وقتهم وساعتهم الى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حالة الى ان وصلوا الى مدينة افرنجة وطلعوا بالسيدة مريم الى ابيها وهو في تخت مملكته فلما نظر اليها ابوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والاجداد وحصن المسيح الذي عليه الاعتماد واتبعت دين السوداحين يعني دين الاسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والاصنام فقالت له مريم انا ما لي ذنب لاني خرجت في الليل الى الكنيسة لازور السيدة مريم واتبرك بها فبينما انا في غفلة واذا بسراق المسلمين قد هجموا علي وسدوا فمي وشدوا وثاقي وحطوني في السفينة وسافروا بي الى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم في دينهم الى ان فكوا وثاقي وما صدقت ان رجالك ادركوني وخلصوني وانا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكي من ايديهم غاية الفرح واتسع صدري وانشرح حيث خلصت من اسر المسلمين فقال لها ابوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما في محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لي من ان اقتلك اقبح قتلة وامثل بك اشنع مثلة اما كفاك الذي فعلته في الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت الينا بتمويهاتك ثم ان الملك امر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الاعور في تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له ايها الملك لا تقتلها وزوجني بها وانا احرص عليها غاية الحرص وما ادخل عليها حتى ابني لها قصرا من الحجر الجلمود واعلي بناءه حتى لا يستطيع احد من السارقين الصعود على سطحه واذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين واجعلهم قربانا للمسيح عني وعنها فانعم عليه الملك بزواجها واذن للقسيسين والرهبان والبطارقة ان يزوجوها له فزوجوها للوزير الاعور واذن ان يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال في العمل هذا ما كان من امر الملكة مريم وابيها والوزير الاعور واما ما كان من امر نور الدين والشيخ العطار فان نور الدين لما توجه الى العطار صاحب ابيه استعار

من زوجته ازارا ونقابا وخفا وثيابا كثياب نساء اسكندرية ورجع بها الى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما وجد الجو قفرا والمزار بعيدا صار قلبه حزينا فبكى بدمع منهمر وانشد قول الشاعر

سَرَى طَيْفُ سُعْدَى طَارِقًا فَاسْتَفَزَّنِي ... سُحَيْرًا وَصَحْبِي فِي الْفَلَاةِ رُقُودُ
فَلَمَّا انْتَبَهْنَا لِلْخَيَالِ الَّذِي سَرَى ... أَرَى الْجَوَّ قَفْرًا وَالْمَزَارُ بَعِيدُ

ثم مشى نور الدين على شاطئ البحر وتلفت يمينا وشمالا فرأى ناسا مجتمعين على الشاطئ وهم يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم على هينتهم ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ولا من العساكر الغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا له يا ولدي ان مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المينة واخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حمايتهم الى بلادهم فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشيا عليه فلما افاق سألوه عن قضيته فاخبرهم بخبره من الاول الى الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لاي شيء ما تخرجها الا بازار ونقاب وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما ومنهم من يقول خلوه في حاله يكفيه ما جرى له وصار كل واحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشيا عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة واذا بالشيخ العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه اليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقدا بينهم وهو مغشي عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما افاق قال له يا ولدي ما هذا الحال الذي انت فيه فقال له يا عم ان الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة ابيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في المجيء بها فلما وصلت بها الى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت الجارية فيها وذهبت الى منزلك واخذت من زوجتك مصالح للجارية لاطلعها بها الى المدينة فجاء الافرنج واخذوا السفينة

والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا الى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وتأسف على نور الدين تأسفا عظيما وقال له ياولدى لاي شئ ما اخرجتها من السفينة الى المدينة من غير ازار ولكن في هذا الوقت ما ينفع الكلام قم ياولدى واطلع معى الى المدينة لعل الله يرزقك بجارية احسن منها فتسلى بها عنها والحمد لله الذى ما خسرك فيها شيئا بل حصل لك الربح فيها واعلم ياولدي ان الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له نور الدين والله ياعم اني ما اقدر ان اسلاها ابدا ولا اترك طلبها ولو سقيت من اجلها كاس الردى فقال له العطار ياولدى واى شئ في ضميرك تريد ان تفعله فقال له نويت ان ارجع الى بلاد الروم وادخل مدينة افرنجة واخاطر بنفسي فاما عليها واما لها فقال له ياولدى ان في الامثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة وان كانوا ما فعلوا بك في المرة الاولى شيئا ربما يقتلونك في هذه المرة لاسيما وقد عرفوك حق المعرفة فقال نور الدين ياعمى دعني اسافر واقتل في هواها سريعا ولا اقتل بتركها صبرا وتحيرا وكان بمصادفة القدر مركب راسية في المينة مجهزة للسفر وركابها قد قضت جميع اشغالها وفي تلك وقد اتينك لاخذ من عندك ثلثين مسلما فاذبحهم وافي تلك الساعة قلعوا اوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة ايام وقد طاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون واذا بمراكب من مراكب الافرنج دائرة في البحر العجاج وهم لا يرون مركبا الا ويأسروها خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين واذا اخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها الى ملك افرنجة فيذبحهم ويوفي لهم نذره الذى كان نذره من اجل بنته مريم فرأوا تلك المركب التى فيها نور الدين فاسروها واخذوا كل من كان فيها واتوا بهم الى الملك ابي مريم فلما اوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فامر بذبحهم في الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال له اما انت نور الدين الذى كنت عندنا في المرة الاولى قبل هذه المرة فقال له ما كنت عندكم وليس اسمي نور الدين وانما اسمي ابراهيم فقال له الملك تكذب بل انت نور الدين وهبتك للعجوز القيمة

على الكنيسة لتساعدها فى خدمة الكنيسة فقال له نور الدين يامولاى انا اسمى ابراهيم فقال له الملك ان العجوز قيمة الكنيسة اذا حضرت ونظرتك تعرف هل انت نور الدين او غيره فبينما هم فى الكلام واذا بالوزير الاعور الذى تزوج بنت الملك قد دخل فى تلك الساعة وقبل الارض بين ايادى الملك وقال له ايها الملك اعلم ان القصر قد فرغ بنيانه وانت تعرف انى نذرت للمسيح اذا فرغت من بنائه ان اذبح على بابه ثلثين من المسلمين ويكونون فى ذمتى على سبيل القرض ومتى جاءنى اسارى اعطيك بدلهم فقال الملك وحق المسيح والدين الصحيح ما بقى عندى غير هذا الاسير واشار الى نور الدين وقال له خذه اذبحه فى هذه الساعة حتى ارسل ليك البقية اذا جاءنى اسارى من المسلمين فعند ذلك قام الوزير الاعور واخذ نور الدين ومضى به الى القصر ليذبحه على عتبة بابه فقال له الدهانون يامولانا قد بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر ذبح هذا الاسير حتى نفرغ من الدهان عسى ان يأتى اليك بقية الثلثين فتذبح الجميع دفعة واحدة وتوفى بنذرك فى يوم واحد فعند ذلك امر الوزير بحبس نور الدين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما امر بحبس نور الدين اخذوه مقيدا الى الاصطبل جائعا عطشانا يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالامر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانان اخوان شقيقان احدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملوك الاكاسرة وكان احدهما اشهب نقيا والآخر ادهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعا يقولون كل من سرق لنا حصانا من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الاحمر والدر والجوهر فلم يقدر احد على سرقة واحد من هذين الحصانين فحصل لاحدهما مرض صفر بياض فى عينيه فاحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الاعور الذى تزوج بنته فرآه مهموما من قبل ذلك الحصان فاراد ان يزيل همه فقال ايها الملك اعطنى هذا الحصان وانا

اداويه فاعطاه له فنقله في الاصطبل الذي محبوس فيه نور الدين فلما فارق هذا الحصان اخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى ازعج الناس من الصياح فعرف الوزير انه ما حصل منه هذا الصياح الا لفراقه من اخيه فراح واعلم الملك بذلك فلما سمع الملك كلامه قال اذا كان ذلك حيوانا ولم يصبر على فراق اخيه فكيف بذوي العقول ثم امر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند اخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير ان الملك يقول لك ان الحصانين انعام منه لك لاجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم في الاصطبل وهو مقيد مكبل اذ نظر الحصانين فوجد في اعيني احدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة باحوال الخيل وممارسة دوائها فقال في نفسه هذا والله وقت فرصتي فاقوم واكذب على الوزير واقول له انا اداوي هذا الحصان واعمل له شيئا يتلف عينيه فيقتلني واستريح من هذه الحيوة الذميمة ثم ان نور الدين انتظر الوزير الى ان دخل الاصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال له نور الدين يا مولاي اي شيء يكون لي عليك اذا انا داويت لك هذا الحصان واعمل له شيئا يطيب عينيه فقال له الوزير وحيوة راسي ان داويته اعتقتك من الذبح واخليك تتمنى علي فقال له يا مولاي أأمر بفك يدي فامر الوزير باطلاقه فنهض نور الدين واخذ زجاجا بكرا وسحقه واخذ جيرا بلا طفي وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع في عيني الحصان وربطهما وقال في نفسه الآن تغور عيناه فيقتلونني واستريح من هذه العيشة الذميمة ثم ان نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع الى الله تعالى وقال يا رب في علمك ما يغني عن السؤال فلما اصبح الصباح واشرقت الشمس على الروابي والبطاح جاء الوزير الى الاصطبل وفك الرباط عن عيني الحصان ونظر اليهما فرآهما احسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت في الدنيا مثلك في حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح انك اعجبتني غاية الاعجاب فانه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار في بلادنا ثم تقدم الى نور الدين وحل قيده بيده ثم البسه حلة سنية وجعله ناظرا على خيله ورتب له مرتبات وجرايات واسكنه في طبقة على الاصطبل وكان في القصر الجديد الذي بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التي فيها نور الدين فقعد نور الدين مدة ايام

يأكل

يأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويامر وينهى على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التي هو بها خذ منه يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع في رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح وانسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول امره اليه وكان نور الدين كل يوم ينزل الى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الاعور بنت بكر في غاية الجمال كانها غزال شارد او غصن مائد فاتفق انها كانت جالسة ذات يوم من الايام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نور الدين اذ سمعت نور الدين يغني ويسلي نفسه على المشقات بانشاد هذه الابيات

يَا عَاذِلاً اَصْبَحَ فِي ذَاتِهِ ... مُنَعَّمًا يَزْهُو بِلَذَّاتِهِ
لَوْ عَضَّكَ الدَّهْرُ بِآفَاتِهِ ... لَقُلْتَ مِنْ ذَوْقِ مَرَارَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
لَئِنْ سَلِمْتَ الْيَوْمَ مِنْ غَدْرِهِ ... وَمِنْ تَنَاهِيهِ وَمِنْ جَوْرِهِ
فَلَا تَلُمْ مَنْ حَارَ فِي اَمْرِهِ ... وَقَالَ مِنْ فَرْطِ صَبَابَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كُنْ عَاذِرَ الْعُشَّاقِ فِي حَالِهِمْ ... وَلَمْ تَكُنْ عَوْنًا عَلَى عُذَّالِهِمْ
اِيَّاكَ اَنْ تَشْتَدَّ فِي حَبْلِهِمْ ... مُتَجَرِّعًا مِنْ مُرِّ لَوْعَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِكَ بَيْنَ الْعِبَادِ ... كَمِثْلِ مَنْ بَاتَ خَلِيَّ الْفُؤَادِ
لَمْ اَعْرِفِ الْعِشْقَ وَطَعْمَ السُّهَادِ ... حَتَّى دَعَانِي لِمَقَامَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
لَمْ يَدْرِ مَا الْعِشْقُ وَمَا ذُلُّهُ ... اِلَّا الَّذِي اَسْقَمَهُ طُولُهُ
وَضَاعَ مِنْهُ فِي الْهَوَى عَقْلُهُ ... وَشَرِبَهُ مِنْ مُرِّ جُرْعَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كَمْ عَيْنُ صَبٍّ فِي الدُّجَى اَسْهَرَا ... وَاَحْرَمَ الْجَفْنَ لَذِيذَ الْكَرَى
وَكَمْ اَسَالَ دَمْعَهُ اَنْهُرَا ... تَجْرِي عَلَى الْخَدِّ بِلَوْعَاتِهِ
آهِ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ ... اَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ

كَمْ فِي الوَرَى مِنْ مُغْرَمٍ مُسْتَهَامِ — سَهْرَانَ مِنْ وَجْدٍ بَعِيدِ المَنَامِ
أَلْبَسَهُ ثَوْبَ الضَّنَى وَالسَّقَامِ — مَنْ قَدْ نَفَى عَنْهُ مَنَامَاتِهِ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وَحَالَاتِهِ — أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كَمْ قَلَّ صَبْرِي وَبَرَى أَعْظُمِي — وَسَالَ دَمْعِي مِنْهُ كَالعَنْدَمِ
مُهَفْهَفٌ أَمَرُّ مِنْ مَطْعَمِي — مَا كَانَ حُلْوًا فِي مَذَاقَاتِهِ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وَحَالَاتِهِ — أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
مِسْكِينُ مَنْ فِي النَّاسِ مِثْلِي عِشْقًا — وَبَاتَ فِي جُنْحِ اللَّيَالِي أَرِقَا
إِنْ عَامَ فِي بَحْرِ التَّجَا فِي غَرِقَا — يَشْكُو مِنَ العِشْقِ وَزَفْرَاتِهِ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وَحَالَاتِهِ — أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
مَنْ ذَا الَّذِي بِالعِشْقِ لَمْ يَبْتَلِ — وَمَنْ نَجَا مِنْ كَيْدِهِ الأَسْهَلِ
وَمَنْ يَعِشْ مِنْهُ بِعَيْشِ الخَلِي — وَأَيْنَ مَنْ فَازَ بِرَاحَاتِهِ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وَحَالَاتِهِ — أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
يَا رَبِّ دَبِّرْ مَنْ بِهِ قَدْ بُلِي — وَاكْفُلْهُ نِعْمَ أَنْتَ مِنْ كَافِلِ
وَارْزُقْهُ مِنْكَ بِالثَّبَاتِ الجَلِي — وَالْطُفْ بِهِ فِي كُلِّ آفَاتِهِ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وَحَالَاتِهِ — أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ

فلما استتم نور الدين اقضى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا المسلم شاب مليح ولكنه لا شك عاشق مفارق فيا ترى هل معشوقه هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده ام لا فان كان معشوقه مليحا مثله يحق له اسالة العبرات وشكوى الصبابات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الوزير قالت في نفسها فان كان معشوقه مليحا يحق له اسالة العبرات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت الى القصر امس في ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت ان تذهب اليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتمت الفكر في هذ

الكلام حتى ارسلت خلفها السيدة مريم زوجة ابيها لاجل ان تؤانسها بالحديث فذهبت اليها فرأت صدرها ضيقا ودموعها جارية على خدها وهي تبكي بكاء شديدا ما عليه من مزيد تكفكف العبرات وتنشد هذه الابيات

مَضَى عُمْرِي وَعُمْرُ الوَجْدِ بَاقِ | وَصَدْرِي ضَاقَ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِ
وَقَلْبِي ذَابَ مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ | يُؤَمِّلُ عَوْدَ أَيَّامِ التَّلَاقِي

لِيَنْتَظِمَ الوِصَالُ عَلَى أُنْسِنَا فِي

أَفَلُوا اللَّوْمَ عَنْ مَسْلُوبِ قَلْبٍ | نَحِيلِ الجِسْمِ مِنْ شَوْقٍ وَكَرْبِ
وَلَا تَرْمُوا هَوَاهُ بِسَهْمِ عَتْبٍ | فَمَا فِي الكَوْنِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ

يَمُرُّ العِشْقُ حُلْوًا فِي المَذَاقِ

فقالت بنت الوزير للسيدة مريم مالك ايتها الملكة ضيقة الصدر مشتتة الفكر فلما سمعت السيدة مريم كلام بنت الوزير تذكرت ما فات من عظيم اللذات وانشدت هذين البيتين

سَأَصْبِرُ تَوْطِينًا عَلَى هَجْرِ صَاحِبِي | وَأُرْسِلُ دُرَّ الدَّمْعِ نَثْرًا عَلَى نَثْرِ
عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ أَنَّهُ | طَوَى كُلَّ يُسْرٍ تَحْتَ خَاتِمَةِ العُسْرِ

فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة لا تضيقي صدرا وقومي معي في هذه الساعة الى شباك القصر فان عندنا في الاصطبل شابا مليحا رشيق القوام حلو الكلام كانه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم باي علامة عرفت انه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة عرفت ذلك بانشاد القصائد والاشعار اناء الليل واطراف النهار فقالت السيدة مريم في نفسها ان كان قول بنت الوزير يقينا فهذه صفات الكئيب المسكين علي نور الدين فيا هل ترى ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير ثم ان السيدة مريم زادها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير الى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته اياها ومن نار الوجد والم الفراق والوله والاكتئاب قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول

اَلْقَلْبُ مَمْلُوكٌ وَعَيْنِي جَارِيَهْ | لَيْسَ لَهَا سَحَابَةٌ مُجَارِيَهْ
بَيْنَ بُكَائِي وَسُهَادِي وَالجَوَى | وَالنَّوْحِ وَالحُزْنِ عَلَى أَحْبَابِيَهْ

لو اخبرتني واحسنت بي ما لو عتني   لما ملكت اعداها شماتيه
ويا بعثها خمسة في خمسة   الا قفوا واستمعوا مقاليه
ذكر وفكر وزفرة وضنى   وفرط شوق واشتغال باليه
في محنة وغربة وصبوة   ولهف وفرحة تدانيه
قل اصطباري واحتيالي للجوى   لما نأى صبري وذي محاليه
قد زاد في قلبي تباريح الجوى   يا سائلا عن نار قلبي ما هيه
ما بال دمعي موقدا في مهجتي   فنار قلبي لا تزال حاميه
اصبحت في طوفان دمعي غارقا   ومن لظى هذا الهوى في هاويه

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت انه هو ولكنها كتمت امرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت احسب ان عندك خبرا بضيق صدري ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت الى مكانها ومضت بنت الوزير الى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت الى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر الى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر لكنه دائم الحسرات جاري العبرات لانه تذكر ما فات فانشد هذه الابيات

أملت وصل احبتي ما نلته   ابدا ومر العيش قد احتملته
دمعي يحاكي البحر في جريانه   واذا رأيت عواذلي تكلفته
آه على داع دعا بفراقنا   لو نلت منه لسانه لقطعته
لا عتب للايام في افعالها   مزجت بصرف المر ما جرعته
فلمن اسير الى سواكم قاصدا   والقلب في عرصاتكم خلفته
من منصفي من ظالم متحكم   يزداد ظلما كلما حكمته
ملكته روحي ليحفظ ملكه   فاضاعني واضاع ما ملكته
انفقت عمري في هواه وليتني   اعطى وصولا بالذي انفقته
يا ايها الرشاء المليم بمهجتي   يكفي من الهجران ما قد ذقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه   لكن عليه تصبري فرقته
احللته قلبي فحل به البلا   اني لراض بالذي احللته

وَجَرَتْ دُمُوعِي مِثْلَ بَحْرٍ زَاخِرٍ | لَوْ كُنْتُ اَعْرِفُ مَسْلَكًا لَسَلَكْتُهُ
وَخَشِيتُ خَوْفًا اَنْ اَمُوتَ بِحَسْرَةٍ | وَيَفُوتَ مِنِّي كُلَّمَا اَمَّلْتُهُ

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق والمسكين الشاد هذه الاشعار حصل عندها من كلامه اشعارا فاضت دموع العين وانشدت هذين البيتين

تَمَنَّيْتُ مَنْ اَهْوٰى فَلَمَّا لَقِيتُهُ | ذَهَلْتُ فَلَمْ اَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفَا
وَكُنْتُ مُعِدًّا لِلْعِتَابِ دَفَاتِرًا | فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا مَا وَجَدْتُ وَلَا حَرْفَا

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها وبكى بكاء شديدا وقال والله ان هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما سمعها تنشد الاشعار قال في نفسه ان هذه نغمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب فيا ترى هل ظني صحيح وانها هي بعينها او غيرها ثم ان نور الدين زادت به الحسرات وتأوه وانشد هذه الابيات

لَمَّا رَأٰنِي لَائِمِي فِي الْهَوٰى | صَادَفْتُ حِبِّي فِي مَكَانٍ رَحِيبِ
وَلَمْ اَفُهْ بِالْعَتْبِ عِنْدَ اللِّقَا | وَرُبَّ عَتْبٍ فِيهِ بُرْءُ الْكَئِيبِ
فَقَالَ مَا هٰذَا السُّكُوتُ الَّذِي | صَدَّكَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ الْمُصِيبِ
فَقُلْتُ يَا مَنْ قَدْ غَدَا جَاهِلًا | بِحَالِ اَهْلِ الْعِشْقِ كَالْمُسْتَرِيبِ
عَلَامَةُ الْعَاشِقِ فِي عِشْقِهِ | سُكُوتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ الْحَبِيبِ

فلما فرغ من شعره احضرت السيدة مريم دواة وقرطاسا وكتبت فيه بعد البسملة الشريفة اما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته واخبرك ان الجارية مريم تسلم عليك وهي كثيرة الشوق اليك وهذه مراسلتها اليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن ان تنام فاذا مضى ثلث الليل الاول فان تلك الساعة من اسعد الاوقات فلا يكون لك فيها شغل الا ان تشد

الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك اين انت رائح فقل له انا رائح اسيرهما فاذا قلت ذلك لا يمنعك احد فان اهل هذه المدينة واثقون بقفل الابواب ثم ان السيدة مريم لفت الورقة في منديل حرير ورمتها الى نور الدين من الشباك فاخذها وقرأها وفهم ما فيها وعرف انها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه وتذكر ما حصل له معها من طيب الوصال فاسال دمع العين وانشد هذين البيتين

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكُمُ جُنْحَ لَيْلَةٍ ... فَهَيَّجَنِي شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَأَبْرَانِي
وَذَكَّرَنِي عَيْشًا مَضَى بِوِصَالِكُمْ ... فَسُبْحَانَ رَبٍّ بِالتَّفَرُّقِ أَبْلَانِي

ثم ان نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل باصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الاول ثم قام من وقته وساعته الى الحصانين ووضع عليهما سرجين من احسن السروج وخرج بهما من باب الاصطبل وقفل الباب وسار بهما الى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم هذا ما كان من امر نور الدين واما ما كان من امر الملكة مريم فانها ذهبت من وقتها وساعتها الى المجلس الذي هو معد لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الاعور جالسا في ذلك المجلس متكئا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستحي ان يمد يده اليها او يخاطبها فلما رأته ناجت ربها في قلبها وقالت اللهم لا تبلغه مني اربا ولا تحكم علي بالنجاسة بعد الطهارة ثم اقبلت عليه واظهرت له المودة وجلست في جانبه ولاطفته و قالت له يا سيدي ما هذا الاعراض عنا هل هو منك تيه ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول اذا بار السلام سلمت القعود على القيام فان كنت يا سيدي ما تجيء عندي وتخاطبني اجيء انا عندك واخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك يا ملكة الارض في الطول والعرض وهل انا الا من بعض خدامك و اقل غلمانك وانما انا مستحي ان اهجم على مخاطبتك الفخيمة ايتها الدرة اليتيمة و وجهي منك في الارض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وامرهم باحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وافراخ الحمام ورضيع الضأن واوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الاشكال والالوان فمدت السيدة مريم يدها الى السفرة واكلت وصارت تلقم الوزير بانا ملها وتبوسه

في فمه وما زالا يأكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا ايديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام واحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد ان يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدّت يدها الى جيبها واخرجت منه قرصا من البنج البكر المغربي الذي اذا شمّ منه الفيل ادنى رائحة نام من العام الى العام كانت اعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته واعطته اياه فطار عقله من الفرح وما صدق انها ناولته اياه فاخذ القدح وشربه فما استقر في جوفه حتى خرّ صريعا بين الارض في الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت الى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت واصناف المعادن المثمنة ثم حملت معها شيئا من المأكل والمشروب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح واخذت معها لنور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة واهبة السلاح القاهرة ثم انها رفعت الخرجين على اكتافها وخرجت من القصر وكانت ذا قوة وشجاعة وتوجهت الى نور الدين هذا ما كان من امر مريم واما ما كان من امر نور الدين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم لما خرجت من القصر توجهت الى نور الدين وكانت ذا قوة وشجاعة هذا ما كان من امر مريم واما ما كان من امر نور الدين العاشق المسكين فانه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فارسل الله عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين او واحد منهما وكان موجودا في تلك الايام عبد اسود تربى في الجزائر يعرف سرقة الخيل فصار ملوك الافرنج يرشونه بمال كثير لاجل ان يسرق احد الحصانين ووعدوه انه ان سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعا سنية وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على اخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الاعور ونقلهما

الى اصطبله فرح العبد فرحا شديدا وطمع فى خذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لاسرقنهما ثم ان العبد خرج فى تلك الليلة قاصدا ذلك الاصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش فى الطريق اذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين فى يده فنزع المقاود من رؤسهما واراد ان يركب واحدا ويسوق الآخر قدامه واذا بالسيدة مريم قد اقبلت وهى حاملة الخرجين على كتفها فظنت ان العبد هو نور الدين فناولته احد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثانى فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهى تظن انه نور الدين ثم انها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدى نور الدين مالك ساكتا فالتفت العبد وهو مغضب وقال لها اى شئ تقولين يا جارية فسمعت بربرة العبد فعرفت انها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها اليه ونظرته فوجدت له مناخير كالابريق فلما نظرته صار الضياء فى وجهها ظلاما فقالت له من تكون يا شيخ بنى حام وما اسمك بين الانام فقال لها يا بنت اللئام انا اسمى مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشئ من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعا على الارض يختبط فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك اخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحدا منهما وقبضت الآخر بيدها ورجعت الى عقبها تفتش على نور الدين فلقيته راقدا فى المكان الذى واعدته بالاجتماع فيه والمقاود فى يده وهو نائم يغط فى نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبا وقال لها يا سيدتى الحمد لله على مجيئك سالمه فقالت له قم اركب هذا الحصان وانت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثانى وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم الى نور الدين وقالت له اما قلت لك لا تنم فانه لا افلح من ينام فقال يا سيدتى انا ما نمت الا من برد فؤادى بميعادك واى شئ جرى يا سيدتى فاخبرته بحكاية العبد من المبتدأ الى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا فى اسراع المسير وقد سلما امرهما الى اللطيف وصارا يتحدثان حتى وصلا الى العبد الذى قتلته السيدة

مريم فرآه مرميا في التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين انزل جرّده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها يا سيدتي والله انا لا اقدر ان انزل عن ظهر الحصان ولا اقف عنده ولا اقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم ساروا ولم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليل الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح فوصلا الى مرج افيح فيه الغزلان تمرح وقد اخضرت منه الجوانب وتشكلت فيه الاثمار من كل جانب وازهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجداوله تجري مختلفة الصفات كما قال فيه الشاعر واجاد ووفى بالمراد

وَقَانٍ لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ ... وَقَاهُ مُضَاعَفُ النَّبْتِ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَأٍ زُلَالًا ... أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنَّى وَاجَهَتْنَا ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى ... فَتَلْمَسُ جَانِبَ الدُّرِّ النَّظِيمِ

وكما قال الآخر

وَإِذَا نَزَلْتَ بِمَطْيَرَةٍ وَغَدِيرِهِ ... يَبْنِيَانِ فَمُ الْوِلْهَانِ فِي الْأَسْحَارِ
فَكَأَنَّهُ الْفِرْدَوْسُ فِي أَكْنَافِهِ ... ظِلٌّ وَفَاكِهَةٌ وَمَاءٌ جَارِ

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا في ذلك الوادي
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة مريم ونور الدين لما نزلا في ذلك الوادي اكلا من اثماره وشربا من انهاره واطلقا الحصانين يأكلان في المرعى فاكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نور الدين هو ومريم يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من الم الفراق وما قاساه من البعد والاشتياق فبينما هما كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب في ذلك ان الملك

لما تزوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة واصبح الصباح اراد الملك ان يصبح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك في بناتهم فقام واخذ معه اقمشة من الحرير ونثر الذهب والفضة لتتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان الى ان وصل الى القصر الجديد فوجد الوزير مرميا على الفرش لم يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك في القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وغاب صوابه وامر باحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما احضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم ان الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته مريم فقال له ايها الملك الاعظم لا علم لي بها غير انها اسقتني قدحا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي الا في هذه الساعة ولا اعلم ما كان من امرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من اضراسه ثم ان الملك ارسل من وقته وساعته الى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له ايها الملك ان الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما ايضا فاننا اصبحنا وجدنا الابواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني وما يعتقده يقيني ما اخذ الحصانين الا ابنتي هي والاسير الذي كان يخدم الكنيسة وكان قد اخذها في المرة الاولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي الا هذا الوزير الاعور وقد جوزي بفعله ثم ان الملك دعا في الوقت باولاده الثلثه وكانوا ابطالا شجعانا كل واحد منهم يقوم بالف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وامرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقته وارباب دولته واكابرهم وصاروا يتبعون اثرهما فلحقوهما في ذلك الوادي فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال فقال لها ان ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال ثم انشد وقال

يا مَرْيَمُ اطْرَحِي اللَّوْمَ عِتَابِي	لَا تَقْصُدِي قَتْلِي وَطُولَ عَذَابِي
مِنْ اَيْنَ لِي اِنِّي اَكُونُ مُحَارِبًا	اِنِّي لَاَفْزَعُ مِنْ نَعِيقِ غُرَابِ

واذا

وَإِذَا نَظَرْتُ الْفَارَ أَفْزَعُ خِيفَةً ... وَأَبُولُ مِنْ خَوْفِي عَلَى أَثْوَابِي
أَنَا لَا أُحِبُّ الطَّعْنَ إِلَّا خَلْوَةً ... وَالْكُسُّ يَعْرِفُ سَطْوَةَ الْأَزْبَابِ
هَذَا هُوَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وَمَا يُرَى ... مِنْ دُونِ هَذَا الرَّأْيِ غَيْرُ صَوَابِ

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام اظهرت له الضحك والابتسام وقالت له يا سيدي نور الدين استقم مكانك وانا اكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم انها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها والملقة من يدها طرف العنان وادارت من الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كانه الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وقد كانت مريم اشجع اهل زمانها وفريدة عصرها واوانها لان اباها علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهري واذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فان جوادك ما يلحقه لاحق فلما نظر الملك الى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت الى ولده الاكبر وقال له يا برطوط يا ملقب براس القلوط ان هذه اختك مريم لاشك فيها ولا ريب قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فابرز اليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح انك ان ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فان رجعت الى دينها القديم فارجع بها اسيرة وان لم ترجع اليه فاقتلها اقبح قتلة ومثل بها اشنع مثلة وكذلك هذا الملعون الذي معها مثل به اقبح مثلة فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لاخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت اليه فقال لها برطوط يا مريم اما يكفي ما جرى منك حيث تركت دين الآباء والاجداد واتبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الاسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح ان لم ترجعي الى دين آبائك واجدادك من الملوك وتسلكي فيه احسن السلوك لاقتلنك شر قتلة وامثلن بك اقبح مثلة فضحكت مريم من كلام اخيها وقالت هيهات هيهات ان يعود ما فات او يعيش من مات بل اجرعك اشد الحسرات انا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فانه هو الدين الحق فلا اترك الهدى ولو سقيت كؤس الردى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم قالت لاخيها هيهات هيهات ان ارجع عن
دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فانه دين الهدى ولو سقيت كؤس الردى
فلما سمع الملعون برطوط من اخته هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وعظم
ذلك عليه وكبر لديه والتهب بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان
في الاودية العراض الطوال وصبر على الشدائد وشخصت لهما الابصار فاخذها
الانبهار ثم تجاولا مليا واعتركا طويلا وصار برطوط كلما يفتح لاخته مريم بابا
من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها
ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفرسان عن الابصار
ولم تزل مريم تحاوله وتسد عليه طريقه حتى كل وبطلت همته واضمحل عزمه
وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجل الله بروحه
الى النار وبئس القرار ثم ان مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان
وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لايبرز لي اليوم
كسلان ولا عاجز لايبرز لي الا ابطال اعداء الدين لاسقيهم كأس العذاب المهين
يا عبدة الاوثان وذوي الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه اهل الايمان
وتسود وجوه اهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل لطم على وجهه
وشق اثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له يا برطوس يا ملقب بخرء
السوس ابرز يا ولدي لسرعة الى قتال اختك مريم وخذ منها ثار اخيك برطوط
وائتني بها اسيرة ذليلة حقيرة فقال له يا ابت السمع والطاعة ثم انه برز لاخته
مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي واياه قتالا شديدا اشد
من القتال الاول فرأى اخوها الثاني نفسه عاجزا من قتالها فاراد الفرار
والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها لانه كلما ركن الى الفرار تقربت منه ولا
صقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته والحقته باخيه
وبعد ذلك جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت اين
الفرسان والشجعان اين الوزير الاعور الاعرج صاحب الدين الاعوج فعند ذلك
صاح الملك ابوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال انها قتلت ولدي الاوسط
وحق المسيح والدين الصحيح ثم انه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا ملقب
بسلح الصبيان اخرج يا ولدي الى قتال اختك وخذ منها ثار اخويك وصادمها

امالك او عليك وان ظفرت بها فاقتلها افجع قتلة فعند ذلك برز لها اخوها الصغير
وحمل عليها فنهضت اليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها
بالحرب وفروسيتها وقالت له ياملعون يا عدو الله وعدو المسلمين لالحقنك
باخويك وبئس مثوى الكافرين ثم انها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت
عنقه وذراعيه والحقته باخويه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما
رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع ابيها اولاده الثلاثة قد قتلوا
وكانوا اشجع اهل زمانهم وقع فى قلوبهم الرعب من السيدة مريم وادهشتهم الهيبة
ونكسوا رؤسهم الى الارض وايقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت
قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار فلما نظر الملك الى
اولاده قد قتلوا والى عساكره قد انهزموا اخذته الحيرة والانبهار واحترق
قلبه بلهيب النار وقال فى نفسه ان السيدة مريم قد استقلت بنا وان جازفت
بنفسي وبرزت اليها وحدى ربما غلبت على وقهرتني فتقتلني اشنع قتلة وتمثل
افجع مثلة كما قتلت اخوتها لانها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا فى رجوعها طمع والرأى
عندى ان احفظ حرمتى وارجع الى مدينتى ثم ان الملك ارخى عنان فرسه و
رجع الى مدينته فلما استقر فى قصره انطلقت فى قلبه النار من اجل قتل اولاده
الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب ارباب
دولته وكبراء مملكته وشكا اليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لاخوتها وما
لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فاشاروا عليه كلهم ان يكتب كتابا الى
خليفة الله فى ارضه امير المؤمنين هارون الرشيد ويعلم بهذه القضية فكتب
الى الرشيد مكتوبا مضمونه بعد السلام على امير المؤمنين ان لنا ابنة اسمها
مريم الزنارية قد افسدها علينا اسير من اسرى المسلمين اسمه نور الدين على
ابن التاجر تاج الدين المصرى واخذها ليلا وخرج بها الى ناحية بلاده وانا
اسأل فضل مولانا امير المؤمنين ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها
وارسالها الينا مع رسول امين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك افرنجة كتب الى الخليفة امير المؤمنين

هارون الرشيد كتابا يتضرع اليه فيه بطلب ابنته مريم ويسأل فضله ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها مع رسول امين من خدام حضرة امير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب انا نجعل لكم في نظير مساعدتكم لنا على هذا الامر نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين وتحمل اليكم خراجها وبعد ان كتب الكتاب برأي اهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره الذي جعل وزيرا مكان الوزير الاعور وامره ان يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه ارباب دولته بعد ان وضعوا خطوط ايديهم فيه ثم قال لوزيره ان اتيت بها فلك عندي اقطاع اميرين واخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وامره ان يسافر الى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب الى امير المؤمنين من يده الى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الاودية والقفار حتى وصل الى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلثة ايام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر امير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل اليه طلب اذنا من امير المؤمنين في الدخول عليه فاذن له في ذلك فدخل عليه وقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك افرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بامير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه امر وزراءه من وقته ان يكتبوا المكاتب الى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وانهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما الى امير المؤمنين وحذروهم من ان يعطوا في ذلك امهالا واهمالا او غفلة ثم ختمت الكتب وارسلت مع السعاة الى العمال فبادروا في امتثال الامر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من امر هؤلاء الملوك واتباعهم واما ما كان من امر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك افرنجة فانهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا الى بلاد الشام وقد ستر عليهما الستار فوصلا الى مدينة دمشق وكانت الطوالع التي ارسلها الخليفة قد سبقتهما الى دمشق بيوم فعلم امير دمشق انه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة فلما كان يوم دخولهما الى دمشق اقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فاخبروهما بالصحيح وقصوا عليهما قصتهما وجميع ما جرى

عليها فعرفوها وقبضوا عليهما واخذوهما وساروا بهما الى امير دمشق فارسلهما الى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلوا اليها استاذنوا في الدخول على امير المؤمنين هارون الرشيد فاذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا امير المؤمنين ان هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجة وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الاسير الذي افسدها على ابيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها الى دمشق فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن اسمائهما فاجابونا بالصحيح فعند ذلك اتينا بهما واحضرناهما بين يديك فنظر امير المؤمنين الى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة اهل زمانها فريدة عصرها واوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤوس والنقم فاعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة الفاظها وسرعة جوابها فقال لها هل انت مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قالت نعم يا امير المؤمنين وامام الموحدين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى عليا نور الدين شابا مليحا حسن الشكل كانه البدر المنير في ليلة تمامه فقال له الخليفة هل انت علي نور الدين الاسير ابن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا امير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال له الخليفة كيف اخذت هذه الصبية من مملكة ابيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من اول الامر الى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب واخذه من التعجب فرط الطرب وقال ما اكثر ما تقاسيه الرجال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فاخبره بجميع ما جرى له من المبتدا الى المنتهى تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما اكثر ما تقاسيه الرجال ثم انه التفت الى السيدة مريم فقال لها يا مريم اعلمي ان والدك ملك افرنجة قد كاتبنا في شانك فما تقولين قالت يا خليفة الله في ارضه وقائما بسنة نبيه وفرضه خلد عليك النعم

واجارك من البؤوس والنقم انت خليفة الله فى ارضه انى قد دخلت فى دينكم لانه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يتكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم اعبد الله سبحانه وتعالى واوحده واسجد خاضعة اليه واجده وانا قائلة بين يدى الخليفة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فهل فى وسعك يا امير المؤمنين ان تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلنى الى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الاصنام ويعتقدون الهية عيسى وهو مخلوق فان فعلت بى ذلك يا خليفة الله اتعلق باذيالك يوم العرض على الله واشكوك الى ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فقال امير المؤمنين يا مريم معاذ الله ان افعل ذلك ابدا كيف ارد امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله الى ما نهى الله عنه ورسوله فقالت مريم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال لها امير المؤمنين يا مريم بارك الله فيك وزادك هداية الى الاسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو اننى لا افرط فيك ابدا ولو بذل لى من اجلك ملؤ الارض جواهر وذهبا فطيبى نفسا وقرى عينا وانشرحى صدرا ولا يكن خاطرك الا طيبا فهل رضيت ان يكون هذا الشاب على المصرى لك بعلا وتكونين له اهلا فقالت مريم يا امير المؤمنين كيف لا ارضى ان يكون لي بعلا وقد اشترانى بماله واحسن الى غاية الاحسان ومن تمام احسانه انه خاطر بروحه من اجلى مرات عديدة فزوجها به مولانا امير المؤمنين وعمل لها مهرا واحضر القاضى والشهود واكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوما مشهودا ثم بعد ذلك التفت امير المؤمنين من وقته وساعته الى وزير ملك الروم وكان حاضرا فى تلك الساعة وقال له هل سمعت كلامها كيف ارسلها الى ابيها الكافر وهى مسلمة موحدة وربما ساء واغلظ عليها خصوصا وقد قتلت اولاده فاتحمل انا ذنبها يوم القيمة وقد قال الله تعالى وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فارجع الى ملكك وقل له ارجع من هذا الامر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير

احمق فقال للخليفة يا امير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح انى لا يمكننى الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لانى لو رجعت الى ابيها بدونها يقتلنى فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وانشد هذا البيت

هذا جزاء من عصى ... من فوقه وعصانيه

ثم امر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا امير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم هذا الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فاطاحت رأسه عن جثته فذهب الى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وافرد لهما مكانا فى قصره هي ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وامر بان ينقل اليهما جميع ما يحتاجان اليه من الملابس والمفارش والاوانى النفيسة واقاما فى بغداد مدة من الزمان وهما فى ارغد عيش واهناه وبعد ذلك اشتاق نور الدين الى امه وابيه فعرض الامر على الخليفة وطلب منه اذنا فى التوجه الى بلاده وزيارة اقاربه ودعا بمريم واحضرها بين يديه فاجازه بالتوجه واتحفه بالهدايا والتحف الثمينة واوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم امر بالمكاتيب الى امراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته واكرامهم غاية الاكرام فلما وصلت الاخبار الى مصر فرح التاجر تاج الدين بعود ولده نور الدين وكذلك امه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الاكابر والامراء وارباب الدولة من اجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب بالمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الامراء وفرحوا بهم الفرح الزائد واكرموهم الاكرام المتصاعد فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم واكرموها غاية الاكرام ووصلت اليهم الهدايا والتحف من سائر الامراء والتجار العظام وصاروا كل يوم فى انشراح جديد وسرور اعظم من سرور العيد ولم يزالوا فى فرح ولذات ونعم جزيلة مطويات واكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا فى اعداد الاموات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده

ومنها اليد المثات والملكوت

ومما يحكى ايضا

ان الامير شجاع الدين محمد متولي القاهرة قال بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وكان له اولاد صغار بيض بياضهم مشرب بحمرة فقلنا يا فلان ما بال اولادك هؤلاء بيض وانت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم افرنجية اخذتها ولي معها حديث عجيب فقلنا له اتحفنا به فقال نعم اعلموا اني قد كنت زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته وصرفت عليه خمسمائة دينار ثم اردت بيعه فلم يجئ لي منه شيء اكثر من ذلك فقالوا لي اذهب به الى عكاء لعلك تربح فيه ربحا عظيما وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الافرنج فذهبت به الى عكاء وبعت بعضه صبرا الى سنة اشهر فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية وعادة نساء الافرنج ان تمشي في السوق بلا نقاب فاتت لتشتري مني كتانا فرأيت من جمالها ما بهر عقلي فبعت لها شيئا وتساهلت في الثمن فاخذته وانصرفت ثم عادت الي بعد ايام فبعت لها شيئا وتساهلت معها اكثر من المرة الاولى فكررت مجيئها الي وعرفت اني احبها وكان عادتها ان تمشي مع عجوز فقلت للعجوز التي معها اني قد شغفت بحبها فهل تحتالين لي في الاتصال بها فقالت اتحيل لك في ذلك ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا انا وانت وهي ومع ذلك لا بد من ان تبذل مالا فقلت لها اذا ذهبت روحي باجتماعي عليها ما هو كثير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما اجابت ذلك الرجل قالت له ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا انا وانت وهي ولا بد من ان تبذل مالا فقال لها اذا ذهبت روحي في اجتماعي عليها ما هو كثير واتفق الحال على ان يدفع لها خمسين دينارا وتجيء اليه فجهز الخمسين دينارا وسلمها للعجوز فلما اخذت الخمسين دينارا قالت له هيئ لها موضعا في بيتك وهي تجيء اليك في هذه الليلة

ثم قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى وكانت داري مطلة على البحر وكان ذلك في زمن الصيف ففرشت في سطح الدار وجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضيء علينا وصرنا ننظر خيال النجوم في البحر فقلت في نفسي اما تستحي من الله عز وجل وانت غريب تحت السماء وعلى البحر فتعصي الله مع نصرانية وانت تستوجب عذاب النار اللهم اني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم اني نمت الى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت الى مكانها ومضيت انا الى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت علي وهي والعجوز وهي مغضبة فكأنها القمر فهلكت وقلت في نفسي من هو انت حتى تترك هذه الجارية هل انت السري السقطي او بشر الحافي او الجنيد البغدادي او الفضيل بن عياض ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعي بها الي فقالت العجوز وحق المسيح ما ترجع اليك الا بمائة دينار فقلت اعطيك مائة دينار ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت الي ثاني مرة فلما صارت عندي رجعت الى تلك الفكرة وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم ذهبت وقعدت الى موضعي ثم عبرت علي العجوز وهي معها فكلمت العجوز فقالت وحق المسيح ما تفرح بها عندك الا بخمسمائة دينار وتموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت ان اجمع ثمن الكتان وافدي نفسي بالخمسمائة دينار واذا بالمنادي ينادي ويقول يا معشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة لتقضوا اشغالكم وترحلوا الى بلادكم فانقطعت عني واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس مؤجلا والمقايضة على ما بقي معي واخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكاء وانا في قلبي من الافرنجية ما فيه من شدة المحبة والعشق لانها اخذت قلبي ومالي ثم خرجت وسرت حتى وصلت الى دمشق وبعت البضاعة التي اخذتها من عكاء باوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدنة ومنّ الله سبحانه وتعالى علي بكسب جيد وصرت اتجر في جواري السبي ليذهب ما بقلبي من الافرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضت علي ثلث سنوات وانا بتلك الحالة وجرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقائع ونصره الله عليهم واسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل باذن الله

تعالى فاتفق انه جاء في رجل وطلب مني جارية للملك الناصر وكان عندي جارية حسناء فعرضتها عليه فاشتراها له مني بمائة دينار فاوصلني تسعين دينارا او بقي لي عشرة دنانير فلم يجد وها في خزنته ذلك اليوم لانه انفق الاموال جميعها في حرب الافرنج فاخبروه بذلك فقال الملك امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي خيروه بين بنات الافرنج ليأخذ واحدة منهن في العشرة دنانير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك الناصر لما قال خيروه في واحدة منهن ليأخذها في العشرة دنانير التي له اخذوني وتوجهوا بي الى خزنة السبي فنظرت ما فيها وتأملت في جميع السبي فرأيت الجارية الافرنجية التي كنت تعلقت بها وعرفتها حق المعرفة وكانت امرأة فارس من فرسان الافرنج فقلت اعطوني هذه فاخذتها ومضيت الى خيمتي وقلت لها اتعرفينني قالت لا قلت انا صاحبك الذي كنت انا تاجر في الكتان وقد جرى لي معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تنظرني الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت هذا سر دينك الصحيح انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت في نفسي والله لا افضي اليها الا بعد عتقها واطلاع القاضي فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لي عليها ثم بعد ذلك بت معها فحملت ثم رحل العسكر واتينا دمشق فما كان الا ايام قلائل واتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك فرد كل من كان اسيرا من النساء والرجال ولم يبق الا المرأة التي عندي فقالوا ان امرأة الفارس فلان لم تحضر وسألوا عنها والحوا في السؤال والكشف فاخبروا بانها عندي فطلبوها مني فحضرت وانا في شدة الوله وقد تغير لوني فقالت لي مالك وما الذي اصابك فقلت جاء رسول الملك يأخذ الاسارى جميعهم وطلبوك مني فقالت لا باس عليك اوصلني الى الملك وانا اعرف الذي اقوله بين يديه قال فاخذتها واحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ورسول ملك الافرنج جالس على يمينه وقلت هذه المرأة التي عندي فقال لها الملك الناصر

والرسول

والرسول اتروحين الى بلادك ام الى زوجك فقد فك الله اسرك انت وعيرك
فقالت للسلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطني كما ترون وما بقيت الافرنج
تنتفع بي فقال الرسول ايما احب اليك اهذا المسلم او زوجك الفارس فلان
فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الافرنج هل سمعتم كلامها
قالوا نعم ثم قال لي الرسول خذ امرأتك وامض بها فمضيت بها ثم انه ارسل خلفي
عاجلا وقال ان امها ارسلت اليها معي وديعة وقالت ان بنتي اسيرة وهي
عريانة ومرادي ان توصل اليها هذا الصندوق فخذه وسلمه اليها فتسلمت
الصندوق ومضيت به الى الدار واعطيته لها ففتحته فرأت فيه قماشها بعينه
ووجدت الصرتين الذهب والخمسين دينارا والمائة دينارا فرأيت الجميع
برباطي لم يتغير منها شيء وحمدت الله تعالى وهؤلاء الاولاد منها وهي
تعيش الى الآن وهي التي عملت لكم هذا الطعام فتعجبنا من حكايته وما حصل
له من الحظ والله اعلم

ومما يحكى ايضا

انه كان في قديم الزمان رجل ببغداد من اولاد اهل النعم ورث عن ابيه مالا جزيلا
وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها الى
ان ذهب جميع ماله ولم يبق منه شيء فطلب شيئا من اسباب المعاش يتعيش فيه
فلم يقدر وكان ذلك الفتى في ايام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء
فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض اخوانه فقال له انا لا اعرف لك صنعة
احسن من ان تغني انت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب
فكره ذلك هو والجارية فقالت له جاريته قد رأيت لك رأيا قال وما هو قالت
تبيعني ونتخلص من هذه الشدة انا وانت واكون في نعمة فان مثلي ما يشتريه
الا ذو نعمة وبذلك اكون سببا في رجوعي اليك فاطلعها الى السوق فكان اول
من رآها رجل هاشمي من اهل البصرة وكان ذلك الرجل اديبا ظريفا كريم
النفس فاشتراها بالف وخمسمائة دينار قال ذلك الفتى صاحب الجارية
فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت انا والجارية وطلبت الاقالة فلم يرض فوضعت
الدنانير في الكيس وانا لا ادري اين اذهب لان بيتي موحش منها وحصل لي

من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط وقد خلت بعض المساجد فقعدت ابكي فيه وانا مدهش حتى صرت لا اعلم بنفسي فنمت وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة فلم اشعر الا والانسان قد جذبه من تحت رأسي وهو مولى فانتبهت فزعا مرعوبا فلم اجد الكيس فقمت اجري خلفه واذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت ابكي والطم وقلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وزاد بي الحال فجئت الى الدجلة وجعلت ثوبي على وجهي والقيت نفسي في البحر فعطنت بي الحاضرون وقالوا ان ذلك لعظيم همٍّ حصل له فرموا ارواحهم خلفي واطلعوني وسألوني عن امري فاخبرتهم بما حصل لي فتأسفوا لذلك ثم جاءني شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من اهل النار قم معي حتى ارى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا الى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته على ذلك ثم انصرف فلما خرج من عندي كدت ان اقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هاربا الى بعض الاصدقاء فاخبرته بما جرى لي فبكى رحمة لي واعطاني خمسين دينارا وقال اقبل رأيي واخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى ان يشتغل قلبك عن حبها وتسلو عنها وانت من اولاد اهل الانشاء والكتابة وخطك جيد وادبك بارع فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوي عزمي وزال عني بعض همي وعزمت على اني اقصد ارض واسط لان لي بها اقارب فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون اليها امتعة وقماشا فاخرا فسألتهم ان يأخذوني معهم فقالوا ان هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا اخذك على هذه الصورة فرغبتهم في الاجرة فقالوا ان كان ولا بد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت شيئا من ثياب الملاحين ولبستها وجئت الى السفينة وكانت متوجهة الى البصرة

فنزلت

فتنزّت معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسكن ما كان عندى من الغيظ وقلت فى نفسى هذا انا اراها واسمع غناءها الى البصرة فما اسرع ان جاء الهاشمى راكبا ومعه جماعة فنزلوا فى تلك السفينة وانحدرت بهم واخرج الطعام فاكل هو والجارية واكل الباقون فى وسط السفينة ثم قال الهاشمى للجارية كم هذا التمنع من الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما انت اول من فارق من تحب فعلمت ما كان عندها من امرى ثم ضرب ستارا على الجارية فى جانب السفينة واستدعى الذين كانوا فى ناحيتى وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم اخرج لهم ما يحتاجون اليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء الى ان استدعت بالعود واصلحته واخذت تغنى فانشدت هذين البيتين

بَانَ الخَلِيطُ بِمَنْ أُحِبُّ فَدَلَجُوا	وَعَن اثر ... لم يخرجوا
وَالصَّبُّ بَعْدَ انِ اسْتَقَلَّ رِكَابُهُمْ	جَمْرُ الغَضَا فِي قَلْبِهِ يَتَأَجَّجُ

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت انا مغشيا على فظن القوم انى قد صرعت فصار بعضهم يقرأ فى اذنى ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء الى ان اصلحت العود واخذت تغنى فانشدت هذين البيتين

فَوَقَفْتُ انْدُبُ ظَاعِنِينَ تَحَمَّلُوا	هُمْ فِي الفُؤَادِ وَانْ نَأَوْا وَتَرَحَّلُوا
وَوَقَفْتُ بِالاطْلَالِ اسْأَلُ عَنْهُمُ	وَالدَّارُ قَفْرٌ وَالْمَنَازِلُ بَلْقَعُ

ووقعت مغشيا عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت انا ووقعت مغشيا على وضج الملاحون منى فقال بعض غلمان الهاشمى كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض اذا وصلتم الى بعض القرى فاخرجوه واريحونا منه فحصل لى من ذلك هم عظيم وعذاب اليم فتجلدت غاية التجلد وقلت فى نفسى لا حيلة لى فى الخلاص من ايديهم الا اذا اعلمتها بمكانى من السفينة لتمنع من اخراجى ثم سرنا حتى وصلنا الى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الى الشاطئ فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة واخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التى قد تعلمتها منى ثم رجعت الى موضعى من السفينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفتى قال ثم رجعت الى موضعي من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا الى مواضعهم في السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمي للجارية بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا فاخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا ان روحها قد خرجت ثم قالت والله ان استاذي معنا في هذه السفينة فقال الهاشمي والله لو كان معنا ما ضيعناه من معاشرتنا لانه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه في السفينة امر بعيد فقالت لا اقدر على ضرب العود وتقليب الاهوية ومولاي معنا فقال الهاشمي نسأل الملاحين فقالت افعل فسألهم وقال هل حملتم معكم احدا فقالوا لا وخفت ان ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم انا استاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت والله ان هذا كلام مولاي فجاء الي الغلمان واخذوني الى الهاشمي فلما رآني عرفني فقال ويحك ما هذا الذي انت فيه وما اصابك حتى صرت في هذه الحالة فحكيت له ما جرى من امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو واخوته بكاء شديدا رأفة بي ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء الى اليوم وانا رجل قد وسع الله علي وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقي من امير المؤمنين وقد بلغت الامرين ولما اردت الرجوع الى وطني قلت في نفسي اسمع شيئا من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم اعلم انكما على هذه الحالة فانا اشهد الله علي ان هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقها وازوجك اياها واجري لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط اني اذا اردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة وانت من جملة اخواني وندمائي ففرحت بذلك ثم ان الهاشمي ادخل رأسه في الستارة وقال لها ايرضيك ذلك فاخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثيابا فاخرة وبخره وقدمه الينا فاخذني الغلام وفعل بي ما امره سيده وقدمني اليه فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين ايديهما ثم اندفعت الجارية تغني باحسن النغمات وتنشد هذه الابيات

عيروني بان سكبت دموعي ... حين جاء الحبيب للتوديع
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما ... احرقت لوعة الاسى من ضلوعي
انما يعرف الغرام كئيب ... ساقط القلب بين تلك الربوع

قال فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً وزاد فرح الفتى بذلك حتى اخذت العود من الجارية وضربت به على احسن النغمات وانشدت هذه الابيات

اسأل العرف ان سألت كريما ... لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا ... وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد ... فالق بالذل ان سألت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل ... انما الذل ان تجل الصغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم ولم يزالوا في فرح وسرور وانا اغني ساعة والجارية ساعة الى ان جئنا الى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت انا ايضاً وكنت سكراناً فقعدت ابول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب الى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لانهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبق معي شيء ووصلوا الى البصرة ولم انتبه الا من حر الشمس فقمت في ذلك والتفت فما رأيت احداً ونسيت ان اسأل الفتى عن اسمه وابن داره بالبصرة وباي شيء يعرف وبقيت حيراناً وكان ما انا فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم ازل متحيراً حتى اجتازت بي مركب عظيمة فنزلت فيها ودخلت البصرة وماكنت اعرف بها احداً ولا اعرف بيت الهاشمي فجئت الى بقال واخذت منه دواة وورقة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيراناً وهو لا يعرف دار الهاشمي قال فجئت الى بقال واخذت منه دواة وورقة وقعدت اكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنساً فسألني عن امري فاخبرته اني غريب فقير فقال اتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم واكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم واقمت

عنده وضبطت امره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل
دخله زائدًا وخرجه ناقصا فشكرنى على ذلك ثم انه جعل لى فى كل يوم درهما
الى ان حال الحول فدعانى الى ان اتزوج بابنته ويشاركنى فى الدكان فاجبته
الى ذلك وتزوجت بزوجتى ولزمت الدكان الا انى منكسر الخاطر والقلب
ظاهر الحزن وكان البقال يشرب ويدعونى الى ذلك فامتنع حزنا فاستمريت
على تلك الحالة مدة سنتين فبينما انا فى الدكان واذا بجماعة معهم طعام وشراب
فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنزهين يخرج فيه اهل الطرب اللعب
والفتيان من ذوي النعمة الى شاطئ البحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على
نهر الابلة فدعتنى نفسى الى الفرجة على هذا الامر وقلت فى نفسى لعلى اذا
شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن احب فقلت للبقال انى اريد ذلك فقال
شأنك والخروج معهم ثم جهز لى طعاما وشرابا وسرت حتى وصلت الى نهر
الابلة فاذا الناس ينصرفون فاردت الانصراف معهم واذا برئيس السفينة
التى كان فيها الهاشمى والجارية بعينه وهو سائر فى نهر الابلة فصحت عليهم
فعرفنى هو ومن معه واخذونى عندهم وقالوا لى هل انت حي وعانقونى ثم
سألونى عن قصتى فاخبرتهم بها فقالوا لى انا ظننا انه قوى عليك السكر و
غرقت فى الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا انها لما علمت بفقدك مزقت
ثيابها واحرقت العود واقبلت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمى الى البصرة
قلنا لها اتركى هذا البكاء والحزن فقالت انا البس السواد واجعل لى قبرا فى
جانب هذه الدار فاقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء فمكناها من ذلك
وهى على تلك الحالة الى الآن ثم اخذونى معهم فلما وصلت الى الدار رأيتها
على تلك الحالة فلما رأتنى شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت انها ماتت
فاعتنقتها عناقا طويلا ثم قال لى الهاشمى خذها فقلت نعم ولكن اعتقها
كما وعدتنى وزوجنى بها ففعل ذلك ودفع الينا امتعة نفيسة وثيابا كثيرة
وفرشا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت اجراءه لكما فى كل شهر
ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم اخلى لنا دارا وامر بان ينقل اليها
جميع ما نحتاج اليه فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد عمرت بالفرش والقماش
وحملت اليها الجارية ثم انى جئت الى البقال واخبرته بجميع ما حصل لى وسألته

ان يجعلنى فى حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت اليها مهرها وبالمزمنى واقمت مع الهاشمى على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لى حالتى التى كنت فيها انا والجارية فى بغداد وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ علينا النعم علينا وجعل مآل صبرنا الى الظفر بالمراد فلله الحمد فى المبدأ والمعاد والله اعلم

ومما يحكى ايضا

انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك فى بلاد الهند وكان ملكا عظيما طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسنا الفقرا محبا للرعية ولجميع اهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده فى مملكته اثنان وسبعون ملكا وفى بلاده ثلثمائة وخمسون قاضيا وكان له سبعون وزيرا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا وكان اكبر وزرائه شخص يقال له شماس وكان عمره اثنين وعشرين سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفا فى كلامه لبيبا فى جوابه حاذقا فى جميع اموره حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه عارفا بكل حكمة وادب وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة واحوال السياسة ولما اعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلا فى مملكته حافظا الرعية مواصلا كبيرهم وصغيرهم بالاحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والامان والطمأنينة ومخففا للخراج عن كامل الرعية وكان محبا لهم كبيرا وصغيرا ومعاملا لهم بالاحسان اليهم والشفقة عليهم واتى فى حسن سيرته بينهم بما لم يات به احد قبله ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك عليه وعلى اهل مملكته فاتفق ان الملك كان مضطجعا فى ليلة من الليالى وهو مشغول الفكر فى عاقبة امر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى فى منامه كانه يصب ماء فى اصل شجرة و

ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك رأى فى منامه كأنه يصب ماء فى اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة واذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة

واحرقت جميع ما كان حولها من الاشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعا مرعوبا وارسل الى احد غلمانه وقال له اذهب بسرعة واتني بشماس الوزير عاجلا فذهب الغلام الى شماس فقال له ان الملك يدعوك في هذه الساعة لانه انتبه من نومه مرعوبا فارسلني اليك لتحضر عنده عاجلا فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليه فرآه قاعدا على فراشه فسجد بين يديه داعيا له بدوام العز والنعم وقال له لا احزنك الله ايها الملك ما الذي اقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك اياي بسرعة فاذن له الملك بالجلوس فجلس وصار الملك يقص عليه ما رأى قائلا اني رأيت في ليلتي هذه مناما اهالني وهو كاني اصب ماء في اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة فبينما انا في هذه الحالة واذا بنار قد خرجت من اصل تلك الشجرة واحرقت جميع ما حولها من الاشجار ففزعت من ذلك واخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وارسلت دعوتك لكثرة معرفتك وتعبيرك للرؤيا ولما اعلمه من اتساع علمك وغزارة فهمك فاطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس فاصدقني الخبر ولا تخف عني شيئا فاجابه شماس وقال له ايها الملك ان الله تعالى خولك واقر عينك وامر هذه الرؤيا يؤول الى كل خير وهو ان الله تعالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثا للملك عنك من بعد طول عمرك غير انه يكون فيه شيء لا احب تفسيره في هذا الوقت لانه غير موافق لتفسيره ففرح الملك بذلك فرحا عظيما وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال ان كان الامر كذلك من حسن تأويل هذا المنام فكمل لي تأويله اذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذي ينبغي تأويله الآن ينبغي ان تأوله لي اذا آن اوانه لاجل ان يكمل فرحي لاني لا ابتغي بذلك غير رضى الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك انه مصمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دفع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للاحلام الذين في مملكته فحضروا جميعا بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم اريد منكم ان تخبروني بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم واخذ اذنا من الملك بالكلام فلما اذن له قال اعلم ايها الملك ان وزيرك شماسا ليس بعاجز عن تفسير ذلك وانما هو احتشم منك وسكن روعك

ولم يظهر لنا جميع التأويل بالكلية ولكن اذا دنت بالكلام تكلمت فقال له
الملك تكلم ايها الشيخ حتى احدثك وانصت الى كلامك فقال له الشيخ اعلم ايها الملك
انه يظهر منك غلام يكون وارثا لملكك بعد طول عمرك ولكنه لا يسير
في الرعية بسيرتك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما اصاب
الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى فقال الملك وما حكاية السنور والفار
فقال الشيخ اطال الله عمر الملك ان السنور وهو القط سرح ليلة من الليالي الى
شيء يفترسه في بعض الغيطان فلم يجد شيئا وضعف من شدة البرد والمطر الذي
صار في تلك الليلة فاحتال لنفسه بشيء يفترسه فبينما هو دائر على تلك الحالة
اذ رأى وكرا في اصل شجرة فدنا منه وصار يتشممه ويدندن حتى احس بان
داخل الوكر فارا فحاوله وهمّ بالدخول عليه لكي يأخذه فلما احس به الفار اعطاه قفاه
وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور
يصوت صوتا ضعيفا ويقول له لم تفعل ذلك يا اخي وانا ملتجئ اليك لتفعل معي رحمة
بان تتركني في وكرك هذه الليلة لاني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي
ولست اقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم مرة دعوت
بالموت على نفسي لكي استريح وها انا على بابك طريح من البرد والمطر واسألك
بالله من صدقتك ان تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتأويني في دهليز وكرك
لاني غريب ومسكين وقد قيل من أوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة
يوم الدين فانت يا اخي حقيق بان تكسب اجري وتأذن لي في ان ابيت عندك
هذه الليلة الى الصباح ثم اروح الى حال سبيلي وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السنور قال للفار ائذن لي ان ابيت عندك
هذه الليلة ثم اروح الى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف
تدخل وكري وانت لي عدو بالطبع ومعاشك من لحمي واخاف ان تغدر بي لان
ذلك من شيمتك لانه لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الامان للرجل الزاني على
المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب علي

ان استأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت اقوى فاجاب السنور قائلا باخمد صوت واسوء حال ان الذي قلته من المواعظ حق ولست انكر عليك ولكن اسألك الصفح عما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدوا لك وها انا اليوم طالب صداقتك وقد قيل اذا اردت ان يكون عدوك لك صديقا فافعل معه خيرا وانا يا اخي اعطيك عهد الله وميثاقه انى لا اضرك ابدا ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثق بالله وافعل خيرا واقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف اقبل عهد من تأسست العداوة بيني وبينه وعادته ان يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الاشياء غير الدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الارواح وقد قالوا من استأمن عدوه على نفسه كان كمن ادخل يده في فم الافعى فقال السنور وقد امتلأ غيظا قد صار صدري ضيقا وضعفت نفسي وقد دخلت في النزع وعن قليل اموت على بابك ويبقى اثمي عليك لانك قادر على نجاتي مما انا فيه وهذا آخر كلامي معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه من اراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيرا وانا متوكل على الله في هذا الامر وانقذ هذا السنور من هذا الهلاك لاكسب اجره فعند ذلك خرج الفار الى السنور وادخله في وكره سحبا فاقام عنده الى ان اشتد واستراح ونقاهى قليلا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة اصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله واما السنور فانه زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفا ان يخرج منه الفار فلما اراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريبا منه قبض عليه واخذه بين اظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه عن الارض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول اين العهد الذي عاهدتني به واين اقسامك التي اقسمت بها اهذا جزائي منك وقد ادخلتك وكري واستأمنتك على نفسي ولكن صدق من قال من اخذ عهدا من عدوه لا ينبغي لنفسه نجاة ومن قال من سلم نفسه لعدوه كان مستوجبا لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد ان يهجم عليه ويفترسه

واذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد ثم منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن ان فيه ثعلبا يفترس شيئا فاندفع الكلب يجد ليصطاد فصادف السنور فجذبه اليه فلما وقع السنور بين يدى الكلب الذى بنفسه اطلق الفار حيا البر بغير جرح واما هو فانه خرج به الكلب الجارح بعد ان قطع عصبه و رماه ميتا وصدق فى حقهما قول من قال من رحم رُحم آجلا ومن ظلم ظُلم عاجلا هذا ما جرى لهما ايها الملك فلذلك لا ينبغى لاحد ان ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور لانه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع الى الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن ايها الملك ولا يشق عليك ذلك لان ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود الى حسن سيرتك وان هذا العالم الذى هو وزيرك شماس احب ان لا يكتم عليك شيئا فيما رمزه اليك وذلك رشد منه لانه قد قيل اكثر الناس خوفا اوسعهم علما واغبطهم خيرا فاذعن الملك عند ذلك وامرلهم باكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر فى عاقبة امره فلما كان الليل افضى الى بعض نسائه وكانت اكرمهن عنده واحبهن اليه فراقدها فلما مضى لها نحو اربعة اشهر تحرك الحمل فى بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا واعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياى والله المستعان ثم انه انزلها احسن المنازل واكرمها غاية الاكرام واعطاها انعاما جزيلا وخولها اشياء كثيرة وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وارسله ليحضر شماسا فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلا قد صدقت رؤياى واتصل رجائى فلعل ذلك الحمل يكون ولدا ذكرا ويكون وارثا الملكى فما تقول يا شماس فى ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك ما لى اراك لا تفرح لفرحى ولا ترد لى جوابا اترى هل انت كاره لهذا الامر يا شماس فسجد عند ذلك شماس بين يدى الملك وقال ايها الملك اطال الله عمرك ما الذى ينفع المستظل بشجرة اذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافى اذا حصل له بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيه وانما انا عبد الله ولك ايها الملك ولكن قد قيل ثلاثة اشياء لا ينبغى للعاقل ان يتكلم فى شانها الا اذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذى فى الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس لما قال للملك ثلاثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شأنها الا اذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم ايها الملك ان المتكلم في شأن شيء لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن فقال له الملك وما حكاية الناسك وما جرى له فقال له ايها الملك انه كان انسان عند شريف من اشراف بعض المدن وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة ارغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن في ذلك البلد غاليا وكان الناسك يجمع الذي يجيء اليه في جرة عنده حتى ملأها وعلقها فوق رأسه خوفا واحتراسا فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده اذ عرض له فكر في امر السمن وغلائه فقال في نفسه ينبغي ان ابيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة واشارك عليها احدا من الفلاحين فانها في اول عام تلد ذكرا وانثى وثاني عام تلد انثى وذكرا ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكورا واناثا حتى تصير شيئا كثيرا واقسم حصتي بعد ذلك وابيع منها ما شئت واشتري الارض بعلانية واغرس فيها غيطا وابني فيها قصرا عظيما واقتني ثيابا وملبوسا واشتري عبيدا وجواري واتزوج بنت التاجر الفلاني واعمل عرسا ما صار مثله قط واذبح الذبائح واعمل الاطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها واجمع فيه اهل الملاعب وارباب الفنون والات السماع واجهز الازهار والمشمومات واصناف الرياحين وادعو الاغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وارباب الدولة وكل من طلب شيئا احضرته اليه والكمانات اجهز انواع المآكل والمشارب واطلق مناديا ينادي من يطلب شيئا يناله وبعد ذلك ادخل على عروستي بعد جلائها واتمتع بحسنها وجمالها واكل واشرب واطرب واقول لنفسي قد بلغت مناك واستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاما ذكرا فافرح به واعمل له الولائم واربيه في الدلال واعلمه الحكمة والادب والحساب واشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند ارباب المجالس وامره بالمعروف فلا يخالفني وانهاه عن الفاحشة والمنكر واوصيه بالتقوى وفعل الخير واعطيه العطايا الحسنة السنية فان رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة

وان

وان رأيته مال الى المعصية انزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فاصاب جرة السمن التي فوق رأسه فكسرها فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلاجل ذلك ايها الملك لا ينبغي للانسان ان يتكلم على الشيء قبل ان يصير فقال له الملك لقد صدقت فنعم ما قلت ونعم الوزير انت لكونك بالصدق نطقت وبالخير اشرت ولقد صار رتبتك عندي كما تحب ولم تزل مقبولا فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له ادام الله ايامك وعلا شانك واعلم انني لست اكتم عنك شيئا لا في السر ولا في العلانية رضاك رضاي وغضبك غضبي وليس لي فرح الا بفرحك ولا يمكنني ان ابيت وانت ساخط علي لان الله تعالى رزقني بكل خير باكرامك اياي فاسأل الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فانشرح الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاما فذهب المبشرون الى الملك وبشروه بغلام ففرح بذلك فرحا شديدا وشكر الله شكرا جزيلا وقال الحمد لله الذي رزقني ولدا بعد ما يئست وهو الشفوق الرؤوف على عباده ثم ان الملك كتب الى سائر اهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزله فحضر له الامراء والرؤساء والعلماء وارباب الدولة الذين تحت امره هذا ما كان من امر الملك واما ما كان من امر ولده فانه قد دقت له البشائر والافراح في سائر المملكة واقبل اهلها الى الحضور من سائر الاقطار واقبل اهل العلوم والفلسفة والادباء والحكماء ودخلوا جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حد مقامه ثم اشار الى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك في الكلام فاذن له فقال الحمد لله الذي انشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك اهل العدل والانصاف بما اولاهم من الملك والعمل الصالح وبما اجراه على ايديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصا ملكنا الذي احيى به موات بلادنا بما اسداه الله علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل فاي ملك يصنع باهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا واداء حقوقنا وانصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهدا لامورهم وحافظا لهم من عدوهم

لان العدو وغاية قصده ان يقهرهم وان يملكه في يده وكثير من الناس يقدمون اولادهم الى الملوك مخدمين يصيرون عندهم بمنزلة العبيد لاجل ان يمنعوا عنهم الاعداء واما نحن فلم يطأ بلادنا اعداء في زمن ملكنا بهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هي فوق ذلك وانت ايها الملك حقيق بان اهل هذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك احسن الله ثوابك وادام بقاءك لاننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من الله تعالى ان يمن علينا بالاجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولدا صالحا تقر به عيناك والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس قال للملك ان الله تعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا واتانا بالفرج القريب مثل ما اتى لبعض السمك في غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس اعلم ايها الملك انه كان في بعض الاماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انه قل ماؤه وصار ينضم بعضه الى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت ان تهلك وقالت ما عسى ان يكون من امرنا وكيف نحتال ومن نستشيره في نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت اكبرهن عقلا وسنا وقالت ما لنا حيلة في خلاصنا الا الطلب من الله ولكن نلتمس الرأي من السرطان فانه اكبرنا فهلموا بنا اليه لننظر ما يكون من رأيه لانه اكثر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاؤا باجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضا في موضعه وليس عنده علم ولا خبر مما هم فيه فسلموا عليه وقالوا له يا سيدنا اما يعنيك امرنا وانت حاكمنا ورئيسنا فاجابهم السرطان قائلا وعليكم السلام ما الذي بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من امر نقص الماء وانه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة لانك كبيرنا واعرف منا فعند ذلك اطرق رأسه مليا ثم قال لا شك ان عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بارزاق

خلائقه جميعا ألم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدّر
ارزاقهم قبل ان يخلق شيئا من الاشياء وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا
مقسوما بقدرته الالهية فكيف نحمل هم شيء هو في الغيب مسطور والرأى
عندى انه لم يكن احسن من الطلب من الله تعالى فينبغي ان كل واحد منا
يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته ويدعو الله ان يخلصنا وينقذنا من الشدائد
لان الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل اليه فاذا
اصلحنا احوالنا استقامت امورنا وحصل لنا كل خير ونعمة واذا جاء الشتاء
وغمر ارضنا بدعاء صالحنا ولا يهدم الخير الذى بناه فالرأى ان نصبر وننتظر
ما يفعله الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وان كان يحصل
لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحلنا من ارضنا الى حيث يريد الله فاجاب السمك
جميعه من فم واحد صدقت يا سيدنا جزاك الله عنا خيرا وتوجه كل واحد
منهم الى موضعه ثم ما مضى الا ايام قلائل واتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ
محل الغدير زيادة عما كان اولا وهكذا نحن ايها الملك كنا يائسين من ان يكون
لك ولد وحيث منّ الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى ان
يجعله ولدا مباركا وان يقرّ به عينك ويجعله خليفة صالحة ويرزقنا منه
مثل ما رزقنا منك فان الله تعالى لا يخيب من قصده ولا ينبغي لاحد ان
يقطع رجاءه من رحمة الله ثم قام الوزير الثاني وسلم على الملك فاجابه الملك
قائلا وعليكم السلام فقال ذلك الوزير ان الملك لا يسمى ملكا الا اذا اعطى
وعدل وحكم واكرم واحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة
بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الاذى عنهم ويكون
موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف اعلاهم وادناهم واعطائهم الحق الواجب
لهم حتى يصيروا جميعا داعين له ممتثلين لامره لانه لا شك ان الملك الذى بهذه
الصفة محبوب عند الرعية مكتسبا من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضى
خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك ايها الملك بان جميع ما وصفناه عندك
كما قيل خير الامور ان يكون ملك الرعية عادلا وحكيمها ماهرا وعالمها خبيرا
عاملا بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد قطعنا الياس
من حصول ولد لك يرث ملكك ولكن الله جل اسمه لم يخيب رجاءك وقبل

دعاءك لحسن ظنك به وتسليم امرك اليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك كيف ذلك وما حكاية الغراب والحية فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان غراب ساكن في شجرة هو وزوجته في ارغد عيش الى ان بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها الى ان صعدت الى عش الغراب وربضت فيه ومكثت مدة ايام الصيف وصار الغراب مطرودا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه فلما انقضت ايام الحر ذهبت الحية الى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا من الاولاد في هذه السنة لان الله تعالى لا يقطع رجاءنا فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة ابداننا وليس لنا اتكال الا عليه واذا اراد الله عشنا الى العام القابل يعوض الله علينا نتاجنا فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هي متعلقة ببعض اغصانها وهي قاصدة عش الغراب على العادة واذا بحدأة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحية على الارض مغشيا عليها وطلع عليها النمل فاكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطأ نينة فرخا اولادا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الاولاد ونحن ايها الملك يجب علينا شكر الله على ما انعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء احسن الله ثوابك وعاقبة امرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله احسن الله ثوابك وعاقبة امرك ثم قام الوزير الثالث وقال ابشر ايها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لان كل من تحبه اهل الارض تحبه اهل السماء والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها في قلوب اهل مملكتك فله الشكر وله الحمد منا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك واعلم ايها الملك ان الانسان لا يستطيع شيئا الا بامر الله تعالى وانه هو المعطي كل خير عنده يخص اليه ينتهي قسم النعم على عبيده كما يحب فمنهم من اعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله

بتحصيل القوت ومنهم من جعله رئيسا ومنهم من جعله زاهدا في الدنيا راغبا اليه
لانه هو الذى قال انا الضار النافع اشفى وامرض واغنى وافقر وامت واحيى
وبيدى كل شيء والي المصير فواجب على جميع الناس شكره وانت ايها الملك
من السعداء الابرار كما قيل ان اسعد الابرار من جمع الله له بين خيرى الدنيا
والاخرة وقنع بما قسم الله له ولم يتفكر على ما اقامه ومن تعدى وطلب غير ما
قدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير
اعلم ايها الملك ان ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما
هو ذات يوم في بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على
ثعلب راه ماشيا وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكاية مع ما افترس فقال
احدهما انى بالامس وقعت في حمار وحشى وكنت جائعا وكان لي ثلثة ايام ما
اكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذى سخره لى ثم انى عمدت الى قلبه
فاكلته وشبعت ثم رجعت الى وطنى ومضى على ثلثة ايام لم اجد شيئا آكله
ومع ذلك انا شبعان الى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه فقال
في نفسه لابد لي من اكل قلب حمار الوحش فترك الاكل اياما حتى اهزل واشرف على
الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه فبينما هو في وطنه ذات يوم
من الايام واذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحشي فاقاما
النهار كله في اثره طردا ثم ان بعضهما رماه بسهم شعب فاصابه ودخل جوفه
واتصل بقلبه فقتله قبالة وكر الثعلب المذكور فادركه الصيادون فوجداه
ميتا فاخرجا السهم الذى اصابه في قلبه فلم يخرج الا العود وبقي السهم منشعبا
في بطن حمار الوحش فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف
والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتى كاد ان يطير من
الفرح فقال الحمد لله الذى يسر لي شهوتي من غير تعب الاني كنت لا ارجو ولا امل
الي اصيب حمار وحش ولا غيره ولعل الله اوقعه لي وساقه الي في موضعي ثم
وثب عليه وشق بطنه وادخل راسه وصار يجول بفمه في امعائه الى ان وجد
القلب فالتقمه بفمه وابتلعه فلما صار داخل حلقه انشبك شعب السهم في
عظم رقبته ولم يقدر على ادخاله في بطنه ولا على اخراجه من حلقه وايقن
بالهلاك وقال حقا لا ينبغي لمخلوق ان يطلب لنفسه فوق ما قسمه الله له لانني

لو قنعت بما قسمه الله لي لما صرت الى الهلاك فلهذا ايها الملك ينبغي للانسان ان
يرضى بما قسمه الله له ولا ينكر نعمه عليه ولا يقطع رجاه من مولاه وها انت
ايها الملك بحسن نيتك واسداء معروفك رزقك الله ولدا بعد اليأس فنسأل الله
تعالى ان يرزقه عمرا طويلا وسعادة دائمة ويجعله خلفا مباركا موفيا بعهدك
من بعدك بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال ان الملك اذا كان فهيما
عالما بابواب الحكمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الرابع لما قام قال ان الملك اذا كان
فهيما عالما بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية
واكرام من يجب اكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة فيما لابد
منه في رعاية الرؤساء والمرؤسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم وصون دمائهم
وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقا بالسعادة الدنيوية والاخروية
فان ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه وبلوغ
مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته وان الملك
اذا كان بخلاف ذلك فانه لم يزل في مصائب وبلايا هو واهل مملكته لكون
جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السايح فقال الملك
وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان في بلاد الغرب ملك جائر
في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته وجميع من يدخل في مملكته
فكان لا يدخل في مملكته احد الا وتأخذ عماله منه اربعة اخماس ماله ويبقون
له الخمس لا غير فقدر الله تعالى انه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى احوال الدنيا
غير مستقيمة تركها وخرج سايحا عابدا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها
وخرج في طاعة الله تعالى يسيح في البراري والقفار ويدخل المدن ففي بعض
الايام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين اخذوه وفتشوه فلم يروا معه
شيئا سوى ثوبين احدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له
العتيق بعد الاهانة والتحقير فصار هو يشتكو ويقول ويحكم ايها الظالمون انا
رجل فقير وسايح وما عسى ان ينفعكم من هذا الثوب واذا لم تعطوه لي ذهبت

للملك ونشكوتكم اليه فاجابوه قائلين انما فعلنا ذلك بامر الملك فما بدا لك ان نفعله فافعله فصار السايح يمشي الى ان وصل الى بلاد الملك واراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال فى نفسه مالى الآ اني ارصده حتى يخرج واشكو اليه حالى وما اصابنى فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع احد الاجناد يخبر عنه فاخذ يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبال الباب فما شعر الا والملك خارج فعارضه السايح ودعا له بالنصر واخبره بما وقع له من الحافظين وشكا اليه حاله واخبره انه رجل من اهل الله رفض الدنيا وخرج طالبا رضاء الله تعالى فصار سايحا فى الارض وكل من وفد عليه من الناس احسن اليه بما امكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة ترجيت ان يفعل بي اهلها مثل ما يفعل بغيرى من السايحين فعارضنى اتباعك ونزعوا احد ثوابي المقوّى ضربا فانظر فى شأني وخذ بيدى وخلص لى ثوبي وانا لا اقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فاجابه الملك الظالم قائلا من اشار عليك بدخولك هذه المدينة وانت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد ان اخذ ثوبي افعل بي مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السايح هذا الكلام حصل عنده تغير مزاج فقال ايها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكي تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندى فانا انزع نفسك منك ثم امر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم تترك ذلك ويفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام على قدميه وصلى صلوة مطولة وقال يا الله انك انت الحكم العدل تعلم بحالى وما انطوى عليه امرى مع هذا الملك الجائر وانا عبدك المظلوم اسألك من فيض رحمتك ان تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لانك لا تغفل عن ظلم كل ظالم فان كنت تعلم انه ظلمنى فاحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وانزل به عذابك لان حكمك عدل وانت غياث كل ملهوف يا من له القدرة والعظمة الى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الاعضاء مرعوبا فبينما هو كذلك واذا بنار قادت فى القصر الذى فيه الملك فاحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسايح فانطلق السايح

وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها وأما نحن ايها الملك السعيد فما نستحق نصيب الا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفا من ان يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن فقد انعم الله بكرمه علينا وازال عنا الغم واتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فنسأل الله تعالى ان يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فاننا تحققنا ان الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وانت ايها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضي الله تعالى فلاجل ذلك اعلى الله شانك واسعد ايامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي هي هذا الولد السعيد بعد اليأس فصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع لاننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك وفي افكار فيما انت منطو عليه من عدلك وراحتك بنا وخوفا ان يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فنختلف في آرائنا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فاجابه الوزير قائلا اعلم ايها الملك السعيد انه كان في بعض البراري واد متسع وكان به انهار واشجار واثمار وبه اطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في اطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم وكانوا معه في امان وطمانينة ومن حسن تصرفهم فيما بينهم لم يكن احد من الطيور يقدر عليهم فاتفق ان مقدمهم توفي وجاءه الامر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه

حزنا شديدا من زيادة حزنهم انه لم يكن فيهم احد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعا وأتفقوا فيما بينهم على من يقدم عليهم بحيث يكون صالحا فطائفة منهم اختاروا ... وقالوا هذا يصلح ان يكون ملكا علينا واخرون اختلفوا فيه ولم يرضوه ... ووقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على ان يناموا تلك الليلة ولا يبكر احد الى السرح في طلب المعيشة بل يصبرون جميعا الى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ثم ينظرون الى كل طير يسبق في الطيران وقالوا انه هو الذي يكون مأمورا من الله علينا ومختارا عندنا للملك فيجعله ملكا علينا ونوليه امورنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضا واتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال اذ طلع باز فقالوا له يا ابا الخير نحن اخترناك واليا علينا لتنظر في امورنا فرضي البازي بما قالوه وقال لهم ان شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم ثم انه بعد ما ولوه عليهم صار كل يوم اذا سرح في سرح الغربان ينفرد باحدهم ويضربه وياكل دماغه وعينيه ويترك الباقي ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا له فرأوا غالبهم قد هلك فايقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك الكثير منا وما انتبهنا حتى هلك اكابرنا فينبغي لنا ان نحفظ لانفسنا فلما اصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن نخشى ان يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قد من الله علينا بهذه النعمة وجعلك الينا ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والامن والامانة والسلامة في الوطن فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا واياه السعادة العظمى وجعله سعيدا اوفق قائم الحمد ثم قام الوزير السادس وقال هناك الله ايها الملك باحسن الهنا في الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين ان من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فكنت في ذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى ان يجزل ثوابك ويأجرك على احسانك وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نخوف من حرمان حظنا بعدم الملك او بوجود ملك آخر لا يكون نظيره فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف واذا كان الامر على ما ذكرنا فالواجب علينا ان نبتهل الى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك

ولدا سعيدا ويجعله وارثا للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذي يجبر الانسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له وحينئذ لا ينبغي للانسان ان يسأل ربه امرا لا يدري عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك اقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما اصاب الحاوي وزوجته واولاده واهل بيته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير السادس لما قال للملك ان الانسان لا ينبغي له ان يسأل ربه شيئا لا يدري عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك اقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما اصاب الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته قال الملك وما حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان انسان حاويا وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلث حيات لم يعلم بها اهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها في المدينة ويتسبب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء في بيته ويضع الاحناش في السلة سرا وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم اهل بيته بما في السلة فاتفق انه لما عاد الحاوي الى بيته على جري عادته سألته زوجته قالت له ما في هذه السلة فقال لها الحاوي وما مرادك منها اليس الزاد عندكم كثيرا زائدا فاقنعي بما قسم الله لك ولا تسألي عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول في نفسها لا بد لي ان افتش هذه السلة واعرف ما فيها وصممت على ذلك واعلمت اولادها واكدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه في السؤال لاجل ان يخبرهم فعند ذلك تعلق خاطر الاولاد بان فيها شيئا يؤكل فصار الاولاد كل يوم يطلبون من ابيهم ان يريهم ما في السلة وكان ابوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وامهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا معها على انهم لا يذوقون طعاما ولا يشربون شرابا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة اذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الاكل والشرب فقعد ودعاهم

ليأكلوا معه فابوا الحضور اليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالاكل والحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى اجي به اليكم اكلا اوشربا او ملبوسا فقالوا له يا ابانا ما نريد منك الا فتح هذه السله لننظر ما فيها والا قتلنا انفسنا فقال لهم يا اولادي ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظا فلما راهم على هذه الحاله اخذ يهددهم ويتنذرهم بالضرب ان لم يرجعوا عن تلك الحاله فلم يزدادوا الا غيظا ورغبة في السوال فعند ذلك غضب عليهم واخذ عصا ليضربهم بها فهربوا قدامه في الدار وكانت السله حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان فغافلت المرأة الرجل مشغولا بالاولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها واذا بالحيات قد خرجوا من السله ولدغوا المرأة اولا فقتلوها ثم داروا في الدار واهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي فترك الحاوي الدار وخرج فلما تحققت ذلك ايها الملك السعيد علمت ان الانسان ليس له ان يتمنى شيئا غير الذي لم يرد الله تعالى بل يطيب نفسا بما قدره الله له واراده وها انت ايها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك اقر الله عينك بحضور ولد لك بعد اليأس وطيب قلبك ونحن نسأل الله تعالى ان يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى وللرعية ثم قام الوزير السابع وقال ايها الملك اني قد علمت وتحققت ما ذكره لك اخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك ايها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك ممن تقدموك فهم قد بينوا من حصر الواجب علينا ايها الملك واما انا فاقول الحمد لله الذي تولاك بنعمه واعطاك صلاح المملكة برحمته واعاننا واياك على ان نزيده شكرا وما ذاك الا بوجودك وما دمت فينا لم نتخوف جورا ولا نخشى ظلما ولا يستطيع احد ان يستطيل علينا في ضعفنا وقد قيل ان احسن الرعايا من كان ملكهم عادلا وشرهم من كان ملكهم جائرا وقيل ايضا السكنى مع الاسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد لله تعالى على ذلك حمدا دائما حيث انعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد الياس والطعن في السن لان اجل العطايا في الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له لا عاقبة له ولا ذكر وانت بتقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى اعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك

مثل ما صار في العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح قال الوزير اعلم ايها الملك ان عنكبوتة تعلقت في باب منيع عال وعملت لها بيتا وسكنت فيه بامان وكانت تشكر الله تعالى الذى يسّر لها هذا المكان وامن خوفها من الهوام فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها فامتحنها خالقها بان اخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل اليها ريحا عاصفا شرقيا فحملها ببيتها ورماها في البحر فجرتها الامواج الى البر فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها ايتها الريح لم فعلت بي ذلك وما الذى حصل لك من الخير في نقلي من مكاني الى هنا وقد كنت امنة مطمئنة في بيتي باعلى ذلك الباب فقال لها الريح انتهي عن عتابك فاني سارجع بك واوصلك الى مكانك كما كنت اولا فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية ان ترجع الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفها وطارت بها الى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل الله الذى اثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وانعم عليهم فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا اله الا هو خالق كل شيء الذى عرفت بنور اثاره جلال عظمته يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لانه ينتخب منهم من يشاء يجعله خليفة ووكيلا على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة في امورهم على ما احب واحبوا فمن عمل منهم بما امر الله كان لحظه مصيبا ولامر ربه مطيعا ويكفيه هول دنياه ويحسن جزاؤه في اخراه انه لا يضيع اجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما امر الله اخطأ خطأ بليغا وعصى ربه وآثر دنياه على اخراه فليس له في الدنيا ماثر ولا في الآخرة نصيب لان الله لا يمهل على اهل الجور والفساد ولا

يعلمه احد من العباد وقد ذكر وزراؤنا هؤلاء ان من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا
معهم انعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد انعامه وكل واحد
منهم قال ما الهمه الله في ذلك وبالغوا في الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته
وفضله وانا اشكر الله لاني انما انا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له
راض بما حكم علي وعليهم باي شيء صار وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله
من امر هذا الغلام وذكروا ما كان من تجدد النعمة علينا حين بلغت من السن
حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذي نجانا من الحرمان واختلاف
الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك انعاما عظيما عليهم وعلينا فنحمد الله
تعالى الذي ... هذا الغلام سميعا مطيعا وجعله وارثا من الخلافة محلا رفيعا
فنسأل الله من كرمه ... ان يجعله سعيدا ... موفقا للخيرات حتى يصير ملكا و
سلطانا على رعيته بالعدل والانصاف مانعا لهم من مهلكات الاعتساف بمنه و
كرمه وجوده فلما فرغ الملك من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك
وقبلوا يديه ... وعند ذلك دخل الملك بيته وابصر
الغلام ودعا له ... فلما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة اراد
الملك ان يعلمه ... وسط المدينة وبنى فيه ثلثمائة وستين
... وامرهم ان لا
... وان يجلسوا معه ... يوما ويحرصوا
على ان يكون ... ويعلمونه اياه ... بجميع العلوم عارفا ويكتبون
على ... ما علموه اياه من اصناف العلوم ويرفعون اليه في
سبعة ايام ما ... الغلام ثم ان العلماء اقبلوا على الغلام ليلا ونهارا ولا
... ولا يدخرون عنه شيئا مما عندهم من العلوم
فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لاحد قبله
وجعلوا يرفعون للملك في كل اسبوع مقدار ما تعلمه ولده واتقنه وكان الملك
يستفيد من ذلك علما حسنا وادبا جميلا وقال العلماء انا ما راينا قط من اعطي
الفهم مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعت بحياته فلما اتم الغلام مدة
اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم احسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين
في زمانه فأتى به العلماء الى الملك والده وقالوا له اقر الله عينك ايها الملك

بهذا الولد السعيد فقد انبأنا به ... بان يعلم كل علم حتى لم يكن احد من علماء الوقت يحكم ... ما بلغ ... فرح الملك بذلك فرحا شديدا ... في شكر الله تعالى ... وقال الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس ان العلماء ... واخبروني ان ... هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم الا وقد علمه حتى فاق من تقدم في ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يد الملك وقال بنت الياقوتة ولو كانت في الجبل الاصم لا بد ان تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما يمنعه حداثة سنه من ان يكون حكيما والحمد لله على ما اولاه وانا ان شاء الله تعالى في غد اسأله واستنطقه بما عنده في مجمع اجمعه له من خواص العلماء والامراء

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما سمع كلام شماس امر جهابذة العلماء واذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء ان يحضروا الى قصر الملك في غد فحضروا جميعا فلما اجتمعوا على باب الملك اذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس فقال له شماس ليس يجب على شبل الاسد ان يسجد لاحد من الوحوش ولا ينبغي ان يقترن النور بالظلام قال الغلام ان شبل الاسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال شماس اخبرني ما الدائم المطلق وما كوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام اما الدائم المطلق فهو الله عز وجل لانه اول بلا ابتداء واخر بلا انتهاء واما كوناه فالدنيا والاخرة واما الدائم من كونيه فهو نعيم الاخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير اني احب ان تخبرني من اين علمت ان احد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الاخرة قال الغلام لان الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن فآل امرها الى الكون الاول غير انها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعي اعادة الفاني فالاخرة هي الكون الثاني قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير اني احب ان تخبرني من اين علمت ان نعيم الاخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت ذلك من انها دار الجزاء على الاعمال

التي اعدها الله في بلا زوال قال شماس اخبرني ان اهل الدنيا احسن عملا قال الغلام من يؤثر اخرته على دنياه قال شماس ومن الذي يؤثر اخرته على دنياه فقال الغلام من كان يعلم انه في دار نقلة وانه ما خلق الا للفناء وانه بعد الفناء يحاسب وانه لو كان في هذه الدنيا احد يخلد ابدا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس اخبرني هل تستقيم آخرة بغير دنيا قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا واهلها والمعاد الذي هم صائرون اليه كمثل اهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم امير بيتا ضيقا وادخلهم فيه وامرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم اجلا ووكل به شخصا فمن عمل منهم ما امر به اخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما امر به وقد انقضى الاجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل فلما اكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا في العمل الذي امروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل لا يدع احدا منهم اذا جاء اجله الا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا ان الدنيا دار تتحير فيها الابصار وضرب لاهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا واشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث آثر امر دنياه على آخرته ومن يؤثر امر آخرته على دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الناجين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من امر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلطين على الانسان فلا بد له من ارضائهما معا وهما مختلفان فان اقبل العبد على طلب المعيشة فذلك اضرار بروحه في المعاد وان اقبل على الآخرة كان ذلك اضرارا بجسده وليس له سبيل الى ارضاء المتخالفين معا قال الغلام انه من حصل المعيشة في الدنيا تقوية على الآخرة فاني رأيت امر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت ارض الملك الجائر ذات اشجار واثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع احدا من التجار الا اخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب تلك الارض في المعيشة واما الملك العادل فانه بعث رجلا من اهل ارضه واعطاه مالا وافرا وامره ان ينطلق به الى ارض الملك

الجائر ليبتاع به جواهر منها فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الارض فقيل للملك انه جاء الى ارضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد ان يبتاع به جواهر منها فارسل اليه واحضره وقال له من انت ومن اين انيت ومن جاء بك الى ارضي وما حاجتك فقال له انى من ارض كذا وكذا وان ملك تلك الارض اعطاني مالا وامرني ان ابتاع له به جواهر من هذه الارض فامتثلت امره وجئت فقال له الملك ويحك اما علمت صنعي باهل ارضي من اني آخذ مالهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها انت مقيم في ارضي منذ كذا وكذا فقال له التاجر ان المال ليس لي منه شيء وانما هو امانة عندي حتى اوصله الى صاحبه فقال له الملك لست بتاركك تأخذ معك شيئا من ارضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد ان يشتري الجواهر من ارضه لا يمكن ان تأخذ من جواهر ارضي شيئا حتى تفدي نفسك بهذا المال او تهلك فقال الرجل في نفسه قد وقعت بين مصيبتين لاني قد علمت ان جور هذا الملك عام على من اقام بارضه فان لم افده بنفسي كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم اصب حاجتي وان افتديته بجميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بد منه وليس لي حيلة الا ان اعطيه من هذا المال جزأ يسيرا وارضيه به وادفع عن نفسي وعن المال الهلاك واصيب من خصب هذه الارض قوت نفسي حتى ابتاع ما اريد من الجواهر واكون قد ارضيته بما اعطيته وآخذ نصيبي من الخصب ثم اتوجه الى صاحب المال بحاجته فاني ارجو من عدله وتجاوزه ما لا اخاف معه عقوبة فيما اخذه هذا الملك من المال خصوصا اذا كان يسيرا ثم ان التاجر دعا للملك وقال له ايها الملك انا افدي نفسي وهذا المال بجزء صغير منه من حين دخلت ارضك حتى اخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله سنة فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق الى صاحبه فالملك العادل مثال للآخرة والجواهر التي بارض الملك الجائر الحسنات

والعمل الصالح والوبيل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا والمال الذي معه مثال
لحيوة الانسان فلما رايت ذلك علمت انه ينبغي لمن يطلب المعيشة في الدنيا ان لا
يخلو مما من طلب الآخرة فيكون قد رضي الدنيا بما ناله من حصة الآخرة فرضي
الآخرة بابصر من حيوته حديث دليلها قال شماس فاخبرني هل الجسد والروح
سواء في الثواب والعقاب او انما يختص بالعقاب صاحب الشهوة وفاعل الخطيات
قال الغلام قد يكون الميل الى الشهوات والخطيات موجبا للثواب بحسر النفس
عنها بالتوبة منها ولا تمر بدمن يفعل الاشياء وبضدها ثم من الاشياء على
ان الحاسن لابد منه للجسد ولا جسد الا بالروح وطهارة الروح باخلاص
النية في الدنيا والالتفات الى ما ينفع في الآخرة فهما فرسا رهان ورضيعا لبان
ومشتركان في الاعمال وبالنية تفضيل الاعمال وكذلك الجسد والروح
مشتركان في الاعمال وفي الثواب والعقاب وفي ذلك مثل الاعمى والمقعد الذين
اخذهما رجل صاحب البستان وادخلهما بستانه وامرهما ان لا يفسدا فيه ولا يصنعا
فيه امرا يضر به فلما طابت اثمار البستان قال المقعد للاعمى ويحك اني ارى اثمارا
طيبة وقد اشتهيتها ولست اقدر على القيام اليها لآكل منها فقم انت لانك صحيح
الرجلين وائتنا منها بما ناكل فقال الاعمى ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلا
ولست بقادر على ذلك لاني لست ابصرها فما الحيلة في تحصيل ذلك فبينما هما كذلك
اذ اتاهما الناطر على البستان وكان رجلا عالما فقال له المقعد ويحك يا ناظر انا
قد اشتهينا شيئا من هذه الثمار ونحن كما ترى انا مقعد وصاحبي هذا اعمى لا
يبصر شيئا فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما الستما تعلمان ما قد عاهدكما عليه
صاحب البستان من انكما لا تتعرضا لشيء مما يؤثر فيه الفساد فانتهيا ولا تفعلا
فقالا له لابد لنا من ان نصيب من هذه الثمار ما ناكله فاخبرنا بما عندك من
الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة في ذلك ان يقوم الاعمى ويحملك ايها
المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك فاذا ادناك منها
تجني انت ما اصبت من الثمار فقام الاعمى وحمل المقعد وجعل المقعد يهديه الى
السبيل حتى ادناه الى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما احب ولم يزل ذلك دأبهما
حتى افسدا ما في البستان من الشجر واذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما
ما هذه الفعال الم اعاهدكما على ان لا تفسدا في هذا البستان فقالا له قد علمت

انا لم نقدر ان نصل الى شيء من الاشياء لان احدنا مقعد لا يقوم والاخر اعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما ظننتما اني لست ادري كيف صنعتما وكيف افسدتما في بستاني كأني بك ايها الاعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى وصلته الى الشجر ثم انه اخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة واخرجهما من البستان فالاعمى مثال الجسد لانه لا يبصر الا بالنفس والمقعد مثال للنفس التي لا حركة لها الا بالجسد واما البستان فانه مثال العمل الذي يجازى به العبد والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهى عن الشر فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب قال له شماس صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرني اي العلماء عندك احمد قال الغلام من كان بالله عالما وينفعه علمه قال شماس ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضى ربه ويتجنب سخطه قال فايهم افضل قال الغلام من كان بالله اعلم قال شماس فمن اشدهم اختبارا قال من كان على العمل بالعلم صبارا قال شماس اخبرني من ارقهم قلبا قال اكثرهم استعدادا للموت وذكرا واقلهم املا لان من ادخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فانه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة الا صفاء وبريقا قال شماس اي الكنوز احسن قال كنوز السماء قال فاي كنوز السماء احسن قال تعظيم الله وتحميده قال فاي كنوز الارض افضل قال اصطناع المعروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس لما قال لابن الملك اي كنوز الارض افضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرني عن الثلاثة المختلفة العلم والرأي والذهن وعن الذي يجمع بينها قال الغلام انما العلم من التعلم واما الرأي فانه من التجارب واما الذهن فانه من التفكر وثباتهم واجتماعهم في العقل فمن اجتمعت فيه هذه الثلاث خصال كان كاملا ومن جمع اليهن تقوى الله كان مصيبا قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك فاخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت قال الغلام

ان هاتين الخصلتين اذا دخلتا على الرجل غيرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذرا المقيم في جو السماء لفرط حذقه فبينما هو كذلك اذ نظر رجلا صيادا قد نصب شركه فلما فرغ الرجل من نصب لشركه وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك ابصر العقاب قطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهده من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطائر فانقض من جو السماء حتى وقع على قطعة اللحم فاشتبك في الشرك فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه فتعجب عجبا شديدا وقال انا نصبت شركي ليقع فيه حمام او نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب وقد قيل ان الرجل العاقل اذا حمله الهوى والشهوة على امر يتدبر عاقبة ذلك الامر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فاذا حمله الهوى والشهوة على امر ينبغي ان يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته اذا ركب الفرس الارعن فانه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد واما من كان سفيها لا علم له ولا رأي عنده والامور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه فانه يعمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس اسوأ حالا منه قال شماس صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك فاخبرني متى يكون العلم نافعا والعقل لو بالا الهوى والشهوة دافعا قال الغلام اذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة لان العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما ان يصرفهما في طلب الدنيا الا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفهما في عمل الآخرة قال فاخبرني ما احق ان يلزم الانسان ويشتغل به قلبه قال العمل الصالح قال فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه كيف يفعل في المعيشة التي لا بد له منها قال الغلام ان نهاره اربعة وعشرون ساعة فينبغي له ان يجعل منها جزءا واحدا في طلب المعيشة وجزءا واحدا للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم لان الانسان اذا كان عاقلا وليس عنده علم فانما هو كالارض المجدبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فاذا لم تهيئ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر واذا هيئت للعمل وغرست انبتت ثمرا حسنا كذلك الانسان بغير علم لا نفع به حتى يغرس فيه العلم فاذا غرس فيه العلم اثمر قال شماس فاخبرني عن العلم بغير عقل ما شأنه قال كعلم البهيمة التي تعلمت اوان مطعمها

ومشربها واوان ينتفع بها لا يغفل لها قال شماس قد اوجزت في الاجابة عن ذلك ولكن قد ثبت عندي منك هذا الكلام فاخبرني كيف ينبغي ان اتوقى السلطان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلاً قال وكيف استطيع ان لا اجعل له علي سبيلاً وهو مسلط علي وزمام امري بيده قال الغلام انما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فاذا اعطيته حقه فلا تسلط له عليك قال شماس ما حق الملك على الوزير قال النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره وان لا يخفي عنه شيئاً مما هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه عليه قال شماس فاخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك قال الغلام اذا كنت وزيراً للملك واحببت ان تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يتوقعه منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده واحذر ان تنزل نفسك منزلة لم يرك لها اهلاً فيكون ذلك منك مثل الجرأة عليه فاذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها اهلاً تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها للحاجة اليها ويطرح لحومها فجعل الاسد يأتي الى ذلك المكان ويأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده الى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه واقبل الصياد يرمي اليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فحين ما رأى الصياد سكون الاسد له واستئناسه به وتذلله اليه قال في نفسه ان هذا الاسد قد خضع الي وملكته وما ارى الا ان اركبه واسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الاسد وطمع فيه فلما رأى الاسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في معائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقاً فمن ذلك علمت انه ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه

لفضل

لفضل رأيه فيتغير الملك عليه قال شماس فاخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام اداء الامانة التي فوض اليه امرها من النصيحة وسداد الرأي في تنفيذه لاوامره قال له شماس اما ما ذكرت من ان حق الملك على الوزير ان يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتم بما قلده اياه فانه امر واجب ولكن اخبرني ما الحيلة اذا كان الملك انما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير اذا هو ابتلي بعشرة ذلك الملك الجائر فانه ان اراد ان يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه فلا يقدر على ذلك وان هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول في هذا فاجاب الغلام قائلا ان ما ذكرت ايها الوزير من الوزر والاثم انما هو اذا تابعه على ما ارتكبه من الخطأ ولكن يجب على الوزير اذا شاوره الملك في مثل هذا ان يبين له طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره عما يلزمه من العقاب فان مال وعطف الى كلامه حصل المراد والا فلا حيلة له الا بمفارقته اياه بطريقة لطيفة لان في المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فاخبرني ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله وحق الرعية على الملك حفظ اموالهم وصون حريمهم كما ان للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الانفس دونه واعطاؤه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما اولاهم من عدله واحسانه قال شماس قد بينت لي ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فاخبرني هل بقي للرعية شيء على الملك غير ما ذكرت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك اوجب من حق الملك على الرعية وهو ان ضياع حقهم عليه اضر من ضياع حقه عليهم لانه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته الا من ضياع حق الرعية فمن تولى ملكا يجب عليه ان يلازم ثلاثة اشياء وهي صلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمته هذه الثلاثة يدوم ملكه قال فاخبرني كيف ينبغي ان يستقيم في اصلاح الرعية قال باداء حقهم واقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وانصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن اموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فاخبرني ما حق الوزير على

الملك قال الغلام ليس على الملك حق لاحد من الناس اوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلث خصال الاولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأى والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي والثانية ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة ان الوزير اذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فاخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والافراط في الكلام قال الغلام ينبغي للانسان ان لا يتكلم الا بالخير والحسنات ولا يبطن في شان ما لا يعنيه ويهمل النميمة ولا ينقل عن احد حديثا سمعه من عدوه ولا يطلب لعدوه ولا لصديقه ضررة عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجى خيره ويتقى شره الا الله تعالى لانه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لاحد عيبا ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس واعلم ان الكلام مثل السهم اذا نفذ لا يقدر احد على رده وليحذر ان يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرر افشائه بعد ان يكون على ثقة من الكتمان وان يكون مخفيا لسره عن صديقه اكثر من اخفائه عن عدوه فان كتمان السر عند جميع الناس من اداء الامانة قال شماس فاخبرني عن حسن الخلق مع الاهل والاقارب قال الغلام انه لا راحة لبني آدم الا بحسن الخلق ولكن ينبغي ان يصرف الى الاهل ما يستحقونه والى اخوانه ما يجب لهم قال فاخبرني ما الذي يجب ان يصرفه الى الاهل قال اما الذي يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والاكرام والوقار واما الذي يصرفه للاخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على اسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عن ما يقع منهم من الهفوات فاذا عرفوا منه ذلك قابلوه باعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الانفس دونه فاذا كنت من اخيك على ثقة فابذل له ودك وكن مساعدا له على جميع اموره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد التسعمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له اجوبتها قال له الوزير شماس اني ارى الاخوان صنفين اخوان ثقة واخوان معاشرة اما الاخوان الثقة فانت تبيب لهم ما وصفت فاسألك عن غيرهم من اخوان المعاشرة قال الغلام اما اخوان المعاشرة فانك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منهم لذاتك بل ابذل لهم مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان فتطيب عيشك ويكون كلامك مقبولا عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الامور كلها فاخبرني عن الارزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل واحد رزق الى تمام اجله واذا كان الامر كذلك فما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة في طلب ما عرف انه ان كان مقدرا له فلا بد من حصوله وان لم يرتكب مشقة السعي وان لم يكن مقدرا له فلا يحصل له ولو سعى اليه غاية السعي فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلا ولجسده ونفسه مريحا قال الغلام انا قد رأينا ان لكل احد رزقا مقسوما واجلا محتوما ولكن لكل رزق طريق واسباب فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق غير ان الطالب على ضربين اما ان يصيب واما ان يحرم فراحة المصيب في الحالتين اصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم في ثلاث خصال الاستعداد لطلب رزقه والتنزه عن ان يكون كلا على الناس والخروج عن عهدة الملامة قال شماس اخبرني عن باب طلب المعيشة قال الغلام يستحل الانسان ما احله الله ويحرم ما حرمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصلا الى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وبجلوه وضمه ابوه الى صدره ثم بعد ذلك اجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذي رزقني ولدا تقر به عيناي في حياتي ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء ايها العالم صاحب المسائل الروحانية ان لم يكن فتح الله علي من العلم الا بشيء قليل فاني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما اتيت به جوابا عما سألتني سواء كنت فيه مصيبا او مخطئا ولعلك صفحت عن خطائه وانا اريد ان اسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكل

عن وصف لساني لانه اشكل عليّ اشكال الماء الصافي في الاناء الاسود فاحب منك ان تشرحه لي حتى لا يكون شيء منه مبهما على مثلي فيما يستقبل مثل الهائم على فيما مضى لان الله كما جعل الحيوة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت الى كلامي قال شماس ايها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفصيلك للاشياء وتقسيمك اياها وحسن اصابتك في جوابك عما سألتك عنه قد علمت انك لست تسألني عن شيء الا وانت في تأويله اصوب رأيا واصدق مقالا لان الله قد اتاك من العلم ما لم يؤت احدا من الناس فاخبرني عن هذه الاشيا التي تريد ان تسألني عنها قال الغلام اخبرني عن الخالق جلت قدرته من اي الاشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء وليس يرى في هذه الدنيا شيء الا وهو مخلوق من شيء والبارئ تبارك وتعالى قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء ولكن اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة انه لم يخلق شيئا الا من شيء قال الوزير شماس اما صناع الاواني من الفخار وغيره من الصناع لا يقدرون على ابتداء شيء الا من شيء اذ هم مخلوقون واما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فان شئت ان تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الاشياء فاطل الفكر في اصناف الخلق فانك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وانه قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء بل اوجدها بعد العدم المحض لان العناصر التي هي مادة الاشياء كانت عدما محضا وقد اوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه ويبين لك ذلك آية الليل والنهار فانهما يتعاقبان حتى اذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقرا واذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرا واذا اشرقت علينا الشمس لا نعرف اين يطوي نورها واذا غربت لم نعرف مستقر غروبها وامثال ذلك من افعال الخالق عز اسمه وجلت قدرته كثير مما يحير افكار الاذكياء من الخلائق قال الغلام ايها العالم انك عرفتني من قدرة الخالق ما لا يستطاع انكاره ولكن اخبرني كيف ايجاده لخلقه قال شماس انما الخلق مخلوقة بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الاشياء قال الغلام ان الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبل وجودهم

قال

قال شماس بارادته خاف ام بكلمته فلولا ان له نطقا واظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة اجابه عنها ثم قال له يا بني انه لا يخبرك احد من الناس بغير ما قلته الا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولك ان الكلمة لها استطاعة اعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا في الله عز وجل انه خلق الخلق بكلمته معناه انه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه ان كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كما ان الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه فان الله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيئا وانما خلق الاشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت من امر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك منك بفهم ولكني سمعتك تقول انما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن اين عرض الباطل وكيف يمكن عروضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون الى الفصل بينهما وهل الخالق عز وجل محب لهذا الباطل ام باغض له فان قلت انه محب للحق وبه خلق خلقه وباغض للباطل فمن اين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق ولم يكن الانسان محتاجا الى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الاستطاعة التي جعلها الله في الانسان وهي الارادة والميل المسمى بالكسب فلما دخل الباطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب ارادة الانسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الانسان فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة ان هو اقام على ملابسة الباطل قال الغلام فاخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبة على الانسان حتى احتاج الى التوبة قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق

جعله محبا له ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس
التي هي من كمال الانسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل الى الشهوات فنشأ
من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذى خلق الانسان به وطبع على
حبه فلما صار الانسان الى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ومن زاغ عن
الحق انما يقع فى الباطل قال الغلام ان الحق انما دخل عليه الباطل بالمعصية
والمخالفة قال شماس هو كذلك لان الله يحب الانسان ومن زيادة محبته
له خلق الانسان محتاجا اليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما استرخى الانسان
عن ذلك بسبب ميل النفس الى الشهوات ومال الى الخلاف فصار الى ذلك
الباطل بالمعصية التى بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبازاحة الباطل عنه
بتوبته ورجوعه الى محبة الحق استوجب الثواب قال الغلام اخبرني عن مبدأ
المخالفة مع ان الخلق مرجعهم جميعا الى آدم وقد خلقه الله بالحق
فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه
ليكون عاقبته الثواب او العقاب ونحن نرى بعض الخلق مقيما على المخالفة مائلا
الى ما لا يحبه مخالفا المقتضى اصل خلقته من حب الحق مستوجبا السخط ربه عليه
ونرى بعضهم مقيما على رضى خالقه وطاعته مستوجبا للرحمة والثواب فما سبب
الاختلاف الحاصل بينهم قال شماس ان اول نزول هذه المعصية بالخلق انما
كان بسبب ابليس الذى كان اشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والانس
والجن وكان مطبوعا على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الامر داخله العجب
والعظمة والتجبر والتكبر عن الايمان والطاعة لامر خالقه فرده الله دون
الخلائق جميعهم واخرجه من المحبة وصير مثواه الى نفسه فى المعصية فحين
علم ان الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك الحق
والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة فى صرفه لآدم عن الحق
ليكون مشتركا معه فى الباطل فلزم آدم العقوبة لميله الى المعصية التى
زينها له عدوه وانقياده الى هواه حيث خالف وصية ربه بسبب عروض
الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة
ميله الى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة
الميل الى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه ابليس وجنوده ويرجع الى

الحق

الحق الذى هو مطبوع عليه فلما نظر ابليس ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه
قد جعل له امدادا ممتدا بادر الى الانسان بالمحاربة وادخل عليه الحيل ليخرجه
من نعمة ربه ويجعله شريكا له فى السخط الذى استوجبه هو وجنوده فجعل الله
جل ثناؤه للانسان استطاعة للتوبة وامره ان يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه
عن المعصية والخلاف والهمه ان له على الارض عدوا محاربا لا يفتر عنه ليلة
ولا نهاره فبذلك استحق الانسان ثوابا ان لازم الحق الذى جبلت طبيعته
على حبه وعقابا ان غلبته نفسه ومالت به الى الشهوات وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة
واجابه عنها قال له بعد ذلك اخبرنى باى قوة استطاع الخلق ان يخالفوا خالقهم
وهو فى غاية العظمة كما وصفت مع انه لا يقهره شئ ولا يخرج عن ارادته
الا ترى انه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائما
قال شماس ان الله تعالى جل اسمه عادل منصف رؤف باهل محبته قد بين لهم
طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما ارادوا من الخير فان عملوا
بخلاف ذلك صاروا فى الهلاك والمعصية قال الغلام اذا كان الخالق هو الذى
منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما ارادوا فلاى شئ لم يحل
بينهم وبين ما يريدون من الباطل ويردهم الى الحق قال شماس ذلك لعظيم
رحمته وباهر حكمته لانه كما سبق منه لابليس السخط ولم يرحمه كذلك سبقت
منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه قال الغلام هذا هو الحق
بعينه لانه هو المجازى لكل احد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة
على كل شئ ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب وما لا يحب او انما خلق ما
يحب لا غيره قال شماس قد خلق كل شئ ولم يرض الا ما يحب قال الغلام
ما بال هذين الشيئين احدهما يرضى الله ويوجب الثواب بصاحبه والآخر
يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بين لى هذين الامرين
وفهمني اياهما حتى اتكلم فى شانهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان

في الجسم والروح قال شماس ايها العاقل اراك قد علمت ان الخير والشر من الاعمال التي يعملها الجسد والروح فسمي الخير منهما خيرا لكونه فيه رضى الله وسمي الشر شرا لكونه فيه سخط الله وقد وجب عليك ان نعرف الله ونرضيه بفعل الخير لانه امرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغلام اني ارى هذين الشيئين اعني الخير والشر انما يعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الانسان وهي محل الذوق الناشئ عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس فاحب ان تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعا ام للشر قال شماس افهم ايها الانسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك وهو ان الحق تبارك وتعالى خلق الانسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق الا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى الا الى الحكم بالعدل والانصاف والاحسان وقد خلق الانسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل الى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم او الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لانه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والاذنين للسماع وقد اعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة وامر كل واحدة منها ان لا تعمل الا برضائه والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر الى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر الى ما يكرهه الله كالنظر الى الشهوات ومما يرضيه من السمع ان لا يستمع الا الى الحق كالموعظة وما في كتب الله وترك ضده وهو ان يسمع الى ما يوجب سخط الله ومما يرضيه من اليدين ان لا يقبضا ما خولهما الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الامساك او صرف ما خولهما الله في معصية ومما يرضيه من الرجلين ان يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو ان يمشيا في غير سبيل الله وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الانسان فانه يصدر من الجسد بامر الروح ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذي يرضي الله من شهوة التناسل انها لا تكون الا حلالا ويسخطه ان تكون حراما واما شهوة البطن الاكل والشرب والذي يرضي الله من ذلك ان لا يتعاطى منه كل احد الا ما احله الله له قليلا كان او كثيرا

ويحمد الله ويشكره والذي يغضب الله منه ان يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الاحكام باطل وقد علمت ان الله خلق كل شيء ولا يرضى الا بالخير وامر كل عضو من اعضاء الجسد ان يفعل ما اوجبه عليه لانه هو العليم الحكيم قال الغلام فاخبرني عن سبق في علم الله جلت قدرته ان آدم سبب للاكل من الشجرة التي نهاه الله عنها حتى كان من امره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية قال شماس نعم ايها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل ان يخلق آدم وبيان ذلك ودليله ما تقدم له من التحذير عن الاكل واعلامه بانه اذا اكل منها يكون عاصيا وذلك من طريق العدل والانصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما ان سقط في الورطة والهفوة وعظمت آية المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده فبعث الله تعالى الانبياء والرسل واعطاهم كتبا فاعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوه لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب ان نفعله وما يجب ان نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد اصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت ان الله قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الا برضائه وارادته وامرنا ان نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيرا واذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شرا فما اصابنا من حسنة فمن الله تعالى وما اصابنا من سيئة فمن انفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سال الوزير شماس عن هذه المسائل ورد له اجوبتها قال له ما وصفته لي مما ينسب الى الله تعالى ومما ينسب الى خلقه قد فهمته فاخبرني عن هذا الامر الذي حير عقلي فرط التعجب منه فاني عجبت من ولد بني آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا انهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فان الذي تراه من تغييرها وغدرها باهلها دليل على انه لا يدوم لصاحب

النعيم نعيمه ولا الصاحب لبلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيرها وان كان قادرا عليها ومغتبطا بها فلا بد ان يتغير حاله ويسرع اليه الانتقال وليس للانسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا ان اسوأ الناس حالا من اغتر بها وسها عن الاخرة وان ذلك النعيم الذي قد اصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والاهوال التي تحصل له بعد الانتقال منها وعلمنا انه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لكان رفض الدنيا وما فيها وتيقنا ان الاخرة خير لنا وانفع قال الغلام ايها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء وارشدتني الى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق واعطيتني سراجا انظر به فعند ذلك قام احد الحكماء الذي كانوا بالحضرة وقال انه اذا كان زمان الربيع فلا بد ان يطلب الارنب مع الفيل مرعى وقد سمعت منكما اشياء من المسائل والتفاسير ما لم ار أني اسمعه ابدا قد عاني ذلك الى ان اسألكما عن شيء فاخبراني ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فاخبراني ما الكبير وما الصغير قال الغلام اما الكبير فهو ما صبر له اصغر منه واما الصغير فهو ما صبر لاكبر منه قال فاخبراني ما الاربعة اشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام تجتمع الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت قال فما الثلاثة اشياء التي لا يقدر احد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة وخسة الطبع والكذب قال فاي الكذب احسن مع انه كله قبيح قال الغلام الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر نفعا قال واي الصدق قبيح وان كان كله حسنا قال الغلام كبر الانسان بما عنده واعجابه قال وما اقبح القبيح قال الغلام اذا اعجب الانسان بما ليس عنده قال فاي الرجال احمق قال الغلام من كان ليس له همة الا في شيء يضعه في بطنه قال شماس ايها الملك انت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حث الملك من حضر من العلماء والناس على ان ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وامرهم ان يمتثلوا امر ابنه فانه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده اخذ العهد على جميع اهل مملكته من العلماء

والشجعان والمشايخ والصبيان وبقية الناس لا يخالفوا عليه ولا ينكثوا عليه امره فلما اتى على الملك سبع عشره سنه مرض الملك مرضا شديدا حتى اشرف على الموت فلما ايقن الملك ان الموت قد نزل به قال لاهله هذا داء الموت قد نزل بي وادعوا الي اقاربي وولدي واجمعوا الي اهل مملكتي حتى لا يبقى منهم احد الا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين واجهروا بالنداء للناس البعيدين حتى حضروا باجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف انت ايها الملك وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا قال لهم الملك ان مرضي هذا هو الذى فيه القاضية وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى على وانا الان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة ثم قال لابنه اذن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديدا حتى كاد ان يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر ثم قال الملك لولده لا تبك يا ابني فاني لست باول من جرى له هذا المحتوم لانه سائر على جميع ما خلقه الله فاتق الله واعمل خيرا يسبقك الى الموضع الذى تقصده جميع الخلائق ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل الحق نصب عينك وهذا اخر كلامي معك والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما اوصى ولده بهذه الوصية وعهد له بالملك من بعده قال الغلام لابيه قد علمت يا ابت اني لم ازل لك مطيعا ولوصيتك حافظا ولامرك منفذا ولرضاك طالبا وانت لي نعم الاب فكيف اخرج بعد موتك اما ترضى به انت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا اقدر على ردك علي فاذا حفظت وصيتك صرت بها سعيدا وصار لي النصيب الاكبر فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يا بني الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والاخرة وهي اذا اغتظت فاكظم غيظك واذا ابليت فاصبر واذا انطقت فاصدق واذا وعدت فاوف واذا حكمت فاعدل واذا قدرت فاعف واكرم قوادك واصفح عن اعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف اذاك عنه والزم ايضا عشر خصال اخرى ينفعك الله بها في اهل مملكتك وهي اذا قسمت فاعدل واذا عاقبت بحق فلا تجر واذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل

النصح وأترك اللجاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكما عادلا بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم مفسدهم ثم قال للحاضرين من العلماء والامراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده اياكم ومخالفة امر ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان في ذلك هلاكا لارضكم وتفريقا لجمعكم وضررا لابدانكم وتلفا لاموالكم فتشمت بكم اعداؤكم وها انتم علمتم ما عاهدتمونى عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذى بيني وبينكم يكون ايضا بينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان في ذلك صلاح احوالكم واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم اموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه فضم ابنه اليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته واهل مملكته ثم انهم كفنوه ودفنوه باكرام وتبجيل واعظام ثم رجعوا والغلام معهم فالبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده والبسوه الخاتم في اصبعه واجلسوه على سرير الملك فسار الغلام فيهم بسيرة ابيه من الحلم والعدل والاحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها واقبل على زخارف امورها وترك ما كان قلده ابوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده واهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء الا ويرسل اليها ويتزوج بها فجمع من النساء عددا اكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني اسرائيل وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بهن شهرا كاملا لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو اليه من رعيته واذا كاتبوه فلا يرد لهم جوابا فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في امورهم واهماله لامور دولته وامور رعيته تحققوا انهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا الى شماس كبير وزرائه نقص عليه امرنا ونعرفه ما يكون من امر هذا الملك لينصحه الا فعن قليل يحل بنا البلاء فان هذا الملك قد ادهشته الدنيا بلذاتها وفتنته باشطانها فقاموا واتوا شماس وقالوا له ايها العالم الحكيم ان هذا الملك قد ادهشته الدنيا بلذاتها وفتنته باشطانها فاقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته وبفساد

المملكة تفسد لعامة ويصير امرنا الى الهلاك وسببه انا نمكث شهورا وايا ما لانراه ولا يبرز الينا من عنده امر للوزير ولا غيره ولا يمكن ان ترفع اليه حاجة ولا ينظر فى حكومة ولا يتعهد حال احد من رعيته لغفلته عنهم وانما قد اتينا اليك لنخبرك بحقيقة الامور لانك اكبرنا واكملنا وليس ينبغى ان يكون بلاء فى ارض انت مقيم بها لانك اقدر واحد على اصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع الى الله فقام شماس ومضى الى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول اليه وقال له ايها الولد الجيد اسألك ان تستأذن لي فى الدخول للملك لان عندى امرا اريد ان انظر وجهه واخبره به واسمع ما يجيبنى به عنه فاجاب الغلام قائلا والله يا سيدى من منذ شهر لم يأذن لاحد فى الدخول عليه ولا انا فطول هذه المدة ما رأيت له وجها ولكن ادلك على من يستأذن لك وهو انك تتعلق بالوصيف الفلانى الذى يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فاذا خرج الى المطبخ ليأخذ الطعام اسأله عما بدا لك فانه يفعل لك ما تريد فانطلق شماس الى باب المطبخ وجلس قليلا واذا بالوصيف قد اقبل واراد الدخول فى المطبخ فكلمه شماس قائلا يا بني احب ان اجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه فمن فضلك اذا فرغ من غدائه وطابت نفسه ان تكلمه لي وتأخذ لى منه اذنا بالدخول عليه لكي اكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعا وطاعة فلما اخذ الوصيف الطعام وتوجه به الى الملك واكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف ان شماس واقف بالباب يريد منك الاذن فى الدخول عليك ليعلمك بامور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وامر الوصيف بادخاله عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما امر الوصيف بادخال شماس عليه خرج الوصيف الى شماس ودعاه الى الدخول فلما دخل على الملك خر لله ساجدا وقبل يدى الملك ودعا له فقال الملك ما اصابك يا شماس حتى طلبت الدخول علي فقال ان لي مدة لم ار وجه سيدى الملك وقد اشتقت اليك كثيرا فها انا شاهدت طلعتك وجئت اليك بكلام اذكره لك ايها الملك المؤيد بكل نعمة

فقال له قل ما بدا لك فقال شماس اعلم ايها الملك ان الله تعالى رزقك من العلم
والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه احدا من الملوك قبلك وان الله تمم لك ذلك
بالملك وان الله يحب انك لا تخرج عما خولك اياه الى غيره بسبب عصيانك له
فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي ان تكون لوصاياه حافظا ولامره طائعا لاني
رأيتك منذ ايام قلائل نسيت اباك ووصيته ورفضت عهده واضعت نصحه
وكلامه وزهدت عدله واحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكره
قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه انك تركت تعهد امور مملكتك
وما قلدك الله اياه من امور رعيتك واقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل
شهوات الدنيا وقد قيل ان اصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك ان
يحافظ عليه والرأي عندي ايها الملك ان تحسن النظر في عاقبتك فانك تجد
السبيل الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة الى
ورطة الهلاك فيصيبك ما اصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك
قال شماس قد بلغني ان صيادا قد اتى الى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل
الى النهر ومشى على الجسر ابصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام هاهنا
فانا امشي واتبع هذه السمكة الى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد
مدة ايام فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة فاخذه جريان الماء الى ان ظفر
بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيدا عن الشاطئ فلما رأى ما قد
صنع به جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه
وترك جسده سابحا مع جريان الماء فما زال يحمله الماء الى ان رماه في وسط
دوامة لا يدخلها احد ويخلص منها فصار يصيح ويقول انقذوا الغريق فاتاه
ناس من المحافظين على البحر وقالوا له ما شأنك وما دهاك حتى القيت نفسك في
هذا الخطر العظيم فقال لهم انا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة و
اقبلت على الهوى والهلكة فقالوا يا هذا كيف تركت سبيل النجاة وادخلت نفسك
في هذه الهلكة وانت تعرف من قديم انه ما دخل هاهنا احد وسلم فما الذي
منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا
الهلاك الذي لا نجاة منه والآن ليس احد منا ينقذك من هذه الهلكة فقطع
الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليه وهلك هلاكا

عظيما

عظيما وما ضربت لك ايها الملك هذا المثل الا لاجل ان تدع هذا الامر الحقير الذى فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما انت متقلده من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى احد فيك عيبا قال الملك فما الذى تأمرني به قال شماس اذا كان فى غد وانت بخير وعافية فائذن للناس بالدخول عليك وانظر فى احوالهم واعتذر اليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال الملك يا شماس انك تكلمت بالصواب وانى فاعل ما نصحتنى به فى غد ان شاء الله تعالى فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره له فلما اصبح الصباح خرج الملك من حجابه واذن للناس فى الدخول عليه وصار يعتذر اليهم ووعدهم انه يصنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد الى منزله ثم ان بعض نساء الملك وكانت احبهن اليه واكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرا فى اموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت له مالى اراك ايها الملك قلق النفس هل تشتكى شيئا فقال لها لا وانما استغرقتنى اللذات عن شىء فمالى ولهذه الغفلة عن احوالى وعن احوال رعيتى وان استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكى عن يدى فاجابته قائلة انى اراك ايها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشا فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيما ولا راحة بل يريدون ان تفنى عمرك فى اندفاع المشقة عنهم حتى ان عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذى قتل نفسه لاصلاح غيره او تكون مثل الفتى واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان واذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يا فتى هل لك ان تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزا فاجابهم الفتى الى ذلك ودخل معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفتى لما اجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا الى اخفنا واصغرنا فاصعدوه فقالوا ما نرى فينا الطف من هذا

الفتى فلما اصعدوه قالوا يا فتى لا تلمس من الشجرة شيئا لئلا يراك احد فيؤذيك فقال الفتى وكيف افعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكا قويا حتى يتناثر ما فيه فنلتقطه واذا فرغ ما فيها ونزلت الينا فخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وجده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك واذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على تلك الحال فسألهم مالكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئا غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا انه صاحبها فطلبنا منه ان يطعمنا منها فهز بعض الاغصان حتى تناثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول انت فقال كذب هؤلاء ولكن انا اقول لك الحق وهو اننا اتينا جميعا الى هنا فامروني بالصعود على هذه الشجرة لاهز الاغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت امرهم فقال صاحب الشجرة لقد القيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت باكل شيء منها فقال الغلام ما اكلت منها شيئا فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو انك سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك ثم قال للصوص ما لي عليكم سبيل امضوا الى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك واهل دولتك يريدون ان يهلكوك لاصلاح امرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك حقا ما قلته ولقد صدقت في خبرك فانا لا اخرج اليهم ولا اترك لذاتي ثم بات مع زوجته في ارغد عيش الى ان اصبح الصباح فلما اصبح الصباح قام الوزير وجمع ارباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاؤا الى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس ايها الوزير الفاضل والحكيم الكامل اما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع الى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف اخلفه ولم يوف بما وعد وهذا ذنب يجب ان نضيفه الى ذنوبه ولكن نرجو ان تدخل اليه ثانيا وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج فانا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الامر فانه بلغ غاية القساوة ثم ان شماس توجه اليه ودخل عليه وقال السلام عليك ايها الملك ما لي اراك قد اقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الامر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به

وكنت مثل الذي له ناقة وهو منضوع على لبنها فالهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها فاقبل يوما على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما احست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الذهاب فصار الرجل فاقدا للبن والناقة معا ان ضررة الغير كثير من نفعه فانظروا لي المال وبما فيه صالح نفسك ورعيتك فانه لا يبني ينبغي للرجل ان يديم الجلوس على باب المطبخ من اجل حاجته الى الطعام ولا ينبغي له ان يكثر الجلوس مع النساء من اجل ميله اليهن وكما ان الرجل ينبغي ان يطلب ما يدفع الم الجوع ومن الشراب ما يدفع الم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل ان يكتفي من هذه الاربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن اكثر من ساعتين فان ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لانهن لا يامرن بخير ولا يرشدن اليه ولا ينبغي ان يقبل منهن قولا ولا فعلا وقد بلغني ان ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه اطاعها فيما امرته فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا ان رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده وكان يسمع قولها ويعمل برأيها وكان له بستان غرسه بيده جديد فكان ياتي اليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوما من الايام اي شيء غرست في بستانك فقال لها كل ما تحبينه وتريدينه وها انا مجتهد في صلاحه وسقيه فقالت له هل لك ان تأخذني وتفرجني فيه حتى اراه وادعو لك دعوة صالحة فان دعائي مستجاب فقال نعم امهليني حتى آتي اليك في غد وآخذك فلما اصبح الرجل اخذ زوجته معه وتوجه بها الى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر اليهما اثنان من الشباب على بعد فقال بعضهما لبعض ان هذا الرجل زان وان هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان الا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظرا ما يكون من امرهما فاما الشابان فانهما وقفا على جانب البستان واما الرجل وزوجته فانهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتني بها فقالت لا ادعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك ايتها المرأة اما كان معي في البيت كفاية وها هنا اخاف على نفسي من الفضيحة وربما تشغلني عن مصالحي اما تخافين

ان يرانا احد قالت فلا نبالي من ذلك لاننا لم نرتكب فاحشة ولا حراما واما سقي هذا البستان ففيه مهلة وانت قادر على سقيه في اى وقت اردت ولم تقبل منه عذرا ولا حجة والحت عليه في طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعند ما ابصرها الشابان المذكوران وثبا عليهما وامسكاهما وقالا لهما انطلقكما لانكما من الزناة وان لم نواقع المرأة نرفع امركما فقال لهما الرجل ويحكما ان هذه زوجتي وانا صاحب البستان فما سمعا له كلاما بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لا تدع الرجال يفضحوني فاقبل نحوها وهو يستغيث فرجع اليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله واتيا المرأة وفضحاها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان الى المرأة وفضحاها وانما قلنا لك هذا ايها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل ان يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها في امر ولا يقبل لها رأيا في مشورة فاياك ان تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم او تتبع الرأى الفاسد بعد معرفتك للرأى الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها الى الفساد و مآلها الى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له انا في غد اخرج اليهم ان شاء الله تعالى فخرج شماس الى الحاضرين من كبراء المملكة واعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك و قالت له انما الرعية عبيد للملك والآن رأيت انك ايها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم انما يريدون ان يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك وان وجدوك شجاعا هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيلهم كثيرة وقد اوضحت لك حقيقة كيدهم فان وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من امرك الى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من امر الى امر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني انه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن فلما انتهى الى مدينة اكترى له بها منزلا

ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار ليسرقوا متاعهم فانطلقوا الى منزل ذلك التاجر واحتالوا فى الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا الى ذلك فقال لهم رئيسهم انا اكفيكم امره ثم انه انطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شيء من الدواء واقبل ينادى من يحتاج الى طبيب حتى وصل الى منزل ذلك التاجر فرآه جالسا على غدائه فقال له اتريد لك طبيبا فقال له لست محتاجا الى طبيب ولكن اقعد وكل معى فقعد اللص مقابله وجعل ياكل معه وكان ذلك التاجر جيد الاكل فقال اللص فى نفسه لقد وجدت فرصتى ثم التفت الى التاجر وقال له لقد وجب علىّ نصيحتك لما حصل لى من احسانك وليس يمكن ان اخفى عليك نصيحة وهو انى اراك رجلا كثير الاكل وهذا سببه مرض فى معدتك فان لم تبادر بالسعى على دوائك والا آل امرك الى الهلاك فقال التاجر ان جسمى صحيح ومعدتى سريعة الهضم وان كنت جيد الاكل فليس بيدى مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص انما ذلك بحسب ما يظهر لك والا فقد عرفت ان فى باطنك مرضا خفيا فان انت اطعتنى فداو نفسك فقال التاجر واين اجد من يعرف دوائى فقال له اللص انما المداوى هو الله ولكن الطبيب مثلى يعالج المريض على قدر امكانه فقال له التاجر ارنى الآن دوائى واعطنى منه شيئا فاعطاه دسفوفا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا فى هذه الليلة فاخذه منه ولما كان الليل تعاطى منه شيئا فرآه صبرا كريه الطعم فلم ينكر منه شيئا فلما تعاطاه وجد منه خفة فى تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبر اكثر من الاول فاعطاه منه شيئا فلما تعاطاه اسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انه لا يخالفه انطلق وجاءه بدواء قاتل واعطاه له فاخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان فى بطنه وتقطعت امعاؤه واصبح ميتا فقام اللصوص اخذوا جميع ما كان للتاجر وانى ايها الملك ما قلت لك هذا الا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاما فتلحقك امور تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فانا لا اخرج اليهم فلما اصبح الصباح اجتمع الناس وجاؤا الى باب الملك وقعدوا الى اكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا الى شماس وقالوا له ايها الفيلسوف الحكيم

ولا اهل الحلم اما نرى هذا الولد جاهل لا يزداد الا تكبرا علينا وان اخراج
الملك من بين يديه واستبدال غيره ممن يقبل الصواب فتنتظم بذلك احوال الناس وتستقيم امورنا
ولكن ادخل اليه انت ايها الوزير واعلمه اننا قد اجتمعنا على القيام عليه ونزع الملك منه الا
احسان والده الينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد
احضرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا باس
والا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس و
دخل على الملك وقال له ايها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه
بنفسك فيا هل ترى من يغريك على هذا فان كنت انت الجاني على نفسك فقد
زال ما نعهده لك من الصلاح والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي
حولك ونقلك من العلم الى الجهل ومن الوفاء الى الجفاء ومن اللين الى القسوة
ومن قبولك مني الى اعراضك عني فكيف انصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي
واشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فاخبرني ما هذه الغفلة وما هذا اللهو
ومن اغواك عليه اعلم ان اهل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك يقتلونك
ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من ايديهم او تقدر على حياة
نفسك بعد قتلها فان كنت اعطيت هذا كله امنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي
وان كانت حاجتك الى الدنيا والملك فافق لنفسك واضبط ملكك واظهر للناس
قوة باسك واعلمهم باعذارك فانهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه الى غيرك
وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك
ومن انكبابك على اللهو والشهوات فان الحجارة اذا طال مكثها في الماء متى اخرجت
منه وضرب بعضها بعضا انقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم
يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك الى غيرك ويبلغون فيك ما يريدونه
من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير شماس قال للملك ويبلغون فيك ما
يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف

كان ذلك قال زعموا ان جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون فى طلب ذلك واذا هم بجمل ميت فقالوا فى انفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمانا طويلا ولكن نخاف ان يبغى بعضنا على بعض ويميل القوى بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغى لنا ان نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيبا فلا يكون للقوى سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون فى شان ذلك واذا بذئب اقبل عليهم فقال بعضهم لبعض ان اصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لانه اقوى الناس وابوه سابقا كان سلطانا علينا ونحن نرجو من الله ان يعدل بيننا ثم انهم توجهوا اليه و اخبروه بما صار اليه رأيهم وقالوا قد حكمناك بيننا لاجل ان تعطى كل واحد منا ما يقوته فى كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغى قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا فاجابهم الذئب الى قولهم وتعاطى امورهم وقسم عليهم فى ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب فى نفسه ان قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علىّ منها شئ الا الجزء الذى جعلوه لى وان اكلته وحدى فهم لا يستطيعون لى ضرا مع انهم غنم لى ولاهل بيتى فمن الذى يمنعنى عن اخذ هذا لنفسى لعل الله مسببه لى بغير جميلة منهم فالاحسن لى ان اختص به دونهم ومن هذا الوقت لا اعطيهم شيئا فلما اصبح الثعالب جاؤا اليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له يا ابا سرحان اعطنا مؤنة يومنا فاجابهم قائلا ما بقى عندى شئ اعطيه لكم فذهبوا من عنده على اسوأ حال ثم قالوا ان الله اوقعنا فى هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذى لا يتقى الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض انما حمله على هذا الامر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفى غد نذهب اليه فلما اصبحوا توجهوا اليه وقالوا له يا ابا سرحان انما وليناك علينا لاجل ان تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوى واذا فرغ تجتهد لنا فى تحصيل غيره ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما اكلنا فاعطنا مؤنتنا وانت فى حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جوابا بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة الا اننا ننطلق الى الاسد ونرمى انفسنا عليه ونجعل

له الجمل فان احسن لنا لشيء منه كان من فضله والا فهو احق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا الى الاسد واخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك فخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدا فلما سمع الاسد كلام الثعالب اخذته الحمية وغار لله تعالى و مضى معهم الى الذئب فلما رأى الذئب الاسد مقبلا طلب الفرار من قدامه فجرى الاسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا ومكن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا انه لا ينبغي لاحد من الملوك ان يتهاون في امر رعيته فاقبل نصيحتي وصدق القول الذي قاله لك واعلم ان اباك قبل وفاته قد اوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام فقال الملك اني سامع منك وفي غد ان شاء الله تعالى اطلع اليهم فخرج شماس من عنده واخبرهم بان الملك قبل نصيحته ووعد انه في غد يخرج اليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولا عن شماس تحققت انه لا بد من خروج الملك الى الرعية اقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما اكثر تعجبي من اذعانك وطاعتك لعبيدك اما تعلم ان وزراءك هؤلاء عبيد لك فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى اوهمتهم انهم هم الذين اعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وانهم اعطوك العطايا مع انهم لم يقدروا ان يفعلوا معك ادنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ امورك فكيف تكون مرعوبا منهم هذا الرعب العظيم وقد قيل اذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح ان تكون ملكا وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع انه ينبغي ان يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد اليك فان انت سارعت لقبول كلامهم واهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم ادنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة فان اطعتني لا ترفع لاحد منهم شانا ولا تقبل لاحد منهم كلاما ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا انه كان رجل راعي غنم في برية وكان محافظا على رعايتهم فاتاه لص ذات ليلة يريد ان يسرق من غنمه شيئا فرآه محافظا عليهم لا ينام ليلا ولا يغفل نهارا فصار يحاوله طول الليلة فلم يظفر منه بشيء فلما اعيته الحيلة انطلق الى البرية واصطاد اسدا وسلخ

جلده وحشاه تبنا ثم اتى به ونصبه على محل عال فى البرية بحيث يراه الراعى ويتحققه ثم اقبل اللص على الراعى وقال له ان هذا الاسد قد ارسلنى اليك يطلب عشاءه من هذه الغنم فقال له الراعى واين الاسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعى رأسه فرأى صورة الاسد فلما رآها ظن انها اسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الراعى لما راى صورة الاسد ظن انها اسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا واخذه الرعب فقال للص يا اخى خذ ما شئت ليس عندى مخالفة فاخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه فى الراعى بسبب شدة خوفه فصار كل قليل يأتى اليه ويرعبه ويقول له ان الاسد يحتاج الى كذا وقصده ان يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعى على هذه الحالة حتى افنى غالب الغنم وانما قلت لك هذا الكلام ايها الملك لئلا يغتر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأى السديد ان يكون موتهم اقرب مما يفعلونه بك فقبل الملك قولها وقال انى قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا اليهم فلما اصبح الصباح اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا الى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فلما وصلوا الى بيت الملك سألوا البواب ان يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة واعلم الملك ان الخلق مجتمعون على الباب وقال له انهم سألونى ان افتح لهم فابيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرنى فقال الملك فى نفسه انى وقعت فى الهلكة العظيمة ثم ارسل خلف المرأة فحضرت فقال ان شماس لم يخبرنى بشىء الا وقد وجدته صحيحا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلى وقتلكم ولما لم يفتح لهم البواب ارسلوا ليحضروا النار يحرقون الابواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك امرهم فان هذا زمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين به علىّ لافعله

ومن الحيلة فى هذا الامر فقالت له الرأى عندى انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر بنفسك انك مريض ثم ترسل الى الوزير شماس فيحضر اليك ويرى حالك الذى انت فيه فاذا حضر فقل له قد اردت الخروج الى الناس فى هذا اليوم فمنعنى هذا المرض فاخرج الى الناس واخبرهم بما انا فيه واخبرهم انى فى غد اخرج اليهم واقضى حوائجهم وانظر فى احوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم واذا اصبحت فاستدع بعشرة من عبيد ابيك يكونون من اهل البأس والقوة وتكون امنا على نفسك منهم ويكونون سامعين لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرك حافظين لودك ثم اوقفهم على رأسك وأمرهم ان لا يمكنوا احدا من الدخول عليك الا واحدا بعد واحد فاذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه واذا اتفقوا معك على ذلك فضع ناصبا كرسيك فى ديوانك وافتح بابك فانهم اذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم واتوا اليك بقلب سليم واستأذنوا فى الدخول عليك فأذن لهم فى الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغى ان تبتدى بقتل شماس الكبير اولهم فانه هو الوزير الاعظم وهو صاحب الامر فاقتله اولا ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحدا بعد واحد ولا تبق منهم من تعرف انه ينكث لك عهدا وكذلك كل من تخاف صولته فانك اذا فعلت بهم ذلك فانهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكاملة ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم انه لا حيلة لك انفع من هذه الحيلة فقال لها الملك ان رأيك هذا سديد وامرك فيه رشيد فلا بد ان اعمل ما ذكرت ثم امر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وارسل الى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت انى لك محب ولرأيك مطيع وانت لى كالاخ والوالد دون كل احد وتعرف انى اقبل منك جميع ما امرتنى به وقد كنت امرتنى بالخروج الى الرعية والجلوس لاحكامهم وتحققت انها نصيحة منك لنا وقد اردت الخروج اليهم بالامس فعرض لى هذا المرض ولست استطيع الجلوس وقد بلغنى ان اهل المملكة متنغصون من عدم خروجى اليهم وهموا ان يفعلوا بى ما لا يليق من شرهم فانهم غير عالمين بما انا فيه من المرض فاخرج اليهم واعلمهم بحالى وما انا فيه واعتذر اليهم عنى فانى تابع لما يقولون وفاعل لما يحبون فاصلح هذا الامر واضمن لهم عنى ذلك فانك نصيح لى ولوالدى من قبلى وعادتك الاصلاح بين الناس وان شاء الله تعالى فى غد اخرج اليهم ولعل مرضى ان يزول عنى فى هذه الليلة ببركة صالح نيتى

وما اضمرته لهم من الخير في سريرتي فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه وفرح بذلك وخرج الى الناس واخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما ارادوه واعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج واخبرهم انه وعده في غد بالخروج اليهم وانه يصنع لهم ما يحبون فانصرفوا عند ذلك الى منازلهم
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شماس خرج الى الدولة وقال لهم ان الملك في غد يخرج اليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا الى منازلهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك فانه بعث الى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة ابيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشان والاحسان اليكم مع لطفه بكم واكرامه اياكم فانا انزلكم بعده عندي في درجة ارفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك وانتم في امان الله مني ولكن اسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لامري فيما اقوله لكم كاتمين لسري عن جميع الناس ولكم مني الاحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم امري فاجابوه العشرة من فم واحد كلام متوارد قائلين جميع ما تأمرنا به ياسيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عما تشير به علينا مطلقا وانت ولي امرنا فقال لهم احسن الله لكم فانا الان اعرفكم سبب اختصاصكم لمزيد الاكرام عندي هو انكم قد علمتم ما كان يفعله ابي باهل مملكته من الاكرام وما عاهدهم عليه من امري واقرارهم له بانهم لا ينكثون لي عهدا ولا يخالفون امري وقد نظرتم ما كان منهم بالامس حيث اجتمعوا جميعا حولي يريدون قتلي وانا اريد ان اصنع بهم امرا وذلك اني نظرت ما كان منهم بالامس فرأيت انه لا يزجرهم عن مثله الا نكالهم فلابد ان اوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرا حتى ادفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد واذن لهم بالدخول علي واحدا بعد واحد وان يدخلوا من باب ويخرجوا من اخر فقفوا انتم العشرة بين يدي فاهمين لاشارتي وكل ما يدخل واحد تأخذوه

وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعا لقولك وطاعة لامرك فعند ذلك احسن اليهم وصرفهم وبات فلما اصبح طلبهم وامر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك واخذ في يده كتابا للقضاء وامر بفتح الباب ففتح واوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادي من كان له حكومة فليحضر الى بساط الملك فاتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم امر بالدخول واحدا بعد واحد فدخل شماس الوزير اولا كما هي عادة الوزير الاكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر الا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وادخلوه البيت وقتلوه واقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وامرهم بحط السيف في من بقي منهم من اهل الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا احدا ممن يعرفون ان له شهامة الا قتلوه ولم يتركوا الا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم باهله ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته واعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من اهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له اني ظفرت بما كنت اريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته واهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في ارضه فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيرا ولا دراية له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا يعضده فانا اليوم افتح معه باب الشر وهو اني اكتب له كتابا واعبث به فيه وابكته على ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوبا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما اوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت وان الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك فاسمع كلامي وامتثل امري وابن لي قصرا منيعا في وسط البحر وان لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفر بنفسك فاني باعث اليك من اقصى الهند اثني عشر كردوسا كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون

رجالك ويسبون حريمك واجعل قائدهم بديعا وزيرى وامره ان يرسخ عليها محاصرا الى ان يملكها وقد امرت هذا الغلام المرسل اليك انه لا يقيم عندك غير ثلثة ايام فان امتثلت امرى نجوت والا ارسلت اليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب واعطاه للرسول فسار به حتى وصل الى تلك المدينة ودخل على الملك واعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه امره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين به ولا من ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شانك ايها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكنى عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما سمعته اخذت فى البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شئ من الرأى والحيلة فى هذا الامر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة فى الحروب والنسا لا قوة لهن ولا رأى لهن وانما القوة والرأى والحيلة للرجال فى مثل هذا الامر فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه فى حق جماعته ورؤساء دولته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل ان يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لى منكن ما وقع للدراج مع السلاحف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا ان سلاحفا كانت فى جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار فاتفق ان دراجا اجتاز بها يوما وقد اصابه الحر والتعب فلما اضر به ذلك حط من طيرانه فى تلك الجزيرة التى بها تلك السلاحف فلما راى السلاحف التجأ اليها ونزل عندها وكانت السلاحف ترعى فى جهات الجزيرة ثم ترجع الى مكانها فلما رجعت من مسارحها الى مكانها رأت الدراج فيه فلما رأته اعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها واحبت هذا الدراج حبا شديدا وفرحت به ثم قال بعضها لبعض لا شك ان هذا من

احسن الطيور فصارت كلها فلاطفه وتجنح اليه فلما رأى منها عين المحبة
مال اليها واستأنس بها وصار يطير الى اى جهة اراد وعند المساء يرجع الى
المبيت عندها فاذا اصبح الصباح يطير الى حيث اراد وصارت هذه عادته
واستمر على هذا الحال مدة من الزمان فلما رأت السلاحف ان غيابه عنها
يوحشها وتحققت انها لا تراه الا فى الليل واذا اصبح طار مبادرا ولا تشعر به
مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض ان هذا الدراج قد احببناه وصار لنا
صديقا وما بقى لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة الى اقامته
عندنا دائما لانه اذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه الا فى الليل
فاشارت عليها واحدة قائلة استريحن يا اخواتى وانا اجعله لا يفارقنا
طرفة عين فقال لها الجميع ان فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيدا فلما حضر
الدراج من مسرحه وجلس بينها تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت
له وهنته بالسلامة وقالت له يا سيدى اعلم ان الله قد رزقك منا
المحبة وكذلك اودع قلبك محبتنا وصرت لنا فى هذا القفر انيسا واحسن
اوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم فى البعد والفراق ولكنك
تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد الينا الا عند الغروب فيصير عندنا وحشة
زائدة وقد شق علينا ذلك كثيرا ونحن فى وجد عظيم بهذا السبب فقال لها الدراج
نعم انا عندى محبة لكن واشتياق عظيم اليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس
سهلا عندى ولكن ما بيدى حيلة فى ذلك لكونى طيرا باجنحة فلا يمكننى المقام
معكن دائما لان هذا ليس من طبعى فان الطير ذا الاجنحة ليس له مستقر الا
فى الليل لاجل النوم واذا اصبح طار وسرح فى اى موضع اعجبه فقالت له السلحفة
صدقت ولكن ذوا الاجنحة فى غالب الاوقات لا راحة له لكونه لا يناله من الخير
ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن
قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من
اعدائك فتهلك ونحرم من رؤيتك وجهك فاجابها الدراج قائلا صدقت ولكن
ما عندك من الرأى والحيلة فى امرى فقالت له الرأى عندى ان تنتف
سواعدك التى تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحا وتأكل من اكلنا و
تشرب من شربنا فى هذه المسرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار ونقيم

نحن وانت فى هذا الموضع المخصب ويتمتع كل منا بصاحبه فمال الدراج الى قولها وقصد الواحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسن من رأي السلحفة واستقر عندهن عائشا معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مرّ عليه فرمقه بعينه وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما راه على تلك الحالة فرح به فرحا شديدا وقال فى نفسه ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن عرس وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السلاحف فلم يجدونه بل تباعدن عنه وانكمشن فى بعضهن لما رأين ابن عرس قابضا عليه وحيث رأين ابن عرس يعذبه خنقهن البكاء عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شيئ غير البكاء فقلن له يا اخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة فى امر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حيوة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب انما الذنب لي حيث اطعتكم ونتفت اجنحتي لتنى طيرانها فانا استحق الهلاك لمطاوعتي لكن ولا الوم لكن فى شيئ وانا الآن لا الوم لكن ايها النساء بل الوم نفسى واود بها حيث لم تتذكر انكن سبب الهفوة التى حصلت من ابينا آدم ولاجلها خرج من الجنة ونسيت انكن اصل كل شر فاطعتكن بجهلى وخطأ رأيي وسوء تدبيرى وقتلت وزرائى وحكام مملكتى الذين كانوا الي نصحاء فى كل الامور وكانوا عزتى وقوتى على كل امر اهمنى فانا الآن لم اجد عوضا عنهم ولا ارى احدا يقوم مقامهم وقد وقعت فى الهلاك العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لام نفسه وقال انا الذى اطعتكن بجهلى وقتلت وزرائى ولم اجد عوضا عنهم يقوم مقامهم وان لم ينعم الله على بمن له رأى سديد يرشد لى الى ما فيه خلاصى وقعت فى الهلكة العظيمة ثم انه قام ودخل مرقده بعد ان نعى الوزراء والحكماء قائلا ياليت هؤلاء الاسود عندى فى هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر اليهم وانظرهم واشكو اليهم امري وما حل بي بعدهم ولم يزل غريقا فى بحر الهم طول نهاره لا يأكل

ولا يشرب فلما جن الليل قام وغير لباسه ولبس ثيابا ردية وتنكر وخرج ليسوح في المدينة لعله يسمع من احد كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف في الشوارع واذا هو بغلامين مختليين بانفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحدا منهما يقول للآخر اسمع يا اخي ما حكاه لي والدي ليلة امس من اجل ما وقع له في زرعه ويبسه قبل اوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة فقال له الآخر اتعرف ما سبب هذا البلاء قال له لا فان كنت تعرفه انت فاذكره لي فاجابه قائلا نعم اعرفه واخبرك به اعلم ان بعض اصحاب والدي قال لي ان ملكنا قد قتل وزرائه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من اجل حبه للنساء وميله اليهن وان الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وامر بقتلهم طاعة لنسائه حتى انه قتل شماس والدي وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسى ان يفعل الله به بعد هلاكهم قال له اعلم ان ملك الهند الاقصى قد استخف بملكنا وبعث اليه كتابا يوبخه فيه ويقول له ابن لي قصرا في وسط البحر وان لم تفعل ذلك فانا ارسل اليك اثني عشر كردوسا كل كردوس فيه مائة الف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بدعا وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاءه رسول ملك الهند الاقصى بهذا الكتاب امهله ثلثة ايام واعلم يا اخي ان ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وباس شديد وفي مملكته خلق كثير وان لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع في الهلكة وبعد هلاك ملكنا ياخذ هذا الملك ارزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابا ومال اليهما وقال في نفسه ان هذا الغلام لحكيم لكونه اخبر عن شيء لم يبلغه مني فان الكتاب الذي جاء من ملك اقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع احد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ولكن انا التجئ اليه واكلمه واسأل الله ان يكون خلاصنا على يديه ثم ان الملك دنا من الغلام بلطف وقال له ايها الولد الحبيب ما هذا الذي ذكرته من اجل ملكنا فانه قد اساء كل الاساءة

في قتل

في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد اساء نفسه ورعيته وانت صدقت فيما قلته ولكن عرفني ايها الولد من اين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب الى ملكنا كتابا وبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب لدي قلته قال له الغلام قد علمت هذا من قول القدماء انه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهرلهم الاسرار الخفية فقال له صدقت ياولدي لكن هل لملكنا حيلة او تدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فاجاب الغلام قائلا نعم ان ارسل الملك الي وسالني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من كيده اخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل اليك ويدعوك فاجابه قائلا اني سمعت عنه انه يفتش على اهل الخبرة والرأي الرشيد واذا ارسل الي سرت معهم اليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وان اهمل هذا الامر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه واردت اني اعلمه بما فيه نجاته وتوجهت اليه من تلقاء نفسي فانه يامر بقتلي مثل اولئك الوزراء وتكون معرفتي به سببا لهلاكي وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي واكون من مضمون قول من قال من كان علمه اكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته وتيقن ان النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك عاد الملك الكلام على الغلام وقال له من اين انت واين بيتك فقال له الغلام ان هذه الحائط توصل الى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم انه ودع الغلام ورجع الى مملكته مسرورا فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء واكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته وفرسانهم ثم تاب الى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلوة الكثيرة بالنذر ودعا باحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وامره ان ينطلق اليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد الى الغلام وقال له ان الملك يدعوك لخير يصل اليك من قبله ويسألك سؤالا ثم تعود في خير الى منزلك فاجاب الغلام قائلا وما حاجة الملك التي دعاني من اجلها قال له الخادم ان حاجة مولاي التي دعاك من اجلها هي سؤال وجواب فقال له الغلام الف سمع والف

طاعة لامر الملك ثم سار معه حتى وصل الى الملك فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد ان سلم عليه فرد الملك عليه السلام وامره بالجلوس فجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما جاء الى الملك وسلم عليه امره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالامس قال الغلام نعم قال له فاين هو فاجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت ايها الحبيب ثم امر الملك بوضع كرسي في جانب كرسيه واجلسه عليه وامر باحضار اكل وشرب ثم امتزجا في الحديث الى ان قال الملك للغلام انك ايها الوزير حدثتني بالامس حديثا وذكرت فيه ان معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره عنا فاخبرني لكي اجعلك اول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا لي واكون تابعا لرأيك في كل ما اشرت به علي واجيزك جائزة سنية فقال له الغلام جائزتك لك ايها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال ايها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت فاجابه الغلام قائلا ان شماس والدي حقا وانا ولده صدقا فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال ايها الغلام اني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم ولكن اسألك ان تكون مسامحا لي واني جاعلك في موضع ابيك واعلي مقاما من مقامه واذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب واركبتك اعز مركوب وامرت المنادي ان ينادي قدامك قائلا هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك واما ما ذكرت من امر النساء فاني اضمرت الانتقام منهن وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالى فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فاجابه الغلام قائلا اعطني عهدا انك لا تخالف رأيي فيما اذكره لك وان اكون مما اخشاه في امان فقال له الملك هذا عهد الله بيني وبينك الى لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني به فعلته

والشاهد بيني وبينك على ما اقول هو الله تعالى فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال ايها الملك ان التدبير والحيلة عندي انك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي امهلته اياها فاذا احضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وامهله الى يوم آخر فعند ذلك يعتذر اليك بان ملكه حدد عليه اياما معلومة ويراجعك في كلامك فاطرده وامهله الى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبانا ويتوجه الى وسط المدينة ويتكلم جهرا بين الناس ويقول يا اهل المدينة اني ساعي ملك الهند الاقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد وقد ارسلني بكتاب الى ملك هذه المدينة وحدد لي اياما وقال ان لم تحضر عقب الايام التي حددتها لك حلت بك نقمتي وها انا جئت الى ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب فلما قراه امهلني ثلاثة ايام ثم يعطيني جواب ذلك الكتاب فاجبته الى ذلك لطفا به ورعاية لخاطره وقد مضت الثلاثة ايام وانتيت اطلب منه الجواب فمهلني الى يوم آخر وانا ليس عندي صبر فها انا منطلق الى سيدي ملك الهند الاقصى واخبره بما وقع لي وانتم ايها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فارسل اليه واحضره بين يديك وكلمه بلطف وقل له ايها الساعي لاتلاف نفسه ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلا ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم ان تأخير الجواب عنك ليس عجزا منا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا وبعد ان تفرغ من قراءته اكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابا له ايضا فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فاعد عليه القول ثانيا وثالثا فيقول لك ليس معي غيره اصلا فقل له ان ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاما يريد به تفويم نفوسنا لاجل ان نتوجه بعسكرنا اليه فنغزو بلاده ونأخذ مملكته ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على اساءة ادبه بهذا المكتوب لانه قاصر العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا ان ننذره اولا ونحذره من ان يعود لمثل هذه الهذيانات

فان خاطر بنفسه وعاد الى مثلها استحق البلاء عاجلا واظن ان الملك الذي ارسلك جاهل احمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد بالرأي يستشيره ولو كان عاقلا لاستشار وزيرا قبل ان يرسل الينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن لم عندي جواب مثل كتابه واز يد وانا ادفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم ارسل الي واطلبني فاذا احضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام وتعجب من حيلته فانعم عليه وخوله رتبة والده وصرفه مسرورا فلما انقضت الثلاثة ايام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فامهله الملك الى يوم آخر فخرج الساعي الى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام ثم خرج الى السوق وقال يا اهل هذه المدينة اني رسول ملك الهند الاقصى الى ملككم جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حددها لي ملكنا ولم يبق لملككم عذر فانتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل الى ذلك الساعي واحضره بين يديه وقال له ايها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلا كتابا من ملك الى ملك وبينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرار الملوك على العامة لقد استحققت منا القصاص ولكن نحن نحتمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق والانسب ان لا يرد له جوابا عنا الا اقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فاخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل ارسلت خلفي لاجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فاجاب بمزيد السمع والطاعة واخرج الدواة والقرطاس وكتب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما اخذ الكتاب وقرأه اخرج في الوقت دواة وقرطاسا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالامان ورحمة

الرحمن اما بعد فاني ايها الملك ايها المدعو ملكا كبيرا اسما لا رسما انه قد وصل الينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليه ولولا ان الرافة اخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك واما رسولك فانه خرج الى السوق ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص لكن ابقيناه رحمة منا له لكونه معذورا معك ولم نترك قصاصه وقارالك فاما ما ذكرته في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فان ذلك حق ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحدا الا وعندي من جنسه الف اعلم منه وافهم واعقل وليس عندي طفل الا وهو ممتلئ من العلوم وعندي عوضا عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدر ان احصيه وكل واحد من عسكري يقاوم كردوسا من عسكرك واما من جهة المال فان عندي معمل الذهب والفضة واما المعادن فانها عندي كقطع الحجارة واما اهل مملكتي فاني لا اقدر ان اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لي قصرا في وسط البحر فان هذا امر عجيب ولعله ناشئ عن سخافة عقلك لانه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات الرياح وانا ابني لك القصر واما زعمك انك تظفر بي فحاش لله من ذلك كيف يبغي علينا مثلك ويظفر بملكنا بل ان الله تعالى اظفرني بك لكونك متعديا وباغيا علي بغير حق فاعلم انك قد استوجبت العذاب من الله ومني ولكن انا اخاف الله فيك وفي رعيتك ولا اركب عليك الا بعد النذارة فان كنت تخشى الله فعجل لي بارسال الخراج هذه السنة والا لا ارجع عن الركوب عليك ومعي الف الف ومائة الف مقاتل كلهم جبابرة بالافيال فاسردهم حول وزيرنا وامره ان يقيم على محاصرتك ثلاثة سنوات نظير الثلاثة ايام التي امهلتها لقاصدك واتملك مملكتك بحيث لا اقتل منها احدا غير نفسك ولا اسبي منها غير حريمك ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها ان هذا الجواب كتبه اصغر اولادي الكتاب ثم ختمه وسلمه الى الملك فاعطاه الملك للساعي فاخذه الساعي وقبل يدي الملك ومضى من عنده شاكرا لله تعالى وللملك على حلمه عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام فلما وصل الى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد ثلاثة ايام المحدودة

له وكان الملك فى ذلك الوقت ناصبا للديوان بسبب تاخير الساعي عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم اعطاه الكتاب فاخذه وسأل الساعي عن سبب ابطائه وعن احوال الملك وردخان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه باذنه فاندهش عقل الملك وقال للساعي ويحك ما هذه الاخبار التى تخبرنى بها عن مثل هذا الملك فاجابه الساعى قائلا ايها الملك العزيز ها انا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذى كتبه فايقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من امره ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته واخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما وصاروا يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم ان بديعا الوزير الكبير قال اعلم ايها الملك ان الذى يقوله اخوتى من الوزراء لا فائدة فيه والرأى عندى انك تكتب لهذا الملك كتابا وتعتذر اليه فيه وتقول له انا محب لك ولوالدك من قبلك وما ارسلنا اليك الساعى بهذا الكتاب الا على طريق الامتحان لك لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والامور العلمية والعملية والرموز الخفية وما انت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل الله تعالى ان يبارك لك فى مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد فى سلطانك حيثما كنت حافظا لنفسك فتتم امور رعيتك وارسله له مع ساع آخر فقال الملك والله العظيم ان فى هذا لعجبا عظيما كيف يكون هذا ملكا عظيما معتدا للحرب بعد قتله لعلماء مملكته واصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة واعجب من هذا ان صغار مكانتها يردون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن انا بسوء طمعى اشعلت هذه النار علىّ وعلى اهل مملكتى ولا ادري من يطفئها الا رأي وزيرى هذا ثم انه جهز هدية ثمينة وخدما وحشما كثيرة وكتب كتابا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ايها الملك العزيز وردخان ولد الاخ العزيز جليعاد رحمه الله وابقاك لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأله ان يعلي شانك ويشيد اركان مملكتك وينصرك على اعدائك الذين يريدون بك السوء واعلم ايها الملك ان اباك كان لي

اخا وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حيوته وما كان يرى منا الا الاخير وكنا نحن كذلك لا نرى منه الا الاخير ولما توفي وجلست انت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك واكابر دولتك خشينا ان يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن انك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملا لامور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك به فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وارسلها اليه مع مائة فارس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الهند الاقصى لما جهز الهدية الى الملك وردخان ارسلها له مع مائة فارس فساروا الى ان اقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم اعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم انزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له واكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم ارسل الى الغلام ابن شماس واحضره بين يديه واكرمه وارسل الى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذي احضره من ملكه واعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سرورا كبيرا وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر اليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره الملك على ذلك واكرمه اكراما زائدا واعطاه واعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وامر الغلام ان يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب واحسن الخطاب واوجز في باب الصلح وذكر ادب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تمم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك اقرأه ايها الولد العزيز لكي نعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه الى رئيس المائة فارس وصرفه وارسل معه من عسكره طائفة توصلهم الى اطراف بلادهم هذا ما كان من امر الملك والغلام واما ما كان من امر رئيس المائة فانه اندهش عقله مما

راه من امر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم انه سار الى ان وصل الى ملك اقصى الهند وقدم اليه الهدايا والتحف واوصل اليه العطايا وناوله الكتاب واخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وشكر الله تعالى واكرم رئيس المائة فارس وشكر همته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في امن وامان وطمأنينة وزيادة انشراح هذا ما كان من امر ملك اقصى الهند واما ما كان من امر الملك ورد خان فانه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب الى الله توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته الى صلاح مملكته والنظر بخوف الله الى رعيته وجعل ولد شماس وزيرا عوضا عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده في المملكة وكاتما لسره وامر بزينة مدينته سبعة ايام وكذلك بقية المدائن وفرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنهم واستبشروا بالعدل والانصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي ازال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأي عندك في اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها الى ما كانت عليه اولا من وجود الرؤساء والمدبرين فعند ذلك اجابه الوزير قائلا ايها الملك العزيز الشان الرأي عندي انك قبل كل شيء تبتدئ بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء لانك ان رجعت الى اصل المعاصي تكون الضلالة الثانية اشد من الاولى فقال الملك وما هو اصل المعاصي التي ينبغي ان اقلع عنها فاجابه ذلك الوزير الذي لصغير السن الكبير العقل قائلا ايها الملك الكبير اعلم ان اصل المعصية اتباع هوى النساء والميل اليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن لان محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بامعان النظر لوجدت لك ناصحا من نفسك واستغنيت عن قولي جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لان الله تعالى امر بعدم الاكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده يا ولدي اذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك وبالجملة فالاستكثار منهن يفضي

الى حبهن وحبهن يفضي الى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط احدا من الملوك التي تقدمت مثل ما اعطاه فكانت النساء سببا لهفوة والده ومثل هذا كثير ايها الملك وانما ذكرت لك سليمان لتعرف انه ليس لاحد ان يملك مثل ما ملك حتى اطاعه جميع ملوك الارض واعلم ايها الملك ان شهوة النساء اصل كل شر وليس لاحدهن رأي فينبغي للانسان ان يأخذ منهن على قدر الضرورة ولا يميل اليهن كل الميل فان ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فان اطعت قولي ايها الملك استقامت لك جميع امورك وان تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فاجابه الملك قائلا لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل اليهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك وردخان لما قال لوزيره اني قد تركت ما كنت فيه من الميل اليهن واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعا ولكن ماذا اصنع فيهن جزاء على ما فعلن لان قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا اعرف كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلا وااسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الصائبة الرشيدة فاجابه الوزير قائلا اعلم ايها الملك ان الذنب ليس للنساء وحدهن لانهن مثل بضاعة مستحسنة تميل اليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبر احدا على الشراء لكن الذنب لمن اشترى وخصوصا اذا كان عارفا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فاجابه الملك اني اوجبت على نفسي الذنب كما قلت ايها الوزير ولا عذر لي الا التقادير الالهية فقال الوزير اعلم ايها الملك ان الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا ارادة واختيارا فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صوابا لانه تعالى لا يأمرنا الا بالخير على سائر الاحوال

وانما ينهانا عن الشيء ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صوابا كان او خطأ فقال له الملك صدقت وانما كان خطأي مني لميلي الى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مرارا وحذرني والدك شماس مرارا فغلبت نفسي على عقلي فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالبا على شهوات نفسي فاجاب الوزير نعم اني ارى شيئا يمنعك من ارتكاب هذا الخطأ وهو انك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع الى سيرة الملك العادل ابيك وتعلم ما يجب عليك من حقوق الله تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الامور وتنعزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والانصاف والخضوع وتمتثل امر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لانه اذا دام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهابا عند كل من يراك وتتلاشى اعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولا وعند خلقه مهابا محبوبا فقال له الملك لقد احييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجلوت عن بصيرتي بعد العمى وانا عازم على ان افعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى واترك ما كنت عليه من البغي والشهوات واخرج نفسي من الضيق الى السعة ومن الخوف الى الامن وينبغي ان تكون بذلك فرحا مسرورا لاني صرت لك ابنا مع كبر سني وصرت انت لي والدا حبيبا على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرني به وانا اشكر فضل الله تعالى وفضلك فان الله تعالى اولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي وغمي وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك باشرف معرفتك وحسن تدبيرك فانت الآن مدبر ملكي لا اتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكلما تفعله جائز علي ولا راد لكلمتك وان كنت صغير السن لانك كبير العقل كثير المعرفة فاشكر الله الذي جعلك لي حتى هديتني الى سبيل الاستقامة بعد الاعوجاج المهلك قال الوزير ايها الملك السعيد اعلم انه لا فضل لي عليك في بذل النصيحة لك لان قولي وفعلي من بعض ما يلزمني حيث كنت غرس نعمتك وليس هكذا انا وحدي بل والدي من قبلي مغمور بجزيل نعمتك فنحن الجميع مقرون بجميلك وفضلك فكيف لا نقر بذلك وانت ايها الملك راعينا

وحاكمنا ومحارب عن اعدائنا ومتولى حفظنا وحارسنا وباذل جهدك في سلامتنا وانا لو بذلنا ارواحنا في طاعتك لم نقم بواجب شكرك ولكن نتضرع الى الله تعالى الذي ولاك علينا وحكمك فينا ونسأله ان يهب لك العمر الطويل ويمنحك النجاح في جميع اعمالك ولا يمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مرادك ويجعلك مهابا الى حين مماتك ويمد طول باعك بالكرم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ويوجد بك في مملكتك كل عالم وشجاع ويرفع شأنها كل خاص وعام ويرفع عن رعيتك الغلاء والبلاء ويزيل بينهم البغضاء والحنق ويمنحك من الدنيا رفاهيتها ومن الآخرة بعد ذلك سعادتها وكرمه وخفي لطفه آمين انه على كل شيء قدير وليس عليه امر عسير واليه المرجع والمصير فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال اليه كل الميل وقال له اعلم ايها الوزير انك صرت عندي في مقام الاخ والولد والوالد وليس يفصلني منك الا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وان لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضا عني فانت اولى من جميع اهل مملكتي فاولّيك ملكي بحضرة اكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي ان شاء الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ورد خان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني واجعلك ولي عهدي من بعدي واشهد على ذلك اكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فامره ان يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليه واجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر ان يجتمع الامراء والقواد والحجاب وسائر ارباب الخدم الى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديوانا عظيما وسماطا لم يعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ واكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطى العلماء عطايا وافرة ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم عليه وامره ان ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم اكبرهم سنا واكملهم عقلا واكثرهم دراية واسرعهم حفظا

ورأى من هذه الصفة ستة اشخاص فقدمهم الى الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلا انتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم او يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه ابدا ولو كان هو اصغركم سنا لانه اكبركم عقلا ثم ان الملك اجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى عليهم الارزاق والنفقة ثم امرهم ان ينتخبوا من اكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء الوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات واجرى اليهم الارزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك في اسرع وقت وامرهم ايضا ان ينعموا على بقية من حضر بالانعامات الجزيلة وان يصرفوا كل واحد الى ارضه بغنى واكرام وامر عماله بالعدل في الرعية واوصاهم بالشفقة على الفقراء والاغنياء وامر باسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم فدعا له الوزراء بدوام العز والبقاء ثم انه امر بزينة المدينة ثلاثة ايام شكرا لله تعالى على ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من امر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وامرائها و عمالها واما ما كان من امر النساء المحظيات من السراري وغيرهن اللاتي كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فانه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى الى محله واستقامت امورهم امر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس ان يحضر بقيه الوزراء فلما حضروا جميعا بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا ايها الوزراء اني كنت حائدا عن الطريق المستقيم مستغرقا في الجهل معرضا عن النصيحة ناقضا للعهود والمواثيق مخالفا لاهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن اياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لاني كنت اظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فاذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندي انهن لم يردن لي الا الهلاك والتلف فقد استحقين العقوبة والجزاء مني على جهة العدل حتى اجعلهن عبرة لمن اعتبر لكن فما الرأي السديد في اهلاكهن فاجابه الوزير ابن شماس قائلا ايها الملك العظيم الشان انني قلت لك اولا ان الذنب ليس مختصا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعوهن لكن النساء

يستوجبن

يستوجبن الجزاء على كل حال لامرين الاول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن اك ودخولهن فيما لا يعنيهن وما لا يصلحن للتكلم فيه فهن احق بالهلاك ولكن كفاهن ماهو نازل بهن ومن الآن اجعلهن بمنزلة الخدم والاماليك في ذلك وغيره ثم ان بعض الوزراء اشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم على الملك وسجد له وقال ادام الله ايام الملك ان كان لابد ان تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما اقوله لك فقال الملك ما الذي تقوله لي فقال له الاصوب ان تأمر احدى محاظيك بان تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر ان يعطى لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك ابدانهن ولا يؤذن اليهن في الخروج من ذلك الموضع اصلاً وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها الى ان يمتن عن آخرهن وهذا اقل جزائهن لانهن كن سبباً لهذه الفتنة العظيمة بل واصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان وصدق عليهن قول القائل ان من حفر بئراً لاخيه وقع فيه ولو طالت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قاله وارسل خلفه اربع محظيات جبارات وسلم اليهن النساء وامرهن ان يدخلنهن محل القتلى ويسجنهن فيه واجرى لهن طعاماً دنياً قليلاً وشراباً ردياً قليلاً فكان من امرهن انهن حزن حزناً عظيماً وندمن على ما فرط منهن وتأسفن تأسفاً كثيراً واعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي واعد لهن العذاب في الآخرة ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة في جميع البلاد والاقطار وهذا ما انتهى اليه امر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الامم ومحي الرمم المستحق للتجليل والاعظام والتقديس على الدوام

ومما يحكى

ايضاً ان رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان احدهما صباغاً واسمه ابو قير وكان الثاني مزيناً واسمه ابو صير وكانا جارين لبعضهما في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصاباً كذاباً

صاحب شي فوى كانما صدغ بخوت من الجلمود او شنق من عتبة كنيسة اليهود لا ينتخي من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته انه اذا اعطاه احد قماشا لصبغه يطلب منه الكرى اولا ويوهمه انه يشتري به اجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكرى مقدما فاذا اخذه منه يصرفه على اكل وشرب ثم يبيع القماش الذي اخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الاكل والشرب وغير ذلك ولا ياكل الا اطيب من افخر المأكول ولا يشرب الا من اجود ما يذهب العقول فاذا اتاه صاحب القماش يقول له في غد تجيء الي من قبل الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه يوم من يوم قريب ثم ياتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له تعال في غد فاني امس ما كنت فاضيا لانه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفي غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغا فيروح ويأتيه في ثالث يوم فيقول له اني كنت امس معذورا لان زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وانا اقضي مصالح ولكن في غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة اخرى من حيث كان ويحلف له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصباغ صار كلما اتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يوعده ويحلف اذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فاني لا اريد صباغا فيقول والله يا اخي انا مستحي منك ولكن اخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في امتعتهم فيقول له اخبرني ماذا حصل فيقول اما حاجتك فاني صبغتها صباغا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا ادري من سرقها فان كان صاحب الحاجة من اهل الخير يقول له يعوضني الله علي وان كان من اهل الشر يستمر معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيئا ولو اشتكاه الى الحاكم ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم بعضا من ابي قير ويضربون به الامثال وامتنعوا عنه جميعا وصار لا يقع معه الا الجاهل بحاله ومع ذلك لا بد له كل يوم من جرسة وهتيكة مع

خلق الله تعالى فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتي الى دكان جاره المزين
ابي صير ويقعد في داخلها قصاد المصبغة وينظر الى باب المصبغة فان رأى
احدا جاهلا بحاله واقفا على باب المصبغة ومعه شيء يريد صباغه يقوم من دكان
المزين ويقول مالك يا هذا فيقول له خذ اصبغ لي هذا الشيء فيقول له اي لون
تطلبه لانه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده ان يصبغ سائر الالوان
ولكنه لم يصدق مع احد ابدا والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له
هات الكرى قدام وفي غد تعال خذها فيعطيه الاجرة ويروح وبعد ان يتوجه
صاحب الشيء الى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب الى السوق فيبيعه و
يشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج اليه واذا رأى احدا
واقفا بالدكان من الذين اعطوه حوائج ليصبغها لا يظهر اليه ولا يريه نفسه
ودام على هذه الحالة سنين فاتفق له في يوم من الايام انه اخذ حاجة من رجل
جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء اليه في كل يوم فلم يره في الدكان
لانه متى رأى احدا له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين ابي صير فلما لم
يجده ذلك الجبار في دكانه واعياه ذلك ذهب الى القاضي واتاه برسول من
طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لانه لم ير فيها
غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيئا يقوم مقام حاجته ثم اخذ الرسول
المفتاح وقال للجيران قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح
دكانه ثم ذهب الرجل والرسول الى حالهما فقال ابو صير لابي قير ما داهيتك
فان كل من جاءك بحاجة تعدمه اياها اين راحت حاجة هذا الرجل الجبار
قال يا جاري انها سرقت مني قال ابو صير عجائب كل من اعطاك حاجة تسرقها
منك لص هل انت معاد جميع اللصوص ولكن اظن انك تكذب فاخبرني
بقصتك قال يا جاري ما احد سرق مني شيئا قال ابو صير وما تفعل بمتاع
الناس فقال له كل من اعطاني حاجة ابيعها واصرف ثمنها قال له ابو صير
ايحل لك هذا من الله قال له ابو قير انما افعل هذا من الفقر لان صنعتي
كاسدة وانا فقير وليس عندي شيء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب
وصار ابو صير يذكر له كساد صنعته ايضا ويقول له انا اسطى ليس لي نظير
في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي احد لكوني رجلا فقيرا وكرهت

هذه الصنعة يا اخي فقال له ابو قير الصباغ وانا ايضا كرهت صنعتي من الكساد ولكن يا اخي ما الداعي لاقامتنا في هذه البلد فانا وانت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في ايدينا رائجة في جميع البلاد فاذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ولا زال ابو قير يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لا زال يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وفرح ابو قير بان ابا صير رغب في ان يسافر وانشد قول الشاعر

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَا ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ
وَإِنْ قِيلَ فِي الأَسْفَارِ غَمٌّ وَكُرْبَةٌ ... وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ
فَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ ... بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

وحين عزما على السفر قال ابو قير لابي صير يا جاري نحن صرنا اخوين ولا فرق بيننا فينبغي اننا ان نقرأ الفاتحة على ان عاملنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق فاذا رجعنا الى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والانصاف قال ابو صير وهو كذلك وقرأ فاتحة على ان العامل يكتسب ويطعم البطال ثم ان ابا صير قفل الدكان واعطى المفاتيح لصاحبها وابو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة واخذا مصالحهما واصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما اسعاف ومن تمام سعد المزين ان جميع من كان في الغليون لم يكن معهم احد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا اخي هذا بحر نحتاج فيه الى الاكل والشرب وليس معنا الا قليل زاد وربما يقول لي احد تعال يا مزين احلق لي فاحلق له برغيف او بنصف فضة او بشربة ماء فانتفع بذلك انا وانت فقال له الصباغ لا باس ثم حط راسه ونام وقام المزين واخذ

عدته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لانه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا اسطى احلق لي فحلق له فلما حلق لذلك الرجل اعطاه نصف فضة فقال له المزين يا اخي ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت اعطيتني رغيفا كان ابرك لي في هذا البحر لان لي رفيقا وزاده شيء قليل فاعطاه رغيفا وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلوا فاخذ ذلك واتى الى ابي قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة فاخذ ذلك منه واكل وشرب ثم ان ابا صير المزين بعد ذلك حمل عدته واخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في العليون بين الركاب فحلق لانسان برغيفين وللآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق لي يا اسطى يشترط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلثين رغيفا وثلثين نصفا فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه اياها حتى صار عنده شيء كثير وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر فقال له القبطان مرحبا بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملا هما ما دمتما مسافرين معنا ثم رجع الى الصباغ فرآه لم يزل نائما فايقظه فلما افاق ابو قير رأى عند رأسه شيئا كثيرا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من اين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فاراد ان يأكل فقال له ابو صير لا تأكل يا اخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت آخر واعلم اني حلقت للقبطان وشكوت اليه قلة الزوادة فقال لي مرحبا بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي فاول عشاءنا عند القبطان في هذه الليلة فقال له ابو قير انا دائخ من البحر ولا اقدر ان اقوم من مكاني فدعني اتعشى من هذا الشيء ورح انت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل ويبتلعها ابتلاع الفيل الذي له ايام ما اكل ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول واذا بنوتي جاء وقال يا اسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال ابو صير لابي قير اتقوم بنا فقال له انا لا اقدر على المشي فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسا وقدامه سفرة فيها

عشرون لونا او اكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له اين رفيقك فقال له ياسيدي انه دائخ من البحر فقال له القبطان لا باس عليه سيزول عنه الدوخة تعال انت تعش معنا فانى كنت فى انتظارك ثم ان القبطان عزل صحن كباب وحط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة وبعد ان تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك الى رفيقك فاخذه ابو صير واتى به الى ابي قير فرآه يطحن بانيابه فيما عنده من الاكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له ابو صير اما قلت لك لا تأكل فان القبطان خيره كثير فانظر اى شيء بعث اليك لما اخبرته بانك دائخ فقال له هات فناوله الصحن فاخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الاكل مثل الكلب الكاشر او السبع الكاسر او الرخ اذا انقض على الحمام او الذي كاد ان يموت من الجوع ورأى شيأ من الطعام وصار يأكل فتركه ابو صير وراح الى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع الى ابي قير فرآه قد اكل جميع ما فى الصحن ورماه فارغا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا صير لما رجع الى ابي قير رآه قد اكل ما فى الصحن ورماه فارغا فاخذه واوصله الى بعض اتباع القبطان ورجع الى ابي قير ونام الى الصباح فلما كان ثانى الايام صار ابو صير يحلق وكلما جاءه شيء يعطيه لابي قير وابو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم الا لازالة الضرورة وكل ليلة يأتى له بصحن ملآن من عند القبطان واستمرا على هذه الحالة عشرين يوما حتى رسا الغليون على مينة مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة واخذا لهما حجرة فى خان وفرشها ابو صير واشترى جميع ما يحتاجون اليه وجاء بلحم وطبخه وابو قير نائم من حين دخل الحجرة فى خان ولم يستيقظ حتى ايقظه ابو صير ووضع السفرة بين يديه فلما افاق اكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فانى دائخ ثم نام واستمر على هذه الحالة اربعين يوما وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور فى المدينة فيعمل بالذى فيه النصيب ويرجع فيجد ابا قير نائما فينبهه وحين ينتبه يقبل على الاكل بلهفة فيأكل

اكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة اربعين يوما اخرى وكلما يقول له ابو صير اجلس ارتح واخرج تفسح في المدينة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن يقول له ابو قير الصباغ لا تؤاخذني فاني دائخ فلا يرضى ابو صير المزين ان يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفي اليوم الحادي والاربعين مرض المزين ولم يقدر ان يسرح فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتهما واتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وابو قير يأكل وينام وما زال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة اربعة ايام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه واما ابو قير فانه احرقه الجوع فقام وفتش في ثياب ابي صير فرأى معه مقدارا من الدراهم فاخذه وقفل باب الحجرة على ابي صير ومضى ولم يعلم احدا وكان البواب في السوق فلم يره حين خروجه ثم ان ابا قير عمد الى السوق وكسا نفسه ثيابا نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها ابيض وازرق من غير زيادة فاتى الى صباغ فرأى جميع ما في دكانه ازرق فاخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ اجرتك فقال له ان اجرة صباغ هذه عشرون درهما فقال له نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين فقال له رح اصبغها في بلادكم واما انا فلا اصبغها الا بعشرين درهما لا انقص عن هذا القدر شيئا فقال له ابو قير اي لون تريد صبغها قال له الصباغ اصبغها زرقاء قال له ابو قير انا مرادي ان تصبغها لي حمراء قال له لا ادري صباغ الاحمر قال خضراء قال لا ادري صباغ الاخضر قال صفراء قال له لا ادري صباغ الاصفر وصار ابو قير يعدد له الالوان لونا بعد لون فقال له الصباغ نحن في بلادنا اربعون معلما لا يزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا واذا مات منا واحد نعلم ولده وان لم يخلف ولدا نبقى ناقصين واحدا والذي له ولدان نعلم واحدا منهما فان مات علمنا اخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف ان نصبغ غير الازرق من غير زيادة فقال له ابو قير الصباغ اعلم اني انا صباغ واعرف ان اصبغ سائر الالوان ومرادي ان تخدمني عندك بالاجرة وانا اعلمك جميع الالوان لاجل ان تفتخر بها على كل طائفة الصباغين فقال له نحن لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا ابدا فقال له واذا فتحت لي مصبغة وحدي قال له لا يمكنك ذلك ابدا فتركه وتوجه الى الثاني

فقال له كما قال له الاول ولم يزل ينتقل من صباغ الى صباغ حتى طاف على الاربعين معلما فلم يقبلوه لا اجيرا ولا معلما فتوجه الى شيخ الصباغين واخبره فقال له اننا لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا فحصل عند ابي قير غيظ عظيم وطلع يشكو الى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان انا غريب وصنعتي الصباغة وجرى لي مع الصباغين ما هو كذا وكذا وانا اصبغ الاحمر الوانا مختلفة كوردي وعنابي والاخضر الوانا مختلفة كزرعي وفستقي وزيتي وجناح الدرة والاسود الوانا مختلفة كفحمي وكحلي والاصفر الوانا مختلفة كنارنجي وليموني وصار يذكر له سائر الالوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين في مدينتك لا يخرج من ايديهم ان يصبغوا شيئا من هذه الالوان ولا يعرفون الا صباغ الازرق ولم يقبلوني ان اكون عندهم معلما ولا اجيرا فقال له الملك قد صدقت في ذلك ولكن انا افتح لك مصبغة واعطيك راس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه ثم امر البنائين وقال لهم امضوا مع هذا المعلم وشقوا انتم واياه في المدينة واي مكان اعجبه فاخرجوا صاحبه منه سواء كان دكانا او خانا او غير ذلك وابنوا له مصبغة على مراده ومهما امركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم ان الملك البسه بدلة مليحة واعطاه الف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية واعطاه مملوكين من اجل الخدمة وحصانا بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه امير واخلى له الملك بيتا وامر بفرشه ففرشوه له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك اخلى بيتا لابي قير وامر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشق في المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتأمل حتى اعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فاخرجوا صاحبه منه واحضروه الى الملك فاعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار ابو قير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر الى الملك واخبره بان المصبغة تم بناؤها وانما يحتاج لثمن الصباغ من اجل ادارتها فقال له الملك خذ هذه الاربعة الالف دينار واجعلها راس

مال وارني ثمرة مصبغتك فأخذها ومضى الى السوق فرأى لنيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج اليه من حوائج الصباغ ثم ان الملك ارسل اليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الالوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيئاً عجيباً عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الالوان فيقول لهم هذا احمر وهذا اصفر وهذا اخضر ويذكر لهم اسامي الالوان فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا و هذا وخذ ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك اخذه وطلع به الى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وانعم عليه انعاما زائدا وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة ثم انه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر واحد منهم ان يتكلم معه وانما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون انفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدماء عندك فلم يرض ان يقبل واحدا منهم وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالا كثيرا هذا ما كان من امر ابي قير واما ما كان من امر ابي صير فانه لما قفل عليه ابو قير باب الحجرة بعد ان اخذ دراهمه راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرميا في تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر كذلك ثلاثة ايام فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولا ولم ير احدا من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرا فقال في نفسه لعلهما سافرا ولم يدفعا اجرة الحجرة او ماتا او ما خبرهما ثم انه اتى الى باب الحجرة فرآه مقفولا وسمع انين المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة ففتح الباب ودخل فرأى المزين يئن فقال له لا بأس عليك اين رفيقك فقال له والله اني ما فقت من مرضي الا في هذا اليوم وصرت انادي وما احد يرد علي جوابا بالله عليك يا اخي ان تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة انصاف وتشتري لي بها شيئاً اقتات به فاني في غاية الجوع فمد يده واخذ الكيس فرآه فارغا فقال للمزين ان الكيس فارغ ما فيه شيء فعرف ابو صير المزين ان ابا قير اخذ ما فيه وهرب فقال له اما رأيت رفيقي

فقال له من مدة ثلاثة ايام ما رأيته وما كنت اظن الّا انك سافرت انت واياه فقال له المزين ما سافرنا وانما طمع في فلوسي فاخذها وهرب حين رآني مريضا ثم انه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا بأس عليك وهو يلقى فعله من الله ثم ان بواب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحنا واعطاه اياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به ثم قام على اقدامه وقال لبواب الخان ان اقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلت معي من الخير ولكن لا يجازي الّا الله من فضله فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية انا ما فعلت معك ذلك الّا ابتغاء وجه الله الكريم ثم ان المزين خرج من الخان وشق في الاسواق فاتت به المقادير الى السوق الذي فيه مصبغة ابي قير فرأى الاقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلا من اهل المدينة و قال له ما هذا المكان ومالي ارى الناس مزدحمين فقال له المسئول ان هذه مصبغة السلطان التي انشأها لرجل غريب اسمه ابو قير وكلما صبغ ثوبا نجتمع عليه ونتفرج على صباغه لان بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صباغ هذه الالوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى واخبره بما جرى بين ابي قير وبين الصباغين وانه شكاهم الى السلطان فاخذ بيده و بنى له هذه المصبغة واعطاه كذا وكذا واخبره بكل ما جرى ففرح ابو صير وقال في نفسه الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن انت عملت معه معروفا واكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك واكرمك في نظير ما اكرمته ثم انه تقدم الى جهة باب المصبغة فرأى ابا قير جالسا على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه اربعة عبيد واربعة مماليك بيض لابسين افخر الملابس و رأى الصنايعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لانه حين اشتراهم علمهم صنعة الصباغة وهو قاعد بين المخدات كأنه وزير اعظم او ملك افخم لا يعمل شيئا بيده وانما يقول لهم افعلوا كذا وكذا فوقف ابو صير قدامه وهو يظن انه اذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين في العين قال له ابو قير يا خبيث كم مرة وانا اقول لك لا تقف في باب هذا الدكان هل

مرادك ان تفضحني مع الناس يا حرامي امسكوه فجرت خلفه العبيد فقبضوا عليه وقام ابو قير على حيله واخذ عصى وقال ارموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال له يا خبيث يا خائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقفا على باب هذه المصبغة ارسلتك الى الملك في الحال فيسلمك الى الوالي ليرمي عنقك امش لا بارك الله لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والتذبيل فقال الحاضرون لابي قير الصباغ اي شيء عمل هذا الرجل فقال لهم انه حرامي يسرق قماش الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير ضرب ابا صير وطرده وقال للناس ان هذا حرامي يسرق اقمشة الناس فانه سرق مني كم مرة من القماش وانا اقول في نفسي سامحه الله فانه رجل فقير ولم ارض ان اشوش عليه واعطي الناس ثمن اقمشتهم وانهاه بلطف فلم ينته فان رجع مرة غير هذه المرة ارسلته الى الملك فيقتله ويريح الناس من اذاه فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من امر ابي قير واما ما كان من امر ابي صير فانه رجع الى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به ابو قير ولم يزل جالسا حتى برد عليه الضرب ثم خرج وشق في اسواق المدينة فخطر بباله انه يدخل الحمام فسأل رجلا من اهل المدينة وقال له يا اخي من اين طريق الحمام فقال له وما يكون الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الاوساخ وهو من اطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال انا مرادي الحمام قال له نحن لم نعرف الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح الى البحر حتى الملك اذا اراد ان يغتسل فانه يروح الى البحر فلما علم ابو صير ان المدينة لم يكن فيها حمام واهلها لا تعرف الحمام ولا كيفيته مضى الى ديوان الملك ودخل عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له وقال له انا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك واردت الذهاب الى الحمام فما رأيت فيها ولا حماما واحدا والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع انه من احسن نعيم الدنيا فقال له الملك اي شيء

يكون الحمام فصار يحكي له اوصاف الحمام وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة الا اذا كان بها حمام فقال له الملك مرحبا بك والبسه بدلة ليس لها نظير واعطاه حصانا وعبدين ثم انعم عليه باربع جوار ومملوكين وهيأ له دارا مفروشة واكرمه اكثر من الصباغ وارسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماما فاخذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى اعجبه مكان فاشار لهم عليه فبدؤوا فيه البناية وصار يرشدهم الى كيفيته حتى بنوا له حماما ليس له نظير ثم امرهم بنقشه فنقشوه نقشا عجيبا حتى صار بهجة للناظرين ثم طلع الى الملك واخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له انه لم يكن ناقصا غير الفرش فاعطاه الملك عشرة آلاف دينار فاخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ويحتار فكره في نقشه وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا يتفرجون عليه ويقولون اي شيء هذا فيقول لهم ابو صير هذا حمام فيتعجبون منه ثم انه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلا في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من اهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فاعطاه عشرة مماليك مثل الاقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزبائن هكذا ثم اطلق البخور وارسل مناديا ينادي في المدينة ويقول يا خلق الله عليكم بالحمام فانه يسمى حمام السلطان فاقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك ان يغسلوا اجساد الناس وصار الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون في الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم ابو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا اجرة مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع عزم الملك الى الحمام فركب هو واكابر دولته وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل فدخل ابو صير وكيس الملك واخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة وبعد ان غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه ثم بعد ذلك اجلسه في الليوان وصارت المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود الند فقال الملك يا معلم اهذا هو الحمام قال نعم فقال له وحياة رأسي ان مدينتي ما صارت مدينة الا بهذا

الحمام ثم قال له ابن تأخذ على كل رأس اي شيء اجرة قال ابو صبير الذي تأمرلي به آخذه فامر له بالف دينار وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه الف دينار فقال له العفو يا ملك الزمان ان الناس ليسوا سواء بل فيهم الغني وفيهم الفقير واذا اخذت من كل واحد الف دينار يبطل الحمام فان الفقير لا يقدر على الالف دينار فقال الملك وكيف تفعل في الاجرة قال اجعل الاجرة بالمروة فكل من يقدر على شيء وسمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل انسان على قدر حاله فان الامر اذا كان كذلك تأتي الينا الخلائق والذي يكون غنيا يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيرا يعطي على قدر ما تسمح به نفسه فاذا كان الامر كذلك يدور الحمام ويبقى له شان عظيم واما الالف دينار فانما عطية الملك ولا يقدر عليها كل احد فصدق عليه اكابر الدولة وقالوا هذا هو الحق يا ملك الزمان أتحسب ان الناس كلهم مثلك ايها الملك العزيز قال الملك ان كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير واكرامه واجب علينا فانه عمل في مدينتنا هذا الحمام الذي عمرنا ما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن الا به فاذا اكرمناه بزيادة الاجرة ما هو كثير فقالوا اذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك واكرام الفقير من الملك بقلة اجرة الحمام لاجل ان تدعو لك الرعية واما الالف دينار فنحن اكابر دولتك ولا تسمح انفسنا باعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء فقال الملك يا اكابر دولتي كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكا وجارية وعبدا فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه الا ما تسمح به نفسه فقال لا بأس بذلك فجعلت الاكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكا وعبدا وكان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم اربعمائة نفس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك في ذلك اليوم اربعمائة نفس فصار جملة ما اعطوه من الدنانير اربعين الف دينار ومن المماليك اربعمائة مملوك ومن العبيد اربعمائة

عبد ومن الجوارى اربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية واعطاه الملك
عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشر جوار وعشرة عبيد فتقدم ابو صير
وقبل الارض بين ايادى الملك وقال له ايها الملك السعيد صاحب الرأى
الرشيد اى مكان يسعنى بهذه المماليك والجوارى والعبيد فقال له الملك
انا ما امرت دولتى بذلك الا لاجل ان نجمع لك مقدارا عظيما من المال
لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم واردت السفر الى
اوطانك فتكون اخذت من بلادنا مقدارا جسيما من المال تستعين به
على وقتك فى بلادك قال يا ملك الزمان اعزك الله ان هذه المماليك
والجوارى والعبيد الكثيرة شان الملوك ولو كنت امرت لى بمال نقد
لكان خيرا لى من هذا الجيش فانهم يأكلون ويشربون ويلبسون ومهما
حصل لى من المال لا يكفيهم فى الانفاق عليهم فضحك الملك وقال والله
انك قد صدقت فانهم صاروا عسكرا جرارا وانت ليس لك مقدرة
على الانفاق عليهم ولكن اتبيعهم لى كل واحد بمائة دينار فقال بعتك اياهم
بهذا الثمن فارسل الملك الى الخازندار ليحضر له المال فاحضره واعطاه
ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك انعم بهم على اصحابهم وقال كل من
يعرف عبده او جاريته او مملوكه فليأخذه فانهم هدية منى اليكم فامتثلوا
امر الملك واخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال ابو صير اراحك الله يا ملك
الزمان كما ارحتنى من هولاء الغيلان الذين لا يقدر ان يشبعهم الا الله فضحك
الملك من كلامه وصدق عليه ثم اخذ اكابر دولته وذهب من الحمام الى سرايته
وبات تلك الليلة ابو صير وهو يصود الذهب ويضعه فى الاكياس ويختم عليه
وكان عنده عشرون عبدا وعشرون مملوكا واربع جوار برسم الخدمة فلما
اصبح الصباح فتح الحمام وارسل مناديا ينادى ويقول كل من دخل الحمام واغتسل
فانه يعطى ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروته وقعد ابو صير عند الصندوق
وهجمت عليه الزبابين وصار كل من طلع يحط الذى يهون عليه فما امسى المساء
حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى ثم ان الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ
ابا صير ذلك قسم النهار من اجلها قسمين وجعل من الفجر الى الظهر قسم الرجال
ومن الظهر الى الغروب قسم النساء ولما اتت الملكة اوقف جارية خلف الصندوق

وكان

وكان يلم اربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات فلما دخلت الملكة اعجبها ذلك وانشرح صدرها واعطته الف دينار وشاع ذكره في المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنيا او فقيرا فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف باعوان الملك وصار له اصحاب واحباب وصار الملك يأتي اليه في الجمعة يوما ويعطيه الف دينار وبقية ايام الجمعة للاكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة فاتفق ان قبطان الملك دخل عليه في الحمام يوما من الايام فقلع ابو صير ودخل معه وصار يكبسه ولاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة فلما اراد ان يعطيه شيئا حلف انه لا يأخذ منه شيئا فحمل القبطان جميلته لما رأى من مزيد لطفه به واحسانه اليه وصار متحيرا فيما يهدي به الى ذلك الحمامي. هذا ما كان من امر ابي صير واما ما كان من امر ابي قير فانه سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول ان هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ان شاء الله يا فلان ندخل بنا غدا هذا الحمام النفيس فقال ابو قير في نفسه لا بد ان اروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذي اخذ عقول الناس ثم انه لبس افخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة واخذ معه اربعة عبيد واربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه الى الحمام ثم انه نزل في باب الحمام فلما صار عند الباب شم رائحة العود الند ورأى ناسا داخلين وناسا خارجين ورأى المساطب ملآنة من الاكابر والاصاغر فدخل الدهليز فرآه ابو صير فقام اليه وفرح به فقال له ابو قير هل هذا شرط اولاد الحلال وانا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وانت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول اين رفيقي وانا عجزت وانا افتش عليك وابعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الاماكن فلا يعرفون طريقك ولا احد يخبرهم بخبرك فقال له ابو صير اما جئت اليك وجعلتني لصا وضربتني وهتكتني بين الناس فاغتم ابو قير وقال اي شيء هذا الكلام هل هو انت الذي ضربتك فقال له ابو صير نعم هو انا فحلف له ابو قير الف يمين انه ما عرفه وقال انما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت انك هو وصار يتندم ويضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قد اساءت ولكن بالنيات عرفتني بنفسك وقلت انا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفني بنفسك خصوصا وانا مدهوش من كثرة الاشغال فقال له ابو صير سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدرا في الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك ان تسامحني يا اخي فقال له ابرأك الله ذمتك وسامحك فانه كان امرا مقدرا علي في الازل ثم قال له ابو قير ومن اين لك هذه السيادة فقال له الذي فتح عليك فتح علي فاني طلعت على الملك واخبرته بشان الحمام فامرني ببنائه فقال له ابو قير وكما انك معرفة الملك فانا الآخر معرفته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لما تعاتب هو وابو صير قال له كما انت معرفة الملك انا الآخر معرفته وان شاء الله تعالى انا اخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الاكرام لاجلي فانه لم يعرف انك رفيقي فانا اعرفه بانك رفيقي واوصيه عليك فقال له ما يحتاج الى وصية فان المحنن موجود وقد احبني الملك هو وجميع دولته واعطاني كذا وكذا واخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وانا ادخل معك لاجل ان اكيسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه ابو صير وكيسه وصبنه والبسه واشتغل به حتى خرج فلما خرج احضر له الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه له ثم بعد ذلك اراد ابو صير ان يعطيه شيئا فحلف انه لا يأخذ منه شيئا وقال له استح من هذا الامر وانت رفيقي وليس بيننا فرق ثم ان ابا قير قال لابي صير يا رفيقي والله ان هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها قال له الدواء الذي هو اعقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فاذا اتى الملك فقدمه اليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حبا شديدا ويكرمك فقال له صدقت ان شاء الله تعالى اصنع ذلك ثم ان ابا قير خرج وركب بغلته وذهب الى الملك ودخل عليه وقال له انا ناصح لك يا ملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغني خبر وهو انك بنيت حماما قال نعم قد اتاني رجل غريب فانشأته له كما انشأت لك هذه

المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتى به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له ابو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذى نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامى فقال له الملك وما شانه قال ابو قير اعلم يا ملك الزمان انك ان دخلته بعد هذا اليوم فانك تهلك فقال له لاى شئ فقال له ان الحمامى عدوك وعدو الدين فانه ما حملك على انشاء هذا الحمام الا لان مراده ان يدخل عليك فيه السم فانه صنع لك شيئا واذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يرمى الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وان هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى انه ان قتلك يفك له زوجته واولاده من الاسر فان زوجته واولاده مأسورون عند سلطان النصارى وكنت ماسورا معه فى بلادهم ولكن انا فتحت مصبغة وصبغت لهم الوانا فاستعطفوا على قلب الملك فقال لى الملك اى شئ تطلب فطلبت منه العتق فاعتقنى وجئت الى هذه المدينة ورأيته فى الحمام فسألته وقلت له كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك واولادك فقال لم ازل انا وزوجتى واولادى ماسورين حتى ان ملك النصارى عمل ديوانا فحضرت فى جملة من حضر وكنت واقفا من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملك الى ان ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى وقال ما قهرنى فى الدنيا الا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لى على قتله فانى اعطيه كل ما يتمنى فتقدمت انا اليه وقلت له اذا تحيلت لك على قتله هل تعتقنى انا وزوجتى واولادى فقال لى نعم اعتقكم واعطيك كل ما تتمنى ثم انى اتفقت انا واياه على ذلك وارسلنى فى غليون الى هذه المدينة وطلعت الى هذا الملك فبنى لى هذا الحمام وما بقى على الا ان اقتله واروح الى ملك النصارى وافدى اولادى وزوجتى واتمنى عليه فقلت وما الحيلة التى دبرتها فى قتله حتى تقتله قال لى هى حيلة سهلة اسهل ما يكون فانه يأتى الى فى هذا الحمام وقد اصطنعت له شيئا فيه سم فاذا جاء اقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فانه يسقط الشعر فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوما وليلة حتى يسرى الى قلبه فيهلكه والسلام فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لان

خبرك على وقد اخبرتك بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضبا
شديدا وقال للصباغ اكتم هذا السر ثم طلب الرواح الى الحمام حتى يقطع الشك
باليقين فلما دخل الملك الحمام تعرى ابو صير على جرى عادته وتقيد بالملك
وقال ثم بعد ذلك قال يا ملك الزمان انى عملت دواء لتنظيف الشعر التحتانى
فقال احضره لى فاحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده انه سم
فغضب وصاح على الاعوان وقال امسكوه فقبض عليه الاعوان وخرج الملك
وهو ممتزج بالغضب ولا احد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب الملك
لم يخبر احدا ولم يتجاسر احد على ان يسأله ثم انه لبس وطلع الديوان ثم احضر
ابا صير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له
الملك خذ هذا الخبيث وحطه فى زكيبة وحط فى الزكيبة قنطارين جيرا من غير
طفئ واربط فمها عليه هو والجير ثم ضعها فى الزورق وتعال تحت قصرى
فتراني جالسا فى شباكي وقل لى هل ارميه فاقول لك ارمه فاذا قلت لك
ذلك فارمه حتى ينطفئ الجير عليه لاجل ان يموت غريقا حريقا فقال له سمعا
وطاعة ثم اخذه من قدام الملك الى جزيرة قصاد قصر الملك وقال لابى صير
يا هذا انا جئت عندك مرة واحدة فى الحمام فاكرمتني وقمت بواجبي و
انبسطت منك كثيرا وحلفت انك لم تأخذ مني اجرة وانا قد احببتك محبة
شديدة فاخبرني ما قضيتك مع الملك واى شيء صنعت معه من المكاره حتى
غضب عليك وامرني ان تموت هذه الميتة الرديئة فقال له والله ما عملت شيئا
وليس عندى علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما سأل ابا صير عن سبب غضب الملك
عليه قال له والله يا اخي ما عملت معه شيئا قبيحا يستوجب هذا فقال له القبطان
ان لك عند الملك مقاما عظيما ما ناله احد قبلك وكل ذى نعمة محسود فلعل
احدا حسدك على هذه النعمة ورمى فى حقك بعض كلام عند الملك حتى ان الملك
غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحبا بك وما عليك من بأس فكما انك اكرمتني

من غير معرفة بيني وبينك فانا اخلصك ولكن اذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون الى ناحية بلادك فارسلك معه فقبل ابو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم انه احضر الحجر ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجرا كبيرا قدر الرجل وقال توكلت على الله ثم ان القبطان اعطى ابا صير شبكة وقال له ارم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئا من السمك لان سمك مطبخ الملك مرتب علي في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي اصابتك فاخاف ان تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فاذا كنت تصطاد شيئا فانهم يجدونه حتى اروح اعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك فقال له ابو صير انا اصطاد ورح انت والله يعينك فوضع الزكيبة في الزورق وسار الى ان وصل تحت القصر فرأى الملك جالسا في الشباك فقال يا ملك الزمان هل ارميه فقال له ارمه واشار بيده واذا بشيء برق ثم سقط في البحر واذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصودا بحيث اذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع راسه من بين كتفيه وما اطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة الا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم امره ولم يقدر ان يقول خاتمي وقع في البحر خوفا من العسكر ان يقوموا عليه فيقتلوه فسكت هذا ما كان من امر الملك واما ما كان من امر ابي صير فانه بعد ذهاب القبطان اخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكا ثم طرحها ثانيا فطلعت ملآنة سمكا ايضا ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكا حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال في نفسه والله ان لي مدة طويلة ما اكلت السمك ثم انه نقى له سمكة كبيرة سمينة وقال لما ياتي القبطان اقول له يقلي لي هذه السمكة لاتغذى بها ثم انه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لانها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة الى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة فاخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص واذا بغلامين من خدام الطباخ اتيا لطلب السمك فلما صارا عند ابي صير قالا يا رجل اين راح القبطان فقال لا ادري واشار بيده اليمنى واذا براسي الغلامين وقعا من بين اكتافهما حين اشار اليهما وقال لا ادري فتعجب ابو صير من ذلك

وجعل يقول يا ترى من قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكر في ذلك واذا بالقبطان اقبل فرأى كوما كبيرا من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في اصبع ابي صير فقال له يا اخي لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فانك ان حركتها قتلتني فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيها الخاتم لانك ان حركتها قتلتني فلما وصل اليه القبطان قال من قتل هذين الغلامين قال له ابو صير والله يا اخي لا ادري قال صدقت ولكن اخبرني عن هذا الخاتم من اين وصل اليك قال رأيته في نخشوش هذه السمكة قال صدقت فاني رأيته نازلا يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت ان اشار اليك وقال لي ارمه فانه لما اشار رميت الزكيبة وكان سقط من اصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها الله اليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال ابو صير لا اعرف له خواصا فقال القبطان اعلم ان عسكر ملكنا ما اطاعوه الا خوفا من هذا الخاتم لانه مرصود فاذا اغتاظ الملك على احد واراد قتله يشير عليه به فتقع رأسه من بين كتفيه فان بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع ابو صير هذا الكلام فرح فرحا شديدا وقال للقبطان ردني الى المدينة فقال له القبطان اردك فاني ما بقيت اخاف عليك من الملك فانك متى اشرت بيدك واضمرت على قتله فان رأسه تقع بين يديك ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فانك تقتلهم من غير عاقة ثم انزله في الزورق وتوجه به الى المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما انزل ابا صير في الزورق توجه به الى المدينة فلما وصل اليها طلع الى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالسا والعسكر بين يديه وهو في غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر ان يخبر احدا من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه الملك قال له اما رميناك في البحر كيف فعلت حتى خرجت منه فقال له يا ملك الزمان لما امرت برميي في البحر اخذني قبطانك وسار بي الى جزيرة وسألني عن سبب غضبك

علي وقال لي اي شيء صنعت مع الملك حتى امر بموتك فقلت له والله ما اعلم اني عملت معه شيئا قبيحا فقال لي ان لك مقاما عظيما عند الملك فلعل احدا حسدك ورمى فيك كلاما عند الملك حتى غضب عليك ولكن انا جئتك في حمامك فاكرمتني فمن نظير اكرامك اياي في حمامك انا اخلصك وارسلك الى بلادك ثم حط في الزورق حجرا عوضا عني ورماه في البحر ولكن حين اشرت له علي وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت انا في الجزيرة اصطاد سمكا فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها واردت ان اشويها فلما فتحت جوفها رايت الخاتم فيه فاخذته وجعلته في اصبعي فاتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فاشرت اليهما وانا لا ادري خاصية الخاتم فوقعت روسهما ثم اتى القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي واخبرني برصده فاتيت به اليك لانك عملت معي معروفا واكرمتني غاية الاكرام وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه وان كنت فعلت معك شيئا يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وانت في حل من دمي ثم خلع الخاتم من اصبعه وناوله للملك فلما راى الملك ما فعل ابو صير من الاحسان اخذ الخاتم منه وتختم به وردت له روحه وقام على اقدامه واعتنق ابا صير وقال يا رجل انت من خواص اولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقك ولو كان احد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان اعطاني اياه فقال يا ملك الزمان ان اردت ان اسامحك فعرفني بذنبي الذي اوجب غضبك علي حيث امرت بقتلي فقال له والله انه ثبت عندي انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل وانما الصباغ قد قال لي كذا وكذا واخبره بما قاله الصباغ فقال ابو صير والله يا ملك الزمان انا لا اعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي اني اقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجاري في مدينة اسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على ان العامل يطعم البطال وجرى لي معه كذا وكذا واخبره بجميع ما قد جرى له مع ابي قير الصباغ وكيف اخذ دراهمه وفاته ضعيفا في الحجرة التي في الخان وان بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله ثم طلع وسرح في المدينة بعدته على العادة فبينما هو في الطريق اذ رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر الى باب المصبغة فرأى ابا قير جالسا على مسطبة هنالك

فدخل ليسلم عليه فوقع له منه ما وقع من الضرب والاساءة وادعى عليه انه حرامي وضربه ضربة لما واخبر الملك بجميع ما جرى له من اوله الى اخره ثم قال يا ملك الزمان هو الذي قال لي اعمل الدواء وقدمه للملك فان الحمام كامل في جميع الادوات الا ان هذا الدواء مفقود منه واعلم يا ملك الزمان ان هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمام وانا كنت نسيته فلما اتاني الصباغ واكرمته ذكرني به وقال لي اعمل الدواء وارسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة واسأل الجميع عما اخبرتك به فارسل الملك الى بواب الخان والى صنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فاخبروه بالواقع فارسل الى الصباغ وقال هاتوه حافيا مكشوف الرأس مكتفا وكان الصباغ جالسا في بيته مسرورا بقتل ابي صير فلم يشعر الا واعوان الملك هجموا عليه والضرب في قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى ابا صير جالسا في جنب الملك وبواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين امامه فقال له بواب الخان اما هذا رفيقك الذي سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفا وفعلت معه ما هو كذا وكذا وقال صنايعية المصبغة اما هذا الذي امرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة ابي قير وانه يستحق ما هو اشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه في المدينة والسوق

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنايعية المصبغة تحقق خبث ابي قير عنده فاقام عليه النكير وقال للاعوان خذوه وجرسوه في المدينة وحطوه في زكيبة وارموه في البحر فقال ابو صير يا ملك الزمان شفعني فيه فاني سامحته من جميع ما فعل بي فقال الملك ان كنت سامحته في حقك فانا لا يمكن ان اسامحه في حقي ثم صاح وقال خذوه فاخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقا حريقا وقال الملك يا ابا صير تمن علي تعط فقال له تمنيت عليك ان ترسلني الى بلادي فاني ما بقي لي رغبة في القعود ههنا فاعطاه شيئا

كثيرا

كثيرا زيادة على ماله وبواله ومواهبه ثم انعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له ايضا بعد ان عرض عليه ان يجعله وزيرا فما رضي ثم ودع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه وما زال سائرا حتى وصل الى ارض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا الى البر فرأى مملوك من مماليكه زكيبة في جانب البر فقال يا سيدي ان في جنب شاطئ البر زكيبة كبيرة ثقيلة وفمها مربوط ولا ادري ما فيها فاتى ابو صير وفتحها فرأى فيها ابا قير قد دفعه البحر الى جهة اسكندرية فاخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزارا واوقف عليه اوقافا وكتب على باب الضريح هذه الابيات

اَلْمَرْءُ يُعْرَفُ فِي الْاَنَامِ بِفِعْلِهِ ... وَفِعَالُ الْحُرِّ الْكَرِيمِ كَاَصْلِهِ
لَا تَسْتَغِبْ فَتُسْتَغَابُ فَرُبَّمَا ... مَنْ قَالَ شَيْئًا قِيلَ فِيهِ بِمِثْلِهِ
وَتَجَنَّبِ الْفَحْشَاءَ لَا تَنْطِقْ بِهَا ... مَا دُمْتَ فِي جِدِّ الْكَلَامِ وَهَزْلِهِ
فَالْكَلْبُ اِنْ حَفِظَ الْمَكَارِمَ يَقْتَنِي ... وَغَدَا الْهِزَبْرُ مُسَلْسَلًا مِنْ جَهْلِهِ
وَالْبَحْرُ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُ الْفَلَا ... وَالدُّرُّ مَنْبُوذٌ بِاَسْفَلِ رَمْلِهِ
مَا كَانَ عُصْفُورٌ يُزَاحِمُ بَاشِقًا ... اِلَّا لِطَيْشَتِهِ وَخِفَّةِ عَقْلِهِ
فِي الْجَوِّ مَكْتُوبٌ عَلَى صُحُفِ الْهَوَى ... مَنْ يَفْعَلِ الْمَعْرُوفَ فَازَ بِمِثْلِهِ
اِيَّاكَ تَجْنِي سُكَّرًا مِنْ حَنْظَلٍ ... فَالشَّيْءُ يَرْجِعُ فِي الْمَذَاقِ لِاَصْلِهِ

ثم ان ابا صير اقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه ابي قير ومن اجل ذلك سمي هذا المكان بابي قير وابي صير واشتهر الآن بانه ابو قير وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقي على الدوام وبارادته تصرف الليالي والايام

ومما يحكى ايضا

انه كان رجلا صيادا اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة اولاد وامهم وكان فقيرا جدا لا يملك الا الشبكة وكان يروح كل يوم الى البحر ليصطاد فاذا اصطاد قليلا يبيعه وينفقه على اولاده بقدر ما رزقه الله وان اصطاد كثيرا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولم يزل يصرف حتى لا يبقى معه شيء ويقول في نفسه رزق غد يأتي في غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة

انحاس وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئا ابدا فقالت له زوجته يا سيدي
استر لي شيئا اتقوت به فقال لها انا سارح على بركة الله تعالى الى البحر في هذا اليوم
على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فاخذ الشبكة
وتوجه الى البحر ثم انه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل
رزقه يسيرا غير عسير وكثيرا غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة
عفشا ورملا وحصى وحشيشا ولم ير فيها شيئا من السمك لا كثيرا ولا قليلا
فرماها ثاني مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكا فرمى ثالثا ورابعا و
خامسا فلم يطلع فيها سمك فانتقل الى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله
تعالى ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة فتعجب في نفسه
وقال هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق فهذا لا يكون ابدا لان الذي
شق الاشداق تكفل لها بالارزاق فالله تعالى كريم رزاق ثم انه حمل الشبكة
ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فانه تركهم بغير اكل ولا سيما
زوجته نفساء ولا زال يمشي وهو يقول في نفسه كيف العمل وماذا اقول
للاولاد في هذه الليلة ثم انه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة وكان
الوقت وقت غلاء وفي تلك الايام لا يوجد عند الناس من المؤنة الا قليلا
والناس يعرضون الفلوس على الخباز ولا ينتبه لاحد منهم من كثرة الزحام
فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر
اليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم اليه فقال له اتريد
عيشا فسكت فقال له تكلم ولا تستح فالله كريم ان لم يكن معك دراهم فانا
اعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير فقال له والله يا معلم ما معي دراهم
لكن اعطني عيشا كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة الى غد فقال
له يا مسكين ان هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فاذا رهنتها باي شيء
تصطاد فاخبرني بالقدر الذي يكفيك قال بعشرة انصاف فضة فاعطاه
خبزا بعشرة انصاف ثم اعطاه عشرة انصاف فضة فقال له خذ هذه
العشرة انصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي
غد هات لي بها سمكا وان لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة انصاف
وانا اصبر عليك حتى يأتيك الخير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج اليه انا اصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لى بما استحقه عندك سمكا فقال له أجرك الله تعالى وجزاك عنى كل خير ثم اخذ العيش والعشرة انصاف فضة و راح مسرورا واشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الاولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم فى هذا الوقت يأتى ابوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا واخبر زوجته بما حصل له فقالت له الله كريم وفى ثانى يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول اسألك يا رب ان ترزقنى فى هذا اليوم بما يبيض وجهى مع الخباز فلما وصل الى البحر صار يطرح وخرج من داره وهو يقول اسألك يا رب ان ترزقنى فى هذا اليوم بما يبيض وجهى مع الخباز فلما وصل الى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك ولم يزل كذلك الى آخر النهار ولم يحصل شيئا فرجع وهو فى غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال فى نفسه من اين اروح الى دارى ولكن اسرع خطوى حتى لا يرانى الخباز فلما وصل الى فرن الخباز رأى زحمة فاسرع فى المشى حيائه من الخباز حتى لا يراه واذا بالخباز رفع بصره عليه فصاح قال يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فانك نسيت قال لا والله ما نسيت وانما استحييت منك فانى لم اصطد سمكا فى هذا اليوم فقال له لا تستح اما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم اعطاه العيش والعشرة انصاف وراح الى زوجته واخبرها بالخبر فقالت له الله كريم ان شاء الله تعالى يأتيك الخير وتوفيه حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة اربعين يوما وهو فى كل يوم يروح الى البحر من طلوع الشمس الى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشا ومصروفا من الخباز ولم يذكر له السمك يوما من الايام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة انصاف والعيش وكلما يقول له يا اخى حاسبنى يقول له رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فاحاسبك فيدعو له ويذهب من عنده شاكرا له وفى اليوم الحادى والاربعين قال لامرأته مرادى ان اقطع هذه الشبكة وارتاح من هذه العيشة فقالت له لاى شئ قال لها

كأن رزقي انقطع من البحر فالى متى هذا الحال والله انى ذبت حياء من الخباز فانا
ما بقيت اروح الى البحر حتى لا اجوز على فرنه فانه ليس لي طريق الا على فرنه و
كلما جزت عليه ينادينى ويعطينى العيش والعشرة انصاف والى متى وانا
اتداين منه قالت له الحمد لله تعالى الذى عطف قلبه عليك فيعطيك
القوت واى شئ تكره من هذا قال بقى له على قدر عظيم من الدراهم ولا بد
ان يطلب حقه قالت له زوجته هل أذاك بكلام قال لا ولم يرض ان يحاسبنى
ويقول لى حتى يأتيك الخير قالت فاذا طالبك قل له حتى يأتى الخير الذي
نرتجب انا وانت فقال لها متى يجئ الخير الذى ترتجيه قالت له الله كريم قال
صدقت ثم حمل شبكته وتوجه الى البحر وهو يقول يا رب ارزقني ولو بسمكة
واحدة حتى اهديها الى الخباز ثم انه رمى الشبكة في البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة
فما زال يعالج فيها حتى تعب تعبا شديدا فلما اخرجها رأى فيها حمارا ميتا
منفوخا ورائحته كريهة فسئمت نفسه ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد عجزت وانا اقول لهذه المرأة ما بقى لي رزق
في البحر دعيني اترك هذه الصنعة وهي تقول لى الله كريم سيأتيك الخير
فهل هذا الحمار الميت هو الخير ثم انه حصل له غم شديد وتوجه الى مكان
آخر ليبعد عن رائحة الحمار واخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية
ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه فلما اخرج
الشبكة رأى فيها آدميا فظن انه عفريت من عفاريت السيد سليمان
الذين كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم في البحر فلما انكسر القمقم من طول
السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع في الشبكة فهرب منه وصار يقول
الامان الامان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمى من داخل الشبكة
وقال تعال يا صياد لا تهرب مني فانى آدمى مثلك فخلصنى لتنال اجرى
فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال له اما انت عفريت من
الجن قال لا انما انا انسى مؤمن بالله ورسوله قال له من رماك فى البحر
قال له انا من اولاد البحر كنت دائرا فرميت على الشبكة ونحن اقوام مطيعون
لاحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى ولولا انى اخاف واخشى ان اكون
من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدره الله على وانت اذا

خلصتني

خلصتني تصير مالكا لي وانا اسير بين يديك فهل لك ان تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي تجيئني كل يوم في هذا المكان وانت تأتيني و تجيء لي بشيء من ثمار البر فان عندكم عنبا وتينا وبطيخا وخوخا ورمانا وغير ذلك وكل شيء تجيء به الي مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فانا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا اخي في هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمي عبد الله البحري فاذا جئت الى هذا المكان ولم تنظرني فناد وقل اين انت يا عبد الله يا بحري فاكون عندك في الحال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال له اذا اتيت الى هذا المكان ولم تنظرني فناد وقل اين انت يا عبد الله يا بحري فاكون عندك في الحال وانت ما اسمك فقال الصياد اسمي عبد الله قال انت عبد الله البري وانا عبد الله البحري فقف هنا حتى اروح واتيك بهدية فقال له سمعا وطاعة فراح عبد الله البحري في البحر فعند ذلك ندم عبد الله البري على كونه خلصه من الشبكة وقال في نفسه من اين اعرف انه يرجع الي وانما هو ضحك علي حتى خلصته ولو ابقيته كنت افرج عليه الناس في المدينة واخذ عليه الدراهم من جميع الناس وادخل به بيوت الاكابر فصار يتندم على اطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده واذا بعبد الله البحري رجع اليه ويداه مملوءتان لؤلؤا ومرجانا وزمردا وياقوتا وجواهر وقال له خذ يا اخي ولا تؤاخذني فانه ما عندي مشنة كنت املؤها لك فعند ذلك فرح عبد الله البري واخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتي الى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف و دخل البحر واما الصياد فانه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيا حتى وصل الى فرن الخباز وقال له يا اخي قد اتانا الخير فحاسبني قال له ما يحتاج

الى حساب ان كان معك شيء فاعطني وان لم يكن معك شيء فخذ عيشك وحصوتك وربح الى ان يأتيك الخير فقال له يا صاحبي قد اتاني الخير من فضل الله وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف ما معه فاعطاها للخباز وقال له اعطني شيئاً من المعاملة اصرفه في هذا اليوم حتى ابيع هذه المعادن فاعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد انا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه الى البيت فاعطى العيش لزوجته واولاده ثم راح الى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر اصناف الفاكهة وترك الفرن واقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمته عبد الله البري ويقضي له مصالحه فقال له الصياد يا اخي اتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب علي لانني صرت خداماً لك واحسانك قد غمرني فقال له انت صاحب الاحسان علي في الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة على اكل طيب ثم ان الخباز صار صديقاً للصياد واخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحري ففرحت وقالت له اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها ان كتمت سري عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز ثم انه اصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الاصناف في وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه الى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال اين انت يا عبد الله يا بحري واذا به يقول له لبيك وخرج اليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع اصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها فلما وصل الى فرن الخباز قال له يا سيدي قد خبزت لك اربعين كف شريك وارسلتها الى بيتك وها انا اخبز العيش الخاص فمتى خلص اوصله الى البيت واروح لاجيء لك بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلث كبشات واعطاه اياها وتوجه الى البيت وحط المشنة واخذ من كل صنف من اصناف الجواهر جوهرة نفيسة ثم ذهب الى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ

السوق وقال اشتريت من هذه الجواهر فقال له ارني اياها فاراه اياها فقال له هل عندك غير هذا قال عندي مشنة ممتلئة قال له اين بيتك قال في الحارة الفلانية فاخذ منه الجوهر وقال لاتباعه امسكوه فانه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان ثم امرهم ان يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع اهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكنا الحرامي فبعضهم يقول ما سرق متاع فلان الا هذا الخبيث وبعضهم يقول ما سرق جميع ما في بيت فلان الا هو وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على احد منهم جوابا ولم يبد له خطابا حتى اوقفوه قدام الملك فقال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة ارسلت اعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت انا من دون الناس واوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده فقال الملك للطواشي خذ هذه المعادن واورها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك فاخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وارسلت تقول للملك اني رأيت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة الملك لما ارسلت تقول له هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وان كان يبيعها فاشترها منه لبنتك ام السعود لنضعها لها في عقد فلما رجع الطواشي وخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود فقالوا يا ملك الزمان انا كنا نعرف ان هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وظننا انه سرقها فقال يا قبحاء اتستكثرون النعمة على مؤمن فلاي شيء لم تسألوه ربما رزقه الله تعالى بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حراميا وتفضحونه بين العالم اخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك فانه قال يا رجل بارك الله لك فيما انعم به عليك وعليك الامان ولكن اخبرني بالصحيح من اين لك هذه الجواهر فاني ملك ولم يوجد عندي مثلها فقال يا ملك الزمان انا عندي مشنة ممتلئة

[illegible] الامير [illegible] [illegible] ان قد صار
بيني وبينه عهد على اني املأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه
الجواهر فقال له يا رجل هذا حديث [illegible] واكل المال [illegible] [illegible] [illegible]
اسلط الناس عليك في هذه الايام ولكن [illegible] اوصي [illegible] عبري
فانه [illegible] من صاحب الدنيا والطمع ومرادي ان [illegible] [illegible]
وزيري واوصي لك بالملك بعدي حتى لا يطمع فيك احد بعد موتي ثم ان الملك
قال خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام فاخذوه وغسلوا جسده والبسوه ثيابا من
ثياب الملوك واخرجوه قدام الملك فجعله وزيرا له وارسل لسعاة واصحاب النوبة
وجميع نساء الاكابر الى بيته فالبسوا زوجته حلل نساء الملوك هي واولادها
واركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الاكابر [illegible] اصحاب
النوبة وساروا بها الى بيت الملك والطفل الصغير في حجرها [illegible] الاولاد الكبار
الى الملك فاكرمهم واجلسهم على حجره واجلسهم في جانبه وهم [illegible] الاولاد [illegible]
الملك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الملك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سبيها وجعلها وزيرة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المدينة [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المدينة [illegible] [illegible] [illegible]
المدينة [illegible] [illegible] عبد الله حاملا راسه مشنة ممتلئة [illegible] فقال له ما
هذا الذي معك يا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البحر فقال
له [illegible] [illegible] [illegible] صاحبك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ويقول لي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
عبد الله فيمشي في البلد وهو [illegible] وكانت الناس قد [illegible]
فصار يسمع الناس يقولون هذا [illegible] [illegible] [illegible] الاثمار بالجواهر والذي
يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيقول له انتظرني
حتى ارجع اليك ولا يعم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ابدله له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة [illegible] يوم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]
مقفولا فدام على ذلك مدة عشرة ايام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولا قال

فى نفسه ان هذا شئ عجيب ثم تركه ثم انه سأل جاره فقال له يا اخى من حاره الخباز فى فعل الله به فقال يا سيدى انه مريض لا يخرج من بيته فقال له ابن بيته قال له فى حارة كذا فتبعه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه سبنسة ممتلئة فنزل اليه وفتح له الباب فدخل ورمى روحه عليه وعانقه وبكى وقال له كيف حالك يا صاحبى فى كل يوم اجىء على الفرن فاراه مقفولا ثم سألت جارك فاخبرنى انك مريض فسألت عن بيتك لاجل ان اراك فقال له الخباز جزاك الله عنى كل خير فليس بى مرض وانما بلغنى ان الملك رأى بعض الناس كذب عليك واخذك فخفت على نفسى وقفلت الفرن واختفيت فقال صدقت ثم انه اخبره بقصته وما وقع له مع الملك ونسيب سوق الجواهر وقال له ان الملك قد زوجنى ابنته وجعلنى وزيره ثم قال له خذ ما فى هذه السبنسة نصيبك ولا تخف ثم خرج من عنده بعد ان اذهب عنه الخوف وراح الى الملك بالسبنسة فارغة فقال له الملك يا نسيبى كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحرى فى هذا اليوم فقال رحت له والذى اعطاه لى عطيته الى صاحبى الخباز فان له على جميلا قال من يكون هذا الخباز قال انه رجل صاحب معروف وجرى لى معه فى ايام الفقر كيت وكذا ولم يهملنى يوما ولا كسر خاطرى قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز وانا اسمى عبد الله البرى وصاحبى اسمه عبد الله البحرى قال الملك وانا اسمى عبد الله وعبيد الله كلهم اخوان فارسل لى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة ثم ارسل اليه فلما حضر بين يدى الملك البسه بدلة وزير وجعله وزيرا ميسرة وجعل عبد الله البرى وزير الميمنة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك جعل عبد الله البرى نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو فى كل يوم يأخذ السبنسة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغ الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيبا ولوزا وبندقا وجوزا

ونبذا وغير ذلك وجميع ما ياخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته فاتفق يوما من الايام انه اخذ المشنة ممتلئة نقلا على عادته فاخذها منه وجلس عبد الله البرى على الشاطئ وجلس عبد الله البحرى في الماء قرب الشاطئ وصارا يتحدثان مع بعضهما وبينما كان الكلام بينهما حتى انجر الى ذكر المقابر فقال البحرى يا اخى انهم يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له في اى مكان هو قال له في مدينة يقال لها طيبة قال وهل تزوره الناس اهل البر قال نعم قال هنيئا لكم يا اهل البر بزيارة هذا النبى الكريم الرحيم الذى من زاره استوجب شفاعته وهل انت زرته يا اخى فقال لا لانى كنت فقيرا ولا اجد ما انفقه في الطريق وما استغنيت الا من حين عرفتك وتصدقت على بهذا الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد ان احج بيت الله الحرام وما منعنى من ذلك الا محبتك فانى لا اقدر ان افارقك يوما واحدا فقال له وهل تقدم محبتى على زيارة قبر محمد صلى الله عليه وسلم الذى يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من اجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فقال لا والله ان زيارته مقدمة عندى على كل شئ ولكن اريد منك اجازة ان ازوره في هذا العام قال اعطيتك الاجازة بزيارته واذا وقفت على قبره فاقرأه منى السلام وعندى امانة فادخل معى في البحر حتى اخذك الى مدينتى وادخلك بيتى واضيفك واعطيك الامانة لتضعها على قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقل له يا رسول الله ان عبد الله البحرى يقرئك السلام وقد اهدى اليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد الله البرى يا اخى انت خلقت في الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل اذا خرجت منه الى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدنى وتهب على نسمات البر فاموت قال له وانا كذلك خلقت في البر ومسكنى البر فاذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفى ويخنقنى فاموت قال له لا تخف من ذلك فانى اتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كنت تقضى بقية عمرك وانت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرك شئ قال اذا كان الامر كذلك فلا باس هات لى الدهان حتى اجربه قال وهو كذلك ثم اخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلا ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه اصفر كلون الذهب ورائحته زكية فقال له عبد الله

البرى

البري ما هذا يا اخي فقال له هذا شحم كبد صنف من اصناف السمك يقال له الدندان وهو اعظم اصناف السمك خلقة وهو اشد اعدائنا علينا وصورته اكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل والفيل لابتلعه فقال له يا اخي وما ياكل هذا المشئوم فقال له ياكل من دواب البحر اما سمعت انه يقال في المثل مثل سمك البحر القوي ياكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير قال عندنا شيء لا يحصيه الا الله تعالى قال عبد الله البري اني اخاف اذا نزلت معك ان يصادفني هذا النوع فياكلني قال له عبد الله البحري لا تخف فانه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منك ويهرب ولا يخاف من احد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لانه متى اكل ابن آدم مات من وقته وساعته فان شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن ما نجمع شحم كبده الا من اجل ابن آدم اذا وقع في البحر غريقا فانه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فياكل الدندان لظنه انه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتا فناخذ شحم كبده وندهن به اجسامنا وندور في البحر فاي مكان كان فيه ابن آدم اذا كان فيه مائة او مائتان او الف واكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فان الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة ﴿وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال لعبد الله البري واذا سمع الف من هذا النوع او اكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر احد منهم ان ينتقل من مكانه فقال عبد الله البري توكلت على الله ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطئ البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه الى قدمه بهذا الدهن ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضره الماء فمشى يمينا وشمالا ثم جعل ان شاء يعلو وان شاء ينزل الى القرار ورأى ماء البحر مخيما عليه مثل الخيمة ولا يضره فقال له عبد الله البحري ماذا ترى يا اخي قال له ارى خيرا يا اخي وقد صدقت فيما قلت فان الماء ما ضرني قال له اتبعني فتبعه ولا زالا يمشيان من مكان الى مكان وهو يرى امامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الماء فصار يتفرج عليها وعلى اصناف السمك وفي

تلعب في البحر بعضه كبير وبعضه صغير وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الادميين وكل نوع قربا منه يهرب حين يرى عبد الله البري فقال للبحري يا اخي مالي ارى كل نوع قربنا منه يهرب منا فقال له مخافة منك لان جميع ما خلقه الله تعالى يخاف من ابن ادم ولا زال عبد الله البري يتفرج على عجائب البحر حتى وصلا الى جبل عال فمشى عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر الا وصيحة عظيمة فالتفت فراى شيئا اسود منحدرا عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل او اكبر وصار يصيح فقال له ما هذا يا اخي قال له البحري هذا الدندان فانه نازل في طلبي ومراده ان ياكلني فصح عليه يا اخي قبل ان يصل الينا فيخطفني وياكلني فصاح عليه عبد الله البري واذا هو وقع ميتا فلما راه ميتا قال سبحان الله وبحمده انا لا اضربته بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات فقال له عبد الله البحري لا تعجب فوالله يا اخي لو كان من هذا النوع الف او الفان لم يحملوا صيحة ابن ادم ثم مشيا الى مدينة فرأيا اهلها جميعا بنات وليس فيهن ذكور فقال يا اخي ما هذه المدينة وما هذه البنات فقال له هذه مدينة البنات لان اهلها من بنات البحر قال هل فيهن ذكور قال لا قال وكيف يحملن ويلدن من غير ذكور قال ان ملك البحر ينفيهم الى هذه المدينة وهن لا يحملن ولا يلدن وانما كل من غضب عليها من بنات البحر يرسلها الى هذه المدينة ولا تقدر ان تخرج منها فان خرجت منها فان كل من راها من دواب البحر ياكلها واما غير هذه المدينة ففيه رجال وبنات قال هل في البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثير قال وهل عليكم سلطان في البحر قال له نعم قال له يا اخي اني رأيت في البحر عجائب كثيرة قال له واي شيء رأيت من العجائب اما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر اكثر من عجائب البر قال صدقت ثم انه صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوها مثل الاقمار وشعورا مثل شعور النساء ولكن لهن اياد وارجل في بطونهن ولهن اذناب مثل اذناب السمك ثم انه فرجه على اهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه الى مدينة اخرى فراها ممتلئة خلائق اناثا وذكورا صورهم مثل صور البنات ولهم اذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل اهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العورة

فقال

فقال له يا اخي ارى الاناث والذكور مكشوفين العورة فقال له ان اهل البحر لا يسترون عورتهم فقال له يا اخي كيف يصنعون اذا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون بل كل من اعجبته انثى يقضي مراده منها فقال له ان هذا شيء حرام والاي شيء لا يخطبها ويمهرها ويعمل لها فرحا ويتزوجها بما يرضي الله ورسوله فقال له ليس كلنا ملة واحدة فان فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهود وغير ذلك والذي يتزوج منا خصوص المسلمين فقال له انتم عريانون وما عندكم بيع ولا شراء فاي شيء يكون مهر نسائكم هل تعطونهن جواهر ومعادن فقال له ان الجواهر احجار ليس لها عندنا قيمة وانما الذي يريد ان يتزوج يجعلون عليه شيئا معلوما من اصناف السمك يصطاده قدر الف او الفين او اكثر او اقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين ابي الزوجة فلما يحضر المطلوب تجتمع اهل العريس واهل العروسة وياكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها واذا عجز تصطاد هي وتطعمه قال وان زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال قال ان الذي يثبت عليه هذا الامر ان كان انثى ينفوها الى مدينة البنات فاذا كانت حاملا من الزنا فانهم يتركونها الى ان تلد فان ولدت بنتا ينفوها معها وتسمى زانية بنت زانية ولم تزل بنتا حتى تموت وان كان المولود ذكرا فانهم ياخذونه الى الملك سلطان البحر فيقتله فتعجب عبد الله البري من ذلك ثم ان عبد الله البحري اخذه الى مدينة اخرى وبعدها اخرى وهكذا وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى اهلها لا يشبهون اهل غيرها من المدن فقال له يا اخي هل بقي في البحر مدائن فقال واي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤف الرحيم لو كنت افرجك الف عام في كل يوم على الف مدينة واريتك في كل مدينة الف اعجوبة ما اريتك قيراطا من اربعة وعشرين قيراطا من مدائن البحر وعجائبه وانما فرجتك على ديارنا وارضنا لا غير فقال له يا اخي حيث كان الامر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فاني سئمت من اكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوما وانت لم تطعمني صباحا ومساء الا السمك طريا لا مشويا ولا مطبوخا فقال له اي شيء يكون المطبوخ والمشوي قال له عبد الله البري نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله اصنافا ونصنع منه انواعا كثيرة فقال له البحري ومن

اين تأتى لنا النار فنحن لا نعرف المشوي ولا المطبوخ ولا غير ذلك فقال له انا نحن نقيل بالزيت والشيرج فقال له البحري ومن اين لنا الزيت والشيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئا مما ذكرته قال صدقت ولكن يا اخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك قال له اما مدينتي فاننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي اتينا منه وانما تركت مدينتي وجئت بك الى هنا لاني قصدت ان افرجك على مدائن البحر قال له يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي ان تفرجني على مدينتك قال له وهو كذلك ثم رجع به الى مدينته فلما وصل اليها قال له هذه مدينتي فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري الى ان وصل الى مغارة قال له هذا بيتي وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة فان كل من اراد ان يصنع له بيتا يروح الى الملك ويقول له مرادي ان اتخذ بيتا في المكان الفلاني فيرسل الملك معه طائفة من السمك ليموت النقادين ويجعل كراهم شيئا معلوما من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون الى الجبل الذي اراده صاحب البيت وينقرون فيه البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع اهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم الا بالسمك وكلهم سمك ثم قال له ادخل فدخل فقال عبد الله البحري يا بنتي واذا بنته اقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبد الله البري مع ابيها قالت له يا ابي ما هذا الازعر الذي جئت به معك فقال لها يا بنتي هذا صاحبي البري الذي كنت اجيء لك من عنده بالفاكهة البرية تعالي سلمي عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال لها ابوها هاتي زادا لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف فقال له كل فاكل غصبا عنه من الجوع لانه سئم من اكل السمك وليس عندهم شيء غير السمك فما مضى حصة الا وامرأة عبد الله البحري اقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولدان كل ولد في يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الانسان في الخيارة فلما رأت عبد الله البري

مع زوجها قالت اى شئ هذا الازعر وتقدم الولدان واختهما وامهم وصاروا ينظرون الى دبر عبد الله البرى ويقولون اى والله انه ازعر ويضحكون عليه فقال له عبد الله البرى يا اخى هل انت جئت لى لتجعلنى سخرية لاولادك وزوجتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد الله البرى قال لعبد الله البحرى يا اخى هل انت جئت لى لتجعلنى سخرية لاولادك وزوجتك فقال له عبد الله البحرى العفو يا اخى فان الذى لاذنب له غير موجود عندنا واذا وجد واحد من غير ذنب ياخذه السلطان ليضحك عليه ولكن يا اخى لا تؤاخذ هؤلاء الاولاد الصغار والمرأة فان عقولهم ناقصة ثم صرخ عبد الله البحرى على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا وسكتوا وجعل ياخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه اذا بعشرة اشخاص كبار شداد غلاظ اقبلوا عليه وقالوا يا عبد الله انه بلغ الملك ان عندك ازعر من زعر البر فقال لهم نعم وهو هذا الرجل فانه صاحبى اتانى ضيفا ومرادى ان ارجعه الى البر قالوا له اننا لا نقدر ان نروح الا به فان كان مرادك كلاما فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذى تقوله لنا قله للملك فقال عبد الله البحرى يا اخى العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن امض معى للملك وانا اسعى فى خلاصك منه ان شاء الله ولا تخف فانه متى رآك عرف انك من اولاد البر ومتى علم انك برى فلا بد انه يكرمك ويردك الى البر فقال عبد الله البرى الرأى رأيك فانا اتوكل على الله وامشى معك ثم اخذه ومضى به الى ان وصل الى الملك فلما رآه الملك ضحك عليه وقال مرحبا بالازعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول اى والله انه ازعر فتقدم عبد الله البحرى الى الملك واخبره باحواله وقال له هذا من اولاد البر وهو صاحبى وهو لا يعيش بيننا لانه لا يحب اكل السمك الا مقليا او مطبوخا والمراد انك تاذن لى فى ان ارده الى البر فقال له الملك حيث كان الامر كذلك وانه لا يعيش عندنا فقد اذنت لك فى ان ترده الى مكانه بعد الضيافة ثم ان الملك قال هاتوا له الضيافة فاتوا له بسمك اشكالا والوانا فاكل امتثالا لامر الملك ثم قال له

الملك تمن على فقال عبد الله البرى اتمنى عليك ان تعطينى جواهر فقال خذوه الى دار الجواهر ودعوه ينتقى ما يحتاج اليه فاخذه صاحبه الى دار الجواهر ونقى على قدر ما اراد ثم رجع به الى مدينة واخرج له صرة وقال له خذ هذه امانة اوصلها الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله الى البر فرأى فى طريقه غناء وفرحا وسماطا ممدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم فى فرح عظيم فقال عبد الله البرى لعبد الله البحرى ما لهؤلاء الناس فى فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحرى ليس عندهم عرس وانما مات عندهم ميت فقال له هل انتم اذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتاكلون قال نعم وانتم يا اهل البر ماذا تفعلون قال البرى اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكى والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنا على من مات فحملق عبد الله البحرى عينيه فى عبد الله البرى وقال له هات الامانة فاعطاها له ثم اخرجه الى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا اراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له اما انتم يا اهل البر امانة الله فقال البرى نعم قال فكيف لا يهون عليكم ان الله يأخذ امانته بل تبكون عليها وكيف اعطيك امانة النبى صلى الله عليه وسلم وانتم اذا اتاكم المولود تفرحون به مع ان الله تعالى يضع فيه الروح امانة فاذا اخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فما لنا فى رفقتكم حاجة ثم تركه وراح الى البحر ثم ان عبد الله البرى لبس حوائجه واخذ جواهره وتوجه الى الملك فتلقاه بالاشتياق وفرح به وقال له كيف انت يا نسيبى وما سبب غيابك عنى هذه المدة فاخبره بقصته وما رآه من العجائب فى البحر فتعجب الملك من ذلك ثم اخبره بما قال له عبد الله البحرى فقال له هل انت الذى اخطأت فى خبرك بهذا الخبر ثم انه استمر مدة من الزمان وهو يروح الى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحرى فلم يرد عليه ولم يأت اليه فقطع عبد الله البرى الرجاء منه واقام هو والملك نسيبه واهلهما فى اسر حال وحسن اعمال حتى اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعا فسبحان الحى الذى لا يموت ذو الملك والملكوت وهو على كل شئ قدير وبعباده لطيف خبير

ومما يحكى ايضا

ان الخليفة هارون الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى مسرورا فحضر فقال ائتني بجعفر سرعة فمضى احضره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر انه قد اعتراني في هذه الليلة ارق فمنع عني النوم ولا اعلم ما يزيله عني قال يا امير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر الى المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر اني فعلت هذا كله فلم يزل عني شيئا وانا اقسم بآبائي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لاضربن عنقك قال يا امير المؤمنين هل تفعل ما اشير به عليك قال وما الذي تشير به علي قال ان تنزل بنا في زورق وننحدر به في بحر الدجلة مع الماء الى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع او ننظر ما لم ننظر فانه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة امور ان يرى الانسان ما لم يكن رآه او يسمع ما لم يكن سمعه او يطأ ارضا لم يكن وطئها فلعل ذلك يكون سببا لزوال القلق عنك يا امير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر واخوه الفضل واسحق النديم وابو نواس وابو دلف ومسرور السياف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا الى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا الى الموضع الذي يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الابيات

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَضَرَ العُقَارُ ... وَقَدْ غَنَّى عَلَى الأَيْكِ الهَزَارُ
إِلَى كَمْ ذَا التَّأَنِّي عَنْ سُرُورٍ ... أَفِقْ مَا العُمْرُ إِلَّا مُسْتَعَارُ
فَخُذْهَا مِنْ يَدَيْ خِلٍّ عَزِيزٍ ... بِجَفْنَيْهِ فُتُورٌ وَانْكِسَارُ
زَرَعْتُ بِخَدِّهِ وَرْداً طَرِيّاً ... فَأَثْمَرَ فِي السَّوَالِفِ جُلَّنَارُ
وَتَحْسَبُ مَوْضِعَ التَّخْمِيشِ فِيهِ ... رَمَاداً خَامِداً وَالخَدُّ نَارُ
يَقُولُ لِيَ العَذُولُ تَسَلَّ عَنْهُ ... فَمَا عُذْرِي وَقَدْ تَمَّ العِذَارُ

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما احسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعي اطيب ولا احسن من هذا الغناء ولكن يا سيدي

ان السماع من وراء حجاب نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر فقال
الفضل بن يحيى فرجتي نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا
قال جعفر سمعا وطاعة فقعد وامن المركب واستاذنوا في الدخول واذا
بشاب مليح المسطر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج اليهم وقال اهلا وسهلا
يا سادة المنعمين علي ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين ايديهم
فرأوا الدار باربعة اوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد
وفيها ايوان به ستر له حجلة وعليها مائة جارية كانهن اقمار فصاحا عليهن
فنزلن عن اسرتهن ثم التفت رب المنزل الى جعفر وقال يا سيدي انا ما
اعرف منكم الجليل من الاجل بسم الله لتتفضل منكم من هو اعلى في الصدر
ويجلس اخوانه كل واحد في مرتبته فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور
في الخدمة بين ايديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا اضيافي عن اذنكم هل احضر
لكم شيئا من المأكول قالوا له نعم فأمر الجواري باحضار الطعام فاقبل اربع
جوار مشددات الاوساط بين ايديهن مائدة وعليها من غرائب الالوان
مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وافراخ وحمام ومكتوب على
حواشي السفرة من الاشعار ما يناسب المجلس فاكلوا على قدر كفايتهم ثم
غسلوا ايديهم فقال الشاب يا سادتي ان كان لكم حاجة فاخبروني بها حتى
نتشرف بقضائها قالوا نعم فاننا ما جئنا منزلك الا لاجل صوت سمعناه
من وراء حائط دارك فاشتهينا ان نسمعه ونعرف صاحبته فان رأيت
ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم اخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال
مرحبا بكم ثم التفت الى جارية سوداء وقال احضري سيدتك فلانة
فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعته ثم ذهبت ثانيا واتت
ومعها جارية كانها البدر في تمامه فجلست على الكرسي ثم ان الجارية
السوداء ناولتها خرقة من اطلس فاخرجت منها عودا مرصعا بالجواهر
واليواقيت ومفاتيحه من الذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد التسعمائة

قالت:

فانت بالغنى بها املك [illegible] الجارية [illegible] جلست على كرسي واخذت العود من الخريطة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فانشدت [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible]

حَضَنَتْهُ كَالْأُمِّ [illegible]   فِي حِجْرِهَا [illegible]
مَا حَرَّكَتْ يَدُهَا بَنَانًا بِجَسِّهِ   إِلَّا [illegible]

ثم ضمت العود الى صدرها [illegible] الذى ولدها وجبت [illegible]
فاستعاب كما يستغيث [illegible] ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الابيات

جَادَ الزَّمَانُ بِمَنْ أُحِبُّ فَأَعْتَبَا   يَا صَاحِبِي فَأَدِرْ كُؤُوسَكَ وَاشْرَبَا
مِنْ خَمْرَةٍ مَا مَازَجَتْ قَلْبَ امْرِئٍ   إِلَّا وَأَصْبَحَ بِالْمَسَرَّةِ مُطْرِبَا
قَامَ النَّسِيمُ بِحَمْلِهَا فِي كَأْسِهَا   أَرَأَيْتَ بَدْرَ التَّمِّ يَحْمِلُ كَوْكَبَا
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بَدْرَهَا   مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَدْ أَضَاءَ الْغَيْهَبَا
وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّمَا   قَدْ مَدَّ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا وصاح كل من فى الدار بالبكاء حتى كادوا ان يهلكوا وما منهم احد الا وغاب عن وجوده ومزق اثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيد ان غناء هذه الجارية يدل على انها عاشقة مفارقة فقال سيدها انها ثاكلة لامها وابيها فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد اباه وامه وانما هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لاسحق والله ما رأيت مثلها فقال اسحق يا سيدى انى لاعجب منها غاية العجب ولا املك نفسى من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر الى صاحب الدار ويتأمل فى محاسنه وظرف شمائله فرأى فى وجهه اثر اصفرار فالتفت اليه وقال له يا فتى فقال لبيك يا سيدى هل تعلم من نحن قال لا فقال له جعفر اتحب ان نخبرك عن كل واحد باسمه فقال نعم فقال جعفر هذا امير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية اسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهى ان تخبرنى عن هذا الاصفرار الذى فى وجهك هل هو مكتسب او اصلى من حين ولادتك قال يا امير المؤمنين ان حديثى غريب وامرى عجيب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال اعلمنى به لعل شفاءك يكون على يدى قال يا امير المؤمنين اوزعنى سمعك واخل لى ذرعك قال هات فحدثنى فقد شوقتنى الى سماعه

فقال اعلم يا امير المومنين اني رجل تاجر من تجار البحر واصلي من مدينة عمان وكان ابي تاجرا كثير المال وكان له ثلثون مركبا تعمل في البحر اجرتها في كل عام ثلثون الف دينار وكان رجلا كريما وعلمني الخط وجميع ما يحتاج اليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعاني واوصاني بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى الى رحمته وابقى الله امير المؤمنين وكان لابي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر فاتفق في بعض الايام اني كنت قاعدا في منزلي مع جماعة من التجار اذ دخل علي غلام من غلماني وقال يا سيدي ان بالباب رجلا يطلب الاذن في الدخول عليك فاذنت له فدخل وهو حامل على راسه شيئا مغطى فوضعه بين يدي وكشفه فاذا فيه فواكه بغير اوان وملح وطرائف ليست في بلادنا فشكرته على ذلك واعطيته مائة دينار وانصرف شاكرا ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرا من الاصحاب ثم سألت التجار من اين هذا فقالوا انه من البصرة واثنوا عليه وصاروا يصفون في حسن البصرة واجمعوا على انه ليس في البلاد احسن من بغداد ومن اهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق اهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسي اليها وتعلقت امالي برؤيتها فقمت وبعت العقارات والاملاك وبعت المراكب بمائة الف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار الف الف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركبا وشحنتها باموالي وسائر متاعي وسافرت بها اياما وليالي حتى جئت الى البصرة فاقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة ونزلت مالي فيها وسرنا منحدرين اياما قلائل حتى وصلنا الى بغداد فسألت اين تسكن التجار واي موضع اطيب للسكان فقالوا في حارة الكرخ فجئت اليها واستأجرت دارا في درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالي الى تلك الدار فاقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الايام الى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فاتيت الى جامع يسمى جامع المنصور فقام فيه الجمعة بعد ان خلصنا من الصلوة وخرجت مع الناس الى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعا عاليا جميلا وله روشن مطل على الشاطئ وهناك شباك فذهبت في جملة الناس الى ذلك المكان فرأيت شيخا جالسا وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد سرح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كانها قضب من لجين وحوله اربع جوار وخمسة غلمان فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته

فقال

فقال هذا طاهر بن العلاء وهو صاحب القينات كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر الى الملاح فقلت له والله ان لي زمانا ادور على مثل هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال والله ان لي زمانا وانا ادور على مثل هذا ثم قال فتقدمت اليه يا امير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدي ان لي عندك حاجة فقال ما حاجتك قلت اشتهي ان اكون ضيفك في هذه الليلة فقال حبا وكرامة ثم قال يا ولدي عندي جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها باربعين دينارا ومنهن من ليلتها باكثر فاختر من تريد فقلت اختار التي ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فاخذني ذلك الغلام وذهب بي الى حمام في القصر وخدمني خدمة حسنة فخرجت من الحمام واتى بي الى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وادخلتني دارا عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفي خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان ثم اجلستني وجلست بجانبي ثم اشارت الى الجواري فاتين بمائدة فيها من انواع اللحوم من دجاج وسمان وقطا وحمام فاكلنا حتى اكتفينا وما رأيت في عمري الذ من ذلك الطعام فلما اكلنا رفعت تلك المائدة واحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه واقمت عندها شهرا على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت الى الشيخ وقلت له يا سيدي اريد التي ليلتها بعشرين دينارا فقال زن الذهب فمضيت واحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فاخذني وادخلني الحمام فلما خرجت اتى بي الى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني باحسن ملتقى واذا حولها اربع جوار ثم امرت باحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الاطعمة فاكلت ولما فرغت من الاكل ورفعت المائدة اخذت العود وغنت بهذه الابيات

أَيَا نَفَحَاتِ الْمِسْكِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ ... بِحَقِّ غَرَامِي أَنْ تُؤَدِّي رَسَائِلِي

عَهِدْتُ بِهَا نِيلَ ٱلْأَرَاضِي مَنَازِلًا ... رَحْبًا بِنَا أَكْرِمْ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ
وَشِبْهًا ٱلَّتِي فِي حُبِّهَا كُلُّ عَاشِقٍ ... تَغَنَّى وَلَمْ يَرْتَدَّ مِنْهَا بِطَائِلِ

فاقمت عندها شهرا ثم جئت الى الشيخ وقلت له اريد صاحبة الاربعين دينارا فقال زن لي الذهب فوزنت له عن شهر الفا ومائتي دينار ومكثت عندها شهرا كانه يوم واحد مما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ثم جئت الى الشيخ وكنا قد امسينا فسمعت ضجة عظيمة واصواتا عالية فقلت له ما الخبر فقال لي الشيخ ان هذه الليلة عندنا اشهر الليالي وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك ان تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية جميلة تدهش الناظرين حسنا وجمالا وقدا واعتدالا وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبلها وتقبله فلما رأيتهما يا امير المؤمنين لم املك نفسي ولم اعرف اين انا لما بهرني من حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التي انا عندها واخبرتها بصفتها فقالت ما لك ومالها فقلت والله انها اخذت عقلي فتبسمت وقالت يا ابا الحسن الك فيها غرض فقلت اي والله فانها تملكت قلبي ولبي فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جواريها اتعرف يا ابا الحسن كم ليلتها ويومها قلت لا قالت خمسمائة دينار وهي حسرة في قلوب الملوك فقلت والله لاذهبن مالي كله على هذه الجارية وبت اكابد الغرام طول ليلي فلما اصبحت دخلت الحمام ولبست افخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت الى ابيها وقلت يا سيدي اريد التي ليلتها خمسمائة دينار فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر الف دينار فاخذها ثم قال للغلام اعمد به الى سيدتك فلانة فاخذني واتى بي الى دار لم تر عيني اظرف منها على وجه الارض قد دخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها ادهشت عقلي بحسنها يا امير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة اربعة عشر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما حدث امير المؤمنين بصفة الجارية

قال له وهي كالبدر في ليلة اربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال والفاظ تفضح رنات المزاهر كأنها المقصودة بقول الشاعر

قَالَتْ وَقَدْ لَعِبَ الْغَرَامُ بِعِطْفِهَا ... فِي جُنْحِ لَيْلٍ سَابِلِ الْاَحْلَاكِ
يَا لَيْلُ هَلْ لِي فِي دُجَاكَ مُسَامِرٌ ... أَوْ هَلْ لِهَذَا الْكَسْرِ مِنْ تَبَّاكِ
ضَرَبَتْ عَلَيْهِ بِكَفِّهَا وَتَنَهَّدَتْ ... كَتَنَهُّدِ الْاَسِفِ الْحَزِينِ الْبَاكِي
وَالثَّغْرُ بِالْمِسْوَاكِ يُظْهِرُ حُسْنَهُ ... وَالْاَيْرُ لِلْاَكْسَاسِ كَالْمِسْوَاكِ
يَا مُسْلِمُونَ أَمَا تَقُومُ أُيُورُكُمْ ... مَا فِيكُمْ أَحَدٌ يُغِيثُ الشَّاكِي
فَانْتَفَضَ مِنْ تَحْتِ الْغَلَائِلِ قَائِمًا ... أَيْرِي وَقَالَ لَهَا أَتَاكِ أَتَاكِ
وَحَلَلْتُ عِقْدَ إِزَارِهَا فَتَفَزَّعَتْ ... مَنْ أَنْتَ قُلْتُ فَتًى أَجَابَ نِدَاكِ
وَغَدَوْتُ أَزْهَرُهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِهَا ... زَهْرَ اللَّطِيفِ يَضُرُّ بِالْاَوْرَاكِ
حَتَّى إِذَا مَا قُمْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ ... قَالَتْ هَنَاكَ النَّيْكُ قُلْتُ هَنَاكِ

وما احسن قول الاخر

وَلَوْ أَنَّهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ ... أَبَاتُوا إِلَهَامِنْ دُونِ أَصْنَامِهِمْ رَبَّا
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ ... لَأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهَا عَذْبَا
وَلَوْ أَنَّهَا فِي الشَّرْقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ ... لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ وَاتَّبَعَ الْغَرْبَا

وما احسن قول الاخر

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً فَتَحَيَّرَتْ ... دَقَائِقُ فِكْرِي فِي بَدِيعِ صِفَاتِهَا
فَأَوْحَى إِلَيْهَا الْوَهْمُ أَنِّي أُحِبُّهَا ... فَأَثَّرَ ذَاكَ الْوَهْمُ فِي وَجَنَاتِهَا

فسلمت عليها فقالت اهلا وسهلا ومرحبا واخذت بيدي يا امير المؤمنين واجلستني الى جانبها فمن فرط الاشتياق بكيت مخافة الفراق واسبلت دمع العين وانشدت هذين البيتين

أُحِبُّ لَيَالِي الْهَجْرِ لَا فَرَحًا بِهَا ... عَسَى الدَّهْرُ يَأْتِي بَعْدَهَا بِوِصَالِ
وَأَكْرَهُ أَيَّامَ الْوِصَالِ لِأَنَّنِي ... أَرَى كُلَّ شَيْءٍ مُعْقِبًا بِزَوَالِ

ثم انها صارت تؤانسني بلطف الكلام وانا غريق في بحر الغرام خائف في القرب الم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيتين

فَكَّرْتُ سَاعَةَ وَصْلِهَا فِي هَجْرِهَا ... فَجَرَتْ مَدَامِعُ مُقْلَتِي كَالْعَنْدَمِ

فَطَفِقَتْ امسح مقلتي في جيبها ... مِنْ عَادَةِ الكَافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ

ثم امرت باحضار الاطعمة فقبلت اربع جوار ابكار فوضعن بين ايدينا من الاطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فاكلنا يا امير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح الا للملك ثم جاءتها يا امير المؤمنين جارية بخريطة من الابريسم فاخذتها واخرجت منها عودا فوضعته في حجرها وجست اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه وانشدت هذين البيتين

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَأٍ ... تَحْكِيهِ فِي رِقَّةِ الْمَعْنَى وَيَحْكِيهَا
إِنَّ الْمُدَامَةَ لَا يَلْتَذُّ شَارِبُهَا ... حَتَّى يَكُونَ نَقِيَّ الْخَدِّ سَاقِيهَا

فاقمت يا امير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي فتذكرت وانا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالانهار وصرت لا اعرف الليل من النهار فقالت لاي شيء تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت اليك وابوك ياخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار وما بقي عندي شيء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال

اَلْفَقْرُ فِي أَوْطَانِنَا غُرْبَةٌ ... وَالْمَالُ فِي الْغُرْبَةِ أَوْطَانُ

فقالت اعلم ان ابي من عادته انه اذا كان عنده تاجر وافتقر فانه يضيفه ثلاثة ايام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود الينا ابدا ولكن اكتم سرك واخف امرك وانا اعمل حيلة في اجتماعي بك الى ما شاء الله فان لك في قلبي محبة عظيمة واعلم ان جميع مال ابي تحت يدي وهو لا يعرف قدره فانا اعطيك في كل يوم كيسا فيه خمسمائة دينار وانت تعطيه لابي وتقول له ما بقيت اعطي الدراهم الا يوما بيوم وكلما دفعته اليه فانه يدفعه الي وانا اعطيه لك ونستمر هكذا الى ما شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم اقمت عندها يا امير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق في بعض الايام انها ضربت جاريتها ضربا وجيعا فقالت لها والله لاوجعن قلبك كما اوجعتني ثم مضت تلك الجارية الى ابيها واعلمته بامرنا من اوله الى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل علي وانا جالس مع ابنته وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا انه اذا

كان

كان عندنا تاجرو افتقر فاننا نضيفه ثلاثة ايام وانت لك سنة عندنا تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت الى غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا واعطوني ثيابا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا الى عشرة دراهم ثم قال لي اخرج فانا لا اضيفك ولا اشتمك واذهب الى حال سبيلك وان اقمت في هذه البلدة كان دمك هدرا فخرجت يا امير المؤمنين برغم انفي ولا اعلم اين اذهب وحل في قلبي كل هم في الدنيا واشغلني الوسواس وقلت في نفسي كيف اجيء في البحر بمائة الف الف من جملتها ثمن ثلاثين مركبا ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس ثم بعد ذلك اخرج من عنده عريانا مكسور القلب فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقمت في بغداد ثلاثة ايام لم اذق طعاما ولا شرابا وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة الى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها الى ان وصلت الى البصرة فدخلت السوق واذا في شدة الجوع فرآني رجل بقال فقام الي وعانقني لانه كان صاحبا لي ولابي من قبلي وسألني عن حالي فاخبرته بجميع ما جرى لي فقال لي والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فاي شيء في ضميرك تريد ان تفعله فقلت لم لا ادري ماذا افعل فقال اجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهمان زيادة على اكلك وشربك فاجبته الى ذلك واقمت عنده يا امير المؤمنين سنة كاملة ابيع واشتري الى ان صار معي مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعل مركبا تأتي ببضاعة فاشتري بالدنانير بضاعة واتوجه بها الى بغداد فاتفق في بعض الايام ان المراكب جاءت وتوجه اليها جميع التجار ليشترون فرحت معهم واذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما ثم اقبل التجار عليهما لاجل الشراء فقالا لبعض الغلمان احضروا البساط فاحضروه وجاء واحد بخرج فاخرج منه جرابا وفتحه وكبه على البساط واذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الالوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما اخبر الخليفة بقضية التجار والجراب

ومافيه من سائر انواع الجواهر فقال يا امير المؤمنين ثم ان واحدا من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت الى التجار وقال لهم يا معشر التجار انما ما ابيع في يومي هذا لاني تعبان فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره اربعمائة دينار فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزد مثل التجار فقلت له والله يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحييت منه ودمعت عيني فنظر الي وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار اشهدوا علي اني بعت جميع ما في الجراب من انواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وانا اعرف انه يساوي كذا وكذا الف دينار وهو هدية مني اليه فاعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار اثنوا عليه ثم اخذت ذلك ومضيت به الى سوق الجواهر وقعدت ابيع واشتري وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنته نصف رطل وكان احمر شديد الحمرة وعليه اسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم اعرف منفعته فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم اخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندي مدة لا اعرفه ولا اعرف منفعته قد دفعته الى الدلال فاخذه ودار به ثم عاد وقال ما دفع فيه احد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت ما ابيعه بهذا القدر فرماه في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوما آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهما فاخذته من الدلال مغضبا ورميته عندي فبينما انا جالس يوما اذ اقبل علي رجل فسلم علي وقال لي عن اذنك هل اقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وانا يا امير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه يا امير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله ثم قال يا سيدي اتبيع هذا فازداد غيظي وقلت له نعم فقال لي كم ثمنه فقلت له كم تدفع انت قال عشرين دينارا فتوهمت انه يستهزئ بي فقلت اذهب الى حال سبيلك فقال لي هو بخمسين دينارا فلم اخاطبه فقال بالف دينار هذا كله يا امير المؤمنين وانا ساكت ولم اجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول لاي شيء لم ترد علي فقلت له اذهب الى حال سبيلك واردت ان اخاصمه وهو يزيد الفا بعد الف ولم ارد عليه حتى قال اتبيعه بعشرين الف دينار وانا اظن انه يستهزئ بي فاجتمع علينا الناس وكلهم يقول لي بعه وان لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد

فقلت له هل انت تشترى او تستهزئ فقال هل انت تبيع او تستهزئ قلت له ابيع قال هو بثلاثين الف دينار خذها وامض البيع فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط ان تخبرنى ما فائدته وما نفعه قال امض البيع وانا اخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال الله على ما اقول وكيل ثم اخرج الذهب وقبضنى اياه واخذ التعويذ ووضعه فى جيبه ثم قال لى هل رضيت قلت نعم فقال اشهدوا عليه انه امضى البيع وقبض الثمن ثلاثين الف دينار ثم انه التفت الىّ وقال لى يا مسكين والله لو اخرت البيع لزدناك الى مائة الف دينار بل الى الف الف دينار فلما سمعت يا امير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهى وعلا عليه هذا الاصفرار الذى انت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له اخبرنى ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال اعلم ان ملك الهند له بنت لم ير احسن منها وبها داء الصداع فاحضر الملك ارباب الاقلام واهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضرا بالمجلس ايها الملك انا اعرف رجلا يسمى سعد الله البابلى ما على وجه الارض اعرف منه بهذه الامور فان رايت ان ترسلنى اليه فافعل فقال اذهب اليه فقلت له احضر لى قطعة من العقيق فاحضر لى قطعة كبيرة من العقيق ومائة الف دينار وهدية فاخذت ذلك وتوجهت الى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلونى عليه ودفعت له المائة الف دينار والهدية فاخذ ذلك منى ثم اخذ القطعة العقيق واحضر حكاكا فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة اشهر يرصد النجم حتى اختار وقتا للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التى تنظرها ثم جئت به الى الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لامير المؤمنين ان الرجل قال لى فاخذت هذا التعويذ وجئت به الى الملك فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة فى اربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع علىّ وتصدق بمال كثير ثم وضعه فى عقدها فاتفق انها نزلت يوما فى مركب

هي وجواريها تتنزه في البحر فمدت جارية يدها اليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك فحصل للملك ما حصل من الحزن فاعطاني مالا كثيرا وقال لي اذهب الى الشيخ ليعمل لها تعويذا عوضا عنه فسافرت اليه فوجدته قد مات فرجعت الى الملك واخبرته فبعثني انا وعشرة انفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فاوقعني الله به عندك فاخذه مني يا امير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الامر سببا للاصفرار الذي في وجهي ثم اني توجهت الى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها فلما اصبح الصباح لبست ثيابي وجئت الى بيت طاهر بن العلاء لعلي ارى من احبها فان احبها لم يزل يتزايد في قلبي فلما وصلت الى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلاما وقلت له ما فعل الله بالشيخ فقال يا اخي انه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له ابو الحسن العماني فاقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد ان ذهب ماله اخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حبا شديدا فلما فارقها مرضت مرضا شديدا حتى بلغت الموت وعرف ابوها بذلك فارسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة الف دينار فلم يره احد ولم يقع له على اثر وهي الى الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال ابيها قال باع الجواري من عظم ما اصابه فقلت له هل ادلك على ابي الحسن العماني فقال بالله عليك يا اخي ان تدلني عليه فقلت له اذهب الى ابيها وقل له البشارة عندك فان ابا الحسن العماني واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رآني رجع الى داره واعطى الرجل مائة الف دينار فاخذها وانصرف وهو يدعو لي ثم اقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال يا سيدي اين كنت في هذه الغيبة قد هلكت ابنتي من اجل فراقك فادخل معي الى المنزل فلما دخلت سجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جمعنا بك ثم دخل لابنته وقال لها قد شفاك الله من هذا المرض فقالت يا ابت ما ابرأ من مرضي الا اذا نظرت وجه ابي الحسن فقال اذا اكلت اكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت اصحيح ما تقول قال لها والله العظيم ان الذي قلته صحيح فقالت والله ان نظرت وجهه ما احتاج الى اكل فقال لغلامه احضر سيدك فدخلت فلما نظرتني

الي يا امير المؤمنين ووقعت مغشيا عليها فلما افاقت انشدت هذا البيت

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا | يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

ثم استوت جالسة وقالت والله يا سيدي ما كنت اظن انني اري وجهك الا ان كان مناما ثم انها عانقتني وبكت وقالت يا ابا الحسن الآن اكل واشرب فاحضروا الطعام والشراب ثم صرت عندهم يا امير المؤمنين مدة من الزمان فعادت لما كانت عليه من الجمال ثم ان اباها استدعي بالقاضي والشهود وكتب كتابها علي وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي الي الآن ثم ان ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع اليه بغلام بديع الجمال بقد ذي رشاقة واعتدال وقال له قبل الارض بين يدي امير المؤمنين فقبل الارض بين يدي الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم ان الرشيد انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا الا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت باغرب منه فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يا مسرور قال لبيك يا سيدي قال اجعل في هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا عظيما لا يحصي عدده الا الله ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال احضر لي ابا الحسن قال سمعا وطاعة ثم احضره فلما حضر قبل الارض بين يدي الخليفة وهو خائف ان يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عماني قال له لبيك يا امير المؤمنين خلد الله نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة امرهم ان يضعوا مال الثلاثة اقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما كشف العماني الستارة عن الايوان اندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا ابا الحسن اهذا المال اكثر ام الذي فاتك من فرص التعويذ فقال بل هذا يا امير المؤمنين اكثر باضعاف كثيرة قال الرشيد اشهدوا يا من حضر اني وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الارض واستحي وبكي من شدة الفرح بين يدي الرشيد فلما بكي جري الدمع من عينه علي خده فرجع الدم الي محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال الخليفة لا اله الا الله سبحان من يغير حالا بعد حال وهو باق لا يتغير ثم اتي بمرآة واراه وجهه فيها فلما رآه سجد شكرا لله تعالى ثم امر الخليفة ان يحمل اليه المال وسأله انه لا ينقطع عنه لاجل المنادمة فصار يتردد اليه الي ان توفي الخليفة الي رحمة الله تعالى

فسبحان الذى لا يموت ذى الملك والملكوت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن احسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج الّا لصلوٰة الجمعة فمرّ وهو خارج من صلوٰة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلّب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد ان تنطق لم يرَ احسن منها على وجه الارض فسلبت عقله وادهشت لبه فقال له يا شيخ بعني هذه الصورة فقبّل الارض بين يديه ثمّ قال يا سيدى بغير ثمن فدفع له مائة دينار واخذ الكتاب الذى فيه هذه الصورة فصار ينظر اليها ويبكي ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال فى نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو لربما اخبرنى فان كانت صاحبتها فى الحيوٰة توصلت اليها وان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا اعذّب نفسى بشئ لا حقيقة له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال فى نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة لربما اخبرنى فان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا اعذب نفسى بشئ لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مرّ على الكتبي فنهض اليه قائما فقال له يا عم اخبرنى من صنع هذه الصورة قال يا سيدى صنعها رجل من اهل بغداد يقال له ابو القاسم الصندلانى فى حارة تسمى حارة الكرخ وما اعلم صورة من هى فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله احدا من اهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد الى البيت فاخذ جرابا وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثلثون الف دينار ثم صبر الى الصباح وخرج ولم يعلم احدا ولحق قافلة فرأى بدويا فقال له يا عم كم بينى وبين بغداد فقال له يا ولدى اين انت واين بغداد ان بينك وبينها سيرة شهرين فقال له يا عم ان وصلتنى الى بغداد اعطيتك مائة

دينار

دينار وهذه الفرس التي تحتي في قيمتها الف دينار فقال له البدوي والله على ما نقول وكيل ولكن لا ننزل في هذه الليلة الا عندي فاجابه الى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر اخذه البدوي ثم سار به سريعا في طريق قريب طمعا في تلك الفرس التي وعده بها وما زالا سائرين حتى وصلا الى حيطان بغداد فقال له البدوي الحمد لله على السلامة يا سيدي هذه بغداد ففرح الغلام فرحا شديدا ونزل عن الفرس واعطاها للبدوي وهي المائة دينار ثم اخذ الجراب وسار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر الى درب فيه عشر حجر خمسة تقابل خمسة وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفي احداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمسة مماليك كانهم اقمار فلما راى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها له الشيخ فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به واجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام انا رجل غريب واريد من احسانك ان تنظر لي في هذا الدرب دارا لاسكن فيها فصاح الرجل وقال يا عزالة فخرجت اليه جارية وقالت لبيك يا سيدي فقال خذي معك بعض خدم واذهبوا الى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج اليه من انية وغيرها لاجل هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما امرها به ثم اخذه الشيخ واراه الدار فقال له الغلام يا سيدي كم اجرة هذه الدار فقال له يا صبيح الوجه انا ما آخذ منك اجرة ما دمت فيها فتشكره على ذلك ثم ان الشيخ نادى جارية اخرى فخرجت جارية كانها الشمس فقال لها هاتي الشطرنج فاتت به ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام اتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال احسنت يا غلام ولقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني انت ثم بعد ان هيأ والدار بالفرش وسائر ما يحتاج اليه سلم اليه المفاتيح وقال له يا سيدي الا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك فاجابه الغلام الى ذلك ومشى معه فلما وصلا الى الدار رأى دارا حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير وفيها من انواع الفرش والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وامر باحضار الطعام فاتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت واتوا بالطعام الوانا غريبة

لم يوجد افخر منها ولا الذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر الى الدار والفرش ثم التفت الى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اكلت لقمة تساوي درهما او درهمين فذهب مني جراب فيه ثلاثون الف دينار ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر ان يتكلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما رأى الجراب مفقودا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر ان يتكلم فقدم الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معي قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال للغلام احسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك يا غلام فقال اريد الجراب فقام واخرجه له وقال ها هو يا سيدي هل ترجع الى اللعب معي قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به اليك غلبتني ثم قال له يا ولدي اخبرني من اي البلاد انت قال من مصر فقال له وما سبب مجيئك الى بغداد فاخرج له الصورة وقال اعلم يا عم اني ولد الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي فسألت عن صانعها فقيل لي ان صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له ابو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران فأخذت معي شيئا من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي احد واريد من تمام احسانك ان تدلني عليه حتى اسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي ومهما اراده مني فاني اعطيه اياه فقال والله يا ابني اني انا ابو القاسم الصندلاني وهذا امر عجيب كيف ساقتك المقادير الي فلما سمع الغلام كلامه قام اليه وعانقه وقبل راسه ويديه وقال له بالله عليك ان تخبرني بصورة من هي فقال سمعا وطاعة ثم قام وفتح خزانة واخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال اعلم يا ولدي ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وابوها حاكم البصرة يقال له ابو الليث وهي يقال لها جميلة وما على وجه الارض اجمل منها ولكنها زاهدة في الرجال ولم تقدر ان تسمع ذكر رجل في مجلسها وقد ذهبت الى عمي بقصد انه يزوجني بها وبذلت له الاموال فلم

يجيني الى ذلك فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وارسلت اليّ كلاما من جملته انها
قالت ان كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة والا تهلك ويكون ذنبك في عنقك
وهي جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وانا منكسر الخاطر وعملت هذه الصور
في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة فلعله يتحيل
في الوصول اليها لعلها تعشقه واكون قد اخذت عليه العهد انه اذا تمكن منها
يريني اياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع ابراهيم ابن الخصيب كلامه اطرق راسه
ساعة وهو يتفكر فقال له الصندلاني يا ولدي اني ما رأيت ببغداد احسن
منك واظن انها اذا نظرتك تحبك فهل يمكنك اذا اجتمعت بها وظفرت بها
ان تريني اياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال اذا كان الامر كذلك فاقم عندي
الى ان تسافر فقال لا اقدر على المقام فان في قلبي من عشقها نارا زائدة
فقال له اصبر حتى اجهز لك مركبا في ثلاثة ايام لتذهب فيها الى البصرة فصبر
حتى جهز له مركبا ووضع فيها كل ما يحتاج اليه من ماكول ومشروب وغير ذلك
وبعد الثلاثة ايام قال للغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبا فيها سائر ما
تحتاج اليه والمركب ملكي والملاحون من اتباعي وفي المركب ما يكفيك الى ان
تعود وقد وصيت الملاحين ان يخدموك الى ان ترجع بالسلامة فنهض الغلام
ونزل في المركب وودعه وسار حتى وصل الى البصرة فاخرج الغلام مائة دينار
للملاحين فقالوا له نحن اخذنا الاجرة من سيدنا فقال لهم خذوها انعاما وانا
لا اخبره بذلك فاخذوها منه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل اين
مسكن التجار فقالوا له في خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل الى السوق
الذي فيه الخان فامتدت اليه الاعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل
الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخا كبيرا مهابا فسلم
عليه فرد عليه السلام فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم اخذه هو
والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام ان هذه الحجرة تصلح
لك فاخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فاخذهما ودعا
له وامر الغلام الملاح بالذهاب الى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب
الخان وخدمه وقال له يا سيدي حصل لنا بك السرور فاعطاه الغلام دينارا
وقال له هات لنا به خبزا ولحما وحلوى وشرابا فاخذه وذهب الى السوق ورجع

اليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم واعطاه الباقى فقال له الغلام اصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحا عظيما ثم ان الغلام اكل مما طلبه قرصا واحدا بقليل من الادم وقال لبواب الخان خذ هذا الى اهل منزلك فاخذه وذهب به الى اهل منزله وقال لهم ما اظن ان احدا على وجه الارض اكرم من الغلام الذى سكن عندنا فى هذا اليوم ولا احلى منه فان دام عندنا حصل لنا الغنى ثم ان بواب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكى فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال يا سيدى لاى شئ تبكى لا ابكاك الله فقال يا عم اريد ان اشرب انا وانت فى هذه الليلة فقال له سمعا وطاعة فاخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشرابا ثم دفع له خمسة دنانير اخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلا ومشموما وخمس دجاجات سمان واحضر لى عودا فخرج واشترى له ما امره به وقال لزوجته اصنعى هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعينه جيدا فان هذا الغلام قد عمنا باحسانه فصنعت زوجته ما امرها به على غاية المراد ثم اخذه ودخل به على ابراهيم ابن السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب اخذه ودخل به على ابن السلطان فاكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وانشد هذين البيتين

يا صاحبى لو بذلت الروح مجتهدا ... وجملة المال والدنيا وما فيها
وجنة الخلد والفردوس اجمعها ... بساعة الوصل كان القلب شاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فتنهد بواب الخان فلما افاق قال له بواب الخان يا سيدى ما يبكيك ومن هى التى تريدها بهذا الشعر فانها لا تكون الا ترابا لقدمك فقام الغلام واخرج بقجة من احسن ملابس النساء وقال له خذ هذه الى حريمك فاخذها منه ودفعها الى زوجته فاتت معه ودخلت على الغلام فاذا هو يبكى فقالت له فتت اكبادنا فعرفنا باى مليحة تريدها وهى لا تكون الا جارية عندك فقال يا عم اعلم انى انا ابن الخصيب

صاحب مصر وانى متعلق بجميلة بنت الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا اخى ان تترك هذا الكلام لئلا يسمع بك احد فتهلك فانه ما على وجه الارض اجبر منها ولا يقدر احد ان يذكر لها اسم رجل لانها زاهدة في الرجال فيا ولدى اعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدا فقال له بواب الخان ما لى سوى روحى فانا اخاطر بها فى هواك واذبر لك امرا فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما اصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك واذا ببواب الخان هو وزوجته قد ما عليه وقالا له يا سيدى اعلم ان هنا رجلا خياطا احدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب اليه واخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك الى اغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الاحدب ودخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كانهم الاقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به واجلسوه وتحيروا فى محاسنه وجماله فلما رآه الاحدب اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام اريد ان تخيط لى جيبى فتقدم الخياط واخذ فتلة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتق جيبه عمدا فلما خاطه اخرج له خمسة دنانير واعطاها له وانصرف الى حجرته فقال الخياط اى شئ عملته لهذا الغلام حتى اعطانى الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر فى حسنه وكرمه فلما اصبح الصباح ذهب الى دكان الخياط الاحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام واكرمه ورحب به فلما جلس قال للاحدب يا عم خيط لى جيبى فانه فتق ثانيا فقال له يا ولدى على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فاخذها وصار مبهوتا من حسنه وكرمه ثم قال والله يا غلام ان فعلك هذا لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن اخبرنى عن حقيقة امرك فان كنت عشقت واحدا من هؤلاء الاولاد فوالله ما فيهم احسن منك وكلهم تراب اقدامك وها هم عبيدك بين يديك وان كان غير هذا فاخبرنى فقال يا عم ما هذا محل الكلام فان حديثى عجيب وامرى غريب قال فاذا كان الامر كذلك فقم بنا فى خلوة ثم نهض الخياط واخذ بيده ودخل معه حجرة فى داخل الدكان وقال له يا غلام حدثنى فحدثه بامره من اوله الى آخره فبهت من كلامه وقال يا غلام اتق الله فى نفسك فان التى ذكرتها جبارة زاهدة فى الرجال فاحفظ يا اخى لسانك والا فانك تهلك

نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدا ولزم ذيل الخياط وقال اجرني
يا عم فاني هالك وقد تركت ملكي وملك ابي وجدي وصرت في البلاد غريبا
وحيدا ولا صبر لي عنها فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي
الا نفسي فاخاطر بها في هواك فانك قد جرحت قلبي ولكن في غد ادبر لك
امرا يطيب به قلبك فدعا له وانصرف الى الخان فحدث بواب الخان بما قاله
الاحدب فقال له قد فعل معك جميلا فلما اصبح الصباح لبس الغلام افخر ثيابه
واخذ معه كيسا فيه دنانير واتى الى الاحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له
يا عم انجز وعدي فقال له قم في هذه الساعة وخذ ثلث دجاجات سمانا وثلث
اواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابا وخذ قدحا وضع
ذلك في كارة وانزل بعد صلوة الصبح في زورق مع ملاح وقل له ان تذهب بي
تحت البصرة فان قال لك ما اقدر ان اعدي اكثر من فرسخ فقل له الراى لك فاذا
عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فاذا وصلت فاول بستان تراه فانه بستان
السيدة جميلة فاذا رأيته فاذهب الى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من
الديباج وجالس عليهما رجل احدب مثلي فاشك اليه حالك وتوسل به فعساه
ان يرثي لحالك ويوصلك الى ان تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة
غير هذا واما اذا لم يرث لحالك فقد هلكت انا وانت وهذا ما عندي من الراي
والامر الى الله تعالى فقال الغلام استعنت بالله ما شاء الله كان ولا حول ولا
قوة الا بالله ثم قام من عند الخياط الاحدب وذهب الى حجرته واخذ ما امره
به في كارة لطيفة ثم انه لما اصبح جاء الى شاطئ الدجلة فاذا هو برجل ملاح نائم
فايقظه واعطاه عشرة دنانير وقال له عدني الى تحت البصرة فقال له يا سيدي
بشرط اني لا اعدي اكثر من فرسخ وان تجاوزته شبرا هلكت انا وانت فقال له الراي
لك فاخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما اقدر ان
اعدي فان تعديت هذا الحد هلكت انا وانت فاخرج له عشرة دنانير اخرى
وقال له خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك فاستحى منه وقال سلمنا الامر
لله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما اعطى للملاح العشرة دنانير الاخرى اخذها وقال سلمت الامر لله تعالى واتخذ ربه فلما وصل الى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربا ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الاحدب من البستان ورأى بابه مفتوحا وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل احدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب فنهض الغلام مسرعا وانكب على يده وقبلها فقال له من انت ومن اين اتيت ومن اوصلك الى ها هنا يا ولدي وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم ابن الخصيب انبهر من جماله فقال له ابراهيم يا عم انا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له واصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له لا باس عليك ان كنت مديونا قضى الله دينك وان كنت خائفا امن الله خوفك فقال يا عم ما بي خوف ولا علي دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه فقال له يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك الى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له امره فلما سمع كلامه اطرق رأسه ساعة الى الارض وقال هل الذي دلك علي الخياط الاحدب قال له نعم قال هذا اخي وهو رجل مبارك ثم قال يا ولدي لولا ان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت انت واخي وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم ان هذا البستان ما على وجه الارض مثله وانه يقال له بستان اللؤلؤة وما دخله احد مدة عمري الا السلطان وانا وصاحبته جميلة واقمت فيه عشرين سنة فما رأيت احدا جاء الى هذا المكان وكل اربعين يوما تاتي في المركب الى ها هنا وتصعد بين جواريها في حلة اطلس تحمل اطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب الى ان تدخل فلم ارمنها شيئا ولكن انا مالي الا نفسي فاخاطر بها من اجلك فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له اجلس عندي حتى ادبر لك امرا ثم اخذ بيد الغلام وادخله البستان فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن انه الجنة ورأى الاشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه مدفقة والاطيار تناغي باصوات مختلفة ثم ذهب به الى قبة وقال له هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من اعجب المتنزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب

والالاتزورد وفيها اربعة ابواب يصعد اليها بخمس درج وفى وسطها بركة ينزل اليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعادن وفى وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء خرج من افواهها فاذا اصطفقت الصور عند خروج الماء باصوات مختلفة تخيل لسامعها انه فى الجنة وحول القبة ساقية دواليبها من الفضة وهى مكسوة بالديباج وعلى يسار الساقية شباك من الفضة يطل على برج اخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والارانب وعلى يمينها شباك يطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد باصوات مختلفة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك اخذه الطرب وقعد فى باب البستان وقعد البستانى بجانبه وقال له كيف ترى بستانى فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستانى ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدى الغلام وقال له كل حتى تشبع قال ابراهيم فاكلت حتى اكتفيت فلما رأى انى اكلت فرح وقال والله هكذا شأن الملوك واولاد الملوك ثم قال يا ابراهيم اى شئ معك فى هذه الكارة فحللتها بين يديه فقال احملها معك فانها تنفعك اذا حضرت السيدة جميلة فانها اذا جاءت لا اقدر ان ادخل لك بما تاكل ثم قام واخذ بيدى واتى بى الى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الاشجار وقال له اصعد هنا فاذا جاءت فانك تنظرها وهى لا تنظرك وهذا اكبر ما عندى من الحيلة وعلى الله الاعتماد فاذا غنت فاشرب على غنائها فاذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة فشكره الغلام واراد ان يقبل يده فمنعه ثم ان الغلام وضع الكارة فى العريشة التى عملها له ثم قال له البستانى يا ابراهيم تفرج فى البستان وكل من اثماره فان ميعاد حضور صاحبتك فى غد فصار ابراهيم يتنزه فى البستان وياكل من اثماره وبات ليلته عنده فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صلى ابراهيم الصبح واذا بالبستانى قد جاء وهو مصفر اللون وقال له قم يا ولدى واصعد الى العريشة فان الجوارى قد اتين ليفرشن المكان وهى تاتى بعدهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحولى لما دخل على ابراهيم ابن الخصيب

في لبنان قال له قم يا ولدي اصعد الى العريشة فان الجواري قد اتين ليفرشن المكان وهي تاتي بعدهن واحذر من ان تبصق او تمخط او تعطس فنهلك انا وانت فقام الغلام وصعد الى العريشة وذهب الخولي وهو يقول رزقك الله السلامة يا ولدي فبينما الغلام قاعد واذا بخمس جوار اقبلن لم ير مثلهن احد فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد واطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج واقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن الات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات اذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير الغلام منها ولا من اثوابها شيئا فقال في نفسه والله انه ضاع جميع تعبي ولكن لا بد لي من ان اصبر حتى انظر كيف يكون الامر فقدمت الجواري الاكل والشرب ثم اكلن وغسلن ايديهن ونصبن لها كرسيا فجلست عليه ثم ضربن بالالات الملاهي جميعهن وغنين باصوات مطربة لا مثل لهن ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري واذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك فرآها ابراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى راسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجواري وقبلن الارض بين يديها وهي تضحك قال ابراهيم ابن الخصيب فلما رايتها غبت عن وجودي واندهش عقلي وتحير فكري بما بهرني من جمال لم يكن على وجه الارض مثله ووقعت مغشيا علي ثم افقت باكي العينين وانشدت هذين البيتين

اَرَاكِ فَلَا اَرُدُّ الطَّرْفَ كَيْ لَا	يَكُونَ حِجَابَ رُؤْيَتِكِ الْجُفُونُ
وَلَوْ اَنِّيْ نَظَرْتُ بِكُلِّ لَحْظٍ	لَمَا اسْتَوْفَتْ مَحَاسِنَكِ الْعُيُونُ

فقالت العجوز للجواري ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما راهن ابراهيم قال في نفسه اشتهي ان ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جوار اقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهي ان ترقصي في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لاننا ما راينا اطيب من هذا اليوم فقال ابراهيم ابن الخصيب في نفسه لا شك ان ابواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي ثم قبل الجواري اقدامها وقلن لها والله ما راينا صدرك مشروحا مثل هذا اليوم فما زلن يرغبنها حتى

قلعت اثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بانواع الجواهر وابرزت نهودا كانهن الرمان واسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى ابراهيم من الحركات ما لم يرفي عمره مثله ولما اتت في رقصها باسلوب غريب ابتداع عجيب حتى انستنا رقص الحبب في الكؤس واذكرتنا ميل العمائم عن الرؤس وهي كما قال فيها الشاعر

كَأَنَّمَا اشْتَهَتْ خُلِقَتْ حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ ... فِي قَالَبِ الْحُسْنِ لَا طُولٌ وَلَا قِصَرُ
كَأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ مَاءِ لُؤْلُؤَةٍ ... فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ حُسْنِهَا قَمَرُ

وكما قال الآخر

وَرَاقِصٍ مِثْلِ غُصْنِ الْبَانِ قَامَتُهُ ... تَكَادُ تَذْهَبُ رُوحِي مِنْ تَنَقُّلِهِ
لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ فِي رَقْصِهِ قَدَمٌ ... كَأَنَّمَا نَارُ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

قال ابراهيم فبينما انا انظر اليها اذ لاحت منها التفاتة اليّ فرأتني فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا انتم حتى اجيء اليكن ثم عمدت الى سكين قدر نصف ذراع واخذتها واتت نحوي ثم قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلما قربت مني غبت عن الوجود فلما راتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لي يا غلام طب نفسا ولك الامان مما تخاف فصرت ابكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت يا غلام اخبرني من انت وما جاء بك الى هذا المكان فقبلت الارض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل لي من انت قال ابرهيم فحدثتها بحديثي من اوله الى اخره فتعجبت من ذلك وقالت لي يا سيدي انا شدتك الله هل انت ابراهيم ابن الخصيب قلت نعم فانكبت عليّ وقالت يا سيدي انت الذي زهدتني في الرجال لانني لما سمعت انه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الارض اجمل منه هويتك بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر

أُذْنِي لَقَدْ سَبَقَتْ فِي عِشْقِهِ بَصَرِي ... وَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

فالحمد لله الذي اراني وجهك والله لو كان احد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لي كيف احتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواري فقلت لها ان معي ما ناكل وما نشرب ثم حللت الكارة

بين يديها فاخذت دجاجة وصارت تلقمنى وألقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت انه منام ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهى عندى والجوارى تغنى وما زلنا كذلك من الصبح الى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيّ لك مركبا وانتظرنى فى المحل الفلانى حتى اجى اليك فما بقى لى صبر على فراقك فقلت يا سيدتى ان معى مركبا وهى ملكى والملاحون فى اجارتى وهم فى انتظارى فقالت هذا هو المراد ثم مضت الى الجوارى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة جميلة لما مضت الى الجوارى قالت لهن قمن بنا للتروج الى قصرنا فقلن لها كيف نقوم فى هذه الساعة وعادتنا اننا نقعد ثلاثة ايام فقالت انى اجد فى نفسى ثقلا عظيما كأنى مريضة واخاف ان يثقل على ذلك فقلن لها سمعا وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن الى الشاطئ ونزلن فى الزورق واذا بالبستانى قد اقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذى جرى له فقال يا ابراهيم مالك حظ فى التلذذ برؤيتها فان من عادتها ان تقيم هنا ثلاثة ايام وانا اخاف ان تكون رأتك فقال ابراهيم ما رأتنى ولا رأيتها ولا خرجت من القبة قال صدقت يا ولدى فانها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن اقعد عندى حتى تأتى فى الاسبوع الثانى وتراها وتشبع من النظر اليها فقال ابراهيم يا سيدى ان معى مالا واخاف عليه وورائى رجال فاخاف ان يستغيبونى فقال يا ولدى انه يعز على فراقك ثم عانقه وودعه ثم ان ابراهيم توجه الى الخان الذى كان نازلا فيه وقابل بواب الخان واخذ ماله فقال له بواب الخان خبر خير ان شاء الله فقال له ابراهيم انى ما وجدت الى حاجتى سبيلا واريد ان ارجع الى اهلى فبكى بواب الخان وودعه وحمل متعته واوصله الى المركب وبعد ذلك توجه الى المحل الذى قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جن الليل واذا بها قد اقبلت عليه وهى فى زى رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفى احدى يديها قوس ونشاب وفى الاخرى سيف مجرد وقالت له هل انت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها ابراهيم هو انا فقالت له واى علق انت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان قال ابراهيم فوقعت مغشيا

علي واما الملاحون فانهم ماتوا في جلودهم من الخوف فلما رأت ما حل بي خلعت تلك الجبة ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هي السيدة جميلة فقلت له والله انك قطعت قلبي ثم قلت للملاحين اسرعوا في سير المركب فحلوا الشراع واسرعوا في السير فما كان الا ايام قلائل حتى وصلنا الى بغداد واذا بمركب واقفة على جانب الشط فلما رأنا الملاحون الذين فيها صاحوا على الملاحين الذي معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة ثم دفعوا مركبهم على مركبنا فنظرنا اذا فيها ابو القاسم الصندلاني فلما رأنا قال ان هذا هو مطلوبي امضوا في وداعة الله وانا اريد التوجه الى غرض وكان بين يديه شمعة ثم قال لي الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة تغير حالها واصفر لونها ولما رآها الصندلاني قال اذهبوا في امان الله انا رائح الى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم احضر علبة من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج فقال ابراهيم يا قرة عيني كلي من هذا فبكت وقالت يا ابراهيم اتدري من هذا قلت نعم هذا فلان قالت انه ابن عمي وكان سابقا خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه الى البصرة فربما يعرف ابي بنا فقلت يا سيدتي هو لا يصل الى البصرة حتى نصل نحن الى الموصل ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب فاكلت شيئا من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الارض برأسي فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عريانا مرميا في الخراب فلطمت على وجهي وقلت في نفسي ان هذه حيلة عملها علي الصندلاني فصرت لا ادري اين اذهب وما علي سوى سروال فقمت وتمشيت قليلا واذا بالوالي اقبل علي ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماما خربا فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم اعلم ما هو ثم مددت يدي اليه ثانيا فجاءت على القتيل وطلعت رأسه في يدي فرميتها وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام واذا بالوالي وقف على باب الحمام وقال ادخلوا هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت المقتول فرأيته صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال

فتشوا جهات الحمام قد خلوا الموضع الذى انا فيه فنظرنى رجل منهم فجاء الى و
بيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب منى قال سبحان الله خالق هذا الوجه
الحسن يا غلام من اين انت ثم اخذ بيدى وقال يا غلام لاى شئ قتلت هذه
المقتوله فقلت والله ما قتلتها ولا اعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان الا
فرجا منكم واخبرته بقصتى وقلت له بالله عليك لا تظلمنى فانى مشغول بنفسى
فاخذنى وقدمنى الى الوالى فلما رأى على يدى اثر الدم قال هذا لا يحتاج الى
بينة فاضربوا عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الخصيب قال فلما قدمونى الى الوالي
ورأى على يدى اثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت
هذا الكلام بكيت بكاء شديدا وجرت منى دموع العين وانشدت هذين البيتين

مَشَيْنَاهَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا ... وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا على فرق لى قلب الجلاد وقال والله ما هذا
وجه من قتل وقال الوالى اضربوا عنقه فاجلسونى فى نطع الدم وشدوا على
عينى غطاء واخذ السياف سيفه واستأذن الوالى واراد ان يضرب عنقى
فصحت واغربتاه واذا بخيل قد اقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف
وكان لذلك سبب عجيب وامر غريب وهو ان الخصيب صاحب مصر كان قد
ارسل حاجبه الى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب
يذكر له فيه ان ولدى قد فقد من منذ سنة وقد سمعت انه ببغداد والمقصود
من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد فى طلبه ويرسله الى مع
الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب امر الوالى ان يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالى
والخليفة يسأل عنه حتى قيل له انه بالبصرة فاخبر الخليفة بذلك فكتب
الخليفة كتابا واعطاه للحاجب المصرى وامره ان يسافر الى البصرة وان يأخذ معه
جماعة من اتباع الوزير فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد
الغلام فى نطع الدم مع الوالى فلما رأى الوالى الحاجب وعرفه ترجل اليه فقال له

الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فاخبره بالخبر فقال الحاجب والحال انه لم يعرف
انه ولد السلطان ان وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وامره بحل وثاقه فحله
فقال قدمه اليّ فقدمه اليه وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الاهوال
فقال له الحاجب اخبرني بقضيتك يا غلام وما شان هذه المقتولة معك فلما
نظر ابراهيم الى الحاجب عرفه فقال له ويلك اما تعرفني اما انا ابراهيم ابن سيدك
فلعلك جئت في طلبي فامعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب
على اقدامه فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفر لونه فقال له الحاجب ويلك
يا جبار هل كان مرادك ان تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر فقبل الوالي
ذيل الحاجب وقال له يا مولاي من اين اعرفه وانما رايناه على هذه الصفة ورأينا
الصبية مقتولة بجانبه فقال له ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر
خمسة عشر عاما وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتيلا هلا امهلته وسألته عن
حاله ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام ثانيا فراوا قاتلها
فاخذوه واتوا به الى الوالي فاخذه وتوجه به الى دار الخلافة واعلم الخليفة بما
جرى فامر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم امر باحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين
يديه تبسم الرشيد في وجهه وقال له اخبرني بقضيتك وما جرى لك فحدثه
بحديثه من اوله الى اخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال اذهب
في هذه الساعة واهجم على دار ابي القاسم الصندلاني واتني به وبالصبية فمضى
من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف
فحلها مسرور واتى بها وبالصندلاني فلما راها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت
الى الصندلاني وقال خذوه واقطعوا يديه الذي ضرب بهما هذه الصبية
واصلبوه وسلموا امواله واملاكه الى ابراهيم ففعلوا ذلك فبينما هم كذلك
واذا بابي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد اقبل عليهم يستغيث بالخليفة
من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو اليه انه اخذ ابنته فقال له
الرشيد انه كان سببا في خلاصها من العذاب والقتل وامر باحضار ابن
الخصيب فلما حضر قال لابي الليث الا ترضى ان يكون هذا الغلام ابن سلطان
مصر بعلا لابنتك فقال سمعا وطاعة لله ولك يا امير المؤمنين فدعا الخليفة
بالقاضي والشهود وزوّج الصبية بابراهيم ابن الخصيب ووهب له جميع

اموال

اموال الصندلاني وجهزه الى بلاده وعاش معها في انعم سرور واوفى حبور الى ان اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان المعتضد بالله كان عالي الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير وما كان يخفى عليه من امور الناس شيء فخرج يوما هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من اخبار الناس فحمي عليهما الحر والهجير وقد انتهيا الى زقاق لطيف في شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا في صدر الزقاق دارا حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقعدا على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان كالقمرين في ليلة اربعة عشر فقال احدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لان سيدي لم ياكل الا مع الضيفان وقد صرنا الى هذا الوقت ولم ار احدا فتعجب الخليفة من كلامهما وقال ان هذا دليل على كرم صاحب الدار ولا بد ان ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سببا في نعمة تصل اليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك في قدوم جماعة اغراب وكان الخليفة في ذلك الزمان اذا اراد الفرجة على الرعية تنكر في زي التجارة فدخل الخادم على سيده واخبره ففرح وقام وخرج اليهما بنفسه واذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت فلما راهما قال اهلا وسهلا بالسادة المنعمين علينا غاية الانعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسي الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رأياها تنسي الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان ومن داخلها بستان فيه من سائر الاشجار وهي تدهش الابصار واماكنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت الى الخليفة

فرأيت وجهه قد تغير وكنت اعرف من وجهه حال الرضى في الغضب فلما رأيته قلت في نفسي يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاؤا بطشت من الذهب فغسلنا ايدينا ثم جاؤا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران فلما انكشفت الاغطية من الاواني رأينا اطعمة كزهر الربيع في اعز الاوان صنوانا وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله ان الجوع قد امضني فانعموا علي بالاكل من هذا الطعام كما هو اخلاق الكرام وصار صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين ايدينا ويضحك وينشد الاشعار ويورد الاخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس قال ابن حمدون فاكلنا وشربنا ثم نقلنا الى مجلس آخر يدهش لناظرين تفوح منه الروائح الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت افراحنا وزالت اتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوسه لم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع ان عادته انه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وانا اعرف انه غير حسود ولا ظلوم فقلت في نفسي يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاؤا بطبق الشراب ومجمع شمل الاحباب احضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران واذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلث جوار نهد ابكار وجوههن كالشمس في رابعة النهار وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب فلم يلتفت الخليفة الى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده فقال الخليفة لصاحب الدار اشريف انت قال لا يا سيدي انما انا رجل من اولاد التجار اعرف بين الناس بابي الحسن علي ابن احمد الخراساني فقال له الخليفة اتعرفني يا رجل قال والله يا سيدي لم يكن لي معرفة باحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يا رجل هذا امير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل وقبل الارض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا امير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين ان كنت رأيت مني تقصيرا او قلة ادب بحضرتك ان تعفو عني فقال الخليفة اما ما صنعته معنا من الاكرام فلا مزيد عليه واما ما انكرته عليك هنا فان اصدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي نجوت مني وان لم

تعرفنى حقيقته اخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابا لم اعذب احدا مثله قال معاذ الله ان احدث بالمحال وما الذى انكرته على يا امير المؤمنين فقال الخليفة انا من حين دخلت الدار وانا انظر الى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فاذا عليها اسم جدى المتوكل على الله قال نعم اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله ان الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لاحد على ان يتكلم بغير الصدق فى حضرتك فامره بالجلوس فجلس فقال له حدثنى فقال اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله بنصره وحفك بلطفه ان امره انه لم يكن ببغداد احد أيسر منى ومن ابى ولكن اخل لى ذهنك وسمعك وبصرك حتى احدثك بسبب ما انكرته على فقال له الخليفة قل حديثك فقال اعلم يا امير المؤمنين انه كان ابى بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له فى كل سوق حانوت ووكيل وبضائع من سائر الاصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التى بسوق الصيارف لاجل الخلوة فيها وجعل الدكان لاجل البيع والشراء وكان ماله يكثر عن العد ويزيد عن الحد ولم يكن له ولد غيرى وكان يحبنى ويشفق على فلما حضرته الوفاة دعانى واوصانى بوالدتى وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وابقى امير المؤمنين فاشتغلت باللذات واكلت وشربت ثم اتخذت الاصحاب والاصدقاء وكانت امى تنهانى عن ذلك وتلومنى عليه فلم اسمع منها كلاما حتى ذهب المال جميعه وبعت العقارات ولم يبق لى شيء غير الدار التى انا فيها وكانت دارا حسنة يا امير المؤمنين فقلت لامى اريد ان ابيع الدار فقالت يا ولدى ان بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكانا تأوى اليه فقلت هى تساوى خمسة آلاف دينار فاشترى من جملة ثمنها دارا بالف دينار ثم اتجر بالباقى فقالت اتبيعنى هذه الدار بهذا المقدار قلت نعم فجاءت الى طابق ففتحته واخرجت منه اناء من الصينى فيه خمسة آلاف دينار فخيل لى ان الدار كلها ذهب فقالت لى يا ولدى لا تظن ان هذا المال مال ابيك والله يا ولدى انه من مال ابى وكنت ادخرته لوقت الحاجة اليه فانى كنت فى زمن ابيك غنية عن الاحتياج الى هذا المال فاخذت المال منها يا امير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة آلاف دينار ولم اقبل من امى كلاما ولا نصيحة ثم قلت لها مرادى ان ابيع الدار فقالت يا ولدى قد نهيتك عن بيعها لعلمى انك محتاج اليها فكيف تريد بيعها ثانيا فقلت لها لا تطيلى على الكلام

فلا بد من بيعها فقالت بعني اياها بخمسة عشر الف دينار وبشرط ان اتولى اموري بنفسي فبعتها لها بذلك المبلغ على ان تتولى اموري بنفسها فطلبت وكلاء ابي واعطت كل واحد منهم الف دينار وجعلت المال تحت يدها والاخذ والعطاء معها واعطتني بعضا من المال لاتجر فيه وقالت لي اقعد انت في دكان ابيك ففعلت بما قالت امي يا امير المؤمنين وجئت الى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء اصحابي وصاروا يشترون مني وابيع لهم وطاب لي الربح وكثر مالي فلما رأتني امي على تلك الحالة الحسنة اظهرت لي ما كان مدخرا عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لي املاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذا الحال مدة وجاء وكلاء ابي فاعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما انا قاعد فيها على عادتي يا امير المؤمنين واذا بجارية قد اقبلت علي لم تر العيون اجمل منها منظرا فقالت اهذه حجرة ابي الحسن علي بن احمد الخراساني قلت لها نعم قالت اين هو قلت هو انا ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا امير المؤمنين ثم انها جلست وقالت لي قل لغلامك يزن لي ثلثمائة دينار فامرته ان يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فاخذته وانصرفت وانا ذاهل العقل فقال لي غلامي اتعرفها قلت لا والله قال فلم قلت لي زن لها فقلت والله اني لم ادر ما اقول مما بهرني من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه اثر ضربة فقلت له ما بالك فقال اني تبعت الجارية لانظر اين تذهب فلما احست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت ان تتلف تقلع عيني ثم مكثت شهرا لم ارها ولم تأت وانا ذاهل العقل في هواها يا امير المؤمنين فلما كان آخر شهر واذا بها جاءت وسلمت علي فكدت ان اطير فرحا فسألتني عن خبري وقالت لعلك قلت في نفسك ما شان هذه المحتالة كيف اخذت مالي وانصرفت فقلت والله يا سيدتي ان مالي وروحي ملك لك فاسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت لي زن لي ثلثمائة دينار فقلت سمعا وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فاخذتها وانصرفت فقلت للغلام اتبعها فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة وهي لم تأت فبينما انا جالس في بعض الايام واذا بها قد اقبلت علي وتحدثت ساعة ثم قالت زن لي خمسمائة دينار فاني قد احتجت اليها فاردت ان اقول لها على اي شيء اعطيك

مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام وانا يا امير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وانسى ما اريد ان اقول واصير كما قال الشاعر

فما هو الا ان اراها فجاءة ... فابهت حتى لا اكاد اجيب

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسي الى ان وصلت الى سوق الجواهر فوقفت على انسان فاخذت منه عقدا والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار فلما نظرني صاحب العقد قام الي وعظمني فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فقال سمعا وطاعة فاخذت العقد وانصرفت

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فاخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت الى الدجلة ونزلت في مركب فاومیت الى الارض لاقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفا انظرها الى ان دخلت قصرا فتأملته فاذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا امير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد اخذت مني ثلاثة الاف دينار فقلت في نفسي قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت الى دار وقد حدثت امي بجميع ما جرى لي فقالت لي يا ولدي اياك ان تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رحت الى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخا كبيرا فقال لي يا سيدي مالي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ما جرى لي معها فقال لي يا ولدي ان هذه من جواري قصر امير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها واذا جاءتك فاحذر ان تتعرض لك واعلمني بذلك حتى ادبر لك امرا لئلا يحصل لك تلف ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان اخر الشهر واذا بها قد اقبلت علي ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ما حملك على انك تبعتني فقلت لها حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت والله ما في قلبك شيء من الغرام الا وفي قلبي اكثر منه ولكن كيف اعمل والله مالي من سبيل غير اني اراك

فى كل شهر مرة ثم دفعت الىّ ورقة وقالت خذ هذه الى فلان الفلانى فانه وكيلى واقبض منه ما فيها فقلت ليس لى حاجة بمال ومالى وروحى فداك فقالت سوف ادبر لك امرا يكون فيه وصولك الىّ وان كان فيه تعب لى ثم ودعتنى وانصرفت فجئت الى الشيخ العطار واخبرته بما جرى لى فجاء معى الى دار المتوكل فرأينها هى المكان الذى دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيرا فى حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطا قبال الشباك المطل على الشاطئ وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم اليه وقل له ان يخيطه لك فاذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعا وطاعة ثم توجهت الى ذلك الخياط واخذت معى شقتين من الديباج الرومى وقلت له فصل هاتين اربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها اعطيته اجرتها زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده الىّ بتلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت اقعد عنده واطيل القعود معه ثم فصلت عنده غيرها وقلت له علقه على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة واعجبه شئ من الملابس وهبته له حتى البواب فقال لى الخياط يوما من الايام اريد يا ولدى ان تصدقنى حديثك لانك فصلت عندى مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوى جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ما هو فعل تاجر لان التاجر يحاسب على الدرهم وما مقدار رأس مالك حتى تعطى هذه العطايا وما يكون مكسبك فى كل عام فاخبرنى خبرا صحيحا حتى اعاونك على مرادك ثم قال انا اشدك الله اما انت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جوارى قصر الخليفة فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال لى هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل المحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سببا فى اتصالك بها فبينما نحن فى الحديث واذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر فى ليلة اربعة عشر وبين يدى الثياب التى خاطها لى الخياط وكانت من الديباج من سائر الالوان فصار ينظر اليها ويتأمل ثم اقبل علىّ فقمت اليه وسلمت عليه فقال من انت فقلت رجل من التجار قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم فاخذ منها خمسة وقال بكم هذه الخمسة فقلت هى هدية منى اليك عقد صحبة بينى وبينك ففرح بها ثم جئت الى بيتى واخذت له ملبوسا مرصعا بالجواهر واليواقيت

قمت

قيمته ثلثة آلاف دينار وتوجهت به اليه فقبله مني ثم اخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال لي فما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابني امرك فقلت لماذا قال لانك اهديت لي شيئاً كثيراً ملكت به قلبي وقد صح عندي انك ابو الحسن الخراساني الصيرفي فبكيت يا امير المؤمنين فقال لي لم تبكي فوالله ان التي تبكي من اجلها عندها من الغرام بك اكثر مما عندك من الغرام بها واعظم وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك ثم قال لي واي شيء تريد فقلت اريد ان تساعدني على بليتي فوعدني الى غد فمضيت الى داري فلما اصبحت توجهت اليه ودخلت حجرته فلما جاء قال اعلم انها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس دخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الاجتماع بك فاقعد عندي الى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل واذا بالمملوك اتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فالبسني اياها وبخرني فصرت اشبه الخليفة ثم اخذني الى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي هذه حجر الجواري الخاص فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا في كل ليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المملوك قال لابي الحسن فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا الى ان تأتي الى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فاذا وصلت اليها فمسها بيدك وان شئت فعد الابواب فهي كذا وكذا بابا فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها واما خروجك فان الله يهون علي فيه ولو اخرجك في صندوق ثم تركني ورجع وصرت امشي واعد الابواب واضع على كل باب حبة فول فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع واقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني فتأملته فاذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يا اختي هل نحن لنا خليفتان ان الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت منه رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته وفي هذه

الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل معه فقالت ان هذا امر عجيب لان التزين الخليفة لا يجسر عليه احد ثم قرب الضوء مني فارتعدت اعضائي واذا بخادم يصيح على الجواري ويقول هاهنا فانعطفوا الى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا الى بيت صاحبتي فسمعت الخليفة يقول هذه حجرة من فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة فقال لها اتشربين الليلة فقالت ان لم يكن لحضورك والنظر الى طلعتك فلا اشرب فانني لا اميل الى الشراب في هذه الليلة فقال للخادم قل للخازن يدفع لها العقد الفلاني ثم امر بالدخول الى حجرتها فدخلت بين يديه الشموع ودخل في حجرتها واذا بجارية امامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت من هذا ثم قبضت علي واخذتني الى حجرة من الحجر وقالت لي من انت فقبلت الارض بين يديها وقلت لها انشدك الله يا مولاتي ان تحقني دمي وترحميني وتتقربي الى الله بانقاذ مهجتي وبكيت فزعا من الموت فقالت لاشك انك لص فقلت لا والله ما انا لص فهل ترى علي اثر اللصوص فقالت اصدقني خبرك وانا اجعلك في امان فقلت انا عاشق جاهل احمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة فقالت قف هنا حتى اجيئ اليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت اخرج خلفي فخرجت خلفها حتى وصلت الى حجرتها وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بي الى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا باس عليك اما انت ابو الحسن الخراساني الصيرفي قلت بلى قالت قد حقن الله دمك ان كنت صادقا ولم تكن لصا فانك تهلك لاسيما وانت في زي الخليفة ولباسه وبخوره واما ان كنت ابا الحسن علي الخراساني الصيرفي فانك قد امنت ولا بأس عليك لانك صاحب شجرة الدر التي هي اختي فانها لا تقطع ذكرك ابدا وتخبرنا كيف اخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها الى الشاطئ واومئت لها الى الارض تعظيما وفي قلبها منك النار اكثر مما في قلبك منها ولكن كيف وصلت الى هاهنا اباموها ام بغير امرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت والله ياسيدتي اني انا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها الا النظر والاستماع لحديثها فقالت احسنت فقلت يا سيدتي الله شهيد على ما اقول

ان نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية فقالت بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك
في قلبي ثم قالت لجاريتها يا فلانة امضي الى شجرة الدر وقولي لها ان اختك تسلم
عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فان صدرها
ضيق فتوجهت اليها ثم عادت واخبرتها انها تقول منعني الله بطول حياتك وجعلني
فداك والله لو دعوتني الى غير هذا ما توقفت لكن يضرني صداع الخليفة وانت
تعلمين منزلتي عنده فقالت للجارية ارجعي اليها وقولي لها انه لا بد من حضورك
لسر بينك وبينها فتوجهت اليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية و
وجهها يضيء كأنه البدر فتقابلتها واعتنقتها وقالت يا ابا الحسن اخرج اليها
وقبل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت اليها يا امير المؤمنين فلما
رأتني القت نفسها علي وضمتني الى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس
الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي و
بما قاسيته من خوف وغيره فقالت يعز علي ما قاسيته من اجلي والحمد لله الذي
جعل العاقبة الى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل اختي ثم
اخذتني الى حجرتها وقالت لاختها اني قد عاهدته ان لا اجتمع معه في الحرام
ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لاكونن ارضا لوطئ قدميه وترابا
لنعليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لاختها اني قد عاهدته ان لا
اجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الاهوال لاكونن ارضا
لوطئ قدميه وترابا لنعليه فقالت لها اختها بهذه النية نجاه الله تعالى فقالت
سوف ترين ما اصنع حتى اجتمع معه في الحلال فلا بد ان ابذل مهجتي في التحيل
على ذلك فبينما نحن في الحديث واذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد
جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها فاخذتني يا امير المؤمنين وحطتني
في سرداب وطبقته علي وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت
بين يديه وخدمته ثم امرت باحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية
اسمها البنجة وهي ام المعتز بالله وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها

فلعزّ الحسن والجمال لا يصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع ان في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجواري والدخول اليهن في حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فامرها بالغناء فاخذت العود وشدت الاوتار وغنت بهذه الاشعار

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الايام موعدك الحشر
لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فلما سمعها الخليفة طرب طربا شديدا وطربت انا بطرب امير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا ثم انشدت ايضا هذه الابيات

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد العناق تدان
والثم فاه كي تزول حرارتي ... فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يبري غليله ... سوى ان ترى الروحان يمتزجان

فطرب الخليفة وقال تمني علي يا شجرة الدر فقالت اتمنى عليك عتقي يا امير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الارض بين يديه فقال خذي العود وقولي لنا شيئا في شأن جاريتي التي انا متعلق بهواها والناس تطلب رضاي وانا اطلب رضاها فاخذت العود وانشدت هذين البيتين

أربة الحسن التي اذهبت نسكي ... على كل احوالي فلا بد لي منك
فاما بذل وهو الیق بالهوى ... واما بعز وهو الیق بالملك

فطرب الخليفة وقال خذي العود وغني شعرا يتضمن شرح حالي مع ثلاث جواري ملكن قيادي ومنعن رقادي وهن انت وتلك الجارية الهاجرة واخرى لا اسميها ليس لها مناظرة فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ملك الثلاث الغانيات عناني ... وحللن من قلبي اعز مكاني
مالي مطاع في البرية كلها ... واطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا ان سلطان الهوى ... وبه غلبن اعز من سلطاني

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ثم مال به الى مصالحة الجارية
الماجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية واخبرتها بقدوم الخليفة
فاستقبلته وقبلت الارض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا
ما كان من امره واما ما كان من امر شجرة الدر فانها جاءت الى وهى فرحانة و
قالت انى صرت حرة بقدومك المبارك لعل الله يعيننى على ما ادبره حتى
اجتمع بك فى الحلال فقلت الحمد لله فبينما نحن فى الحديث واذا بخادمها قد دخل
علينا فحدثناه ما جرى لنا فقال الحمد لله الذى جعل آخره خيرا ونسال الله
ان يتم ذلك بخروجك سالما فبينما نحن فى الحديث واذا بالجارية اختها قد
جاءت وكان اسمها فاتر فقالت يا اختى كيف نعمل حتى نخرجه من القصر
سالما فان الله تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها
ليس حيلة فى خروجه الا بان البسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب
النساء فالبستنيها ثم خرجت يا امير المؤمنين فى ذلك الوقت فلما جئت الى وسط
القصر واذا بامير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر الى وانكرنى غاية
الانكار وقال لحاشيته اسرعوا واتونى بهذه الجارية الذاهبة فلما اتوا بى رفعوا
نقابى فلما رآنى عرفنى وسألنى فاخبرته بالخبر ولم اخف عليه شيئا فلما سمع
حديثى تفكر فى امرى ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال
كيف تختارين على بعض اولاد التجار فقبلت الارض بين يديه وحدثته بحديثها
من اوله الى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها
فى العشق واحواله ثم احضرنى ودخل عليها خادمها وقال لها طيبى نفسا ان حبيبك
لما حضر بين يدى الخليفة سأله فاخبره كما اخبرته حرفا بحرف ثم رجع الخليفة
واحضرنى بين يديه وقال لى ما حملك على التجارى على دار الخلافة فقلت يا امير
المؤمنين حملنى على ذلك جهلى والصبابة والاتكال على عفوك وكرمك ثم بكيت
وقبلت الارض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم امرنى بالجلوس فجلست فدعا
بالقاضى احمد بن ابى داود وزوجنى بها وامر بحمل جميع ما عندها الى وزفوها على
الى حجرتها وبعد ثلاثة ايام خرجت ونقلت جميع ذلك الى بيتى فجميع ما تنظره يا
امير المؤمنين فى بيتى وتنكره كله من جهازها ثم انها قالت لى يوما من الايام اعلم
ان المتوكل على الله كريم واخاف ان يتذكرنا او يذكرنا عنده احد من الحساد فاريد

ان اعمل شيئا يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو قالت اريد ان استأذنه
في الحج والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأي الذي اشرت اليه فبينما نحن في الحديث
واذا برسول الخليفة قد جاء في طلبها لانه كان يحب غناءها فمضت وخدمته
فقال لها لا تقطعي عنا فقالت سمعا وطاعة فاتفق انها ذهبت اليه في بعض الايام
وكان قد ارسل اليها على جري العادة فلم اشعر الا وقد جاءت من عنده ممزقة
الثياب باكية العين ففزعت من ذلك وقلت انا لله وانا اليه راجعون وتوهمت
انه امر بالقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا فقالت واين المتوكل
ان المتوكل قد انقضى حكمه وانمحى رسمه فقلت اخبريني بحقيقة الامر فقالت انه
كان جالسا وراء الستارة يشرب وعنده الفتح ابن خاقان وصدقة ابن صدقة فهجم
عليه ولده المنتصر هو وجماعة من الاتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور والحظ
الجميل بالبكاء والعويل فهربت انا والجارية وسلمنا الله ثم قمت في الحال يا امير
المؤمنين وانحدرت الى البصرة وجاء في الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر
والمستعين فخفت فنقلت زوجتي وجميع مالي الى البصرة وهذه حكايتي يا امير المؤمنين
لا زدتها حرفا ولا نقصتها حرفا فجميع ما نظرته في بيتي يا امير المؤمنين مما عليه
اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا لان اصل نعمتنا من اصولك الاكرمين
وانتم اهل النعم ومعدن الكرم ففرح الخليفة بذلك فرحا شديدا وتعجب من
حديثه ثم اخرجت للخليفة الجارية واولادي منها فقبلوا الارض بين يديه
فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن املاكنا عشرين
سنة ففرح الخليفة واتخذه نديما الى ان فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور
بعد القصور فسبحان الملك الغفور

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد
رزقه الله بنتا وولدا فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها وسمى
الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما اعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء
والاعتدال خاف عليهما من اعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين
وتحيل الفاسقين فحجبهما عن الناس في قصر مدة اربعة عشر سنة ولم يرهما

احد غير والديها وجارية تتعاطى خدمتها وكان والدها يقرأ القرآن كما انزله الله وكذلك امها تقرأ القرآن فصارت الام تقرئ بنتها والرجل يقرئ ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من ابيهما وامهما ولم يحتاجا الى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته الى متى وانت حاجب ولدك قمر الزمان من اعين الناس اهو بنت ام غلام فقال لها الغلام قالت حيث كان غلاما لم لم تاخذه معك الى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لاجل ان يشتهر عندهم انه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل لك امر فيكون الناس قد عرفوا انه ولدك فيضع يده على مخلفاتك واما اذا مت على هذه الحالة وقال للناس انا ابن التاجر عبد الرحمن فانهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف ان له ولدا وتأخذ اموالك الحكام ويصير ولدك محروما وكذلك البنت مرادي ان اشهرها عند الناس لعل احدا كفوا لها يخطبها فنزوجها له ونفرح بها فقال لها مخافة عليهما من اعين الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها مخافة عليهما من اعين الناس لاني محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد احسن من قال هذه الابيات

أَغَارُ عَلَيْكَ من نَظَرِي وَمِنِّي ... وَمِنْكَ وَمِنْ مَكَانِكَ وَالزَّمَانِ
وَلَوْ أَنِّي وَضَعْتُكَ فِي عُيُونِي ... دَوَامًا مَا سَئِمْتُ مِنَ التَّدَانِي
وَلَوْ وَاصَلْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ ... إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَا كَفَانِي

فقالت له زوجته توكل على الله ولا باس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك الى الدكان ثم انها البسته بدلة من افخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين واخذه ابوه معه ومضى به الى السوق فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم اليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار ابوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول ان الشمس قد طلعت في المحل الفلاني واشرقت في السوق والبعض يقول مطلع البدر في الجهة الفلانية

والبعض يقول طوبى لهلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون الى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لابيه خجل من كلام الناس ولا يقدر ان يمنع احدا منهم عن الكلام وصار يشتم امه ويدعو عليها لانها هي التي كانت سببا في خروجه والتفت ابوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش الى ان وصل الى الدكان ففتح الدكان وجلس واجلس ولده قدامه والتفت الى الناس فرآهم قد سدوا الطريق وصار كل من مر به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر الى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر ان يفارقه وانعقد عليه اجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال

خلقت الجمال لنا فتنة ... وقلت لنا يا عبادي اتقون
وانت جميل تحب الجمال ... فكيف عبادك لا يعشقون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفا نساء ورجالا لديه شاخصين الى ولده خجل غاية الخجل ... ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر الا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد اقبل عليه من طرف السوق ثم تقدم الى الغلام وصار ينشد الاشعار ويرخي الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالسا كأنه قضيب بان نابت على كثيب من الزعفران فاض دمع العين وانشد هذين البيتين

رأيت غصنا على كثيب ... شبيهه بدر اذ تلالا
فقلت ما الاسم قال لؤلؤ ... فقلت لي لي فقال لا لا

ثم ان الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر الى الغلام اندهش منه العقل والناظر وصح عليه قول الشاعر

فبينما ذاك المليح في محل ... من وجهه هلال عيد الفطر هل
اذ بشيخ ذي وقار قد اهل ... معتمدا في مشيه على مهل
يرى عليه اثر للزهد

قد مارس الايام والليالي ... وخاض في الحرام والحلال
وهام بالنساء والرجال ... ودق حتى صار كالخلال
وعاد عظما باليا في جلد

وكان في ذا الفن عجميا ... الشيخ عنده يرى صبيا

وَفِي مَحَبَّةِ النِّسَاءِ عُذْرِيَّا فِي الْخَمْرِ لَيْسَ مَاهِرًا غَوِيَّا
تَرْبَتُ لَدَيْهِ سِيَلُ زَبِيدِ
يَهِيمُ بِالْحَسْنَاءِ وَيَهْوَى الْحَسَنَا وَيَنْدُبُ الرَّبْعَ وَيَبْكِي الدِّمَنَا
تَخَالُهُ مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ غُصْنَا مَعَ الصَّبَا إِلَى هُنَاكَ أَوْ هُنَا
إِنَّ الْجُمُودَ مِنْ طِبَاعِ الْجَلْمَدِ
وَكَانَ فِي فَنِّ الْهَوَى خَبِيرَا مُسْتَيْقِظًا فِي أَمْرِهِ بَصِيرَا
وَجَابَ مِنْهُ سَهْلَهُ وَالْعَسِيرَا وَعَرَفَ الظَّبْيَةَ وَالْغَرِيرَا
وَهَامَ بِالشَّيْبِ مَعًا وَالْأَمْرَدِ

ثم تقدم الى الولد واعطاه عرق ريحان فمد ابوه يده الى جيبه واخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب الى حال سبيلك فاخذ الدراهم وجلس على مسطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر الى الولد ويبكي و عينه جاريات كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر اليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدراويش فساق وبعضهم يقول ان الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق واما ابوه فانه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح الى بيتنا ولا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازي امك بما فعلت معنا فانها هي التي تسببت في هذا كله ثم قال يا درويش قم حتى اقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه واخذ ولده ومشى فتبعهما الدرويش والناس الى ان وصلا الى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر الى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش ومالي اراك تبكي فقال يا سيدي اريد ان اكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحبا بضيف الله ادخل يا درويش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان انا ضيف الله فقال له التاجر مرحبا بضيف الله ادخل يا درويش وقال التاجر في نفسه ان كان هذا الدرويش عاشقا للولد وطلب منه فاحشة فلابد ان

اقتله في هذه الليلة واخفي قبره وان كان ما عنده فساد فان الضيف يأكل نصيبه ثم انه ادخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال ستي القمر الزمان يا ولدي اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد ان اخرج من عندكما فان طلب منك فسادا فانا اكون ناظرا لكما من الطاقة المطلة على القاعة فانزل اليه واقتله ثم ان الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر اليه ويتحسر ويبكي واذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكي الى ان اتى العشاء فصار يأكل وعينه الى الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال ابو الولد يا ولدي تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه واراد ان يخرج فقال له الدرويش يا سيدي خذ ولدك معك او نم عندنا قال لا وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئا فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها هذا ما كان من امر التاجر واما ما كان من امر الولد فانه تقدم الى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ الدرويش وقال له ما هذا الكلام يا ولدي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ابعد عني يا ولدي ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدا عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه وقال له لاي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصالي وانا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له ان لم تمتنع عني ناديت اباك واخبره بخبرك فقال له ان ابي يعرف انني بهذه الصفة ولا يمكن انه يمنعني فاجبر بخاطري لاي شيء تمتنع عني اما اعجبتك فقال له والله يا ولدي ما افعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وانشد قول الشاعر

إِنَّ قَلْبِي يَهْوَى المِلَاحَ ذُكُورًا	وَإِنَاثًا وَلَسْتُ بِالمُتَوَانِي
بَلْ أَرَاهُمْ أَصَاشِلًا وَبُكُورًا	لَمْ أَكُنْ لَائِطًا وَلَا أَنَا زَانِي

ثم بكى وقال له قم افتح لي الباب حتى اروح الى حال سبيلي انا ما بقيت انام في هذا المكان ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لاشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفائفي ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي ورنا اليه بلحظ يعجز السحر والراقي وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال

لَمْ أَنْسَهُ مُذْ دَامَ يَكْشِفُ عَامِدًا ... عَنْ سَاقِهِ كَاللُّؤْلُؤِ البَرَّاقِ
لَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنْ تَقُومَ قِيَامَتِي ... إِنَّ القِيَامَةَ يَوْمَ كَشْفِ السَّاقِ

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر الى نهودي فانها احسن من نهود البنات وريقي احلى من السكر النبات فدع الورع والزهادة وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتمل بجمالي ولا تخف من شيئ ابدا وعليك الامان من الردى واترك هذه البلادة فانها بئست العادة وصار يريه ما خفي من محاسنه ويبديه وينثني عنان عقله بثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول اعوذ بالله استح يا ولدي ان هذا شيئ حرام لا افعله ولا في المنام فشدد عليه الغلام فامتنع منه الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلي فلما راه يصلي تركه حتى صلى ركعتين وسلم واراد ان يتقدم اليه فنوى الصلوة ثاني مرة وصلى ركعتين ولم يزل يفعل هكذا ثالثا ورابعا وخامسا فقال له الولد وما هذه الصلوة هل مرادك ان تطير على السحاب اضعت حظنا وانت طول الليل في المحراب ثم ان الغلام ارمى عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له يا ولدي اخزعنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له ان لم تفعل بي ما اريد انادي ابي واقول له ان الدرويش يريد ان يفعل بي الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وابوه ينظر بعينه ويسمع باذنه فثبت عند ابي الولد ان الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه لو كان هذا الدرويش مفسودا ما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم ان الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلوة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ على الولد واغلظ على الولد وضربه فبكى الولد فدخل عليه ابوه ومسح دموعه واخذ بخاطره وقال للدرويش يا اخي حيث كنت على هذه الحالة لاي شيئ تبكي وتتحسر حين رأيت ولدي هل لهذا من سبب قال له نعم فقال له انا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء فامرت الولد بهذا الامر حتى اجربك واضمرت اني اذا رأيتك تطلب منه فاحشة ادخل عليك واقتلك فلما رايت ما وقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية ولكن بالله عليك ان تخبرني بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدي لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد ان تخبرني فقال اعلم انني درويش سياح في البلاد والاقطار لاعتبر باثار خالق الليل والنهار فاتفق انني دخلت مدينة البصرة في يوم

جمعة ضحوة النهار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدرويش قال للتاجر اعلم انني درويش سياح فاتفق انني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الاصناف والبضائع والمأكل والمشرب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع والاسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا انس انيس فتعجبت من ذلك وقلت يا ترى اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم وكنت جائعا فاخذت عيشا سخنا من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبست العيش بالسمن والعسل واكلت وطلعت دكان شربات فشربت ما اردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها احد فشربت كفايتي وقلت ان هذا لشيء عجيب كأن اهل هذه المدينة اتاهم الموت فماتوا كلهم هذه الساعة او خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا ان يقفلوا دكاكينهم فبينما انا افكر في هذا الامر واذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت انظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الاقمار قد مشين في السوق زوجا زوجا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن اربعون زوجا بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر ان ينقل اقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بافخر الزينة ولابسة افخر الملبوس وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها اساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجواهر قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلاقته من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت تلك الصبية الى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت يا بنات اني قد سمعت حس شيء في داخل هذا الدكان ففتشنه لئلا يكون فيه احد مستخف ومراده ان يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان التي قدام القهوة

التي انا مستخف فيها وبقيت انا خائف فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجلا وها هو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف ارمي عنقه فتقدمت اليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحا على الارض ومضين فتفزعت انا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الاسواق والتموا على المقتول يتفرجون عليه فخرجت انا من المكان الذي كنت فيه سرا ولم ينتبه لي احد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت اتجسس عليها سرا فلم يخبرني احد عنها بخبر ثم اني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا رأيته اشبه الناس بتلك الصبية فاذكرني بها وهيج علي نار الغرام واضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائي ثم انه بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال يا سيدي بالله عليك ان تفتح لي الباب حتى اذهب الى حال سبيلي ففتح له الباب وخرج هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما اصبح الصباح قال لابيه كل اولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد الا وابوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها ولاي شيء يا ابي لم تجهز لي تجارة حتى اسافر بها وانظر سعدي فقال له يا ولدي ان التجار مفلوك من المال فيسفرون اولادهم من اجل الفوائد والمكاسب في جلب الدنيا واما انا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك وانا لا اقدر على فراقك ساعة خصوصا وانت فريد في الجمال والحسن والكمال واخاف عليك فقال له يا ابي لا يمكن الا ان تجهز لي متجرا لاسافر به والا اغافلك واهرب ولو من غير مال ولا تجارة وان اردت تطييب خاطري فجهز لي بضاعة حتى اسافر واتفرج على بلاد الناس فلما رآه ابوه متعلقا بالسفر اخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها ان ولدك يريد ان اجهز له متجرا ليسافر به الى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك ان هذه عادة اولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب فقال لها ان غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال واما انا فمالي كثير فقالت له زيادة الخير لا تضر وان كنت انت لا تسمح له بذلك فانا اجهز له متجرا من مالي فقال التاجر

الى اخاف عليه من الغريب لانها بئست الكربة فقالت لا بأس بالاغتراب الذى فيه الاكتساب الا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز بضاعة لولده بتسعين الف دينار واعطته امه كيسا فيه اربعون فصا من ثمين الجواهر اقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقال يا ولدى احتفظ على هذه الجواهر فانها تنفعك فاخذ قمر الزمان جميع ذلك و سافر الى البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اخذ جميع ذلك وسافر الى البصرة وكان قد وضع الجواهر فى كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافرا حتى لم يبق بينه وبين البصرة الا مرحلة واحدة فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله و خدمه فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب انه مقتول فتركوه ولم يقرب منه احد ثم اخذوا امواله وراحوا فلما راح العرب الى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى مشى وهو لا يملك شيئا غير الفصوص التى على حزامه ولم يزل سائرا حتى دخل البصرة فاتفق ان دخوله كان فى يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما اخبر الدرويش فرأى الاسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهى ممتلئة بالبضائع فاكل وشرب وصار يتفرج فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدق فاختفى فى دكان الى ان جاءت البنات متفرج عليهن ولما رأى الصبية راكبة اخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى صار لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس و مدئت الاسواق فذهب الى السوق وتوجه الى رجل جوهرى واخرج له حجرا من الاربعين بساوى الف دينار فباعه له ورجع الى محله ثم بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثم باع اربعة فصوص باربعة الاف دينار وصار يتفرج فى شوارع البصرة وهو لابس افخر الملابس حتى وصل الى سوق فرأى فيه رجلا مزينا فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صحبة ثم قال له يا والدى انا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها احد من

الانس ولا جان ثم اني رأيت بنات وبينهن صبية راكبة في موكب واخبره بما رآه فقال له يا ولدي هل اخبرت غيري بهذا الخبر فقال لا فقال له يا ولدي اياك ان تذكر هذا الكلام قدام احد غيري فان كل الناس لا يكتمون الكلام والاسرار وانت ولد صغير فاخاف عليك ان ينتقل الكلام من ناس الى ناس حتى يصل لاصحابه فيقتلوك واعلم يا ولدي ان هذا الذي رأيته ما احد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة واما اهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحسرة وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الاسواق وجميع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الابواب ولا يقدر احد منهم ان يمر في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا يعرف احد ما سبب هذه البلية ولكن يا ولدي في هذه الليلة اسأل زوجتي عن سببها فانها داية تدخل بيوت الاكابر وتعرف اخبار هذه المدينة وان شاء الله تعالى تأتي عندي في غد وانا اخبرك بما تخبرني به فكبش كبشة من الذهب وقال يا والدي خذ هذا الذهب واعطه لزوجتك فانها صارت والدتي وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك فقال المزين يا ولدي اجلس مكانك حتى اروح الى زوجتي اسألها واجيء اليك بالخبر الصحيح ثم تركه في الدكان وراح الى زوجته واخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادي ان تخبريني بحقيقة امر هذه المدينة حتى اخبر بها هذا الشاب التاجر فانه مولع بالاطلاع على حقيقة السبب في امتناع الناس والحيوانات عن الاسواق في ضحوة يوم الجمعة واظن انه عاشق وهو كريم سخي فاذا اخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم امك زوجتي فانها تقرئك السلام وتقول لك ان الحاجة مقضية فذهب الى الدكان فرأى قمر الزمان قاعدا ينتظره فاخبره بالخبر وقال له يا ولدي اذهب بنا الى امك زوجتي فانها تقول لك ان الحاجة مقضية ثم اخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به واجلسته ثم انه اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها يا امي اخبريني عن هذه الصبية من تكون فقالت يا ولدي اعلم ان سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فاراد ان يثقبها فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم اريد منكم ان تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له علي ان يتمنى ما شاء اعطيته له وان كسرها فاني اقطع رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان ان الجوهر سريع العطب وقل ان يثقبه احد ويسلم لان الغالب عليه

الكسر فلا تحملنا ما لا نطيق فنحن لا نخرج من ايدينا ان تثقب هذه الجوهرة وانما شيخنا اخبر منا فقال الملك ومن شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو اخبر منا بهذه الصناعة وعنده اموال كثيرة وله معرفة جيدة فارسل اليه واحضره بين يديك وامره ان يثقب لك هذه الجوهرة فارسل اليه وامره بثقبها وشرط عليه الشروط المذكورة فاخذها وثقبها على مزاج الملك فقال له تمن علي يا معلم فقال يا ملك الزمان امهلني الى غد والسبب في ذلك انه اراد ان يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رايتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبته لها انه كان لا يفعل شيئا الا اذا شاورها فيه ولاجل ذلك امهل التمنية حتى يشاورها فلما اتى اليها قال لها اني ثقبت للملك جوهرة واعطاني تمنية وقد امهلته حتى اشاورك فاي شيء تريدين حتى اتمناه قالت نحن عندنا اموال لا تاكلها النيران ولكن ان كنت تحبني فتمن على الملك انه ينادي في شوارع البصرة ان اهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلوة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير ولا صغير حتى يكون في المسجد او في البيت وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وانا اركب بجواري واشق في المدينة ولا ينظرني احد من طاقة ولا من شباك وكل من عثرت به قتلته فراح الى الملك وتمنى عليه هذه الامنية فاعطاه ما تمناه ونادى بين اهل البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما اعطى الجوهري ما تمناه ونادى بين اهل البصرة بما تمناه قالوا انا نخاف على البضائع من القطط والكلاب فامر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلوة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلوة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر احد ان يمر في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها او مرادك الاجتماع بها فقال يا امي مرادي الاجتماع بها فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا امي عندي من ثمين المعادن اربعة اصناف صنف ثمن كل واحد

منه

منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه الف دينار قالت له وهل تسمح نفسك باربعة منها قال نفسي تسمح بالجميع فقالت قم ياولدي من غير مطرود واخرج منها فصا يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب اليه تراه جالسا في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس على الدكان واخرج الفص وقل له يا معلم خذ هذا الحجر وصغه لي خاتما بالذهب ولا تجعله كبيرا بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعا جيدا ثم اعطه عشرين دينارا واعط الصناع كل واحد دينارا واقعد عنده حصة وتحدث معه واذا اتاك سائل فاعطه دينارا واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح الى منزلك وبت هناك فاذا اصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لابيك فانه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب الى الوكالة واخذ فصا ثمنه خمسمائة دينار وعمد به الى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل الى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلا مهابا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده اربعة صناع فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به واجلسه فلما جلس اخرج له الفص وقال له يا معلم اريد منك ان تصوغ لي هذا الحجر خاتما بالذهب ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة ثم اخرج له عشرين دينارا وقال له خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية ثم اعطى كل صانع دينارا فاحبه الصناع واحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من اتاه من السائلين يعطيه دينارا فتعجبوا من كرمه ثم ان المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته انه اذا اراد ان يصنع شيئا غريبا يشتغله في بيته حتى ان الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فاذا كانت قدامه ونظر اليها فانه يصنع كل شيء غريب في صناعته بحيث لا يليق الا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت فلما رأته زوجته قالت له ما مرادك ان تصنع بهذا الفص قال اريد ان اصوغه خاتما بالذهب فان ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال الغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سليمان ووجنات

كشقائق النعمان في سفائف حمر كالمرجان ولها عنق مثل اعناق الغزلان وهو ابيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله ولا زال يذكر لها محاسنه وكرم اخلاقه حتى عشقها فيه ولم يكن احد اعرص من الذي يصف لزوجته انسانا بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال فلما فاض بها الغرام قالت له هل يوجد فيه شيء من محاسني فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في القد وربما كان عمره قد عمرك ولولا اني اخاف على خاطرك لقلت انه احسن منك بالف مرة فسكتت ولكن التهبت نارا محبته في قلبها ثم ان الصائغ لم يزل يتحدث معها في تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قد راس اصبعها فقالت له يا سيدي ان قلبي حب هذا الخاتم واشتهي انه يكون لي ولا انزعه من اصبعي فقال لها اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك وان كان عنده حجر اخر اشتريه لك وصوغه مثله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال لزوجته اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك وان كان عنده حجر اخر اشتريه واصوغه لك مثله هذا ما كان من امر الجوهري وزوجته واما ما كان من امر قمر الزمان فانه بات في منزله فلما اصبح اخذ مائة دينار واتى الى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار فقالت له اعطها لابيك فاعطاها له ثم انها قالت له هل فعلت كما قلت لك قال نعم قالت قم توجه الآن الى شيخ الجوهرية فاذا اعطاك الخاتم فضعه في راس اصبعك وانزعه بسرعة وقل له يا معلم اخطأت ان الخاتم جاء ضيقا فيقول لك يا تاجر هل اكسره واصوغه واسعا فقل له لا احتاج الى كسره وصياغته ثانيا ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك ثم اخرج له حجرا اخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر وصغه فانه احسن من ذلك واعطه ثلثين دينارا واعط لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير في نظير نفقته والاجرة باقية ثم ارجع الى منزلك

وبت

وبت هناك وتعال فى الصباح ومعك مائتا دينار وانا اكمل لك بقية الحيلة ثم انه ذهب الى الجوهرى فرحب به واجلسه على الدكان فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم واخرج له الخاتم فاخذه وحطه فى راس اصبعه ثم نزعه سريعا وقال اخطأت يا معلم ورماه له وقال له انه ضيق على اصبعى فقال له الجوهرى يا تاجر هل اوسعه قال لا ولكن خذه احسانا او البسه لبعض جواريك فان ثمنه تافه لانه خمسمائة دينار فلا يحتاج الى صياغته ثانيا ثم اخرج له فصا اخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم اعطاه ثلثين دينار واعطى كل صانع دينارين فقال له يا سيدى لما نصوغ الخاتم نأخذ اجرته قال هؤلاء فى نظير نقشه والاجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهرى من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم ان الجوهرى ذهب الى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عينى اكرم من هذا الشاب وانت بختك طيب لانه اعطانى الخاتم بلا ثمن وقال لى اعطه لبعض جواريك وحكى لها القصة ثم قال لها اظن ان هذا الولد ما هو من اولاد التجار وانما هو من اولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراما ووجدا وهياما ثم لبست الخاتم والجوهرى صاغ له الثانى اوسع من الاول بقليل فلما فرغ من صياغته البسته فى اصبعها من داخل الخاتم الاول ثم قالت يا سيدى انظر ما احسن الخاتمين فى اصبعى فاشتهى ان يكون الخاتمان لى فقال لها اصبرى لعلى اشترى الثانى لك ثم بات فلما اصبح اخذ الخاتم وتوجه الى الدكان هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اصبح متوجها الى العجوز زوجة المزين واعطاها مائتى دينار فقالت له توجه الى الجوهرى فاذا اعطاك الخاتم فضعه فى اصبعك وانزعه سريعا وقل اخطأت يا معلم ان الخاتم جاء واسعا والمعلم الذين يكون مثلك اذا اتاه مثلى يشتغل ينبغى له ان يأخذ القياس فلو كنت اخذت قياس اصبعى ما اخطأت واخرج له حجرا اخر يكون ثمنه الف دينار وقل له خذ هذا اصنعه واعط هذا الخاتم الى جارية من جواريك ثم اعطه اربعين دينارا واعط كل صانع ثلثة دنانير وقل له هذا فى نظير نقشه واما الاجرة فانها باقية وانظر ماذا يقول ثم تعال ومعك ثلثمائة دينار واعطها لابيك يستعين بها على دقته فانه رجل فقير الحال فقال سمعا وطاعة ثم انه توجه الى الجوهرى فرحب به واجلسه ثم اعطاه الخاتم فوضعه فى اصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغى للمعلم الذى مثلك اذا

اتاه مثلي يشتغل ان يأخذ قياسه فلو كنت اخذت قياس اصبعي ما اخطأت
ولكن خذه واحفظه لبعض جواريك ثم اخرج له حجرا ثمنه الف دينار وقال له خذ
هذا واصنع لي خاتما على قدر اصبعي مثل صدقت والحق معك فاخذ القياس
واخرج له اربعين دينارا ثم قال له خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية فقال
له يا سيدي كم اجرة اخذنا ها منك فاحسانك علينا كثير فقال له لا بأس ثم
انه تحدث معه حصة وصار كلما مر به سائل يعطيه دينارا وبعد ذلك تركه
وانصرف هذا ما كان امره واما ما كان من امر الجوهري فانه توجه الى بيته
وقال لزوجته ما اكرم هذا الشاب التاجر فما رأيت اكرم منه ولا اجمل منه ولا احلى
من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه فقالت له يا عديم
الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد اعطاك خاتمين مثمنين ينبغي
لك ان تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد اليه فاذا رأى منك المودة وجاء
منزلنا ربما ننال منه خيرا كثيرا وان كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وانا اعمل
له الضيافة من عندي فقال لها هل انت تعرفين انني بخيل حتى تقولي هذا الكلام
فالت له ما انت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه في هذه الليلة ولا تجئ بدونه
وان امتنع فاحلف عليه بالطلاق واكد عليه فقال لها على الرأس والعين ثم انه
صاغ الخاتم ونام واصبح في ثالث يوم متوجها الى الدكان وجلس فيها هذا ما كان
من امره واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اخذ ثلثمائة دينار وتوجه الى
العجوز واعطاها لزوجها فقالت له ربما يعزم عليك في هذا اليوم فاذا عزم عليك
وبت عنده فمهما يجرى لك فاخبرني به في الصباح وهات معك اربعمائة دينار
واعطها لابيك فقال سمعا وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من
الاحجار ثم انه توجه الى الجوهري فقام له واخذه بالاحضان وسلم عليه وعقد
معه صحبة ثم انه اخرج له الخاتم فرآه على قدر اصبعه فقال له بارك الله فيك يا
سيد المعلمين ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للجوهري ان الصياغة موافقة

حكاية [illegible] المعلم عبيد لقمر الزمان [illegible]
[illegible] قمر الزمان [illegible] المعلم

ولكن القصد انك تبيت عندي لانه عندي استئناس بك فاخذه واعطاه لبعض
جواريه واخرج له [illegible] وخرج [illegible] دنانير وقال له خذ اجرتك
ولا تؤاخذني فانها تعيبت [illegible] الذي تعب [illegible] فاعطنا
اياه [illegible] وتفضلت علي ابنتي كثيرا [illegible] وحبيتك ولا اقدر على فراقك
[illegible] عليك ان تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر خاطري فقال لا باس ولكن
لا بد ان اتوجه الى الخان لاجل ان اوصي اتباعي واخبرهم باني غير بائت في
الخان حتى لا ينتظروني فقال له انت في اي خان قال في الخان الفلاني
فقال امض اليهم [illegible] فقال لا باس ثم ان الجوهري توجه الى ذلك الخان
قبل المغرب [illegible] غضب [illegible] ثم ان اخذه
ودخل به في بيته فجلسا في قاعة [illegible] وكانت الصبية رأته حين دخوله
واعتنت به [illegible] الى ان جاء العشاء فأكلا وشربا وبعد ذلك
جاءت القهوة والشربات ولم يزل جالسا [illegible] الى وقت العشاء فصليا الفريضة
ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما
النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندهش
عقلها من جماله وقالت كيف ينام من يعشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت
على صدره ومن شدة شيطنتها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى اثر
ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم
تزل تمص شفته حتى خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يرو اوارها
ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى اشرق جبين
الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت في جيبه اربعة كواشق وتركته وراحت
وبعد ذلك ارسلت جاريتها بشيء مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا
وانتبها فقالت لهما الجارية اعلموا يا اسيادي ان الصلاة وجبت فقوموا لصلاة
الصبح وجاءت لهما بالطشت والابريق ثم قال قمر الزمان يا معلم ان الوقت جاء وقد
تجاوزنا الحد في النوم فقال الجوهري للتاجر يا صاحبي ان نوم هذه القاعة ثقيل
كلما انام فيها يجري لي هذا الامر فقال صدقت ثم ان قمر الزمان اخذ يتوضأ فلما
وضع الماء على وجهه احرقته خدوده وشفته فقال عجائب اذا كان هواء القاعة
ثقيلا واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ثم قال يا معلم ان خدودي

وشفتي نحرفني فقال له [illegible] الناموس فقال عجائب وهل يجري
لك فيها مثلي قال لا [illegible] ان كان عنده ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص
الناموس ولا يكون ذلك الا اذا كان الضيف مثلك امرد واما اذا كان ملتحيا
فلا يعف عليه الناموس وما منع الناموس عن الملتحي كان الناموس لا يهوى
اصحاب اللحى فقال له صدقت ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور فافطرا وخرجا
وراح في الزمان الى العجمي فلما رآه قال له اني ارى اثار الحظ على وجهك فاخبرني
بما رأيت قال ما رأيت شيئا ولا [illegible] انا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشا
ثم نمنا فما افقنا الا في الصبح [illegible] فقال له وما هذا الاثر الذي في خدك وعلى
شفتك قال هذا من ناموس القاعة [illegible] هذه الفعال فقالت صدقت وهل
جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه اخبرني ان ناموس تلك القاعة
لا يقرص اصحاب اللحى ولا يعف الا على المرد [illegible] يكون عنده ضيف فان كان امرد
يصبح يشكو من قرص الناموس وان كان ملتحيا فلا يجري له شيء من ذلك فقالت
صدقت فهل رأيت شيئا غير هذا قال رأيت في جيبي اربعة عواشق قالت ارني
اياها فاعطاها لها فاخذتها وضحكت وقالت ان معشوقتك قد وضعت هذه
العواشق في جيبك قال وكيف ذلك قالت انها تقول لك بالاشارة لو كنت عاشقا
ما نمت فان الذي يعشق لا ينام ولكن انت لم تزل صغيرا ولا يليق بك الا اللعب
بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح وقد جاءتك في الليل فرأتك نائما فقطعت
خدودك بالبوس وحطت لك هذه الامارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لا بد
ان ترسل اليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة فاذا رحت معه فلا تنم
عاجلا وهات معك خمسمائة دينار وتعال اخبرني بما حصل وانا اكمل لك
الحيلة فقال لها سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من امره واما
ما كان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم
ولكن يا فلانة ان الناموس شوش عليه في هذه الليلة وقطع خدوده و
شفته وانا استحييت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فانه لا يهوى
الا المرد ولكن اعزمه في الليلة الاتية فتوجه اليه في الخان الذي هو فيه و
عزمه واتى به الى القاعة فاكلا وشربا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية
واعطت كل واحد فنجانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية دخلت عليهما واعطت كل واحد فنجانا فشربا وناما فاتت الصبية وقالت له يا عاشق كيف تنام وتدعي انك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ولا زالت نازلة عليه ببوس وعض وبصق وهراش الى الصباح ثم حطت له فى جيبه سكينا وارسلت جاريتها عند الصباح فنبهته فرأى خدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الاحمرار وشفاهه كالمرجان من شدة المص والتقبيل فقال له الجوهري لعل الناموس شوش عليك قال لا ولكنه لما عرف التكشف ترك الشكاية ثم انه رأى السكين فى جيبه فسكت ولما افطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه الى الخان واخذ خمسمائة دينار وذهب الى العجوز واخبرها بما رأى وقال لها انى نمت غصبا عنى ولما اصبحت ما رأيت شيئا غير سكين فى جيبي فقالت له الله يحميك منها فى الليلة القابلة انها تقول لك ان نمت مرة اخرى ذبحتك وانت معزوم عندهم فى الليلة القابلة فان نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل فقالت اخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منا فنجانا فمتى شربت فنجاني نمت ولا افيق الا فى الصباح فقالت له ان الداهية فى الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد وحين تعطيه لك الجارية قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيء لك بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائما فلما ترجع اليك بالقلة تظن انك نمت بعد شرب الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال واياك ان تخالف امري فقال سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من امره واما ما كان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها اكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة فتوجه اليه وعزمه واخذه ودخل به القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء واذا بالجارية دخلت واعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد واما قمر الزمان فانه لم يشرب فقالت له الجارية اما تشرب يا سيدي فقال لها انا عطشان هاتي القلة فذهبت لتجيء اليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقدا فاخبرت سيدتها بذلك وقالت انه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية فى نفسها ان موته

احسن من حيوته ثم اخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلث مرات
وانت لم تحفظ الاشارة يا احمق الآن اشق بطنك فلما رأى مقبلة عليه وفي يدها
السكين فتح عينيه وقام ضاحكا فسألته ما فهم هذه الاشارة من فطنتك بل
بدلالة مالك واخبرني من اين لك هذه المعرفة فقال من عجوز وجرى لي معها كذا
وكذا واخبرها بالخبر فقالت له في غد اخرج من عندنا ورح الى العجوز وقل لها هل
بقي معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار فان قالت لك بقي فقل لها اجتهدي
في الوصول اليها جهارا وان قالت ما بقي مقدرة وهذا آخر ما معي فاتركها من
بالك وفي ليلة غد يأتي اليك زوجي ويعزم عليك فتوجه معه واخبرني وانا
اعرف بقية التدبير فقال لها سمعا وطاعة ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق
واعمال حرف الجر بالعطف واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الاضافة
معزول ولم يزالا على هذه الحالة الى الصباح ثم قالت له انا ما يكفيني منك ليلة
ولا يوم ولا شهر ولا سنة وانما قصدي ان اقيم معك بقية العمر ولكن
اصبر حتى اعمل لك مع زوجي حيلا تحير ذوي الالباب ونبلغ بها الاوطار
فتدخل عليه الشك حتى يطلقني واتزوج بك واروح معك الى بلادك وانقل
جميع ماله وذخائره عندك واتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره ولكن
اسمع كلامي واطعني فيما اقوله لك ولا تخالفني فقال لها سمعا وطاعة وما
عندي خلاف فقالت له رح الى الخان وان جاء زوجي وعزم عليك فقل له يا اخي
ان ابن آدم ثقيل ومتى اكثر التردد استثقله الكريم والبخيل وكيف اروح
عندك كل ليلة وارقد انا وانت في قاعة فان كنت انت لا تغتاظ مني ربما
اغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه فان كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتا
بجانب بيتك وتبقى انت تارة تسهر عندي الى وقت النوم وانا تارة اسهر
عندك الى وقت النوم ثم اروح الى محلي وانت تدخل حريمك وهذا الرأي
احسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فانه بعد ذلك يأتي الي ويشاورني
فاشير عليه ان يخرج جارنا فان البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن
بالكري وتسكن في البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا ثم انها قالت له رح
الآن وافعل كما امرتك فقال لها سمعا وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل روحه
نائما وبعد مدة انتبهت الجارية فنبهتهما فلما افاق الجوهري قال يا تاجر لعل

الناموس شوش عليك قال لا فقال الجوهري لعلك عندك علية ثم انهما تعشوا وشربا القهوة وخرجا الى اشغالهما وتوجه قمر الزمان الى العجوز واخبرها بما جرى
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما توجه الى العجوز اخبرها بما جرى وقال لها انها قالت لي كذا وكذا وقالت لها كذا وكذا فهل عندك اكثر من هذا التدبير حتى توصلني الى الاجتماع بها فقالت يا ولدي الى هنا انتهى تدبيري وفرغ حيلي فعند ذلك تركها وتوجه الى الدكان فلما اصبح الصباح توجه اليه الجوهري على عادته وسلم عليه فقال له لا يمكنني ان اروح معك فقال له لماذا وانا احببتك ومن حين فارقتني ما قدرت ان انام فقال له ان كان مرادك طول العشرة فاعمل لي بيتاً بجانب بيتك حتى اذا جاء الليل ورحت الى بيتك وروحت كل واحد الى بيته ونام فيه فقال له ان عندي بيتاً بجانب بيتي وهو خال فاسكن معي فيه هذه الليلة وفي غد اخليه لك فمضى معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد وشرب قمر الزمان الآخر ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره الى الصباح ثم توجه زوجها الى الدكان ثم ان الجوهري استيقظ من النوم على العادة وارسل احضر الساكن وقال له يا رجل ان البيت الذي بجانبي قد خلا فعند ذلك قال له على الرأس والعين فاخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح الى بيته وفي ثاني يوم ارسلت الصبية الى معمار ماهر فاحضرته وارغبته بالمال حتى عمل لها سرداباً من قصرها يوصل الى بيت قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الارض فما يشعر قمر الزمان الا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من اين جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه وتلاعبه الى الصباح ثم قالت له انتظرني حتى اروح له وانبهه ليذهب الى دكانه واتي لك فقعد ينتظرها وانصرفت لزوجها وايقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب الى الدكان وبعد ذهابه اخذت اربعة اكياس وراحت الى قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ

هذا المال وجلست عنده ثم انصرف كل منهما الى حال سبيله فتوجهت الى بيتها و توجه قمر الزمان الى السوق ولما رجع فى وقت المغرب راى عنده عشرة اكياس و جواهر وغير ذلك ثم ان الجوهرى جاءه فى بيته واخذه الى القاعة وسهر فيها هو واياه فدخلت الجارية على العادة واسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان ما اصابه شئ لان فنجانه سالم لا غش فيه ثم اقبلت عليه الصبية فجلست تلاعبه وصارت الجارية تنقل المصالح الى بيته من السرداب ولم يزالوا على هذه الحالة الى الصباح ثم ان الجارية نبهت سيدها واسقتهما القهوة وكل منهما راح الى حال سبيله وفى ثالث يوم اخرجت له سكينا كانت لزوجها وهى صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار ولم يوجد لها شبيل فى حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها فى صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين وحطها فى حزامك وروح الى زوجى واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له يا معلم انظر هذه السكين فانى اشتريتها فى هذا اليوم واخبرنى هل انا مغلوب فيها او غالب فانه يعرفها ويستحى ان يقول لك هذه سكينى فان قال لك من اين اشتريتها وبكم اخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخر اين كنت قال كنت عند صاحبتى وكلما اجتمع معها تعطينى دراهم وفى هذا اليوم قالت لى ان يدى لا تطول دراهم فى هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فانها سكين زوجى فاخذتها منها ومرادى بيعها فاعجبتنى السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له اتبيعها لى فقال اشتر فاخذتها منه بثلثمائة دينار فيا ترى هل هى رخيصة او غالية وانظر ما يقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعالى الىّ بسرعة فتراني قاعدة فى فم السرداب انتظرك فاعطنى السكين فقال لها سمعا وطاعة ثم اخذ تلك السكين وحطها فى حزامه وراح الى دكان الجوهرى فسلم عليه فرحب به واجلسه فرأى السكين فى حزامه فتعجب وقال فى نفسه ان هذه سكينى ومن اوصلها الى هذا التاجر وصار يفكر فى نفسه ويقول يا ترى هل هى سكينى او سكين تشابهها واذا بقمر الزمان اخرجها و قال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما اخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى ان يقول هذه سكينى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما اخذ السكين من قمر الزمان عرفها واستحى ان يقول هذه سكيني ثم قال له من اين اشتريتها فاخبره بما اوصته به الصبية فقال له هذا بهذا الثمن رخيصة لانها تساوي خمسمائة دينار وانقادت النار في قلبه وارتبطت اياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر

لَمْ أَدْرِ تَقُولاً إِذَا أَحِبُّو تَكَلَّمَنِي ... أَوْ كَلَّمُونِي يَرَوْنِي غَائِبَ الفِكْرِ
غَرْقَانُ فِي بَحْرِ فِكْرٍ لَا قَرَارَ لَهُ ... لَا أَفْرِقُ النَّاسَ أُنْثَاهَا مِنَ الذَّكَرِ

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول في هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه الى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما امرتك قال نعم قالت له ما قال لك قال لها قال لي انها رخيصة بهذا الثمن لانها تساوي خمسمائة دينار ولكن تغيرت احواله فقمت من عنده ولم ادر ما جرى له بعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم اخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الجوهري فانه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس وقال في نفسه لابد ان اقوم وانتقد السكين واقطع الشك باليقين فقام واتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له مالك ياسيدي فقال لها اين سكيني قالت في الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت ياهمي لعلك تخاصمت مع احد فاتيت تطلب السكين لتضربه بها قال لها هاتي السكين اريني اياها قالت حتى تحلف انك لا تضرب بها احدا فحلف لها ففتحت الصندوق واخرجتها له فصار يقلبها ويقول ان هذا شيء عجيب ثم انه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له اخبرني ما سبب ذلك قال لها اني رأيت مع صاحبنا سكينا مثلها واخبرها بالخبر كله ثم قال لها ولما رأيتها في الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بي سوءا وجعلتني صاحبة اللاوندي واعطيته السكين فقال لها نعم اني شككت في هذا الامر ولكن لما رأيت السكين

ارتفع الثمن من قلبي فقالت له يارجل انت ما بقي فيك خير فصار يعتذر اليها حتى ارضاها ثم خرج وتوجه الى دكانه وفي ثاني يوم اعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان منعها بيده ولم يكن عند احد مثلها ثم انها قالت له رح الى دكانه واجلس عنده وقل له ان الذي رأيته بالامس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة قال لي اتشتري هذه الساعة فقلت له من اين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتي فاعطتني اياها فاسأله بيعها منه بثمانية وخمسين دينارا فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن او غالية وانظر ما يقول لك واذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني اياها فراح اليه قمر الزمان وعمل معه ما امرته به فلما رآها الجوهري قال هذه تساوي سبعمائة دينار ودخله الوهم ثم ان الغلام تركه وراح الى الصبية واعطاها تلك الساعة وجاء زوجها دخل ينفخ وقال لها اين ساعتي فقالت له هاهي حاضرة قال هاتيها فاتت بها فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يا رجل ما انت بلا حس فاخبرني بخبرك فقال لها ماذا اقول اني تحيرت في هذه الحالات ثم انشد هذه الابيات

تحيَّرتُ والرَّحمٰنِ لاشكَّ فِي أمْرِي ... وحَاقَتْ بِيَ الأحزَانُ مِنْ حَيْثُ لا أدرِي
سَاصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبرُ أنَّنِي ... صَبَرتُ علَى شَيءٍ أمَرَّ مِنَ الصَّبرِ
وَمَا مِثْلُ مُرِّ الصَّبرِ صَبرِي وانَّمَا ... صَبَرتُ علَى شَيءٍ أحَرَّ مِنَ الجَمْرِ
وَمَا الأمرُ أمرِي فِي المُرَادِ وَإنَّمَا ... أُمِرتُ بِحُسْنِ الصَّبرِ مِنْ صَاحِبِ الأمرِ

ثم قال يا امرأة اني رأيت مع التاجر صاحبنا اولا سكينتي وقد عرفتها لان صياغتها اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها واخبرني باخبار تغم القلب انيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانيا وصياغتها ايضا اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة واخبرني ايضا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت اعرف ماجرى لي فقالت له مقتضى كلامك اني انا خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت اثبت خيانتي لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت آكل في زاد ولا اشاربك في ماء بعد هذا فاني كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه الى دكانه وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام ثم ذهب الى الدكان وجلس معه في الدكان وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب وعند المساء اتى الى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه فقالت له الصبية اين التاجر قال في منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه قال والله اني كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شان خاطري فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها فقادت النار في قلبه وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالي اراك في فكر فاستحى ان يقول له ان حوائجي عندك من اوصلها اليك وانما قال له حصل عندي تشويش ولكن قم بنا الى البيت لنتسلى هناك فقال دعني في محلي فلا اروح معك فحلف عليه واخذه ثم تعشى معه وسهرا تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار واذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين على العادة فلما شربا رقدا التاجر ولم يرقد الغلام لان فنجانه غير مغشوش ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القرنان الذي هو في غفلة سكران ولا يعرف مكائد النسوان فلا بد ان اخدعه حتى يطلقني ولكن في غد اتهيأ بهيئة جارية واروح خلفك الى الدكان وقل له يامعلم اني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار فانظرها لي هل هي رخيصة بهذا الثمن او غالية ثم اكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه علي ثم خذني وارجع بي الى منزلك وانا ادخل بيتي من السرداب حتى انظر آخر امرنا معه ثم انهما امضيا ليلتهما على انس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانشراح الى الصباح وبعد ذلك ذهبت الى مكانها وارسلت الجارية فايقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الصبح وافطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري الى دكانه وقمر الزمان دخل بيته واذا بالصبية خرجت له من السرداب وهي بصفة جارية وكان اصلها جارية ثم توجه الى دكان الجوهري

ومشت خلفه ولم يزل ماشيا وهي خلفه حتى وصل بها الى دكان الجوهري فسلم عليه وجلس وقال يا معلم انى دخلت اليوم خان البسيرجية بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية فى يد الدلال فاعجبتني فاشتريتها بالف دينار وقصدي ان تتفرج عليها وتنظر هل هي رخيصة بهذا الثمن ام لا وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة افخر ملبوسها ومتزينة باحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لانه صاغها بيده ورأى الخواتم التي صاغها جديدا لقمر الزمان فى اصبعها وتحقق عنده انها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بالف دينار فقال انك اخذتها بلا ثمن لان الالف دينار اقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء فقال له بشرك الله بالخير وحيث اعجبتك فانا اذهب بها الى بيتي فقال افعل مرادك فاخذها وراح الى بيته ونزلت من السرداب وقعدت فى قصرها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الجوهري فان النار اشتعلت في قلبه وقال فى نفسه انا اروح انظر زوجتي فان كانت فى البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه وان لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك ثم انه قام يجري الى ان دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها فى الدكان فضرب يدا على يد وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يا رجل هل حصل لك جنون او ما خبرك فما هذه عادتك لابد ان يكون لك امر من الامور فقال لها اذا كان مرادك ان اخبرك فلا تغتمي فقالت له قل قال ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك فى جميع صفاتك وفى اصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجني عليها ظننت انها انت وقد تحيرت فى امري ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سببا في الجفاء بعد الوفاء وادخل الشك فى قلبي فقالت له طل فى وجهي لعلي اكون انا التي كنت معه والتاجر صاحبي

وقد تلبست بصفة جارية وانفقت معه على ان يفرجك علي حتى يكيدك فقال اي شيء هذا الكلام انا ما اظن بك ان تفعلي مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهري مغفلا من مكائد النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال

تُطَالِبُ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
وَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الآخر

اعْصِ النِّسَاءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الحَسَنَهْ ... فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِي النِّسَاءَ رَسَنَهْ
يَعُقْنَهُ عَنْ كَمَالٍ فِي فَضَائِلِهِ ... وَلَوْ سَعَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

وقول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا ... أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ
وَمَنْ يَبِتْ رَمَاهُ العِشْقُ مُبْتَلِيًا ... قَدْ ضَيَّعَ الحَزْمَ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

ثم قالت له ها انا قاعدة في قصري ودخ انت اليه في هذه الساعة واطرق الباب واجعل على الدخول عليه بسرعة فاذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جارية تشبهني وجل من لبس لم شبيه وان لم تر الجارية عنده اكون انا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك بي السوء محققا فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه علي فبينما هما في الكلام واذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال انا صاحبك فانك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا باس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فراها لا تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق الله ما يشاء ثم انه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع الى بيته فرأى زوجته جالسة لانها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية سبقت زوجها من السرداب حين
خرج من الباب ثم قعدت في قصرها فلما دخل عليها زوجها قالت له اي شئ
رأيت قال رأيتها عند سيدها وهي تشبهك فقالت توجه الى دكانك وحسبك
سوء الظن فما بقيت تظن بي سوءا فقال لها الامر كذلك فلا تؤاخذيني بما
صدر مني قالت سامحك الله ثم قلبها ذات اليمين وذات الشمال وراح الى
دكانه فنزلت من السرداب الى قمر الزمان ومعها اربعة اكياس وقالت له جهز
حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا اهمال حتى افعل لك ما عندي
من الحيل فطلع واشترى بغالا وحمل احمالا وجهز تختروانا واشترى مماليك
وخدما واخرج الجميع من البلد وما بقي له عائق واتى لها وقال انى تممت اموري
فقالت له وانا الاخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت
له قليلا ولا كثيرا ينتفع به وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فانا افديك الف
مرة بزوجي ولكن ينبغي ان تذهب اليه وتودعه وتقول له انا اريد السفر بعد
ثلثة ايام وجئت لاودعك فاحسب ما انجمع لك عندي من اجرة البيت حتى
اورده لك وتبرئ ذمتي وانظر ما يكون من جوابه وارجع الي واخبرني فاني
عجزت وانا احتال عليه واغيظه لاجل ان يطلقني فما اراه الا متعلقا بي وما
بقي لنا احسن من السفر الى بلادك فقال لها يا حبذا ان صحت الاحلام ثم راح
الى دكانه وجلس عنده وقال له يا معلم انا مسافر بعد ثلثة ايام وما جئت الا
لاودعك والمراد انك تحسب ما انجمل لك عندي من اجرة البيت حتى اعطيه
لك وتبرئ ذمتي فقال له ما هذا الكلام ان فضلك علي والله ما آخذ منك
شيئا من اجرة البيت وحلت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا انه
يحرم علي لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء
شديدا ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه ينبغي ان
اشيع صاحبي وصار كلما راح يقضي حاجة يروح معه واذا دخل بيت قمر الزمان
يجدها فيه وتقف بين ايديهما وتخدمهما واذا رجع الى بيته يراها قاعدة هنالك
ولم يزل يراها في بيته اذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان اذا دخله مدة ثلثة
ايام ثم انها قالت له اني نقلت جميع ما عنده من الذخائر والاموال والفروش
ولم يبق عنده الا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب ولكني لا اقدر على فراقها

لانها قويبتني وعزيزة عندي وكاتمة لسري، ومرادي ان اضربها واغضب عليها واذا اتى زوجي اقول له انا ما بقيت اقبل هذه الجارية ولا اقعد انا واياها في بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبيعها فاشترها انت حتى ناخذها معنا فقال لا بأس ثم انها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت ان سيدتي ضربتني فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتها فقالت له يا رجل اني اقول لك كلمة واحدة انا ما بقيت اقدر ان انظر هذه الجارية فخذها وبعها والا طلقني فقال ابيعها ولا اخالف لك امرا ثم انه اخذها معه وهو خارج الى الدكان ومر بها على قمر الزمان وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة الى قمر الزمان فادخلها في التختروان قبل ان يصل اليه الشيخ الجوهري فلما وصل اليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وامرتني ان ابيعها فقال انها حيث بغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى اشم رائحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتي حليمة فقال لا بأس خذها فقال له بكم فقال انا لا آخذ منك شيئا لانك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر اليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك الله يا معلم عبيد ابرئ ذمتي فقال له ابرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة الى عيالك وودعه وتوجه الى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقا له والرفيق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل عنده من امر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قمر الزمان فان الصبية قالت له ان اردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية ان اردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعا وطاعة

ثم سلك طريقا غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها ولم يزل مسافرا من بلاد الى بلاد حتى وصل الى حدود قطر مصر ثم كتب كتابا وارسله الى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعدا في السوق بين التجار وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار لانه من يوم توجه ما اتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك واذا بالساعي مقبل وقال يا سادتي من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ما تريد منه قال لهم ان معي كتابا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم اخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان الى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فان سألتم عنا فلله الحمد والمنة وقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم واكثر الضيافات والعزائم واحضر الآلات الطرب وابدى في الفرح بانواع العجب فلما وصل ولده الى الصالحية خرج الى ملاقاته ابوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه الى صدره وبكى حتى اغمى عليه ولما افاق قال له يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم انشد قول الشاعر

وَقُرْبُ الحَبِيبِ تَمَامُ السُّرُورِ	وَكَأْسُ الصَّفَاءِ عَلَيْنَا يَدُورُ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِلُقْيَا مَرْحَبًا	بِنُورِ الزَّمَانِ وَبَدْرِ البُدُورِ

ثم افاض من شدة الفرح دمع العين وانشد هذين البيتين

قَمَرُ الزَّمَانِ يَلُوحُ فِي اِسْفَارِهِ	اِشْرَاقُهُ اِذْ جَاءَ مِنْ اَسْفَارِهِ
فَشُعُورُهُ فِي اللَّوْنِ لَيْلُ غِيَابِهِ	لَكِنْ شُرُوقُ الشَّمْسِ مِنْ اَزْرَارِهِ

ثم ان التجار تقدموا اليه وسلموا عليه فرأوا معه احمالا كثيرة وحدما وتختروانا وهو في دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من التختروان رآها ابوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصرا عاليا كأنه كنز انحلت عنه الطلاسم ولما رآها امه افتتنت بها وظنت انها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها فقالت لها انا زوجة ولدك فقالت حيث تزوج بك ينبغي لنا اننا نقيم لك فرحا عظيما حتى نفرح بك وبولدي هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد الى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدي ما

تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدي انها ليست جارية وانما هي التي كانت سبب غربتي قال والده وكيف ذلك قال انما التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة بات عندنا فان آمالي تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر الا من اجلها حتى تعربت في الطريق واخذت العرب اموالي وما دخلت البصرة الا وحدي وحصل لي كذا وكذا و صار يحكي لوالده من المبتداء الى المنتهى فلما فرغ من حديثه قال له يا ولدي وبعد ذلك كله هل تزوجتها قال لا ولكن وعدتها ان اتزوج بها قال له هل مرادك الزواج بها قال ان كنت تأمرني افعل ذلك والا فلا اتزوجها قال له ان تزوجت بها اكون بريأ منك في الدنيا والاخرة و اغضب عليك غضبا شديدا كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شانك تعمل معك مثلها على شان غيرك فانها خائنة والخائن ليس له امان فان كنت تخالفني اكون غضبانا عليك وان سمعت كلامي افتش لك على بنت احسن منها تكون طاهرة زاكية فازوجك بها ولو كنت انفق عليها جميع مالي واعمل لك فرحا ليس له نظير وافتخر بك وبها واذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان احسن من ان يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شان ذلك عبارات ونكتا واشعارا وامثالا ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدي حيث كان الامر كذلك فلا علاقة لي بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله ابوه بين عينيه وقال له انت ولدي حقا وحياتك يا ولدي لابد لي من ان ازوجك بنتا ليس لها نظير ثم ان التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما اكلهما وشربهما وقال لها انت وجاريتك تستمران محبوستين في هذا القصر حتى انظر لكما من يشتريكما وابيعكما له وان خالفت قتلتك انت وجاريتك فانك خائنة ولا خير فيك فقالت له افعل مرادك فاني استحق جميع ما تفعله معي ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما احد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما اكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هي وجاريتها تبكي وتندم على ما فعلت بزوجها هذا ما كان من امرها واما ما كان

من امر التاجر عبد الرحمن فانه ارسل الخطاب يخطبون بنتا ذات حسب في نسب لولده فلا زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن باحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الاسلام فرأين بنته لم يكن لها نظير في مصر وهي ذات حسن وجمال وقد واعتدال لانها احسن من زوجة عبيد الجوهري بالف طبقة فاخبرنه بها فذهب هو والاكابر الى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحا عظيما ثم عمل الولائم وعزم في اول يوم الفقهاء فعملوا مولدا شريفا وثاني يوم عزم التجار تماما ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقناديل وفي كل ليلة تأتي سائر ارباب الملاعب ويلعبون انواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من اصناف الناس حتى عزم العلماء والامراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائما مدة اربعين يوما وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه لينفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحا ليس له نظير وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبا وقريبا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالس وابنه بجنبه فبينما هم كذلك واذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه اثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيه انظر يا ابي الى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب فنظر اليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج ويئن انين المريض المحتاج ويمشي يتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال وتحقق فيه قول من قال

اَلْفَقْرُ يُزْرِي بِالْفَتَى دَائِمًا	كَمَا اصْفِرَارِ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
يَمُرُّ بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَخْفِيًا	وَاِنْ خَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبِ
وَاِنْ يَغِبْ فَلَيْسَ يُعْنَى بِهِ	وَمَا لَهُ عِنْدَ حُضُورٍ نَصِيبِ
وَاللهِ مَا الْاِنْسَانُ فِي اَهْلِهِ	اِذَا ابْتَلَى بِالْفَقْرِ اِلَّا غَرِيبِ

ويقول الآخر

يَمْشِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ	وَالْاَرْضُ تَغْلِقُ دُونَهُ اَبْوَابَهَا
وَتَرَاهُ مَمْقُوتًا وَلَيْسَ بِمُذْنِبٍ	وَيَرَى الْعَدَاوَةَ لَا يَرَى اَسْبَابَهَا
حَتَّى الْكِلَابُ اِذَا رَأَتْ ذَا نِعْمَةٍ	اَوْمَتْ اِلَيْهِ وَحَرَّكَتْ اَذْنَابَهَا

وَاِذَا تَرَى يَوْمًا فَقِيرًا بَائِسًا | نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَشَّرَتْ اَنْيَابَهَا

وما احسن قول الشاعر

اِذَا اَصْحَبَ الْفَتَى عِزًّا وَسَعْدًا | تَحَامَتْهُ الْمَكَارِهُ وَالْخُطُوبُ
وَوَاصَلَهُ الْحَبِيبُ بِغَيْرِ وَعْدٍ | طُفَيْلِيًّا وَقَادَ لَهُ الرَّقِيبُ
وَعَدَّ النَّاسُ ضَرْطَتَهُ غِنَاءً | وَقَالُوا اِنْ فَسَا قَدْ فَاحَ طِيبُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر عبد الرحمن لما قال له ولده انظر الى هذا الرجل الفقير قال يا ولدى من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهرى زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له اهذا الذى كنت تحدثنى عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب فى مجيئه انه لما ودع قمر الزمان توجه الى دكانه فجاءته دقة شغل فاخذها واشتغلها فى بقية النهار وعند المسا قفل الدكان وذهب الى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم يرَ زوجته ولا الجارية ورأى البيت فى اسوء الاحوال منطبق عليه قول من قال

كَانَتْ خَلِيَّاتُ نَحْلٍ وَهِيَ عَامِرَةٌ | لَمَّا خَلَى نَحْلُهَا عَادَتْ خَلِيَّاتِ
كَاَنَّهَا الْيَوْمَ بِالسُّكَّانِ مَا عُمِرَتْ | اَوْ غَالَ سُكَّانَهَا فَصْلُ الْمَنِيَّاتِ

فلما رأى الدار خالية التفت يمينا وشمالا ثم دار فيها مثل المجنون فلم يجد احدا وفتح باب خزينته فلم يجد فيها شيئا من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك فاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف ان زوجته هى التى كانت تنقلب عليه بالحيل حتى غدرته فبكى على ما حصل ولكنه كتم امره حتى لا يشمت به احد من اعدائه ولا يتنكد احد من احبابه وعلم انه اذا باح بالسر لا يناله الا الهتيكة والتعنيف من الناس فقال فى نفسه يا فلان اكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال

اِذَا كَانَ صَدْرُ الْمَرْءِ بِالسِّرِّ ضَيِّقًا | فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ اَضْيَقُ

ثم انه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعا من صناعه وقال له ان الغلام التاجر صاحبى عزم على ان اروح معه الى مصر بقصد الفرجة وحلف انه ما يرحل

حتى يأخذنى معه بحريمي وانت يا ولدى وكيلى فى الدكان وان سألكم عنى الملك فقولوا له انه توجه بحريمه الى بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا وبغالا ومماليك واشترى له جارية وحطها فى التختروان وخرج من البصرة بعد عشرة ايام فودعه احبابه وسافر والناس لا يظنون الا انه اخذ زوجته وتوجه الى الحج وفرحت الناس فقد انقذهم الله من حبسهم فى المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة وصار بعض الناس يقول لا رده الله الى البصرة مرة اخرى حتى نحبس فى المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة لان هذه الخصلة اورثت اهل البصرة حسرة عظيمة وبعضهم يقول اظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء اهل البصرة عليه وبعضهم يقول ان رجع لا يرجع الا منكس الحال وفرح اهل البصرة بسفره فرحا عظيما بعد ان كانوا فى حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم فلما اتى يوم الجمعة نادى المنادى فى البلد على العادة بانهم يدخلون المساجد قبل صلوة الجمعة بساعتين او يستخفون فى البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعا وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدى الملك وقالوا له يا ملك الزمان ان الجوهرى اخذ حريمه وسافر الحج بيت الله الحرام وزال السبب الذى كنا نحبس من اجله فبأى سبب نحبس الآن فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمنى لكن اذا جاء من سفره لا يكون الا خيرا روحوا الى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من امر الملك واهل البصرة واما ما كان من امر المعلم عبيد الجوهرى فانه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه واخذوا ما كان معه وجعل روحه ميتا حتى خلص وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان الى ان دخل بلدا فحنن الله عليه اهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد الى بلد حتى وصل الى مصر المحروسة فاعرقه الجوع فدار يسأل فى الاسواق فقال له رجل من اهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فان هناك فى هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء فقال لا اعرف طريق بيت الفرح فقال له اتبعنى وانا اريه لك فتبعه الى ان وصل الى البيت قال له هذا هو بيت الفرح فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان

فعرفه واخبره اباه ثم ان التاجر عبد الرحمن قال لولده يا ولدي اتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعا فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه فصبروا عليه حتى اكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد ان يخرج فارسل خلفه ولده قمر الزمان فقال له الرسول تعال يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن انه يعطيه احسانا فلما اقبل على التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الاقدام واخذه بالاحضان وسلم عليه وبكى بكاء شديدا ثم انه اجلسه بجانبه فقال له ابوه يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الاصحاب ارسله اولا الى الحمام وارسل اليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث انت واياه فصاح على بعض الخدام وامرهم ان يدخلوه الحمام وارسل اليه بدلة من خاص الملبوس تساوي الف دينار او اكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه في الحمام وقالوا من هذا ومن اين تعرفه فقال هذا صاحبي قد انزلني في بيته وله علي احسان لا يحصى فانه اكرمني اكراما زائدا وهو من اهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حبا كثيرا وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول انه فعل معي كذا وكذا وانا صرت في حياء منه ولا ادري ما اجازيه به في مقابلة ما صنعه معي من الاكرام ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهابا في اعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من شأنك ولكن مرادنا ان نعرف ما سبب مجيئه الى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا ان ابن ادم تحت القضاء والقدر وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال هذه الابيات

اَلدَّهْرُ يَفْتَرِسُ الرِّجَالَ فَلَا تَكُنْ ... مِمَّنْ تُطَيِّشُهُ الْمَنَاصِبُ وَالرُّتَبْ
وَاحْذَرْ مِنَ الزَّلَّاتِ وَاجْتَنِبِ الْأَسَى ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ شِيمَتُهُ الْعَطَبْ
كَمْ نِعْمَةٍ زَالَتْ بِأَصْغَرِ نِقْمَةٍ ... وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي تَقَلُّبِهِ سَبَبْ

اعلموا اني انا دخلت البصرة في اسوء من هذه الحالة واشد من هذا النكال لان هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان واما انا فاني دخلت بلادة مكشوف العورة بيد من خلف ويد من قدام ولا نفعني الا الله وهذا الرجل العزيز والسبب في ذلك ان العرب عروني واخذوا جمالي وبغالي واحمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا اني ميت فذهبوا وفاتوني وبعد ذلك قمت ومشيت عريانا الى ان دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل و كساني وانزلني في بيته وقواني بالمال وجميع ما اتيت به معي ليس الا من خير الله وخيره فعند ما سافرت اعطاني شيئا كثيرا ورجعت الى بلدي مجبور الخاطر و فارقته وهو في سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان اوجبت له فراق الاهل والاوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك ولكن ينبغي لي الآن ان اجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال واعمل بقول من قال

يا محسنا بالزمان ظنا	هل تدري ما يفعل الزمان
ما شئت فاصنع جميل فعل	كما يدين الفتى يدان

د. اهم في هذا الكلام وامثاله واذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كانه شاه بندر ... قام اليه الجميع وسلموا عليه واجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان با ... حي ... مبارك سعيد لا يحكم لي علي شيء جرى علي قبلك فان كان العرب عروك واخذوا منك مالك فان المال فدى الابدان فلا تغم نفسك فاني دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني واكرمتني ولك علي الاحسان الكثير فانا اجازيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري اني دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني ولك علي الاحسان الكثير فانا اجازيك وافعل معك كما فعلت معي بل اكثر من ذلك فطب نفسا و قر عينا وصار يأخذ بخاطره ويمنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وامثال واشعار ونكت وحكايات

و

واخبار ويسليه حتى لحظ الجوهري ما اشار اليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما
عنده وتسلى بما سمعه من الاخبار والنوادر وانشد قول الشاعر

في جبهة الدهر سطر لو نظرت له	ابكاك مضمونه من مقلتيك دما
ما سلم الدهر باليمنى على احد	الا وبسراه تسقيه الردى كظما

ثم ان قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن اخذ الجوهري ودخلا به في قاعة
الحريم واختليا به فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام الا
خوفا من الفضيحة في حقك وحقنا ولكن نحن الآن في خلوة فاخبرني بما جرى
بينك وبين زوجتك وولدي فاخبره بالقضية من المبتدا الى المنتهى فلما فرغ
من قصته قال له هل الذنب من زوجتك او من ولدي قال له والله ان ولدك
ما عنده ذنب لان الرجال لهم الطمع في النساء والنساء عليهن ان يمتنعن من الرجال
فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال فقام التاجر واختلى
بولده وقال له يا ولدي اننا اخبرنا زوجته وعرفنا انها خائنة ومرادي الآن
ان اختبره واعرف هل هو صاحب عرض ومروة او هو ديوث فقال له وكيف
ذلك فقال مرادي ان احمله على الصلح مع زوجته فان رضي بالصلح وسامحها
فاني اضربه بسيف فاقتله وبعد ذلك اقتلها هي وجاريتها الانه لا خير في وجود
الديوث والزانية وان نفر منها فاني ازوجه اختك واعطيه باكثر من ماله
الذي اخذته منه ثم انه رجع اليه وقال له يا معلم ان معاشرة النساء تحتاج
الى طول البال ومن كان يهواهن يحتاج الى سعة الصدر لانهن يعربدن في الرجال
ويؤذينهم لعزهن عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن انفسهن ويستخففن الرجال
ولا سيما اذا بانت لهن المحبة من بعولهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال
من جميع الجهات فان كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل
بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن الا من كان واسع البال كثير الاحتمال وان لم
يتحمل الرجل زوجته ويقابل اساءتها بالسماح فانه لا يحصل له في عشرتها نجاح
وقد قيل في حقهن لو كن في السماء لمالت اليهن اعناق الرجال ومن قدر وعفى
كان اجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي
ان يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح والنسا ناقصات
عقل ودين وهي ان اساءت فانها قد تابت وان شاء الله لا ترجع الى فعل ما كانت

تفعله اولاً فالرأى عندى انك تصطلح انت واياها وانا اردلك اكثر من مالك وان اقمت عندى فمرحبا بك وبها وليس لكما الا ما يسركما وان كنت تطلب التوجه الى بلادك فانا اعطيك ما يرضيك وها هو التختروان حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر الى بلادك والذى يجرى بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير فقال الجوهرى يا سيدى واين زوجتى فقال له ها هى فى هذا القصر فاطلع اليها واستوص بها من شأنى ولا تشوش عليها فان ولدى لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها وحطيتها فى هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت فى نفسى ربما يجئ زوجها فاسلمها اليه لانها جميلة الصورة والتى مثل هذه لا يمكن زوجها ان يفوتها والذى حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك واما من جهة ابنى فانى خطبت له وزوجته غيرها وهذه الولائم والضيافات من اجل فرحه وفى هذه الليلة دخلته على زوجته وها هو مفتاح القصر الذى فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معها ويأتيكم الاكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها فقال له جزاك الله عنى كل خير يا سيدى ثم اخذ المفتاح وطلع فرحانا فظن التاجر ان هذا الكلام اعجبه وانه رضى به فاخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من امر التاجر عبد الرحمن واما ما كان من امر الجوهرى فانه دخل على زوجته فرآها تبكى بكاء شديدا بسبب ان قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتى وقلت لك ان هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركى عشرته فما سمعت كلامى حتى نهبت جميع مال زوجك واعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت فى هواه وجئت معه فى هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تعلقك به الحبس فقالت لها اسكتى يا ملعونة فانه وان تزوج بغيرى لا بد ان اخطر يوما على باله فانا لا اسلو مسامرته وانا على كل حال اتسلى بقول من قال

يا سادتى هل يخطرن ببالكم	من ليس يخطر غيركم فى باله
حاشاكم ان تغفلوا عن حال من	هو غافل فى حالكم عن حاله

فلا بدانه يتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني وانا لا ارجع عن محبته ولا احول عن هواه ولو مت في السجن فانه حبيبي وطبيبي وعشمي فيه انه يرجع الي ويعمل معي انبساطا فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة ان عشمك فيه مثل عشم ابليس في الجنة كل هذه العيوب فيك وانا ما عندي خبر ولو علمت ان فيك عيبا من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندي ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي ان اقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنين وانشد هذين البيتين

يا مِلاحًا اَذْهَبْتُمْ صِدْقَ وُدِّي	بِالتَّجَنِّي وَلَمْ تُرَاعُوا حُقُوقًا
كَمْ بِكُمْ صَبْوَةً عَلِقْتُ وَلَكِنْ	بَعْدَ هَذَا الأَسَى كَرِهْتُ العُلُوقَا

ثم اتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال لها يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين ان فيها هذه الخصلة ولم تخبريني ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع باذنه ويرى بعينه ثم ان عبيد الجوهري لما خنقها في قصر التاجر كثرت عليه الاوهام وخاف عاقبة الامر وقال في نفسه ان التاجر اذا علم اني قتلتهما في قصره لا بد انه يقتلني ولكن اسأل الله ان يجعل قبض روحي على الايمان وصار متحيرا في امره ولم يدر ما ذا يفعل فبينما هو كذلك واذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك انك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذي في يدي فاني كنت ضامرا على ان اقتلك ان صالحتها وصفيت عليها واقتل الجارية وحيث فعلت هذه الفعال فمرحبا بك ثم مرحبا وما جزاؤك الا ان ازوجك ابنتي اخت قمر الزمان ثم انه اخذه ونزل به وامر باحضار الغاسلة وشاع الخبر ان قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف احد حقيقة الامر هذا ما كان من امر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه احضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر وقال يا شيخ الاسلام اكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحدا وزفوا بنت شيخ الاسلام زوجة قمر الزمان واخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تخت واحد

في ليلة واحدة وفي المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام وادخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رآها احسن من زوجته واجمل منها بالف طبقة ثم انه ازال بكارتها ولما اصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم اقام عندهم مدة في فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق الى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم اني اشتقت لبلادي ولي فيها املاك وارزاق وكنت اقمت فيها صانعا من صناعي وكيلا عني وفي خاطري ان اسافر الى بلادي لابيع املاكي وارجع اليك فهل تأذن لي في التوجه الى بلادي من اجل ذلك فقال له يا ولدي قد اذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فان حب الوطن من الايمان والذي ماله خير في بلاده ماله خير في بلاد الناس وربما انك اذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك الى زوجتك وقعودك في بلادك فالرأي الصواب ان تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع انت وزوجتك ومرحبا بكما لاننا ناس لا نعرف طلاقا ولا تتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر انسانا بطرا فقال يا عم اخاف ان ابنتك لا ترضى بالسفر معي الى بلادي فقال له يا ولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفي نسائكم ثم انه دخل على زوجته وقال لها انا مرادي السفر الى بلادي فما تقولين قالت ان ابي لا يزال يحكم علي مادمت بكرا وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي فاني لا اخالفه فقال لها بارك الله فيك وفي ابيك ورحم الله بطنا حملتك وظهرا القاك ثم بعد ذلك قطع علائقه واخذ في اسباب السفر فاعطاه عمه شيئا كثيرا وودعا بعضهما ثم اخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافرا حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الاقارب والاصحاب وهم يظنون انه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحانا بقدومه وبعضهم مغموما لرجوعه الى البصرة وقال الناس لبعضهم انه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا في الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ملك البصرة فانه لما علم بقدومه غضب عليه وارسل اليه واحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزا عن شيء اعطيه لك لتستعين به

على الحج الى بيت الله الحرام فقال له العفو يا سيدى والله ما حججت ولكن جرى لى كذا وكذا واخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصرى وكيف زوجته ابنته الى ان قال له وقد جئت بها الى البصرة فقال له والله لولا انى اخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال لانها لا تصلح الا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيرا ثم انه انعم على الجوهرى ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفى الى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت ايها الملك انا ما وجدت فى طائفتى امرأة تزوجت بعد بعلها فانا لا اتزوج احدا بعد بعلى فلا اتزوجك ولو كنت تقتلنى فارسل يقول لها هل تطلبين التوجه الى بلادك فقالت اذا فعلت خيرا تجازى به فجمع لها جميع اموال الجوهرى وزادها من عنده على قدر مقامه ثم ارسل معها وزيرا من وزرائه مشهورا بالخير والصلاح وارسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى اوصلها الى ابيها واقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع واذا كانت هذه المرأة ما رضيت ان تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تستوى بمن تبدله فى حال حيوته بغلام مجهول الاصل والنسب وخصوصا اذا كان ذلك فى السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح ومن ظن ان النساء كلهن سواء فان داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحى الذى لا يموت

ومما يحكى ايضا

ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوما من الايام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت فى ذلك العام فنصب ديوانا لهذا السبب وقال على بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت منه شىء فقال يا امير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له امر الهاه عن ارسال الخراج فقال له ان مدة حضور الخراج عشرون يوما فما عذره فى هذه المدة حتى لم يرسل الخراج او يرسل باقامة العذر فقال له

يا امير المؤمنين ان شئت ارسلنا اليه مرسالا فقال ارسل له يا ابا اسحق الموصلي النديم فقال سمعا وطاعة لله ولك يا امير المؤمنين ثم ان الوزير جعفر نزل الى داره واحضر ابا اسحق الموصلي النديم وكتب له خطا شريفا وقال له امض الى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذى الهاه عن ارسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وائتني به سريعا فان الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل الا خراج البصرة وان رأيت الخراج غير حاضر واعتذر اليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه فاجاب بالسمع والطاعة واخذ خمسة آلاف فارس من عسكره وسافر حتى وصل الى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره اليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون اليه ولما دخل ابو اسحق الديوان وجلس على الكرسي اجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الاكابر حوله على قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدي هل لقدومك علينا من سبب قال نعم انما جئت لطلب الخراج فان الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فان الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازما على ان ارسله في غد ولكن حيث اتيت فانا اسلمه اليك بعد ضيافتك ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك ولكن وجب علينا الآن اننا نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير امير المؤمنين فقال له لا بأس بذلك ثم انه فض الديوان ودخل به قصرا في داره ليس له نظير ثم قدم له ولاصحابه سفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلت الايادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة الى ثلث الليل ثم فرشوا له سريرا من العاج مرصعا بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على ابي اسحق رسول امير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لانه من خواص ندماء الخليفة وكان له باع عظيم في الاشعار ولطائف الاخبار ولم يزل سهرانا في انشاء الشعر الى نصف الليل فبينما هو كذلك واذا بعبد الله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولابا واخذ منه سوطا واخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن

ان ابا اسحق نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن ان ابا اسحق النديم نائم فلما خرج تعجب ابو اسحق و قال في نفسه الى اين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط فلعل مراده ان يعذب احدا ولكن لا بد لي من ان اتبعه وانظر ما يصنع في هذه الليلة ثم ان ابا اسحق قام وخرج وراءه قليلا قليلا بحيث انه لم يره فرأى عبد الله فتح خزانة واخرج منها مائدة فيها اربعة اصحن من الطعام وخبزا وقلة فيها ماء ثم انه حمل المائدة والقلة ومشى فتبعه ابو اسحق مستخفيا الى ان دخل قاعة فوقف ابو اسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشا فاخرا وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب ثم انه رأى عبد الله حط المائدة على جانب في مكان وشمر عن اياديه وفك الكلب الاول فصار يتلوى في يده ويضع وجهه في الارض كأنه يقبل الارض بين يديه ويعوي عياخفيفا بصوت ضعيف ثم انه كتفه ورماه على الارض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضربا وجيعا من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصا ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الانين وغاب عن الوجود ثم انه اخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك اخذ الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالاول ثم انه اخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لا تؤاخذاني والله ما هذا بخاطري ولم يسهل علي ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجا ومخرجا ويدعو لهما وحصل كل هذا وابو اسحق النديم واقف يسمع باذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم انه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما افواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة واراد ان يخرج فسبقه ابو اسحق وجاء الى سريره ونام ولم يره ولم يعرف انه تبعه واطلع عليه ثم ان عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع

حوائجه ونام هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابي اسحق فانه بات بقية
تلك الليلة يفكر في شأن هذا الامر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول في
نفسه يا ترى ما سبب هذه القضية ولم يزل يتعجب الى الصباح ثم قاموا وصلوا
الصبح ودا نحط لهم الفطور فاكلوا وشربوا القهوة وطلعوا الى الديوان واشتغل
ابو اسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها وثاني
ليلة فعل بالكلبين كذلك فضربهما ثم صالحهما واطعمهما وسقاهما وتبعه ابو
اسحق فرآه فعل بهما كاول ليلة وكذلك ثالث ليلة ثم انه احضر الخراج الى ابي
اسحق النديم في رابع يوم فأخذه وسافر ولم يبد له شيئا ولم يزل مسافرا حتى وصل
الى بغداد وسلم الخراج الى الخليفة ثم ان الخليفة سأله عن سبب تاخير الخراج
فقال له يا امير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج واراد ارساله ولو
تأخرت يوما لقابلني في الطريق لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجبا عمري
ما رأيت مثله يا امير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا ابا اسحق قال رأيت ما
هو كذا وكذا واخبره بما فعله مع الكلبين وقال له رأيته ثلث ليال متواليات
وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما
ويطعمهما ويسقيهما وانا انفرج عليه بحيث لا يراني فقال له الخليفة فهل سألته
عن السبب فقال له لا وحيوة رأسك يا امير المؤمنين فقال الخليفة يا ابا اسحق
امرتك ان ترجع الى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبين فقال يا
امير المؤمنين دعني من هذا فان عبد الله بن فاضل اكرمني اكراما زائدا وقد
اطلعت على هذه الحالة اتفاقا من غير قصد فاخبرتك بها فكيف ارجع اليه
واجيء به فان رجعت اليه لا الفى لي وجها حياء منه فاللائق ارسال غيري
اليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له ان ارسلت له غيرك ربما
ينكر هذا الامر ويقول ما عندي كلاب واما اذا ارسلتك انت وقلت له
اني رأيتك بعيني فانه لا يقدر على انكار ذلك فلا بد من ذهابك اليه
واتيانك به وبالكلبين والا فلا بد من قتلك وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد التسعمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال لابي اسحق لا بد من ذهابك اليه واتيانك به وبالكلبين والا فلا بد من قتلك فقال له ابو اسحق سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الانسان من اللسان فانا الجاني على نفسي حيث اخبرتك ولكن اكتب لي خطا شريفا وانا اذهب اليه وآتيك به فكتب له خطا شريفا وتوجه به الى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك يا ابا اسحق فمالي اراك رجعت سريعا لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا امير عبد الله ليس رجوعي من اجل نقص الخراج فانه كامل وقبله الخليفة ولكن ارجو منك عدم المؤاخذة فاني اخطأت في حقك وهذا الذي وقع مني مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك يا ابا اسحق اخبرني فانك حبيبي وانا لا اؤاخذك فقال له اعلم اني لما كنت عندك اتبعتك ثلث ليال متواليات وانت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحييت ان اسألك عنه ثم اني اخبرت الخليفة بخبرك اتفاقا من غير قصد فالزمني بالرجوع اليك وهذا خط يده ولو كنت اعلم ان الامر يحوج الى ذلك ما كنت اخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر اليه فقال له حيث اخبرته فانا اصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فانك حبيبي ولو اخبر غيرك كنت انكرت ذلك ولكن بينه فها انا اروح معك آخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء اجلي فقال له الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة ثم انه اخذ هدية تليق بالخليفة واخذ الكلبين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخل على الخليفة فقبل الارض بين يديه فاذن له بالجلوس فجلس واحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا امير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الارض بين يديه ويحركان اذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان اليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له اخبرني بخبر هذين الكلبين وما ضربك لهما واكرامهما بعد الضرب فقال له يا خليفة الله ما هذان كلبان وانما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما اخواي وولدا امي وابي فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال ان اذنت لي يا امير المؤمنين

اخبرك بحقيقة الخبر فقال اخبرك واياك والكذب فانه صفة اهل النفاق وعليك بالصدق فانه سفينة النجاة وسمة الصالحين فقال اعلم يا خليفة الله انى اذا اخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان على فان كذبت يكذبانى و ان صدقت يصدقانى فقال له هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك او عليك فقال لهما يا اخواى اذا انا تكلمت كلاما كذبا فارفعا رؤسكما وحلقا اعينكما واذا انا تكلمت صدقا فنكسا رؤسكما وغضا اعينكما ثم انه قال اعلم يا خليفة الله انا نحن ثلثة اخوة امنا واحدة وابونا واحد وكان اسم ابينا فاضل وما سمى بهذا الاسم الا لكون ام ابيه وضعت ولدين توأمين فى بطن واحد فمات احدهما من وقته وساعته و فضل الثانى فسماه ابوه فاضلا ثم رباه واحسن تربيته الى ان كبر فزوجه امنا ومات فوضعت امنا اخى هذا اولا فسماه منصورا وحملت ثانى مرة ووضعت اخى هذا فسماه ناصرا وحملت ثالث مرة ووضعتنى فسمانى عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتا ودكانا ملآنا قماشا ملونا من سائر انواع القماش الهندى والرومى والخراسانى وغير ذلك وخلف لنا ستين الف دينار فلما مات ابونا غسلناه وعملنا له مشهدا عظيما ودفناه لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه الى تمام الاربعين يوما ثم انى بعد ذلك جمعت التجار واشراف الناس وعملت لهم يوما عظيما وبعد ما اكلوا قلت لهم يا تجار ان الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لأى شئ جمعتكم فى هذا اليوم المبارك عندى قالوا سبحان الله علام الغيوب فقلت لهم ان ابى مات عن جملة من المال و انا خائف ان يكون عليه تبعة لاحد من دين او رهن او غير ذلك وموادى خلاص ذمة ابى من حقوق الناس فمن كان له عليه شئ فليقل ان لى عليه كذا وكذا وانا اورده له لاجل براءة ذمة ابى فقال لى التجار يا عبد الله ان الدنيا لا تغنى عن الآخرة ولسنا اصحاب باطل وكلنا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب اكل مال اليتيم ونعلم ان اباك رحمه الله عليه كان دائما يبقى ماله عند الناس ولا يخلى فى ذمته شيئا لاحد ونحن دائما نسمعه وهو يقول انا خائف من متاع الناس وداثما كان يقول فى دعائه

الهي انت ثقتي و رجائي فلا تمتني و علي دين وكان من جملة طباعه انه اذا كان لاحد عليه شيء فانه يدفعه له من غير مطالبة واذا كان له على احد شيء فانه لا يطالبه ويقول له على مهلك وان كان فقيرا يسامحه ويبرئ ذمته وان لم يكن فقيرا ومات يقول سامحه الله مما لي عنده ونحن كلنا نشهد انه ليس لاحد عنده شيء فقلت بارك الله فيكم ثم اني التفت الى اخوي هذين وقلت لهما يا اخوي ان ابانا ليس عليه لاحد شيء وقد خلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة اخوة كل منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل نتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركا بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء او نقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصته فقالا نقسم ويأخذ كل واحد منا حصته ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا اخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما كأنهما قالا نعم ثم انه قال فاحضرت قساما من طرف القاضي يا امير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا ابونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الاموال ورضينا بذلك وصار البيت والدكان في قسمي وهما اخذا قسمهما مالا وقماشا ثم اني فتحت الدكان و حطيت فيه القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشا حتى ملأت الدكان وقعدت ابيع واشتري واما اخواي فانهما اشتريا قماشا واكتريا مركبا وسافرا في البحر الى بلاد الناس فقلت الله يساعدهما وانا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله علي وصرت اكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفه لنا ابونا فاتفق لي يوما من الايام انني كنت جالسا في الدكان وعلي فروتان احدهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في اوان اشتداد البرد فبينما انا كذلك واذا باخوي قد اقبلا علي وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة وشفاههما ابيض من البرد وهما ينتفضان فلما رأيتهما عسر علي ذلك وحزنت عليهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما

ينتفضان عسر عليّ ذلك وحزنت عليهما ولطار عقلي من رأسي فقمت اليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وادخلتهما الحمام وارسلت الى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر الفي وبعد ما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم اخذتهما الى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلا واكلت معهما ولاطفتهما واخذت بخاطرهما ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا اخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما ثم انه قال يا خليفة الله ثم اني سألتهما وقلت لهما كيف جرى لكما واين اموالكما فقالا سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينارا وكسبنا مكاسبا عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة اربعين دينارا ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة وجعلوا يذكرون لي البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لي اراكما رجعتما عريانين فتنهدا وقالا يا اخانا ما حل بنا الا عين صائبة والسفر ماله امان فلما جمعنا تلك الاموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه الى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالامواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الارياح والتطمت بنا المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نتخبط على وجه الماء يوما وليلة فارسل الله لنا مركبا اخرى فاخذنا ركابها وصرنا من بلاد الى بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة وما وصلنا الى البصرة حتى شربنا الف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا اتينا باموال تضاهي اموال الملك ولكن هذا مقدر من الله علينا فقلت لهما يا اخوي لا تحملا هما فان المال فداء الابدان والسلامة غنيمة وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى وما الفقر والغنى الا كطيف خيال ولله در من قال

إذا سلمت هام الرجال من الردى ... فما المال الا مثل قص الاظافر

ثم

ثم قلت لهما يا اخوتي نحن نفقد دران ابانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي وقد طابت نفسي على اننا نقسمه بيننا بالسوية ثم احضرت قساما من طرف القاضي واحضرت له جميع مالي فقسمه بيننا واخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما يا اخوتي بارك الله للانسان في رزقه اذا كان في بلده فكل واحد منكما يفتح له دكانا ويقعد فيه لتعاطي الاسباب والذي له شيء في الغيب لا بد ان يحصله ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما بيعا واشتريا واحفظا اموالكما ولا تصرفا منها شيئا وجميع ما يلزم لكما من اكل وشرب غيرهما يكون من عندي ثم قمت باكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيتي ولم ادعهما يصرفان شيئا من اموالهما وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغريانني على ان اوافقهما على التغرب في بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا اخوتي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما تصديقا له ثم قال يا خليفة الله فما زالا يرغباني ويذكران لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة ويأمراني بالسفر معهما حتى قلت لهما لا بد ان اسافر معكما من اجل خاطركما ثم اني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشا من سائر الاصناف النفيسة واكترينا مركبا وشحناها بالبضائع من انواع المتاجر ونزلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج اليه ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم بالامواج الذي الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ولا زلنا مسافرين حتى طلعنا الى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحلنا منها الى غيرها ولم نزل نرحل من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم اننا وصلنا الى جبل فالقى الريس المرساة وقال لنا يا ركاب اطلعوا الى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدوا ماء فخرج جميع من في المركب وخرجت انا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء وتوجه كل منا من جهة وصعدت انا على اعلى الجبل فبينما انا سائر اذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظر ثم ان الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحت فعرفت انه مفتر عليها فاخذتني

الشفقة عليها وتنا ولت بحجر من الصوان قدر خمسة ارطال او اكثر وضربت به الثعبان فجاء فى رأسه فدققها فما اشعر الا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتا شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير فاقبلت عليّ وقبلت يدى ثم قالت لى سترك الله بسترين ستر من العار فى الدنيا وستر من النار فى الآخرة يوم الموقف العظيم يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ثم قالت يا انسي انت قد سترت عرضي وصار لك عليّ الجميل ووجب عليّ جزاؤك ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الارض فعرفت انها من الجن واما الثعبان فان النار زادت فيه واحرقته وصار رمادا فتعجبت من ذلك ثم انى رجعت الى اصحابى واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الاطراف ثم سافرنا حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوما ولم نر برا ولا طيرا وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس ان الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال والله انى تهت عن الطريق ولا اعرف طريقا يؤديني الى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى ان يهدينا الى الطريق ثم بتنا تلك الليلة في اسوء حال ولله در من قال

وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ فِي كُرْبَةٍ	يَكَادُ الرَّضِيعُ لَهَا أَنْ يَشِيبْ
فَمَا أَصْبَحَ الصُّبْحُ إِلَّا أَتَى	نَصْرٌ مِنَ اللهِ فَتْحٌ قَرِيبْ

فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلا عاليا فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم اننا وصلنا الى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم انى صعدت على اعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة او اكثر فناديت اصحابي فاقبلوا عليّ فلما اتوا قلت لهم انظروا الى هذه الدائرة التى خلف هذا الجبل فاني ارى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان ذات اسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضي الى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشترى ما نحتاج اليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف ان يكون اهل هذه المدينة كفارا مشركين اعداء الدين فيقبضوا علينا

ونكون اسرى تحت ايديهم او يقتلونا ونكون قد تسببنا فى قتل نفسنا حيث اوقعنا انفسنا فى الهلاك وسوء الارتباك والمغرور غير مشكور ولا نتر على خطر من الاسواء كما قال فيه بعض الشعراء

ليس المغرّ بمحمود وان سلما	ما دامت الارض ارضا والسماء سما

فنحن لا نغرّ بانفسنا فقلت لهم بانا لا حكم لى عليكم ولكن اخذ اخوتى واتوجه الى هذه المدينة فقال لى اخواى نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معك فقلت اما انا فقد عزمت على الذهاب الى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله علىّ فانتظرانى حتى اذهب اليها وارجع اليكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبدالله قال فانتظرانى حتى اذهب اليها وارجع اليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت الى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة اسوارها عالية وابراجها محصنة وقصورها شاهقة وابوابها من الحديد الصينى وهى مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت من الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفى ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر وفى تلك السلسلة اربعة عشر مفتاحا فعرفت ان ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها اربعة عشر بابا ثم انى دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد علىّ السلام فسلمت عليه ثانيا وثالثا فلم يرد علىّ الجواب فوضعت يدى على كتفه وقلت له يا هذا لاى شئ لم ترد السلام هل انت نائم او اصم او غير مسلم حتى تمنع رد السلام فلم يجبنى ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجرا فقلت ان هذا الشئ عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن ادم ولم ينقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلا واقفا فى الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجرا ثم انى لم ازل ماشيا فى شوارع تلك المدينة وكلما رأيت انسانا ادنو منه واتأمله فاجده حجرا وقابلت امرأة عجوزا على رأسها عقدة ثياب مهيئة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التى على رأسها من الحجر ثم انى دخلت السوق فرأيت زياتا

ميزانه منصوبة وقدامه اصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم انى رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالا ونساء وصبيانا وكل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالسا في دكانه والدكاكين ممتلئة بانواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الاقمشة كنسج العنكبوت فصرت اتفرج عليها وكلما مسكت ثوبا من القماش يصير بين يدى هباء منثورا ورأيت صناديق ففتحت واحدا فوجدت فيه ذهبا في اكياس فمسكت الاكياس فذابت في يدى والذهب لم يزل على حاله فحملت منه على قدر ما اطيقه وصرت اقول في نفسى لو حضر اخواى معى لاخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التى لا اصحاب لها وبعد ذلك دخلت دكانا اخر فرأيت فيه اكثر من ذلك ولكن ما بقيت اقدر ان احمل غير ما حملت ثم انى خرجت من ذلك السوق الى سوق اخر ثم منه الى سوق اخر وهكذا ولا زلت اتفرج على مخلوقات مختلفة الاشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم انى دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالا جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في ايديهم وبعضها في اقفاص فلما رأيت ذلك يا امير المؤمنين رميت ما كان معى من الذهب وحملت من المصاغ ما اطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة الى سوق الجوهر فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بانواع المعادن كالياقوت والماس والزمرد والبلخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجار فرميت ما كان معى من المصاغ وحملت من الجواهر ما اطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن اخواى معى حتى يأخذا من تلك الجواهر ما ارادا ثم انى خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين باحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدام وجند واعوان وعساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس وكلهم احجار فلمست واحدا منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسج العنكبوت ثم انى مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها واحكام صناعتها ورأيت في تلك السراية ديوانا مشحونا بالاكابر والوزراء والاعيان والامراء وهم جالسون على كراسى وكلهم احجار ثم انى رأيت كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجالس فوقه ادمى عليه افخر الملابس وعلى راسه تاج كسروى مكلل بنفيس الجواهر التى

لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت اليه رأيته من الحجر ثم اني توجهت من ذلك الديوان الى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديوانا من النساء ورأيت في ذلك الديوان كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجالس فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الاقمار جالسات على كراسي وهن لابسات افخر الملابس الملونة بسائر الالوان وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كأنهم واقفون من اجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه ابهج التعاليق من البلور الصافي وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال فرميت ما معي يا امير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما اطيق وبقيت متحيرا فيما احمله وفيما اتركه لاني رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن ثم اني رأيت بابا صغيرا مفتوحا وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت اربعين سلما فسمعت انسانا يتلو القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت الى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب منظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الافكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرا كأنه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس ما يكون من الجواهر مع انها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل واجفان ذات اعتلال كأنها المرادة بقول من قال

سَلَامٌ عَلَى مَا فِي الثِّيَابِ مِنَ الْقَدِّ	وَمَا فِي بَسَاتِينِ الْخُدُودِ مِنَ الْوَرْدِ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهَا	وَبَاقِي نُجُومِ اللَّيْلِ فِي الصَّدْرِ كَالْعِقْدِ
فَلَوْ لَبِسَتْ ثَوْبًا مِنَ الْوَرْدِ خَالِصًا	لَأَدْمَى مُحَيَّاهَا جِسْمَهَا وَرَقُ الْوَرْدِ
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ	لَأَصْبَحَ طَعْمُ الْبَحْرِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
وَلَوْ وَاصَلَتْ شَيْخًا كَبِيرًا عَلَى عَصًى	لَأَصْبَحَ ذَاكَ الشَّيْخُ مُفْتَرِسَ الْأُسْدِ

ثم انه قال يا امير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حبا وتقدمت اليها

فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهى تتلو كتاب الله عز وجل حفظا على ظهر قلبها وصوتها كأنه صرير ابواب الجنان اذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر

يَا مُطْرِبًا بِلُغَاتِهِ وَصِفَاتِهِ	قَدْ زَادَ فِيكَ تَشَوُّقِي وَتَشَوُّفِي
شَيْئَانِ تُذْهِبُ أَرْبَابَ الْهَوَى	نَغَمَاتُ دَاوُدٍ وَصُورَةُ يُوسُفِ

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولا من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم احسن السلام واندهش مني العقل والناظر وصرت كما قال الشاعر

مَا هَزَّنِي الشَّوْقُ حَتَّى هِمْتُ عَنْ كَلِمِي	وَلَا دَخَلْتُ الْحِمَى إِلَّا لِسَفْكِ دَمِي
وَلَا سَمِعْتُ كَلَامًا مِنْ عِدًا فِي لِقَا	إِلَّا لِأَشْهَدَ مَنْ أَهْوَاهُ فِي الْكَلِمِ

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك ايتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة ادام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك مني السلام والتحية والاكرام يا عبد الله يا ابن فاضل هلا وسهلا ومرحبا بك يا حبيبي وقرة عيني فقلت لها يا سيدتي من اين علمت اسمي ومن تكونين انت وما شأن اهل هذه المدينة حتى صاروا احجارا فمرادي ان تخبريني بحقيقة الامر فاني تعجبت من هذه المدينة ومن اهلها ومن كونها لم يوجد فيها احد الا انت فبالله عليك ان تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لي اجلس يا عبد الله وانا ان شاء الله تعالى احدثك واخبرك بحقيقة امري وبحقيقة امر هذه المدينة واهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فجلست الى جانبها فقالت لي اعلم يا عبد الله يرحمك الله انني بنت ملك هذه المدينة والدي هو الذي رأيته جالسا في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله اكابر دولته واعيان مملكته وكان ابي ذا بطش شديد ويحكم على الف الف ومائة الف وعشرين الف جندي وعدة امراء دولته اربعة وعشرون الفا كلهم حكام واصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن الف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وامراء العربان الذين تحت يده الف امير كل امير يحكم على عشرين الف فارس وعنده من الاموال

والذخائر والمعادن والجواهر ما لاعين رأت ولا اذن سمعت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت ملك مدينة الاحجار قالت يا عبدالله ان ابي كان عنده من الاموال والذخائر ما لاعين رأت ولا اذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الابطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان وتخشاه الجبابرة وتخضع له الاكاسرة ومع ذلك كان كافرا مشركا بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الاصنام دون الملك العلام فاتفق انه كان يوما من الايام جالسا على كرسي مملكته وحوله اكابر دولته فلم يشعر الا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه فنظر اليه ابي فرآه لابسا حلة خضراء وهو طويل القامة واياديه نازلة الى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لابي يا باغي يا مفتري الى متى وانت مغرور بعبادة الاصنام وتترك عبادة الملك العلام قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم انت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فانها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق الا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الارضين رحمة للعباد فقال له من انت ايها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام حتى تتكلم بهذا الكلام اما تخشى ان تغضب عليك الاصنام فقال له ان الاصنام احجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها فاحضر لي صنمك الذي انت تعبده وأمر كل واحد من قومك ان يحضر صنمه فاذا احضرتم جميع اصنامكم فادعوهم ليغضبوا علي وانا ادعو ربي ان يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فان اصنامكم قد صنعتموها انتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الاصنام فاصنامكم مصنوعة والهي صانع ولا يعجزه شيء فان ظهر لكم الحق فاتبعوه وان ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له ائتنا ببرهان ربك حتى نراه فقال ائتوني ببراهين اربابكم فأمر الملك كل من كان يعبد ربا من الاصنام ان يأتي به فاحضر جميع العساكر اصنامهم في الديوان هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امري فاني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان ابي وكان لي صنم من زمردة خضراء

جسمه قد رجسم ابن آدم فطلبه ابي فارسلنه اليه في الديوان فوضعوه في
جانب صنم ابي وكان صنم ابي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الالماس وأما
اكابر العساكر والرعية فبعض اصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها
من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الابنوس وبعضها من الفضة
وبعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه وأما رعاع
العساكر والرعية فبعض اصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من
الفخار وبعضها من الطين وكل الاصنام مختلفة الالوان ما بين اصفر واحمر و
اخضر واسود وابيض ثم قال ذلك الشخص لابي ادع صنمك وهؤلاء الاصنام
تغضب علي فصفوا تلك الاصنام ديوانا وجعلوا صنم ابي على كرسي من الذهب
وصنمي الى جانبه في الصدر ثم رتبوا الاصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده
وقام ابي وسجد لصنمه وقال له يا الهي انت الرب الكريم وليس في الاصنام اكبر منك
وانت تعلم ان هذا الشخص اتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئا بك ويزعم ان له
الها اقوى منك ويأمرنا ان نترك عبادتك ونعبد الهه فاغضب عليه يا الهي و
صار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جوابا ولا يخاطبه بخطاب فقال له يا الهي
ما هذه عادتك لانك كنت تكلمني اذا كلمتك فما لي اراك ساكتا لا تتكلم هل انت
غافل او نائم فانتبه وانصرني وكلمني ثم هزه بيده فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه
فقال ذلك الشخص لابي ما لي ارى صنمك لا يتكلم قال له اظن انه غافل او نائم
فقال له يا عدو الله كيف تعبد الها لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد الهي
الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الاوهام يرى
ولا يرى وهو على كل شيء قدير والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه
وقد كان متلبسا به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب لان شيطانه
فاعبد الله واشهد انه لا اله الا هو ولا معبود سواه وانه لا يستحق العبادة
غيره ولا خير الا خيره واما الهك هذا فانه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه
فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثم تقدم وصار يصكه على رقبته
حتى وقع على الارض فغضب الملك وقال للحاضرين ان هذا الجاحد قد صك
الهي فاقتلوه فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر واحد منهم ان يقوم من مكانه
فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا فقال اريكم غضب ربي فقالوا ارنا فبسط يديه

وقال الهي وسيدي انت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين ياكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار اسألك ان تقلب هؤلاء القوم احجارا فانك قادر ولا يعجزك شيء وانت على كل شيء قدير فمسخ الله اهل هذه المدينة احجارا واما انا فاني حين رأيت برهانه اسلمت وجهي لله فسلمت مما اصابهم ثم ان ذلك الشخص دنا مني وقال سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك ارادة وصار يعلمني واخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلثين عاما ثم اني قلت له يا سيدي جميع ما في المدينة وجميع اهلها صاروا احجارا بدعوتك الصالحة وقد نجوت انا حين اسلمت على يديك فانت شيخي فاخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء اقتات منه فقال لها اسمي ابو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت واورقت وازهرت واثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك الله تعالى واعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الاسلام وشروط الصلوة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لي ثلثة وعشرون عاما وانا اعبد الله في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فآكلها واقتات بها من الوقت الى الوقت والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني باسمك وبشرني بانك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي اذا اتاك فاكرميه واطيعي امره ولا تخالفيه وكوني له اهلا ويكون لك بعلا واذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة واهلها والسلام ثم انها اريتني شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها واطعمتني نصفها فما رأيت احلى ولا ازكى ولا الطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها هل رضيت بما امرك به شيخك الخضر عليه السلام بان تكوني لي اهلا واكون لك بعلا وتذهبي معي الى بلادي وامكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم ان شاء الله تعالى فاني سميعة لقولك مطيعة لامرك من غير خلاف ثم اني اخذت عليها العهد الوثيق وادخلتني الى خزانة ابيها واخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا الى اخوتي فرأيتهما يفتشان علي فقالا الى اين كنت فانك ابطأت علينا وقلبنا مشغول بك واما ريس المركب فانه قال لي يا تاجر عبد الله ان الريح طاب لنا من مدة وانت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التاخير خير لان

غيابي لم يكن فيه غير الاصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال ولله در من قال

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا	أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَالْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ	أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة وفرجتهم على ما معي من الذخائر واخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لو كنتم اطعتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا شيئ كثير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما قال لهم ولاخوية لو رحتم معي لحصل لكم من هذا خير كثير قالوا له والله لو رحنا ما كنا نستجري ان ندخل على ملك المدينة فقلت لاخوي لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعا وهذا نصيبنا ثم اني قسمت ما معي اقساما على قدر الجميع واعطيت لاخوي والريس اخذت مثل واحد منهم واعطيت ما تيسر للخدامين والنواتية ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما اعطيته لهم الا اخوي فانهما تغيرت احوالهما ولاحت عيونهما فلحظت ان الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا اخوي اظن ان الذي اعطيته لكما لم يقنعكما ولكن انا اخوكما وانتما اخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيئ واحد واذامت لا يرثني غيركما وصرت اخذ بخاطرهما ثم اني انزلت البنت في الغليون وادخلتها في الخزانة وارسلت لها شيئا تأكله وقعدت اتحدث انا واخواي فقالا لي يا اخانا ما مرادك ان تفعل بهذه البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادي ان اكتب كتابي عليها اذا دخلت البصرة واعمل فرحا عظيما وادخل بها هناك فقال بعضهما يا اخي اعلم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي ان تعطيها لي فاتزوج بها انا وقال الثاني وانا الاخر كذلك فاعطها لي لاتزوج بها فقلت لهما يا اخوي انها قد اخذت علي عهدا وميثاقا اني اتزوج بها فاذا اعطيتها لواحد منكما اكون ناقضا للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لانها ما اتت معي الا على شرط اني اتزوج بها فكيف ازوجها لغيري واما من جهة انكما تحبانها فانا احبها اكثر منكما على انها لقطتي وكوني اعطيها لواحد منكما هذا شيئ لا يكون ابدا ولكن اذا دخلنا

مدينة البصرة بالسلامة انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة واخطبهما لكما وادفع المهر من مالي واجعل الفرح واحدا وندخل نحن الثلثة في ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فانها من نصيبي فسكتا وقد ظننت انهما رضيا بما قلت لهما ثم اننا سافرنا متوجهين الى ارض البصرة وصرت ارسل اليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وانا انام بين اخوي على ظهر الغليون ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة اربعين يوما حتى بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا باقبالنا عليها وانا راكن الى اخوي ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب الا الله تعالى فنمت تلك الليلة فبينما انا مستغرق في النوم لم اشعر الا وانا محمول بين ايادي اخوي هذين واحد قابض علي من سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحي محمولا بين ايديهما قلت يا اخوي لاي شيء تفعلان معي هذه الفعال فقالا يا قليل الادب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من اجل ذلك ثم رموني فيه ثم انه التفت الى الكلبين وقال احق ما قلته يا اخوي ام لا فنكسا رؤسهما وصارا يعويان كأنهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال يا امير المؤمنين فلما رموني في البحر وصلت الى القرار ثم نفضني الماء على البحر فما اشعر الا وطائر كبير قدر الآدمي نزل علي وخطفني وطار بي في الجو الاعلى ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الاركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الاشكال والالوان وفيه جوار واقفة واضعة الايادي على الصدور واذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعليها ملابس لا يقدر الانسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والابصار ثم ان الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فاذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وانا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي لاي شيء جئت هنا بهذا الانسي فقالت لها يا امي ان هذا هو الذي كان سببا في ستر

عرضي بين بنات الجان ثم قالت لي هل تعرف من انا قلت لا قالت انا التي كنت
في الجبل الفلاني وكان الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وانت قتلته
فقلت انما رأيت مع الثعبان حية بيضاء فقالت انا التي كنت حية بيضاء ولكني
بنت الملك الاحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي امي واسمها مباركة
زوجة الملك الاحمر والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير
الملك الاسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق انه لما رآني عشقني ثم انه
خطبني من ابي فارسل اليه ابي يقول له ومن انت يا مقدار حتى يا قطاعة الوزراء حتى
تتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف بيمينا انه لابد ان يفضح عرضي كيدا
في ابي وصار يقفو اثري ويتبعني اينما رحت ومراده ان يفضح عرضي فقد وقع
بينه وبين ابي حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم يقدر عليه ابي لكونه جبارا
مكارا ثم ان ابي كلما ضايقه واراد ان يظفر به يهرب منه وقد عجز ابي وصرت
انا في كل يوم انقلب اشكالا والوانا وكلما انقلب في صفة ينقلب هو في صفة ضدها
وكلما هربت الى ارض يتشمم رائحتي ويلحقني في تلك الارض حتى قاسيت منه مشقة
عظيمة ثم انقلبت في صفة حية وذهبت الى ذلك الجبل فانقلب هو في صفة ثعبان
وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتعبني وركب علي وكان مراده
ان يفعل بي ما يشتهيه فاتيت انت وضربته بالحجر فقتلته وانا انقلبت بنتا
واريتك روحي وقلت لك انه صار لك علي جميل لا يضيع الا مع اولاد الزنا فلما
رأيت اخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت اليك وخلصتك
من الهلاك ووجب لك الاكرام من امي وابي ثم انها قالت يا امي اكرميه في نظير
ما ستر عرضي فقالت مرحبا بك يا انسي فانك فعلت معنا جميلا تستحق عليه
الاكرام وامرت لي بيدلة كنوزية تساوي جملة من المال واعطتني جملة من
الجواهر والمعادن ثم انها قالت خذوه وادخلوه على الملك فاخذوني وادخلوني
على الملك في الديوان فرأيته جالسا على كرسي وبين يديه المردة والاعوان فلما
رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام على الاقدام وقامت
العساكر اجلالا له ثم حياني ورحب بي واكرمني غاية الاكرام واعطاني مما عنده
من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض اتباعه خذوه الى بنتي توصله الى المكان
الذي جاءت به منه فاخذوني وذهبوا بي الى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي

وبما معي من الخيرات هذا ماكان من امري وامر سعيدة واما ماكان من امر ريس الغليون فانه افاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال ما الذي وقع في البحر فبكى اخواي وصارا يخبطان على صدورهما ويقولان يا ضيعة اخينا فانه اراد ان يزيل ضرورة في جانب الغليون فوقع في البحر ثم انهما وضعا ايديهما على مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيري واستمرا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا اخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينما هما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال فبينما هما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني اخواي فعانقاني وفرحا وصارا يقولان يا اخانا كيف حالك فيما جرى لك ان قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة لو كان قلبكما عليه او كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه في البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موتة تموتانها وقبضت عليهما وارادت قتلهما فصاحا وقالا في عرضك يا اخانا فصرت اتداخل عليها واقول لها انا واقع في عرضك لا تقتلي اخوي وهي تقول لابد من قتلهما انهما خائنان فما زلت الاطفها واستعطفها حتى قالت من شان خاطرك لا اقتلهما ولكن اسحرهما ثم اخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت اخرجا من الصورة البشرية الى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله ثم التفت اليهما وقال احق ما قلته يا اخوي فنكسا رؤسهما كأنهما يقولان له صدقت ثم قال يا امير المؤمنين وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون اعلموا ان عبد الله بن فاضل هذا صار اخي وانا اشق عليه كل يوم مرة او مرتين وكل من خالفه منكم او عصى امره او اذاه باليد او اللسان فاني افعل به ما فعلت بهذين الخائنين واسحره كلبا حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولم يجد له خلاصا فقال لها الجميع يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه ثم انها قالت لي اذا دخلت البصرة تفقد جميع مالك فان كان نقص منه شيء فاعلمني وانا اجيء لك به من اي شخص كان ومن اي مكان كان ومن كان اخذه اسحره كلبا ثم بعد ان تخزن اموالك

حط فى رقبة كل واحد من هذين الخائنين غلا واربطهما فى ساقى السرير واجعلهما فى سجن وحدهما وكل ليلة فى نصف الليل انزل اليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود وان مضت ليلة ولم تضربهما فانى اجئ اليك واضربك علقة وبعد ذلك اضربهما فقلت لها سمعا وطاعة ثم انها قالت لى ربطهما فى الحبال حين تدخل البصرة فحطيت فى رقبة كل واحد منهما حبلا ثم ربطتهما فى الصارى وتوجهت هى الى حال سبيلها وفى ثانى يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتى وسلموا علىّ ولم يسأل احد عن اخوىّ وانما صاروا ينظرون الى الكلاب و يقولون لى يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك فاقول لهم انى ربيتهما فى هذه السفرة وجئت بهما معى فيضحكون عليهما ولم يعرفوا انهما اخوىّ ثم انى حطيتهما فى خزنة وانتهيت تلك الليلة فى توزيع الاحمال التى فيها القماش والمعادن وكان عندى التجار لاجل السلام فاشتغلت بهم ولم اضربهما ولم اربطهما بالسلاسل ولم اعمل معهما ضررا ثم نمت فما اشعر الا وقد اتتنى سعيدة بنت الملك الاحمر وقالت لى اما قلت لك حط فى رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة ثم انها قبضت علىّ واخرجت السوط وضربتنى علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت الى المكان الذى فيه اخواى وضربت كل واحد منهما علقة بالسوط حتى اشرف على الموت وقالت كل ليلة اضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وان مضت ليلة ولم تضربهما فانا اضربك فقلت يا سيدتى فى غد احط السلاسل فى رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا ارفع الضرب عنهما ليلة واحدة فاكدت علىّ فى الوصية بضربهما فلما اصبح الصباح لم يهن علىّ ان اضع السلاسل فى رقابهما فذهبت الى صائغ وامرته ان يعمل لهما اغلالا من الذهب فعملها وجئت بها ووضعتها فى رقابهما وربطتهما كما امرتنى وفى ثانى ليلة ضربتهما قهرا عنى وكانت هذه الحركة فى مدة خلافة المهدى الخامس من بنى العباس وقد اصطحبت معه بارسال الهدايا فقلدنى ولاية وجعلنى نائبا فى البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان ثم انى قلت فى نفسى لعل غيظها قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب فاتتنى وضربتنى علقة لم انس حرارتها بقية عمرى فمن ذلك الوقت لم اقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدى ولما توفى المهدى وتوليت انت بعده وارسلت الىّ تقرير الاستمرار

على مدينة البصرة وقد مضى لى اثنى عشر عاما وانا فى كل ليلة اضربهما قهرا عنى وبعد ما اضربهما اخذ بخاطرهما واعتذر اليهما واطعمهما واسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما احد من خلق الله تعالى حتى ارسلت الى ابا اسحق النديم من اجل الخراج فاطلع على سرى ورجع اليك فاخبرك فارسلته ثانيا تطلبنى وتطلبهما فاجبت بالسمع والطاعة واتيت بهما بين يديك ولما سألتنى عن حقيقة الامر اخبرتك بالقصة وهذه حكايتى فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل انت فى هذه الحالة سامحت اخويك مما صدر منهما فى حقك وعفوت عنهما ام لا فقال يا سيدى سامحهما الله وابرأ ذمتهما فى الدنيا والآخرة وانا محتاج لكونهما يسامحانى لانه مضى لى اثنى عشر عاما وانا اضربهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة يا عبد الله ان شاء الله تعالى انا اسعى فى خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا اولا واصلح بينكم وتعيشون بقية اعماركم اخوة متحابين وكما انك سامحتهما يسامحانك فخذهما انزل الى منزلك وفى هذه الليلة لا تضربهما وفى غد ما يكون الا الخير فقال له يا سيدى وحياة رأسك ان تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتينى سعيدة وتضربنى وانا مالى جسد يتحمل ضربا فقال له لا تخف فانا اعطيك خط يدى فاذا اتتك سعيدة فاعطها الورقة فاذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها وان لم تطع امرى كان امرك الى الله ودعها تضربك علقة وقدر انك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا السبب واذا حصل ذلك وخالفتنى فان كنت انا امير المؤمنين فانى اعمل خلاصى معها ثم ان الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار اصبعين وبعدما كتبها ختمها وقال يا عبد الله اذا اتتك سعيدة فقل لها ان الخليفة ملك الانس امرنى بعدم ضربهما وكتب لى هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأسا ثم اخذ عليه العهد والميثاق انه لا يضربهما فاخذهما وراح بهما الى منزله وقال فى نفسه يا ترى ما الذى يصنعه الخليفة فى حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربنى فى هذه الليلة ولكن انا اصبر على ضربى علقة واريح اخوى فى هذه الليلة ولو كان يحصل لى من اجلهما العذاب ثم انه تفكر فى نفسه وقال له عقله لولا ان الخليفة مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم انه دخل منزله ونزع الاغلال من رقاب اخويه

وقال توكلت على الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا باس عليكما فان الخليفة السادس من بنى العباس قد تكفل بخلاصكما وانا قد عفوت عنكما وان شاء الله تعالى يكون الاوان قد آن وتخلصان فى هذه الليلة المباركة فابشرا بالهنا والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عوى الكلاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال لاخويه ابشرا بالهنا والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عوى الكلاب ويمرغان خدودهما على اقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يملس بيده على ظهورهما الى ان جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت اعوانه باهتين يتعجبون من اكله مع الكلاب ويقولون هل هو مجنون او مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو اكبر من وزير اما يعلم ان الكلب نجس و صاروا ينظرون الى الكلبين وكيا يأكلان معه اكل الحشمة ولا يعلمون انهما اخواه وما زالوا يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الاكل ثم ان عبد الله غسل يديه فمد الكلبان ايديهما وصارا يغسلان وكل من كان واقفا صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل ايديهما بعد اكل الطعام ثم انهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر احد ان يسأله عن ذلك واستمر الامر هكذا الى نصف الليل ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم انه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث اكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس اذا ناموا معه وما هذا الا احوال المجانين ثم انهم لم يأكلوا مما بقى فى السفرة من الطعام شيئا وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب ثم اخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا انها نجسة هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانه لم يشعر الا والذى قد انشقت وطلعت سعيدة وقالت يا عبد الله لاى شىء ما ضربتهما فى هذه الليلة ولاى شىء نزعت الاغلال من اعناقهما

هل فعلت ذلك عن دلالي واستخفافا بامري ولكن ان الآن اضربك واسحرك
كلبا مثلهما فقال لها يا سيدتي اقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان
بن داود عليهما السلام ان تمهلي عليّ حتى اخبرك بالسبب ومهما اردتي فافعليه
فقالت له اخبرني فقال لها اما سبب عدم ضربهما فان ملك الانس الخليفة امير
المؤمنين هارون الرشيد امرني ان لا اضربهما في هذه الليلة وقد اخذ عليّ
مواثيق وعهودا على ذلك وهو يقرئك السلام واعطاني مرسوما بخط يده و
امرني ان اعطيك اياه فامتثلت امره واطعته وطاعة امير المؤمنين واجبة
وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك افعلي مرادك فقالت هاته
فناولها المرسوم ففتحته وقرأته فرأت مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
ملك الانس هارون الرشيد الى بنت الملك الاحمر سعيدة اما بعد فان هذا
الرجل قد سامح اخويه واسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح واذا وقع الصلح
ارتفع العقاب فان اعترضتمونا في احكامنا اعترضناكم في احكامكم وخرقنا قانونكم
وان امتثلتم امرنا ونفذتم احكامنا فاننا ننفذ احكامكم وقد حكمت عليك
بعدم التعرض لهما فان كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الامر
وان عفوت عنهما فانا اجازيك بما يقدرني عليه ربي وعلامة الطاعة ان ترفعي
سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين وان لم تخلصيهما فانا
اخلصهما قهرا عنك بعون الله تعالى فلما قرأت ذلك الكتاب قالت يا عبد الله لا
افعل شيئا حتى اذهب الى ابي واعرض عليه مرسوم ملك الانس وارجع اليك
بالجواب بسرعة ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت
طار قلب عبد الله فرحا وقال اعز الله امير المؤمنين ثم ان سعيدة دخلت على
ابيها واخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم امير المؤمنين فقبله ووضعه
على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتي ان امر ملك الانس علينا ماضٍ و
حكمه فينا نافذ ولا نقدر ان نخالفه فامضي الى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة
وقولي لهما انتما في شفاعة ملك الانس فانه ان غضب علينا اهلكنا عن آخرنا
فلا تحملينا ما لا نطيق فقالت له يا ابت اذا غضب علينا ملك الانس ماذا يصنع بنا
فقال لها يا بنتي انه يقدر علينا من وجوه الاول انه من البشر فهو مفضل علينا
والثاني انه خليفة الله والثالث انه مصرّ على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف

الجن من السبع ارضين لايقدرون ان يصنعوا به مكروها فانه ان غضب علينا
يصلي ركعتي الفجر ويصبح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم
بين يدي الجزار ان شاء يأمرنا بالرحيل من اوطاننا الى ارض موحشة لانستطيع
المكث فيها وان شاء هلاكنا امرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضا فنحن لانقدر
على مخالفة امره فان خالفنا امره احرقنا جميعا وليس لنا مفر من بين يديه وكذلك
كل عبد داوم على ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا فلا تتسبب في هلاكنا من اجل
رجلين بل امضي وخلصيهما قبل ان يحيق بنا غضب امير المؤمنين فرجعت الى
عبد الله بن فاضل واخبرته بما قال ابوها وقالت له قبل لنا اياد امير المؤمنين
واطلب لنا رضاه ثم انها اخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها و
تكلمت بكلمات لاتفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية الى
الصورة البشرية فعادا بشرين كما كانا وانفك عنهما رصد السحر وقالا
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم انهما وقعا على يد اخيهما
وعلى رجليه يقبلانهما ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني انتما ثم انهما تابا
توبة نصوحا وقالا قد غرنا ابليس اللعين واغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحق
والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان اخاهما ويبكيان ويتندمان على ما
وقع منهما ثم انه قال لهما ما فعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة البحر فقالا
لما اغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول انا اتزوج
بها فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت اننا رميناك في البحر طلعت من الخزنة
وقالت لاتختصما من اجلي فاني لست لواحد منكما ان زوجي راح البحر وانا اتبعه
ثم انها رمت روحها في البحر وماتت فقال انها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ثم انه بكى عليها بكاء شديدا وقال لهما لا يصح منكما ان تفعلا
هذه الفعال وتعدما ني زوجتي فقالا اننا اخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا
شيء قدره الله علينا قبل ان يخلقنا فقبل عذرهما ثم ان سعيدة قالت ايفعلان
معك كل هذه الفعال وانت تعفو عنهما فقال يا اختي من قدر وعفا كان اجره
على الله فقالت خذ حذرك منهما فانهما خائنان ثم ودعته وانصرفت وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله لما خلّصته سعيدة من اخويه ودعته
وانصرفت الى حال سبيلها بات عبد الله بقية تلك الليلة هو واخواه على اكل و
شرب وبسط وانشراح صدر فلما اصبح الصباح ادخلهما الحمام وعند خروجهما
من الحمام البس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال ثم انه طلب سفرة طعام
فقدموها بين يديه فاكل هو واخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا انهما اخواه سلموا
عليهما وقالوا للامير عبد الله يا مولانا هنّاك الله باجتماعك على اخويك العزيزين
واين كانا في هذه المدة فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله
الذي خلصهما من السجن والعذاب الاليم ثم انه اخذهما وتوجه الى ديوان الخليفة
هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز
والنعم وازال البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحبا بك يا امير عبد الله اخبرني
بما جرى لك فقال يا امير المؤمنين اعز الله قدرك اني لما اخذت اخويّ وذهبت
بهما الى منزلي اطمأننت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما وقلت في نفسي ان
الملوك لا يعجزون عن امر يجتهدون فيه فان العناية تساعدهم ثم نزعت الاغلال
من رقابهما وتوكلت على الله واكلت انا واياهما على السفرة فلما رآني اتباعي اكل معهما
وهما في صورة كلبين استخفوا عقلي وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف ياكل نائب
البصرة مع الكلاب وهو اكبر من الوزير ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لا ناكل
ما بقي من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وانا اسمع كلامهم ولا ارد عليهم
جوابا لعدم معرفتهم انهما اخواي ثم صرفتهم عند ما جاء وقت النوم وطلبت النوم
فما اشعر الا والارض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الاحمر وهي غضبانة
عليّ وعيناها مثل النار ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن ابيها وكيف اخرجتهما
من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا امير
المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله
عني خيرا يا عبد الله حيث اعلمتني بفائدة ما كنت اعلمها ان شاء الله تعالى
لا اترك صلوة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حيا ثم انه عنف اخوي
عبد الله بن فاضل على ما سلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم
تصافحوا وسامحوا بعضكم بعضا وعفا الله عما سلف ثم التفت الى عبد الله وقال
يا عبد الله اجعل اخويك معينين لك وتوص بهما واوصاهما بطاعة اخيهما ثم انعم

عليهم امرهم بالارتحال الى مدينة البصرة بعد ان اعطاهم انعاما جزيلا فنزلوا من ديوان الخليفة محبوبين وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلوة ركعتين قبل الفجر وقال صدق من قال مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ هذا ما كان من امرهم مع الخليفة واما ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانه سافر من مدينة بغداد ومعه اخواه بالاعزاز والاكرام ورفع المقام الى ان دخلوا مدينة البصرة فخرج الاكابر والاعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت احد الى اخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان الا بغضا له وحسدا فيه وقد قيل في هذا المعنى

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي	مُدَارَاتُهُ شَطَّتْ وَعَزَّ نَوَالُهَا
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ	إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا

ثم انه اعطى كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعل لهما خدم وحشم وجوار وعبيد سود وبيض من كل نوع اربعين واعطى كل واحد منهما خمسين جوادا من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع ثم انه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخوي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله رتب لاخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخوي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما فاحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتقوى الله في الاحكام واياكما والظلم فانه ان دام دمر وعليكما بالعدل فانه ان دام عمر ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل الى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم احد والذي تطمعان فيه من اموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان اليه ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم من محكم

الآيات ولله در من قال هذه الابيات

اَلظُّلْمُ فِي نَفْسِ الْفَتَى كَامِنٌ ... وَلَيْسَ إِلَّا الْعَجْزُ يُخْفِيهِ
ذُو الْعَقْلِ لَا يَنْهَضُ فِي حَاجَةٍ ... حَتَّى يَرَى الْوَقْتَ يُوَافِيهِ
لِسَانُ مَنْ يَعْقِلُ فِي قَلْبِهِ ... وَقَلْبُ مَنْ يَجْهَلُ فِي فِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرُ مِنْ عَقْلِهِ ... يَقْتُلُهُ أَصْغَرُ مَا فِيهِ
أَصْلُ الْفَتَى خَافٍ وَلٰكِنَّهُ ... مِنْ فِعْلِهِ يَظْهَرُ خَافِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عُنْصُرُهُ طَيِّبًا ... لَا يَظْهَرُ الطِّيبُ مِنْ فِيهِ
مَنْ قَلَّدَ الْأَحْمَقَ فِي فِعْلِهِ ... كَانَ لَهُ فِي الْجَهْلِ مُسَاوِيهِ
وَمَنْ اطْلَعَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ ... تَنَبَّهَتْ لَهُ أَعَادِيهِ
يَكْفِي الْفَتَى مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ ... وَتَرْكُهُ مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ

ثم انه صار يعظ اخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن انهما احباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم انه ركن اليهما وبالغ في اكرامهما ومع اكرامه لهما ما ازدادا الا حسدا له وبغضا فيه ثم ان اخويه ناصرا ومنصورا اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا اخي الى متى ونحن تحت طاعة اخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والامارة وبعد ما كان تاجرا صار اميرا وبعد ما كان صغيرا صار كبيرا ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له فما معنى ذلك أليس اننا خدمته ومن تحت طاعته وما دام طيبا لا نرتفع درجتنا ولم يبق شأن فلا يتم غرضنا الا ان قتلناه واخذنا امواله ولا يمكن اخذ هذه الاموال الا بعد هلاكه فاذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا ثم نهيئ هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وانت تكون نائب البصرة وانا اكون نائب الكوفة او انك تكون نائب الكوفة وانا اكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صورة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك الا اذا اهلكناه فقال منصور انك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله فقال نعمل ضيافة عند احدنا ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نسامره بالكلام ونحكي له حكايات ونكتا ونوادر الى ان يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فاذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه في البحر ونصبح نقول ان اخته الجنية

انه وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قاطع الانس ما مقدارك حتى تشكونى الى امير المؤمنين اتظن اننا نخاف منه فكما انه ملك نحن ملوك وان لم يلزم ادبه فى حقنا قتلناه اقبح قتلة ولكن بقيت انا اقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد امير المؤمنين ثم خطفته وشقت الارض ونزلت به فلما رأينا ذلك غشى علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصله وبعد ذلك نرسل الى الخليفة ونعلمه فانه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل الى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم فى البصرة والاخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال له نعم ما اشرت به يا اخى ثم اتفقا على قتل اخيهما وصنع ناصر ضيافة وقال لاخيه عبد الله يا اخى اعلم انى انا اخوك ومرادى انك تجبر بخاطرى انت واخى منصور وتأكلان ضيافتى فى بيتى حتى افتخر بك ويقال ان الامير عبد الله اكل ضيافة اخيه ناصر لاجل ان يحصل بذلك جبر خاطر فقال له عبد الله لا بأس يا اخى ولا فرق بينى وبينك وبيتك بيتى ولكن حيث عزمتنى فما يأبى الضيافة الا اللئيم ثم التفت الى اخيه منصور وقال له اتروح معى الى بيت اخيك ناصر ونأكل ضيافته ونجبر بخاطره فقال له يا اخى وحيوة رأسك ما اروح معك حتى تحلف لى انك بعد ما تخرج من بيت اخى ناصر تدخل بيتى وتأكل ضيافتى فهل ناصر اخوك وانا لست اخاك فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطرى فقال لا بأس بذلك حبا وكرامة فمتى خرجت من دار اخيك ادخل دارك وكما هو اخى انت اخى ثم ان ناصر اقبل يد اخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة وفى ثانى يوم ركب عبد الله واخذ معه جملة من العسكر واخاه منصورا وتوجه الى دار اخيه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته واخوه فقدم لهم السماط ورحب بهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادى وغسلت الايادى واقاموا ذلك اليوم على اكل وشرب وبسط ولعب الى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكاية وعبد الله يسمع وكانوا فى قصر وحدهم وبقية العسكر فى مكان آخر ولم يزالوا فى نكت وحكايات ونوادر واخبار حتى ذاب قلب اخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله لما طال عليه السهر واراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش اخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم فلما عرفا انه استغرق في النوم قاما وبركا عليه فافاق فراهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا اخوتي فقالا له ما نحن اخواتك ولا نعرفك يا قليل الادب وقد صار موتك احسن من حيوتك وحطا ايديهما في رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا انه مات وكان القصر على البحر فرموه في البحر فلما وقع في البحر سخر الله له درفيلا كان معتادا على مجيئه تحت ذلك القصر لان المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون نقاليفها في البحر من تلك الطاقة فياتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان وكانوا في ذلك اليوم قد رموا سقاطا كثيرا بسبب الضيافة فاكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة في البحر اتى بسرعة فراه ابن ادم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر ولم يزل ماشيا به حتى وصل الى البر من الجهة الثانية والقاه على البر وكان ذلك المكان الذي القاه فيه على قارعة الطريق فمرت به قافلة فراوه مرميا على جانب البحر فقالوا هنا غريق القاه البحر على شاطئ واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلا من اهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبيرا بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فاقبل عليه وتامله وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار اولاد الناس الاكابر وتربية العز والنعم وفيه الرجاء ان شاء الله تعالى ثم انه اخذه والبسه بدلة وادفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلث مراحل حتى فاق ولكن حصلت له رخصة فغلب عليه الضعف وما شيخ القافلة يعالجه باعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلثين يوما حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالجه فيه ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له وقد فبات تلك الليلة يئن وقد اقلق الناس من انينه فلما اصبح الصباح اتى بواب الخان الى شيخ القافلة وقال ما شان هذا الضعيف الذي عندك فانه اقلقنا فقال هذا رايته في الطريق على جانب البحر غريقا فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له اعرضه على الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخة راجحة

فقال عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة اسمها الشيخة راجحة وكل من كان به داء يأخذونه اليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافا ولم يكن فيه شيئ يضره فقال له شيخ القافلة دلني عليها فقال له احمل مريضك فحمله ومشى بواب الخان قدامه الى ان وصل الى زاوية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل الى الستارة وقال دستور يا شيخة راجحة خذي هذا المريض فقالت ادخله من داخل هذه الستارة فقال له ادخل فدخل ونظر اليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة البحر فعرفها وعرفته وسلمت عليه وسلم عليها فقال لها من اتى بك الى هذا المكان فقالت له لما رأيت اخويك رمياك في البحر وتخاصما على ترميت روحي في البحر فتناولني شيخي الخضر ابو العباس واتى بي الى هذه الزاوية واعطاني الاذن بشفاء المرضى ونادى في هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي اقيمي في هذا المكان حتى يئون الاوان ويأتي اليك زوجك في هذه الزاوية فصار كل مريض يأتي الى اكبسه فيصبح طيبا وشاع ذكري بين العالم واقبلت على الناس بالنذور وعندي الخير كثير وانا في عز واكرام وجميع اهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء ثم انها كبسته فشفي بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هي واياه بعد ما تعشيا من افخر المأكول فقعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان واذا به قد اقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وراح فلما اصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره وعرفه وسمع الناس في ضجة فطل من الشباك فرأى اخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة والسبب في ذلك انهما لما رمياه في البحر اصبحا يبكيان ويقولان ان اخانا خطفته الجنية ثم هيئا هدية وارسلاها الى الخليفة واخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة فارسل احضرهما عنده وسألهما فاخبراه كما ذكرنا فاشتد غضب الخليفة فلما جن الليل صلى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين فسألهم عن عبد الله فحلفوا له انه لم يتعرض له احد منهم وقالوا له ما عندنا خبر به فاتت سعيدة بنت الملك الاحمر واخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفي ثاني يوم رمى ناصرا ومنصور تحت الضرب فاقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما الى

البصرة واصلبوهما فدام قصر عبد الله هذا ما كان من امرهما واما ما كان من ابي عبد الله فانه امر بدفن اخويه ثم ركب وتوجه الى بغداد واخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه اخواه من الاول الى الاخر فتعجب الخليفة من ذلك واحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها واقام معها في البصرة الى ان اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت

ومما يحكى

ايها الملك السعيد انه كان في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفا وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك الا لانها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه الف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من اذاها لانه كان رجلا عاقلا يستحي على عرضه لكنه كان فقير الحال فاذا اشتغل بكثير صرفه عليها واذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشاعر

كم ليلة قد بت مع زوجتي ... في اشئم الاحوال قضيتها
ياليتني عند دخولي بها ... احضرت سما ثم سميتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل من زوجته انها قالت له يا معروف اريد منك في هذه الليلة ان تجيء لي معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها الله تعالى يسهل لي حقها وانا اجيء لها لك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له انا ما اعرف هذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان معروفا الاسكافي قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وانا اجيء بها اليك في هذه الليلة والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له انا ما اعرف هذا الكلام ان سهل او لم يسهل لا تجئني الا بالكنافة التي بعسل نحل وان جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح

الدكان وقال أسألك يا رب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة وقعد في الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيراً في أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء ثم إنه مر على دكان الكنفاني ووقف باهتاً وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفاني وقال يا معلم معروف مالك تبكي فأخبرني بما أصابك فأخبره بقصته وقال له إن زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئني ولا حق الخبز وإني خائف منها فضحك الكنفاني وقال لا بأس عليك كم رطل تريد قال خمسة أرطال فوزن له خمسة أرطال وقال له السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل وإنما عندي عسل قطر أحسن من عسل النحل وماذا يضر إذا كانت بعسل قطر فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قطر فقلى له الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قطر فصارت تهدى للملوك ثم إنه قال له أتحتاج عيشاً وجبناً قال نعم فأخذ له بأربعة أنصاف عيشاً ونصف جبناً والكنافة بعشرة أنصاف وقال له اعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفاً رح إلى زوجتك واعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومين أو ثلاثة حتى يرزقك الله ولا تضيق على زوجتك فأنا أصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعياً له وراح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربي ما أكرمك ثم إنه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت إليها فرأتها بعسل قصب فقالت له أما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب فاعتذر إليها وقال لها أنا ما اشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها فقالت هذا كلام باطل أنا ما آكل كنافة إلا بعسل نحل وغضبت عليها وضربته بها في وجهه وقالت له قم يا معرص هات لي غيرها ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمين فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا نحن كلنا نأكل الكنافة التي بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير إن هذا عيب عليك وما زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئاً فاحترق بالجوع فقال في نفسه هي حلفت ما تأكل فأنا آكل

ثم اكل فلما رأته يأكل صارت تقول له ان شاء الله يكون اكلها سما يهري بدن البعيد
فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك وتقول انت حلفت ما تأكلني من هذه
فالله كريم وان شاء الله في ليلة غد اجيء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكليها
وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعو عليه ولم يزل تسبه وتشتمه الى الصبح
فلما اصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها امهليني وانا اجيء لك
بغيرها ثم خرج الى المسجد وصلى وتوجه الى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس
حتى جاء اثنان من طرف القاضي وقالا له قم كلم القاضي فان امرأتك اشتكتك اليه
وصفتها كذا وكذا فعرفها وقال الله تعالى ينكد عليها ثم قام مشى معهما الى ان دخل
على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهي واقفة تبكي
وتمسح دموعها فقال له القاضي يا رجل الم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة
وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له ان كنت ضربتها او
قلعت سنها فاحكم في بما تختار وانما القصة كذا وكذا والجيران اصلحوا بيني وبينها
واخبره بالقصة من الاول الى الآخر وكان ذلك القاضي من اهل الخير فاخرج له
ربع دينار وقال له يا رجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح انت و
اياها فقال له اعطها فاخذته واصلح بينهما وقال يا حرمة اطيعي زوجك وانت يا
رجل ترفق بها وخرجا مصطلحين على يد القاضي وراحت المرأة من طريق وزوجها
راح من طريق آخر الى دكانه وجلس واذا بالرسل اتوا اليه وقالوا هات خدمتنا
فقال لهم ان القاضي لم يأخذ مني شيئا بل اعطاني ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا
بكون القاضي اعطاك او اخذ منك فان لم تعطنا خدمتنا اخذناها قهرا عنك و
صاروا يجرونه في السوق فباع عدته واعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه وحط
يده على خده وقعد حزينا حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد اذا
برجلين قبيحي المنظر اقبلا عليه وقالا له قم يا رجل كلم القاضي فان زوجتك اشتكتك
اليه فقال لهما قد اصلح بيني وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فان زوجتك
اشتكتك الى قاضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها اما اصطلحنا
يا بنت الحلال قالت ما بقي بيني وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضي حكايته و
قال له ان القاضي فلان اصلح بيننا في هذه الساعة فقال لها القاضي يا عاهرة
حيث اصطلحتما لماذا جئت تشتكين الي قالت انه ضربني بعد ذلك فقال لهما

القاضي اصطلحا ولا تعودا الى ضربها وهي لا تعود الى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضي اعط الرسل خدمتهم فاعطى الرسل خدمتهم وتوجه الى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي اصابه فبينما هو قاعد واذا برجل اقبل عليه وقال له يا معروف قم استخف فان زوجتك اشتكتك الى الباب العالي فنازل عليك ابو طبق فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة انصاف فضة من حق القوالب العدة فاشترى باربعة انصاف عيشا وبنصف جبنا وهو هارب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل افواه القرب فابتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى موضعا خربا فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من اجفانه وصار ينتحب مما به ويقول اين اهرب من هذه العاهرة اسألك يا رب ان تقيض لي من يوصلني الى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها فبينما هو جالس يبكي اذا بالحائط قد انشقت وخرج له منها شخص طويل القامة رؤيته تقشعر منها الابدان وقال له يا رجل ما لك اقلقتني في هذه الليلة انا ساكن في هذا المكان من منذ مائتي عام فما رأيت احدا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت انت فاخبرني بمقصودك وانا اقضي حاجتك فان قلبي اخذته الشفقة عليك فقال له من انت وما تكون فقال له انا عامر هذا المكان فاخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له اتريد ان اوصلك الى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقا قال نعم قال له اركب فوق ظهري فركب وحمله وطار به من بعد العشاء الى طلوع الفجر وانزله على رأس جبل عال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان معروفا الاسكافي لما حمله المارد وطار به انزله على جبل عال وقال يا انسي انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فان زوجتك لا تعرف لك طريقا ولا يمكنها ان تصل اليك ثم تركه وراح فصار معروف باهتا متحيرا في نفسه الى ان طلعت الشمس فقال في نفسه اقوم وانزل من على هذا الجبل الى المدينة فان قعودي هنا ليس فيه فائدة فنزل الى اسفل الجبل فرأى مدينة باسوار عالية وقصور مشيدة وابنية مزخرفة وهي نزهة

للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تنشرح القلب الحزين فلما مشى في السوق صار اهل المدينة ينظرون اليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لان ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من اهل المدينة يا رجل هل انت غريب قال نعم قال له من اي البلاد قال من مدينة مصر السعيدة قال له ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال انه يزعم انه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل انت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم انك فارقت مصر بالامس في وقت العصر واصبحت هنا والحال ان بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون الا انتم واما انا فاني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طريا واراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لانه لا يشبه عيش بلادهم وكثرت الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤن به فبينما هم في تلك الحالة واذا بتاجر اقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس اما تستحون وانتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر احد ان يرد عليه جوابا وقال له تعال يا اخي ما عليك بأس من هؤلاء انهم لا حياء عندهم ثم اخذه وسار به الى ان ادخله دارا واسعة مزخرفة واجلسه في مقعد ملوكي وامر العبيد ففتحوا له صندوقا واخرجوا له بدلة تاجر الفي والبسه اياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم ان ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الاطعمة الفاخرة من سائر الالوان فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا اخي ما اسمك قال اسمي معروف وصنعتي اسكافي ارقع الزرابين القديمة قال له من اي البلاد انت قال من مصر قال من اي الحارات قال له هل انت تعرف مصر قال له انا من اولادها فقال له انا من الدرب الاحمر قال له من تعرف من الدرب الاحمر قال له فلان وفلان وعد له ناسا كثيرة قال له هل تعرف الشيخ احمد العطار قال له هو جاري الحيط في الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له كم له من الاولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلي قال له ما فعل الله باولاده قال اما

مصطفى فانه طبيب وهو عالم مدرس واما محمد فانه عطار قد فتح له دكانا بجنب دكان ابيه بعد ان تزوج وولدت له زوجته ولدا اسمه حسن قال بشرك الله بالخير قال واما علي فانه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائما العب انا واياه وبقينا نروح بصفة اولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة فاتفق في بعض المرات ان النصارى رأونا ومسكونا بكتاب فاشتكونا الى اهلنا وقالوا لابيه اذا لم تمنع ولدك من اذانا اشتكيناك الى الملك فاخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه احد بخبر فقال له هو هو انا علي بن الشيخ احمد العطار وانت رفيقي يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال له يا معروف اخبرني بسبب مجيئك من مصر الى هذه المدينة فاخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه وقال له انه لما اشتد علي اذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل علي المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت ابكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألني فاخبرته بحالي فاركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والارض ثم حطني على الجبل واخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم الناس علي وسألوني فقلت لهم اني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت انت ومنعت عني الناس وجئت بي الى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر وانت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب علي الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وانا دائر من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت اهلها ناسا كراما وعندهم الشفقة ورأيتهم يأمنون الفقير ويداينونه وكلما قاله يصدقونه فيه فقلت لهم انا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان انزل فيه حملتي فصدقوني واخلوا الي مكانا ثم اني قلت لهم هل فيكم من يداينني الف دينار حتى تجيء حملتي وارد له ما اخذه منه فاني محتاج الى بعض مصالح قبل دخول الحملة فاعطوني ما اردت وتوجهت الى سوق التجار فرأيت شيئا من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين دينارا واشتريت غيره وصرت اعاشر الناس واكرمهم فحبوني وصرت ابيع واشتري فكثر مالي واعلم يا اخي ان صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك احد فيها مهما

شئت فافعل فيها وانت اذا قلت لكل من سألك انا صنعتي اسكافي وفقير وشريت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة اقامتك في هذه المدينة وان قلت حملني عفريت نفروا منك ولا يقرب منك احد ويقولون هذا رجل معفريت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر وتبقى هذه الاشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون اني من مصر قال وكيف اصنع قال انا اعلمك كيف تصنع ان شاء الله تعالى اعطيك في غد الف دينار وبغلة تركبها وعبدا يمشي قدامك حتى يوصلك الى باب سوق التجار فادخل عليهم واكون انا قاعدا بين التجار فمتى رأيتك اقوم لك واسلم عليك واقبل يدك واعظم قدرك وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير وان سألوني عنك اشكرك واعظمك في اعينهم ثم اني اقول لهم خذوا له حاصلا ودكانا واصفك بكثرة المال والكرم واذا اتاك سائل فاعطه ما تيسر فيثقوا بكلامي ويعتقدوا عظمتك وكرمك ويحبوك وبعد ذلك اعزمك واعزم جميع التجار من شانك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر علي قال لمعروف اعزمك واعزم جميع التجار من شانك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم لاجل ان تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما اصبح الصباح اعطاه الف دينار والبسه بدلة واركبه بغلة واعطاه عبدا وقال ابرأ الله ذمتك من الجميع لانك رفيقي فواجب علي اكرامك ولا تحمل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لاحد فقال له جزاك الله خيرا ثم انه ركب البغلة ومشى قدامه العبد الى ان اوصله الى باب سوق التجار وكانوا جميعا قاعدين والتاجر علي قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار وقال يا اخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في اعينهم ثم انزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم

نعم بل هو اكبر التجار ولا يوجد واحد اكثر مالا منه لان امواله واموال ابيه واجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدر عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه واعلموا ان مجيئه الى هذه المدينة ليس من اجل التجارة وما مقصده الا الفرجة على بلاد الناس لانه غير محتاج الى التغرب من اجل الربح والمكاسب لان عنده اموالا لا تأكلها النيران وانا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار اتى له وسلم عليه وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار يا سيدي لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني فيقول له كثير وكان في ذلك اليوم فرجه على اصناف القماش المثمنة وعرفه اسامي الاقمشة الغالي والرخيص فقال له تاجر من التجار يا سيدي هل جئت معك بجوخ اصفر قال كثير قال واحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما سأله عن شيء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر علي ان بلديك لو اراد ان يحمل الف حمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء فبينما هم قاعدون واذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من اعطاه نصف فضة ومنهم من اعطاه جديدا وغالبهم لم يعطه شيئا حتى وصل الى معروف فكبش له كبشة ذهب اعطاه اياها فدعا له وراح فتعجب التجار من ذلك وقالوا ان هذه عطايا ملوك فانه اعطى السائل ذهبا من غير عدد ولولا انه من اصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان اعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة اتته امرأة فقيرة فكبش واعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فاقبلوا عليه واحدا بعد واحد وصار كل من اتى له يكبش ويعطيه حتى انفق الالف دينار وبعد ذلك ضرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار ما لك يا تاجر معروف قال كان غالب اهل هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت اعرف انهم كذلك كنت جئت معي في الخرج بجانب من المال واحسن به الى الفقراء وانا خائف ان تطول غربتي ومن طبعي اني لا ارد السائل وما بقي معي ذهب فاذا اتاني فقير ماذا اقول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب وكان مرادي الف دينار اتصدق بها حتى يجيء حملي فقال لا بأس وارسل بعض اتباعه فجاء له بالف دينار فاعطاه اياها فصار

يعطي

يعطي كل من مر به من الفقراء حتى اذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الالف دينار نثره على رؤس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم انه مال على تاجر آخر واخذ منه الف دينار وفرقها وصار التاجر علي ينظر فعله ولا يقدر ان يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى اذن العصر فدخل المسجد وصلى وفرق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى اخذ خمسة الاف دينار وفرقها وكل من اخذ منه شيئا يقول له حتى يجيء الحمل ان اردت ذهبا اعطيك وان اردت قماشا اعطيك فان عندي شيئا كثيرا وعند المساء عزمه التاجر علي وعزم معه التجار جميعا واجلسه في الصدر وصار لا يتكلم الا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيئا يقول عندي منه كثير و ثاني يوم توجه الى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الاموال ويفرقها على الفقراء ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوما حتى اخذ من الناس ستين الف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت الناس على اموالهم وقالوا ما اتت حملة التاجر معروف والى متى وهو يأخذ اموال الناس ويعطيها للفقراء فقال واحد منهم الرأي ان نتكلم مع بلديه التاجر علي فاتوه وقالوا له يا تاجر علي ان حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فانها لا بد ان تأتي عن قريب ثم انه اختلى به وقال له يا معروف ما هذه الفعال هل انا قلت لك قمر الخبز او احرقه ان التجار ضجوا على اموالهم واخبروني انه صار لهم عليك ستون الف دينار اخذتها وفرقتها على الفقراء ومن اين تسد دين الناس وانت لا تبيع ولا تشتري فقال له اي شيء يجري وما مقدار ستين الف دينار لما يجيء الحملة اعطيهم ان شاؤا قماشا وان شاؤا ذهبا وفضة فقال له التاجر علي الله اكبر هل انت لك حملة فقال كثير فقال له الله والرجال عليك وعلى سماجتك هل انا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي فانا اخبر بك الناس فقال له رح بلا كثرة كلام هل انا فقير ان حملتي فيها شيء كثير فاذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين انا غير محتاج اليهم فعند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له يا قليل الادب لا بد ان اريك كيف تكذب علي ولا تستحي فقال له الذي يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى تجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة فتركه وراح وقال في نفسه انا شكرته سابقا وان ذممته الآن صرت كاذبا وادخل في قول من قال من شكر وذم كذب مرتين وصار متحيرا

في امره ثم ان التجار اتوه وقالوا يا تاجر علي هل كلمته قال لهم يا ناس انا استحي منه ولي عنده الف دينار ولم اقدر ان اكلمه عليها وانتم لما اعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم علي كلام من طرفه فطالبوه وان لم يعطكم فاشكوه الى ملك المدينة وقولوا له انه نصاب نصب علينا فان الملك يخلصكم منه فراحوا الملك واخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان اننا تحيرنا في امرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فانه يفعل كذا وكذا وكل شيء اخذه يفرقه على الفقراء بالكبشة فلو كان مقلا ما كانت تسمح نفسه انه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان من اصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع انه يدعي ان له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفا من اصناف القماش يقول عندي منه كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون الف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعا اطمع من اشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره لو لم يكن هذا التاجر عنده اموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولا بد ان تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم اموالا كثيرة فانا احق منهم بهذا المال فمرادي ان اعاشره واتودد اليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار اخذه انا وازوجه ابنتي واضم ماله الى مالي فقال له الوزير يا ملك الزمان ما اظنه الا نصابا والنصاب قد اخرب بيت الطماع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما قال للملك ما اظنه الا نصابا والنصاب قد اخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير انا امتحنه واعرف هل هو نصاب او صادق وهل هو تربية نعمة او لا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك ان عندي جوهرة فانا ابعث اليه واحضره عندي واذا اجلس اكرمه واعطيه الجوهرة فان عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وان لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله اقبح قتلة ثم ان الملك ارسل اليه واحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام واجلسه الى جانبه وقال له هل انت

التاجر معروف قال نعم قال له ان التجار يزعمون ان لهم عندك ستين الف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم لم تعطهم اموالهم قال يصبرون حتى تجيء حملتي واعطيهم المثل مثلين وان ارادوا ذهبا اعطيتهم وان ارادوا فضة اعطيتهم وان ارادوا بضاعة اعطيتهم والذى له الف اعطيه الفين فى نظير ما ستر به وجهى مع الفقراء فان عندى شيئا كثيرا ثم ان الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما ثمنها واعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بالف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فاخذها معروف بيده وفرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لان الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لاى شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوى الف دينار كيف تقول عليها انها جوهرة ان الجوهرة يكون ثمنها سبعين الف دينار وانما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندى ولا اعتنى بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهى قطعة معدن قيمتها الف دينار ولكن انتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذى تخبر به قال كثير فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطيني جواهر صحاحا قال له حتى تجيء الحملة اعطيك كثيرا ومهما طلبته فعندى منه كثير واعطيك من غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار روحوا الى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا ما لكم منى فراحوا هذا ما كان من امر معروف والتجار واما ما كان من امر الملك فانه اقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروف وخذ واعط معه فى الكلام واذكر له ابنتى حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التى عنده فقال الوزير يا ملك الزمان ان حال هذا الرجل لم يعجبنى واظن انه نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شيء وكان الوزير سابقا ساق على الملك ان تزوجه البنت واراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم ان الملك قال له يا خائن انت لا تريد لى خيرا لكونك خطبت ابنتى سابقا ولم ترض ان تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك ان بنتى تبور حتى تاخذها انت فاسمع منى هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف يكون نصابا كذابا مع انه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتى يراها جميلة فتاخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر

وذخائر وانت مرادك ان تحرم ابنتي تحرمني من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه اغرِ الكلاب على البقر ثم مال على التاجر معروف وقال له ان حضرة الملك حبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد ان يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فان مهر بنات الملوك واسع ومقامهن ان لا يمهرن الا بمهر يناسب حالهن وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر علي حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير ولا بد ان ادفع صداقها خمسة آلاف كيس واحتاج الى الف كيس افرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة والف كيس اعطيها للذين يمشون في الزفة والف كيس اعمل بها الاطعمة للعساكر وغيرهم واحتاج الى مائة جوهرة اعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة افرقها على الجواري والخدم فاعطي كل واحدة جوهرة تعظيما لمقام العروسة واحتاج الى ان اكسي الف عريان من الفقراء ولا بد من صدقات وهذا شيء لا يمكن الا اذا جاءت الحملة فان عندي شيئا كثيرا واذا جاءت الحملة لا ابالي بهذا المصروف كله فراح الوزير واخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه انه نصاب كذاب قال الوزير ولم ازل اقول ذلك فقرع فيه الملك ووبخه وقال له وحياة راسي ان لم تترك هذا الكلام لاقتلك فارجع اليه وهاته عندي وانا منه اصطفل فراح اليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم جاء اليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الاعذار فان خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج اليه واعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري واذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الاكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق ابدا ثم امر شيخ الاسلام ان يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وامر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الاطعمة من سائر الالوان واقبلت ارباب الملاعب وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه ارباب الملاعب والنطار والجنك وارباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصار فرجا عجاجا وما بقي الخازندار يلحق ان يجيء بالاموال من الخزنة وكاد قلب الوزير ان ينفقع

من الغيظ ولم يقدر ان يتكلم وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف والله والرجال على صدغك اما كفاك ان اضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال له التاجر معروف لا علاقة لك واذا جاءت الحملة اعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبدد في الاموال ويقول في نفسه كبة حامية فالذي يجري يجري والمقدر ما منه مفر ولم يزل الفرح مدة اربعين يوما وفي اليوم الحادي والاربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع سائر الامراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف اموالا لها مقدار عظيم وادخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وارخوا الستائر وقفلوا الابواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يدا على يد وقعد حزينا مدة وهو يضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له الملكة يا سيدي سلامتك ما لك مغموما فقال كيف لا اكون مغموما و ابوك قد شوش علي وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الاخضر قالت وما عمل معك ابي قل لي قال ادخلني عليك قبل ان تأتي حملتي وكان مرادي اقل ما تكون مائة جوهرة افرقها على جواريك لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول ان سيدي اعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي وهذه الخصلة كانت تعظيما لمقامك وزيادة في شرفك فاني لا اقصر ببذل الجواهر لان عندي منها كثيرا فقالت له لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب اما انا فما عليك مني لاني اصبر عليك حتى تجيء الحملة واما الجواري فما عليك منهن قم اقلع ثيابك واعمل انبساطا ومتى جاءت الحملة فاننا لاحقون على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب الناغش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هي في حجره والقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تنسي الانسان اباه وامه فحضنها وضمها اليه وعصرها في حضنه وضمها الى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده من تحت ابطها الشمال فحنت اعضاؤه واعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى يا ابا اللثامين وحط الذخيرة واشعل الفتيل وحرر على بيت الابرة واعطى النار فخسف البرج من الاربعة اركان وحصلت النكتة التي لا يسأل عنها وزعقت الزعقة التي لا بد منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها
ازال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الاعمار لاشتمالها
على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورصع الى الصباح ثم دخل الحمام ولبس
بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك فقام له من فيه على
الاقدام وقابلوه باعزاز واكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال اين
الخازندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك قال هات الخلع والبس جميع الوزراء
والامراء وارباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطي كل من اتى له ويهب لكل
انسان على قدر مقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ولم يظهر له حملة
ولا غيرها ثم ان الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب
معروف وكان الملك جالسا هو والوزير لا غير فقبل الارض بين يديه وقال يا
ملك الزمان انا اخبرك بشيء لانك ربما تلومني على عدم الاخبار به اعلم ان الخزنة
فرغت ولم يبق فيها شيء من المال الا القليل وبعد عشرة ايام نقفلها على الفارغ
فقال الملك يا وزير ان حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير و
قال له الله يلطف بك يا ملك الزمان ما انت الا مغفل عن فعل هذا
النصاب الكذاب وحيوة رأسك انه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وانما هو لم
يزل ينصب عليك حتى اتلف اموالك وتزوج بنتك بلا شيء والى متى وانت
غافل عن هذا الكذاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال يا
ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل الا زوجته فارسل الى بنتك لتأتي خلف
الستارة حتى نسألها عن حقيقة حاله لاجل ان تختبره وتطلعنا على حاله فقال لا
بأس بذلك وحيوة رأسي ان ثبت انه نصاب كذاب لاقتلنه اشأم قتلة ثم انه
اخذ الوزير ودخل به الى قاعة الجلوس وارسل الى بنته فاتت خلف الستارة
وكان ذلك في غياب زوجها فلما اتت قالت يا ابي ما تريد قال كلمي الوزير قالت
ايها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي ان زوجك اتلف مال ابيك وقد تزوج
بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد
ان تخبرينا عنه فقالت ان كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر

والذخائر والقماشات المثمنة ولم ارشيئا فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة ان تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له اخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فانك صرت زوجي ولا افرط فيك فاخبرني بحقيقة الامر وانا ادبر لك تدبيرا ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام واريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك اخبرينا بحقيقة امره فقالت يا ابت انا اعرف كيف اختبره ثم انها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له واخذته من تحت ابطه وخادعته خداعا زائدا وناهيك بمخادعة النساء اذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام احلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال اليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني يا ثمرة فؤادي لا اوحشني الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فان محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك احرقت اكبادي وليس فيك تفريط ابدا ولكن مرادي ان تخبرني بالصحيح لان حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الاوقات والى متى وانت تنصب وتكذب على ابي وانا خائفة ان يفتضح امرك عنده قبل ان ندبر له حيلة فيبطش بك فاخبرني بالصحيح وما لك الا ما يسرك ومتى اخبرتني بحقيقة الامر لا تخش من شيء يضرك فكم تدعي انك تاجر وصاحب اموال ولك حملة وقد مضت لك مدة طويلة وانت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم لهذا السبب فان كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وانا ادبر لك تدبيرا تتخلص به ان شاء الله فقال لها يا سيدتي انا اخبرك بالصحيح ومهما اردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فان الصدق سفينة النجاة واياك والكذب فانه يفضح صاحبه ولله در من قال

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ اَنَّهُ	اَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَابْغِ رَضِيَ اللّٰهِ فَاَغْبَى الْوَرَى	مَنْ اَسْخَطَ الْمَوْلَى وَاَرْضَى الْعَبِيدِ

فقالت يا سيدتي اعلمي اني لست تاجرا ولا لي حملة ولا كبد حامية وانما كنت في بلادي رجلا اسكافيا ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا واخبرها بالحكاية من اولها الى آخرها فضحكت وقالت انك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت اعلم انك نصبت على ابي وغررته بكثرة فشرك حتى

زوجني بك من طمعه ثم اتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك
عند ابي ويقول له انه نصاب كذاب ولكن ابي لم يطعه فيما يقول بسبب انه كان خطبني
وانا لم ارض به ان يكون لي بعلا واكون له اهلا ثم ان المدة طالت وقد تضايق ابي
قال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى وابي مصر لك على الضرر بهذا السبب
ولكنك صرت زوجي انا لا افرط فيك فان اخبرت ابي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب
كذاب وقد نصبت على بنات الملوك واذهبت اموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك
بلا محالة ويشيع بين الناس اني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي واذا
قتلك ابي ربما يحتاج الى ان يزوجني الى آخر وهذا شيء لا اقبله ولو مت ولكن قم الآن
والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين الف دينار من مالي واركب على جواد وسافر الى
بلاد يكون حكم ابي لا ينفذ فيها واعمل تاجرا هناك واكتب لي كتابا وارسله مع ساع
يأتيني به خفية لاعلم في اي البلاد انت حتى ارسل اليك كلما طالته يدي ويكثر مالك
فان مات ابي ارسلت اليك فتجيء باعزاز واكرام واذا مت انت او مت انا الى رحمة الله
تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيبا وانا طيبة لا اقطع عنك
المراسلة والاموال ثم قبل ان يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار فقال
لها يا سيدتي انا في عرضك ان تودعيني بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها
واغتسل ولبس بدلة مملوك وامر السياس ان يشدوا له جوادا من الخيل الجياد فشدوا
له جوادا ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار فصار كل من رآه يظن انه
مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة فلما اصبح الصباح جاء ابوها هو
والوزير الى قاعة الجلوس وارسل لها ابوها فاتت خلف الستارة فقال لها ابوها
يا بنتي ما تقولين قالت اقول سود الله وجه وزيرك فانه كان مراده ان يسود وجهي
مع زوجي قال وكيف ذلك قالت انه دخل علي امس قبل ان اذكر له هذا الكلام
واذا بفرج الطواشي دخل علي وبيده كتاب وقال ان عشرة مماليك واقفون تحت
شباك القصر واعطوني هذا الكتاب وقالوا لي قبل لنا اياد سيدي معروف
التاجر واعطه هذا الكتاب فاننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا انه تزوج
بنت الملك فاتينا له لنخبره بما حل بنا في الطريق فاخذت الكتاب وقرأته فرأيت
فيه من المماليك الخمسمائة الحضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذي نعلمك
به انك بعدما فتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن

خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلثون يوما ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الملك قالت لابيها ان زوجي جاءه مكتوب من اتباعه مضمونه ان العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد اخذوا منا مائتي حمل من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا فلما بلغه الخبر قال خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل فما كان ينبغي لهم ان يتأخروا من اجلها لان قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي اني اروح اليهم واستعجلهم والذي اخذه العرب لا ينقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئا واقدر اني تصدقت به عليهم ثم نزل من عندي ضاحكا ولم يغتم على ماضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين اتوا له بالكتاب كأنهم الاقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوي الفي دينار وليس عند ابي مملوك يشبه واحدا منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاؤا له بالمكتوب ليجيء بحملته والحمد لله الذي منعني ان اذكر شيئا من الكلام الذي امرتني به فانه كان يستهزئ بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني ولكن العيب كله في وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاما لا يليق به فقال الملك يابنتي ان مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وان شاء الله عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من امر الملك واما ما كان من امر التاجر معروف فانه ركب الجواد وسار في البر الاقفر وهو متحير لا يدري الى اي البلاد يروح وصار من الم الفراق ينوح ومن فاسي الوجد واللوعات وانشد هذه الابيات

غَدَرَ الزَّمَانُ بِشَمْلِنَا فَتَفَرَّقَا ... وَالقَلْبُ ذَابَ مِنَ الجَفَا وَتَحَرَّقَا
وَالعَيْنُ تَقْطُرُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي ... هٰذَا الفِرَاقُ مَتَى يَكُونُ المُلْتَقَى
يَا طَلْعَةَ البَدْرِ المُنِيرِ أَنَا الَّذِي ... فِي حُبِّكُمْ تَرَكَ الفُؤَادَ مُمَزَّقَا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَجْتَمِعْ بِكَ سَاعَةً ... مِنْ بَعْدِ طِيبِ وِصَالِكُمْ ذُقْنَا الشَّقَا

مَا زَالَ مَعْرُوفٌ بِدُنْيَا مُغْرَمًا ... إِنْ كَانَ مَاتَ صَبَابَةً فَلَهَا الْبَقَا
يَا بَهْجَةَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ أَدْرِكِي ... قَلْبًا لِمَعْرُوفِ الْمُحِبَّةِ مُحْرَقَا
يَا هَلْ تَرَى الْأَيَّامُ تَجْمَعُ شَمْلَنَا ... وَنَفُوزُ مِنْهَا بِالْمَسَرَّةِ وَاللِّقَا
وَيَضُمُّنَا قَصْرُ الْحَبِيبَةِ بِالْهَنَا ... وَأَضُمُّ فِيهِ مُعَانِقًا غُصْنَ النَّقَا
يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرَةِ شَمْسُهُ ... مَا زَالَ وَجْهُكَ بِالْمَحَاسِنِ مُشْرِقَا
إِنِّي لَرَاضٍ بِالْغَرَامِ وَهَمِّهِ ... حَيْثُ السَّعَادَةُ فِي الْهَوَى عَيْنُ الشَّقَا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وقد اشتدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحيوة ثم انه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائرا الى وقت الظهر حتى اقبل على بلد صغيرة فرأى رجلا حراثا قريبا منها يحرث على ثورين وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحبا بك يا سيدي هل انت من مماليك السلطان قال نعم قال انزل عندي للضيافة فعرف انه من الاجاويد فقال له يا اخي ما انا ناظر عندك شيئا حتى تطعمني اياه فكيف تعزم علي فقال الحراث يا سيدي الخير موجود انزل انت وها هي البلد قريبة فاروح واجيء لك بغداء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فانا اصل اليها في مقدار ما تصل انت اليها واشتري مرادي من السوق وآكل فقال له يا سيدي ان البلد كفر صغير ليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك بالله ان تنزل عندي وتجبر بخاطري انا اذهب اليها وارجع اليك بسرعة فنزل ثم ان الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال في نفسه انا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن انا اقوم واحرث عوضا عنه حتى يأتي في نظير ما عوقته عن شغله ثم اخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلا وعثر المحراث في شيء فوقفت البهائم فساقها فلم تقدر على المشي فنظر الى المحراث فرآه مشبوكا في حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طابق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكانا مثل الحمام باربعة لواوين الليوان الاول ملآن من الارض الى السقف بالذهب والليوان الثاني ملآن زمردا ولؤلؤا ومرجانا من الارض الى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتا وبلخشا وفيروزجا والليوان الرابع ملآن بالالماس ونفيس المعادن من سائر اصناف الجواهر وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة

وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا شديدا وقال يا هل ترى اي شيء في هذه العلبة ثم انه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب مكتوبا عليه اسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم واذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط هل تريد ان تعمر بلدا او تخرب مدينة او تقتل ملكا او تحفر نهرا او نحو ذلك فمهما طلبته فانه قد صار باذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يا مخلوق ربي من انت وما تكون قال انا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الاغراض قضيته له ولا عذر لي فيما يأمرني به فاني سلطان على اعوان من الجان وعدة عسكري اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة عددها اثنان وسبعون الفا وكل واحد من الالف يحكم على الف مارد وكل مارد يحكم على الف عون وكل عون يحكم على الف شيطان وكل شيطان يحكم على الف جني وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي وانا مرصود لهذا الخاتم لا اقدر على مخالفة من ملكه وها انت قد ملكته وصرت انا خادمك فاطلب ما شئت فاني سميع لقولك مطيع لامرك واذا احتجت الي في اي وقت في البر او في البحر فادعك الخاتم تجدني عندك واياك ان تدعكه مرتين متواليتين فتحرقني بنار الاسماء وتعدمني وتندم علي بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خادم هذا الخاتم لما اخبر معروفا باحواله قال له معروف ما اسمك قال اسمي ابو السعادات فقال له يا ابا السعادات ما هذا المكان ومن ارصدك في هذه العلبة قال له يا سيدي هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذي عمر ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ وانا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنه نصيبك فقال له معروف فهل تقدر ان تخرج ما في هذا الكنز على وجه الارض قال نعم اسهل ما يكون قال اخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئا فاشار بيده الى الارض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة واذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبا وفرغوها ثم راحوا وجاؤا بغيرها وما زالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقي في الكنز شيء

ثم طلع له ابو السعادات وقال له يا سيدى قد رأيت ان جميع ما فى الكنز قد نقلناه فقال له ما هذه الاولاد الحسان قال هؤلاء اولادى لان هذه الشغلة لا تستحق ان اجمع لها الاعوان واولادى قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا قال له هل تقدر ان تجئ لى ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال فى الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا اسهل ما يكون ثم انه زعق زعقة عظيمة فحضرت اولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم فى صورة البغال وبعضكم فى صورة المماليك الحسان الذين اقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك وبعضكم فى صورة المكارية وبعضكم فى صورة الخدامين ففعلوا كما امرهم وانقلبوا سبعمائة بغال للحملة والمائة الباقى فى صورة الخدام ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه فامرهم ان ينقلب بعضهم فى صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال اين الصناديق فاحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا ابا السعادات هل تقدر ان تجئ لى باحمال من نفيس القماش قال اتريد قماشا مصريا او شاميا او عجميا او هنديا او روميا قال هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل قال يا سيدى اعطنى مهلة حتى ارتب اعوانى لذلك وامر كل طائفة ان تروح الى بلد لتجئ بمائة حمل من قماشها وينقلب الاعوان فى صورة البغال ويأتون حاملين البضائع قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار الا وعندك جميع ما تريد قال امهلتك هذه المدة ثم انه امرهم ان ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاؤا له بسماط وقال له ابو السعادات يا سيدى اجلس فى الخيمة وهؤلاء اولادى بين يديك يحرسونك ولا تخش من شئ وانا رائح اجمع اعوانى وابعثهم ليقضوا حاجتك ثم ذهب ابو السعادات الى حال سبيله وجلس معروف فى الخيمة والسماط قدامه واولاد ابى السعادات بين يديه فى صورة المماليك والخدم والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد اقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وايديهم على صدورهم فظن ان السلطان اتى ونزل فى ذلك المكان فوقف باهتا وقال فى نفسه يا ليتنى كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقرى من شأن السلطان واراد ان يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك هاتوه فحملوه هو والقصعة العدس واتوا

بها قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فاني ما كنت
اظن ان السلطان يأتي الى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته
ضيافة مليحة فقال معروف ان السلطان لم يجئ وانما انا نسيبه وكنت مغبونا منه
وقد ارسل الي مماليكه فصالحوني وانا الآن اريد ان ارجع الى المدينة وانت قد
عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسا فانا ما
آكل الا من ضيافتك ثم امره بوضع القصعة في وسط السماط واكل منها حتى اكتفى
واما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك الالوان الفاخرة ثم ان معروفا غسل يديه
واذن للمماليك في الاكل فنزلوا على بقية السماط واكلوا ولما فرغت القصعة ملأها
له ذهبا وقال له اوصلها الى منزلك وتعال عندي في المدينة وانا اكرمك فاخذ
القصعة ملآنة ذهبا وساق الثيران وراح الى بلده وهو يظن انه نسيب الملك
وبات معروف تلك الليلة في انس وصفاء وجاؤا له ببنات من عرائس الكنوز فدقوا
الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكانت لا تعد من الاعمار فلما اصبح الصباح
لم يشعر الا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة احمالا وهي سبعمائة
بغل حاملة اقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وابو السعادات راكب
على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له اربع عساكر من الذهب الاحمر
الوهاج مرصعة بالجواهر فلما وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الارض
وقال يا سيدي ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية
لا مثل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد فقال له يا
ابا السعادات مرادي ان اكتب لك كتابا تروح به الى مدينة خيتان الختن وتدخل
على عمي الملك ولا تدخل عليه الا في صورة ساع انيس فقال له سمعا وطاعة
فكتب كتابا وختمه فاخذه ابو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه
يقول يا وزير ان قلبي على نسيبي واخاف ان تقتله العرب يا ليتني كنت اعرف اين
ذهب حتى كنت اتبعه بالعسكر ويا ليته كان اخبرني بذلك قبل الذهاب فقال
له الوزير الله يلطف بك على هذه الغفلة التي انت فيها وحيوة رأسك ان الرجل عرف
اننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو الا كذاب نصاب واذا بالساعي داخل
فقبل الارض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك من
انت وما حاجتك فقال له انا ساع ارسلني اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد

ارسال إليك معي كتاباً وها هو فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فاني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سوّد الله وجهك يا وزير كم تقدح عرض نسيبي وتجعله كذاباً نصاباً وقد اتى بالحملة فما انت الا خائن فاطرق الوزير رأسه الى الارض حياء وخجلاً وقال يا ملك الزمان انا ما قلت هذا الكلام الا لطول غياب الحملة وكنت خائفاً على ضياع المال الذي صرفه فقال يا خائن اي شيء اموالي حيث انت حملته فانه يعطيني عوضاً عنها شيئاً كثيراً ثم امر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشارة ان زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد ارسل الي مكتوباً بذلك وها انا طالع لملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها ان هذا شيء عجيب هل كان يهزأ بي ويتمسخر عليّ او كان يختبرني حين اخبرني بانه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر علي المصري فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له ان التاجر معروف نسيب الملك قد اتت حملته فقال الله اكبر ما هذه الداهية انه قد اتى هارباً من زوجته وكان فقيراً فمن اين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفاً من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء فالله تعالى يستره ولا يفضحه

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر علي لما سأل عن الزينة اخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وانسروا لاجل اخذ اموالهم ثم ان الملك جمع العسكر وطلع وكان ابو السعادات قد رجع الى معروف واخبره بانه بلغ الرسالة فقال معروف احملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان وصار اعظم واهيب من الملك بالف مرة ومشى الى نصف الطريق واذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل اليه رآه لابساً تلك البدلة وراكباً في التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع اكابر الدولة سلموا عليه وبان ان معروفاً صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الحسود وسعت اليه التجار وقبلوا الارض بين يديه ثم ان التاجر علي قال له قد عملت هذه العملة

وطاعت بيدك يا شيخ الصابين ولكن نسئنا هل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا احمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا احمال الاقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى طيبها وقال ادخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق والجواهر وادخلوه لها لتفرقه على الجواري والخدم وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة في نظير ديونهم والذي له الف يعطيه قماشا يساوي الفين او اكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر ان يعترض عليه ولم يزل يعطي ويهب حتى فرق السبعمائة حمل ثم التفت الى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر الا بالكبش من غير عدد فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لانه لم يبق من الحملة الا القليل فقال له عندي كثير واشتهر صدقه وما بقي احد يقدر ان يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لان الخادم يحضر له مهما طلب ثم ان الخازندار اتى للملك وقال يا ملك الزمان ان الخزنة امتلأت وصارت لا تسع بقية الاحمال وما بقي من الذهب والمعادن اين نضعه فاشار له الى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها يا هل ترى من اين جاء له كل هذا الخير وكذلك التجار فرحوا بما اعطاهم ودعوا له واما التاجر علي فانه صار متعجبا ويقول في نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء ولكن ما احسن قول من قال

مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ إِذَا وَهَبْ	لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ ٱلسَّبَبْ
أَللّٰهُ يُعْطِي مَنْ يَشَا	ءُ فَقِفْ عَلَى حَدِّ ٱلْأَدَبْ

هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الملك فانه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر علي او كنت تجربني بقولك انا فقير وهارب من زوجتي والحمد لله حيث لم يقع مني في حقك تقصير وانت حبيبي وما عندي اعز منك سواء كنت غنيا او فقيرا واريد ان تخبرني ما قصدت بهذا الكلام قال اردت تجربتك

حتى انظر هل محبتك خالصة او على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لي ان محبتك خالصة وحيث كنت صادقة في المحبة فمرحبا بك وقد عرفت قيمتك ثم انه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له ابو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال اريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحليا كنوزيا مشتملا على عقد فيه اربعون جوهرة يتيمة قال سمعا وطاعة ثم احضر له ما امره به فحمل البدلة والحلي بعد ان صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذي والبسي فمرحبا بك فلما نظرت الى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة واساور وحلقا وحزاما لا يتقوم بثمنها اموال فلبست البدلة والحلي ثم قالت يا سيدي مرادي ان ادخرها للمواسم والاعياد قال البسيها دائما فان عندي غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لي مائة بدلة بمصاغها فقال سمعا وطاعة ثم احضر له البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها فاخذها وزعق على الجواري فأتين اليه فاعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم ان بعض الجواري اخبر الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج واحضر وزيره وقال له يا وزير انه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الامر قال يا ملك الزمان ان هذه الحالة لا تقع من التجار لان التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الا بمكسب فمن اين للتجار كرم مثل هذا الكرم ومن اين لهم ان يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك الا قليل فكيف يوجد عند التجار منها احمال فهذا لا بد له من سبب ولكن ان طاوعتني ابن لك حقيقة الامر فقال له اطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه ووادده وتحدث معه وقل له يا نسيبي في خاطري ان اروح انا وانت والوزير من غير زيادة بيننا لاجل النزهة فاذا خرجنا الى البستان نحط سفرة المدام واغصب عليه واسقيه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة امره فانه يخبرنا باسراره والمدام فضاح ولله در من قال

ولما شربنا ودب دبيبها	الى موضع الاسرار قلت لها قفي

محافة

مخافة ان يسطو علي شنعاعها | فتظهر ندماني على سري الخفي

ومتى اخبرنا بحقيقة الامر فاننا نطلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار فان هذه الحالة التي هو فيها اخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه في الملك فيستميل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الامر فلما اصبح الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس واذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذي اصابكم قالوا يا ملك الزمان ان السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة فلما اصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه احدا ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لانه ظن ان الاعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ولم يعلم انهم كانوا اعوان خادم الرصد فقال لهم يا ملاعين الف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا لهم فقالوا ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين في هذا الامر فبينما هم جالسون على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فاخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم امضوا الى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الامر فنظر الملك في وجه الوزير وقال اي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم انهم تحدثوا معه ساعة وقال الملك يا نسيبي خاطري ان اروح انا وانت والوزير لبستان لاجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم انهم ذهبوا وتوجهوا الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان انهاره دافقة واشجاره باسقة واطياره ناطقة ودخلوا فيه قصرا يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والالفاظ المطربات ومعروف مصغ الى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد ان اكلوا و

غسلوا ايديهم ملأ الوزير الكأس واعطاه للملك فشربه وملأ الثاني وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته اعناق الالباب فقال معروف ماهذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور الى السرائر التى قال فيها الشاعر

كانت لها ارجل الاعلاج دائسة — بالدوس فانتصفت من ارؤس العرب
يسقيكها من بني الكفار بدر دجى — الحاظه للمعاصي اوكد السبب

ولله در القائل

فكأنها وكأن حامل كأسها — اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها — بدر الدجى بكواكب الجوزاء
رقت فكادت من لطيف مزاجها — تجري لمجرى الروح في الاعضاء

وما احسن قول الشاعر

وبات بدر تمام الحسن معتنقي — والشمس في فلك الكاسات لم تفل
وبت انظر للنار التي سجدت — لها المجوس من الابريق تسجد لي

وقول الاخر

وتمشت في مفاصلهم — كتمشي البرء في السقم

وقول الاخر

عجبت لعاصريها كيف ماتوا — وقد تركوا لنا ماء الحيوة

واحسن من ذلك قول ابي نواس

دع عنك لومي فان اللوم اغراء — وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها — لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر — فلاح من ضوئها في البيت لألاء
طافت على فتية ذل الزمان لهم — فلا تصيبهم الا بما شاؤا
من كف ذات حر في زي ذي ذكر — لها محبان لوطي وزناء
وقل لمن يدعي في العلم معرفة — حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

واحسن من الجميع قول ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر — ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتني للصبوح بها — في غرة الفجر والعصفور لم يطر

أَصْوَاتُ رُهْبَانِ دَيْرٍ فِي صَلَوَاتِهِمْ ... سُودُ الْمَدَارِعِ نَعَّارِينَ فِي السَّحَرِ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَلِيحِ الشَّكْلِ مُكْتَحِلٍ ... بِالْغُنْجِ يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ عَلَى حَوَرِ
وَزَارَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا ... يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ
وَقُمْتُ أَفْرُشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ... ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ
وَلَاحَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا ... مِثْلَ الْقُلَامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ
وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ ... فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ

ولله در القائل

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى الْوَرَى ... مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَحِ
عِنْدِي نُضَارٌ ذَائِبٌ ... أَكِيلُهُ بِالْقَدَحِ

وما احسن قول الشاعر

فَاللّٰهِ مَا الْكِيمِيَا فِي غَيْرِهَا وُجِدَتْ ... وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي أَبْوَابِهَا كَذِبُ
قِيرَاطُ خَمْرٍ عَلَى الْقِنْطَارِ مِنْ حَزَنٍ ... يَعُودُ فِي الْحِينِ أَفْرَاحًا وَيَنْقَلِبُ

وقول الآخر

ثَقُلَتْ زُجَاجَاتٌ أَتَيْنَا فُرَّغًا ... حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ مَعَ الْهَوَى ... وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ

وقول الآخر

وَلِلْكَاسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مُعَظَّمٌ ... وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا تُضَيَّعَ حُقُوقُهَا
إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا
وَلَا تَدْفِنَنِّي فِي الْفَلَاةِ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا

وما زال يرغبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار حتى مال الى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم ان السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله اني متعجب من اين وصلت اليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة وعمرنا ما رأينا تاجرا حاز اموالا مثلك ولا اكرم منك فان افعالك افعال ملوك وليست افعال تجار فبالله عليك ان تخبرني حتى اعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف

انا لست تاجرا ولا من الملوك واخبره بحكايته من اولها الى آخرها فقال له بالله
عليك يا سيدى معروف انك تفرجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع
الخاتم وهو فى حال سكره وقال خذوا تفرجوا عليه فاخذه الوزير وقلبه وقال
هل اذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه واذا بقائل
يقول لبيك يا سيدى اطلب تعط هل تخرب مدينة او تعمر مدينة او تقتل ملكا
فمهما طلبته فانى افعله لك من غير خلاف فاشار الوزير الى معروف وقال للخادم
احمل هذا الخاسر ثم ارمه فى اوحش الاراضى الخراب حتى لا يجد فيها ما ياكل ولا
ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدا ولم يدر به احد فخطفه الخادم وطار به
بين السماء والارض فلما رأى معروف ذلك ايقن بالهلاك وسوء الارتباك
فبكى وقال يا ابا السعادات الى اين انت رائح بى فقال له انا رائح ارميك فى الربع
الخراب يا قليل الادب من يملك رصدا مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن
تستاهل ما حل بك ولولا انى اخاف الله لرميتك من مسافة الف قامة فلا تصل
الى الارض حتى تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به الى الربع الخراب ورماه
هناك ورجع وخلاه فى الارض الموحشة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم اخذ معروفا ورماه فى الربع الخراب و
رجع وخلاه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الوزير فانه لما ملك الخاتم
قال للملك كيف رأيت اما قلت لك ان هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقنى فقال
له الحق معك يا وزيرى الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى اتفرج عليه فالتفت
اليه الوزير بالغضب وبصق فى وجهه وقال له يا قليل العقل كيف اعطيه لك وابقى
خدامك بعد ان صرت سيدك ولكن انا ما بقيت ابقيك ثم دعك الخاتم فحضر
الخادم فقال له احمل هذا القليل الادب وارمه فى المكان الذى رميت فيه نسيبه
النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يا مخلوق ربى اى شىء ذنبى قال له الخادم
لا ادرى وانما امرنى سيدى بذلك وانا لا اقدر ان اخالف من ملك خاتم هذا
الرصد ولم يزل طائرا به حتى رماه فى المكان الذى فيه معروف ثم رجع وتركه
هناك فسمع معروف يبكى فاتى له واخبره وقعدا يبكيان على ما اصابهما ولم يجدا

اكلا ولا شربا هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر الوزير فانه بعد ما شتت معروفا والملك قام وخرج من البستان وارسل الى جميع العسكر وعمل ديوانا واخبرهم بما فعل مع معروف والملك واخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم ان لم تجعلوني عليكم سلطانا امرت خادم الخاتم ان يحملكم جميعا ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعا وعطشا فقالوا له لا تفعل معنا ضررا فاننا قد رضينا بك علينا سلطانا ولا نعصي لك امرا ثم انهم اتفقوا على سلطنته عليهم فهو اعنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من الجان لسعادات كلما اراده فيحضره بين يديه في الحال ثم انه جلس على الكرسي واطاعه العسكر وارسل الى بنت الملك يقول لها حضري روحك فاني داخل عليك في هذه الليلة لاني مشتاق اليك فبكت وصعب عليها ابوها وزوجها ثم انها ارسلت تقول له امهلني حتى تنقضي العدة ثم اكتب كتابي وادخل علي في الحلال فارسل يقول لها انا لا اعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج الى كتاب ولا اعرف حلا لا من حرام ولا بد من دخولي عليك في هذه الليلة فارسلت تقول له مرحبا بك ولا باس بذلك وكان ذلك مكرا منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لانه كان مغرما بحبها ثم انه امر بوضع الاطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح فاني اريد الدخول على الملكة في هذه الليلة فقال شيخ الاسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له انا لا اعرف عدة ولا مدة فلا تكثر علي كلاما فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال للعسكر ان هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له فلما جاء المساء دخل عليها فراها لابسة افخر ما عندها من الثياب ومزينة باحسن الزينة فلما راته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة ولو كنت قتلت ابي وزوجي لكان احسن عندي فقال لها لا بد ان اقتلهما فاجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وانما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على ام ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال الا على راي من قال

وَلَقَدْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي	مَا لَيْسَ يَبْلُغُ بِالسُّيُوفِ
ثُمَّ انْثَنَيْتُ بِمَغْنَمٍ	حُلْوِ الْمَجَانِي وَالْقُطُوفِ

فلما راى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدي اما ترى الرجل الناظر الينا بالله عليك

ان تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر الينا فاغتاظ وقال اين الرجل قالت ها هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا فظن ان خادم الخاتم ينظر اليهما فضحك وقال لا تخافي ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت انا اخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عني فقلعه وحطه على المخدة ودنا منها فرفصته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشيا عليه وزعقت على اتباعها فاتوها بسرعة فقالت امسكوه فقبضت عليه اربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته واذا بابي السعادات اقبل بقول لبيك يا سيدتي فقالت احمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده فاخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له اين ذهبت بابي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب قالت امرتك ان تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم طار من قدامها ولم يزل طائرا الى ان وصل الى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا فقد اتاكما الفرج واخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما اني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم امرتني بارجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على ابيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة وفي ثاني يوم البست اباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة وقالت يا ابت اقعد انت على كرسيك ملكا على ما كنت عليه اولا واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر واراد ان يدخل عليّ سفاحا من غير نكاح وشهد على نفسه انه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنسيبك الذي جعلته وزير ميمنة عندك فقال لها سمعا وطاعة يا بنتي ولكن اعطيني الخاتم او اعطيه لزوجك فقالت انه لا يصلح لك ولا له وانما الخاتم يكون عندي وربما احميه اكثر منكما ومهما اردتماه فاطلباه مني وانا اطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأسا ما دمت انا طيبة وبعد موتي فشأنكما والخاتم فقال ابوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم اخذ نسيبه وطلع الى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحا من غير نكاح واساء الملك ونسيبه وخافوا ان تنهتك شريعة الاسلام لانه بان لهم انه كافر ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا ما منعته من الدخول على الملكة سفاحا

فقال لهم يا ناس ان الرجل كافر وصار مالكا للخاتم وانا وانتم لا يخرج من ايدينا في حقه شيء فالله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا انتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون في الديوان يتحدثون في هذا الكلام واذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسيبة معروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للالف

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العساكر من شدة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته واذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه ثم جلس على الكرسي واخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وامر بزينة المدينة واحضر الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل الى الملك فلما تمثل بين يديه امر بقتله اشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح الى سقر في اسوأ الاحوال واجاد فيه من قال

فلا رحم الرحمن تربة عظمه ... ولا زال فيها منكر ونكير

ثم ان الملك جعل معروفا وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان ابيها ولم تعطه الخاتم وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاما بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت امه مرض الموت فاحضرت معروفا وقالت له انا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبي قالت له ربما اموت فلا تحتاج الى ان اوصيك على ولدك وانما اوصيك بحفظ الخاتم خوفا عليك وعلى هذا الغلام فقال ما على من يحفظه الله بأس فقلعت الخاتم واعطته له وفي ثاني يوم توفيت الى رحمة الله تعالى واقام معروف ملكا وصار يتعاطى الاحكام فاتفق له في بعض الايام انه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه الى اماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه ارباب منادمته من الاكابر

على عادتهم وسهروا عنده من اجل البسط والانشراح الى نصف الليل ثم طلبوا
الاجازة بالانصراف فاذن لهم وخرجوا من عنده الى بيوتهم وبعد ذلك دخلت
عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة
والبسته بدلة النوم واضطجع فصارت تكبس اقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت
من عنده وراحت الى مرقدها ونامت هذا ما كان من امرها واما ما كان من
امر الملك معروف فانه كان نائما فلم يشعر الا وشئ بجانبه فى الفراش فانتبه
مرعوبا وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينيه فرأى فى جانبه امرأة
قبيحة المنظر فقال لها من انت قالت لا تخف انا زوجتك فاطمة العرة فنظر فى وجهها
فعرفها بمسخة صورتها وطول انيابها وقال لها من اين دخلت على ومن جاء بك الى
هذه البلاد فقالت له فى اى البلاد انت فى هذه الساعة قال فى مدينة ختيان
الختن وانت متى فارقت مصر قالت فى هذه الساعة قال لها وكيف ذلك
قالت اعلم انى لما تشاجرت معك وقد اغرانى الشيطان على ضررك واشتكيتك
الى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد ان
مضى يومان لحقتنى الندامة وعلمت ان العيب عندى وصار الندم لا ينفعنى
وقعدت مدة ايام وانا ابكى على فراقك وقل ما فى يدى واحتجت الى السؤال
لاجل القوت فصرت اسأل كل مغبوط وممقوت ومن حين فارقتنى وانا آكل
من ذل السؤال وصرت فى اسوأ الاحوال وكل ليلة اقعد ابكى على فراقك وعلى
ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران وصارت تحدثه
بما جرى لها وهو باهت فيها الى ان قالت وفى امس درت طول النهار اسأل فلم
يعطنى احد شيئا وصرت كلما اقبل على احد واسأله كسرة يشتمنى ولا يعطينى
شيئا فلما اقبل الليل بت من غير عشاء فاحرقنى الجوع وصعب على ما قاسيت
وقعدت ابكى واذا بشخص تصور قدامى وقال لى يا امرأة لاى شئ تبكين
فقلت انه كان لى زوج يصرف على ويقضى اغراضى وقد فقدته ولم اعرف
اين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف
قال انا اعرفه اعلمى ان زوجك الآن سلطان فى مدينة وان شئت ان اوصلك
اليه افعل ذلك فقلت له انا فى عرضك ان توصلنى اليه فحملنى وطار بى بين
السماء والارض حتى وصلنى الى هذا القصر وقال ادخلى فى هذه الحجرة ترى

زوجك نائما على السرير فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وانا ما كان في املي انك تفوتني وانا رفيقتك والحمد لله الذي جمعني عليك فقال لها هل انا فتك اوانت التي فتني وانت تشكينني من قاض الى قاض وختمت ذلك بشكايتي الى الباب العالي حتى نزلت على ابا طبق من القلعة فهربت فهرا عني وصار يحكي لها على ما جرى له الى ان صار سلطانا وتزوج بنت الملك واخبرها بانها ماتت وخلف منها ولدا صار عمره سبع سنين فقالت له الذي جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وانا في عرضك انك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر واقعدي عندي وليس لك الا ما يسرك فان عملت شيئا من الشر اقتلك ولا اخاف من احد فلا يخطر ببالك انك تشكينني الى الباب العالي وينزل لي ابو طبق من القلعة فاني صرت سلطانا والناس تخاف مني وانا لا اخاف الا من الله تعالى فان معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه ابو السعادات ومهما طلبته منه يجيئني به فان كنت تريدين الذهاب الى بلدك اعطيك ما يكفيك طول عمرك وارسلك الى بلادك بسرعة وان كنت تريدين القعود عندي فاني اخلي لك قصرا وافرشه لك من خاص الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وارتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي او اموت انا فما تقولين في هذا الكلام قالت انا اريد الاقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فافرد لها قصرا وحدها وانعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم ان الولد صار يذهب عندها وعند ابيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم ان معروفا اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لانها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء اقبح من الحية الرقطاء خصوصا وقد اساءته اساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يقول الإساءة تقطع اصل المطلوب وتزرع البغضاء في ارض القلوب ولله در القائل

احرص على فرط القلوب من الاذى	فرجوعها بعد التنافر يعسر

إنّ القلوب اذا تنافر ودّها	مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم ان معروفاً لم يأوها الخصلة جميلة فيها وانما عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضات الله تعالى ثم ان دنيازاد قالت لاختها شهرزاد ما اطيب هذه الالفاظ التي هي اشد اخذاً للقلوب من سواحر الالحاظ وما احسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهرزاد واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اصبح الملك منشرح الصدر ومنتظراً لبقية الحكاية وقال في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم خرج الى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت ابطه فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الالف وهي آخر الكتاب

ذهب الملك الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا حكاية معروف قالت حباً وكرامة ان اذن لي الملك بالحديث فقال لها الملك قد اذنت لك بالحديث لانني متشوق الى سماع بقيته قالت بلغني ايها الملك ان الملك معروفاً صار لا يعتني بزوجته من اجل النكاح وانما كان يطعمها احتساباً بالوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعاً عن وصالها ومشتغلاً بغيرها بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها ابليس انها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالي ومشت من قصرها متوجهة الى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف واتفق بالامر المقدر والقضاء المسطر ان معروفاً كان راقداً مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من اصبعه اذا اراد ان يجامع احتراماً للاسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه الا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الا بعد ان احاطت علماً بانه اذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يتطهر وكان من عادته انه متى جامع يأمر المحظية ان تذهب

من عنده خوفا على الخاتم واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام
ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لاحرج عليه وكانت
تعرف هذا الامر كله فخرجت بالليل لاجل ان تدخل عليه في القصر وهو مستغرق
في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لايراها فلما خرجت كان ابن الملك في
هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام
على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه فلما خرجت من قصرها راها
محتهدة في المشي الى جهة قصر ابيه فقال في نفسه يا هل ترى لاي شيء خرجت
هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام واراها متوجهة الى قصر ابي فهذا الامر
لابد له من سبب ثم انه خرج وراءها وتبع اثرها من حيث لاتراه وكان له
سيف قصير من الجوهر وكان لايخرج الى ديوان ابيه الا متقلدا بذلك السيف
لكونه مستغرا ابه فاذا راه ابوه يضحك عليه ويقول ماشاء الله ان سيفك
عظيم ياولدي ولكن ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا فيقول له لابد
ان اقطع به عنقا يكون مستحقا للقطع فيضحك من كلامه ولما مشى وراء
زوجة ابيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر ابيه فوقف لها
على باب القصر وصار ينظر اليها فراها وهي تفتش وتقول اين وضع الخاتم
ففهم انها دائرة على الخاتم فلم يزل صابرا عليها حتى لقيته فقالت ها هو
والتقطته وارادت ان تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت
الى الخاتم وقلبته في يدها وارادت ان تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على
عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فراه زوجته
مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا ياولدي
قال يا ابي كم مرة وانت تقول لي ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربا
ولا قطعت به رأسا وانا اقول لك لابد ان اقطع به عنقا مستحقا للقطع فها
انا قد قطعت لك به عنقا مستحقا للقطع واخبره بخبرها ثم انه فتش على الخاتم
فلم يره ولم يزل يفتش في اعضائها حتى راى يدها منطبقة عليه فاخذه من
يدها ثم قال له انت ولدي بلاشك ولاريب اراحك الله في الدنيا والآخرة
كما ارحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها الا لهلاكها ولله در من

قال

إذا كان عون الله للمرء مسعفاً | تأتّى له من كل أمر مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى | فأول من يجني عليه اجتهاده

ثم ان الملك معروفا زعق على بعض اتباعه فاتوه مسرعين فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وامرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان الى الصباح ففعلوا كما امرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها وما كان مجيئها من مصر الا للتراب ولله در من قال

مشيناها خطى كتبت علينا | ومن كتبت عليه خطى مشاها
وما كانت منيته بأرض | فليس يموت في أرض سواها

وما احسن قول الشاعر

وما أدري إذا يممت أرضا | أريد الخير أيهما يليني
هل الخير الذي أنا أبتغيه | أم الشر الذي هو يبتغيني

ثم ان الملك معروفا ارسل يطلب الرجل الحراث الذي كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم ان له بنتا بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه واقاموا مدة في ارغد عيش وصفت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات الى ان اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلثة اولاد ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الارض بين يدي الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان اني انا جاريتك ولي الف ليلة وليلة وانا احدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لي في جنابك من طمع حتى اتمنى عليك امنية فقال لها الملك تمني تعطي يا شهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا اولادي فجاؤا لها بهم مسرعين وهم ثلثة اولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبو وواحد يرضع فلما جاؤا بهم اخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت يا ملك الزمان هؤلاء اولادك وقد

تمنيت عليك ان تعتقني من القتل اكراما لهولاء الاطفال فانك ان قتلتني يصيرهولاء الاطفال من غير ام ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم اولاده الى صدره وقال يا شهرزاد والله اني قد عفوت عنك من قبل مجي هولاء الاولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرة تقية بارك الله فيك وفي ابيك وامك واصلك وفرعك واشهد الله عليّ اني قد عفوت عنك من كل شي يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائدا وقالت له اطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة وكانت ليلة لا تعد من الاعمار ولونها ابيض من وجه النهار واصبح الملك مسرورا وبالخير مغمورا فارسل الى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره ابي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سببا لتوبتي عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة اولاد ذكور والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع على كامل الوزراء والامراء وارباب الدولة وامر بزينة المدينة ثلاثين يوما ولم يكلف احدا من اهل المدينة شيئا من ماله بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعبت كامل ارباب الملاعب واجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعم باكرامه سائر رعيته واهل مملكته واقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى اتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الاوقات ولا يعتريه شيء من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلوة والسلام على امام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الانام ونضرع به اليه في حسن الختام

خاتمة الطبع

تمّ الكتاب بتائيد الملك النواب المدعو بأسمار الليالى للعرب فيه يورث به الفرح والطرب المسمى بالف ليلة وليلة قوبل بثلثة نسخ صحيحة نحو مطبوعة كلكته ومطبوعة المصر والمكتوبة فديما فضا هذا في نسخة من غيرها كما لا يخفى على المتأمل وقد حصل الفراغ من تطبعه وتسبيكه في سنة تسع وتسعين ومائتين بعد الف من هجرة النبوية على صاحبها الف الف صلوة وتحية باهتمام عمدة الانام تاجر معتمد قاضي فتح محمد وجناب ملا نور الدين ابن جيرا خان سلمه المنان في مطبع حيدري الكائن في المنبئ من اراد منه فليطلب بمعرفة في اى مكان

هذا البيان لكتب مطبوعة المنبئ الموجودة فى الدكان

	پائی	آنہ	روپیہ		پائی	آنہ	روپیہ
كلام ربانى مطبوعه بمبئى				ايضا كاغذ سفيد ساده مجلد	٠	١٤	٠
				حمائل ١٢ پيچ جور دحمائى مجلد چرمى نمبر	٠	٣	١
قرآن تقطيع كلان بخط نسخ	٠	٠	٦	ايضا مجلد رومى پارچه	٠	٤	١
قرآن ١١ سطرى تقطيع كلان	٠	٢	٢	ايضا مجلد وابر صلانى و جلد عمده	٠	٠	٣
ايضا دو پيچ جلد بنگالى خط جلى مجلد	٠	٨	٢	ايضا كاغذ سفيد مجلد	٠	١٣	٠
ايضا كاغذ موتا و جلد عمده	٠	١٢	٣	حمائل پيچ حنائى نمبر ايضا مجلد رومى پارچه	٠	٥	٠
ايضا كاغذ اوسط	٠	٠	٣	ايضا كاغذ سفيد مجلد	٠	١١	٠
ايضا كاغذ حنائى جلد درجه اعلى	٠	٨	٤	حمائل ٣ پيچ حنائى نمبر	٠	١٠	٠
ايضا كاغذ سبز زرد و گلابى مجلد	٠	٨	٤	ايضا كاغذ سفيد جلد رومى پارچه	٠	٨	٠
قرآن ١٣ سطرى ربنا مجلد	٠	٨	١				
ايضا كاغذ سفيد موتا مجلد	٠	٧	٣	قرآن هشت پهلو تعويذ نمبر	٠	٤	٠
ايضا كاغذ حنائى جلد عمده	٠	٦	٣	سقه حمائل حنائى نمبر اول مجلد چرمى	٠	٠	٧

نام کتاب	پائی	آنے	روپیہ
ایضاً کاغذ سبز زرد و کلابتون جلد اعلیٰ	.	۲	۱
قرآن ۱۵ سطری بنگالی مجلد	.	۱۴	.
ایضاً کاغذ اوسط جلد بنگالی	.	۱۲	.
ایضاً جلد بنگالی ششتر مهره	.	.	۱
ایضاً کاغذ موٹا و جلد مهره	.	۴	۱
ایضاً کاغذ صافی و جلد مصفر	.	۸	۱
قرآن چھاپہ ... مجلد	.	۱۳	.
	.	.	.
قرآن ۷ سطری ختم ... مجلد	.	۱۰	.
... کاغذ پتلا جلد پارچہ	.	۹	
حمائل ... کلاں خانی مجلد چرمی مصر	.	۹	۳
ایضاً جلد رومی پارچہ ...	.	۸	۲
ایضاً جلد ... و نیلا مبز	.	۶	۴
ایضاً ... جلد طلائی رومی	.	.	۲
حمائل ... جلد چرمی مصر	.	.	۲
ایضاً جلد رومی پارچہ	.	.	۲
ایضاً کاغذ سفید مجلد	.	۲	۱
حمائل ... کلاں خانی جلد چرمی مصر	.	۸	۱
ایضاً جلد رومی پارچہ	.	۶	۱
ایضاً جلد ... طلائی و جلد ...	.	.	۵
هفتی پنج جزو آخری ۱۳ سطری مجلد	۹	۷	.
ایضاً پنج جزو اولی ۱۵ سطری مجلد	۹	۴	.
هفتی ست جزو اولی ۱۵ سطری مجلد کاغذ سرخ	.	۲	.
ایضاً ست جزو آخری جلد کاغذ سرخ	.	۲	.
پنج سوره مع چند ادعیہ جلد ماربل فی صد	.	.	۱۰
پنج سورة المشهور به پنجسوره مجلد	۹	۲	.
هفده سوره جلد کاغذ ابری	۹	۲	.

نام کتاب	پائی	آنے	روپیہ
ایضاً جلد کاغذ	.	۸	۴
مقدمہ ۱۵ سطری ... مجلد چرمی	.	.	۷
ایضاً جلد کاغذ	.	۸	۵
... جلد کاغذ ماربل ...	.	۸	۲
مقدمہ ۱۵ سطری ... مجلد	.	۸	۴
ایضاً جلد کاغذ سرخ	.	۸	۱
جزو عم مع قاعدہ ... فی صد	۶	۴	.
ایضاً کاغذ رنگین مجلد چرمی	.	۶	.
ایضاً کاغذ موٹا جلد چرمی	.	۶	.
جزو عم مع قاعدہ ...	۶	۳	.
جزو عم مع قاعدہ ...	.	۳	.
قاعدہ ... حکمت یمانیہ ...		۴	.
سب قاعدے ...		.	
ایضاً جلد چرمی	.	۶	.
جزو عم مع قاعدہ مجلد کاغذ ... فی صد	.	۳	۱
ایضاً جلد کاغذ سرخ فی صد	.	.	۶
جزو عم مع قاعدہ مجلد کاغذ ... فی صد	.	.	۹
ایضاً جلد کاغذ سرخ فی صد	.	.	۵
جزو عم مع قاعدہ خورد مجلد کاغذ ... فی صد	.	.	۶
ایضاً جلد کاغذ سرخ	.	.	۴
هفتی پنج جزو اولی ۱۳ سطری مجلد	.	۷	.
قاعدہ ...		۴	

کتب الحدیث عربی مطبوعہ بمبئی وغیرہ

نام کتاب	پائی	آنے	روپیہ
صحیح بخاری نسخہ کامل مجلد	.	.	۲۰
ایضاً نصف اول کاغذ موٹا مجلد	.	.	۱۴
ایضاً نصف آخر کاغذ موٹا مجلد	.	.	۱

کتاب	پائی	آنہ	روپیہ
ایضاً کاغذ سرخ	۰	۱	۰
سپارہ الٓم سہ سطری	۰	۱	۰
سیپارہ الٓم سیقول دا سطری	۲	۱	۰
قرآن شریف ۱۵ سطر طبع مرلی چرمی مجلد	۰	۴	۱
ایضاً بے جلد	۰	۱۴	۰
کتب التفاسیر عربی مطبوعہ بمبئی وغیرہ			
تفسیر معالم التنزیل المسمی بہ بغوی مجلد	۰	۰	۹
تفسیر بیضاوی مجلد			۴
تفسیر شیخ الاکبر محی الدین ابن عربی مجلد	۰	۰	۵
تفسیر حمامی سورۂ یٰس مجلد	۰	۸	۰
تفسیر جلالین مجلد	۰	۰	۱
کتب الحدیث عربی مطبوعہ بمبئی وغیرہ			
صحیح بخاری محشی کامل مجلد	۰	۰	۳۰
ایضاً نصف اول کاغذ موٹا مجلد	۰	۰	۱۴
ایضاً نصف آخر کاغذ موٹا مجلد	۰	۰	۱۰
مشکوٰۃ شریف محشی مجلد	۰	۱۲	۵
کتب فقہ عربی مذہب حنفی مطبوعہ بمبئی			
دُر المختار مجلد	۰	۴	۳
کنز الدقائق مع عینی کامل مجلد	۰	۶	۲

کتاب	پائی	آنہ	روپیہ
قدوری محشی بدون جلد	۰	۱۳	۰
منیۃ المصلی بدون جلد	۰	۷	۰
خلاصہ کیدانی مترجم ہند	۶	۱	۰
عین العلم محشی مع ترجمہ فارسی مجلد	۰	۶	۲
ہدایہ مع الکفایہ کامل	۰	۰	۷
ہدایہ مع الکفایہ نصف آخر مجلد	۰	۰	۷
غایۃ الاختصار المشہور بہ ابی	۰	۳	۰
شجاع فقہ مذہب شافعی	۰	۰	۰
تنبیہ الغافلین لابی اللیث السمرقندی	۰	۲	۱
مجموعۃ العقاید مع عمدۃ القصائد	۰	۴	۰
کتب اوراد عربی مطبوعہ بمبئی			
دلائل الخیرات مع حزب الاعظم وغیرہ مجلد	۰	۷	۰
ایضاً کاغذ حنائی جلد رومی پارچہ	۰	۱۰	۰
ایضاً کاغذ سفید جلد رومی پارچہ	۰	۸	۰
دلائل الخیرات خورد ۳۲ پیجی مجلد	۰	۵	۰
درود مستغاث مع اسماء باری تعالیٰ وغیرہ	۰	۳	۰
گنج العرش مع درود اکبر کلاں تقطیع	۶	۱	۰
ایضاً تقطیع خورد	۹	۰	۰
جواہر القرآن	۰	۴	۰
اسماء پنجتن	۰	۱	۰
اسماء اہل بدر جلد کاغذ سرخ	۰	۲	۰
کتب المولود النبی الکریم عربی			
مولود شرف الانام مع برزنجی نظم و نثر مجلد	۰	۱۴	۰